الهيئة المصرية العامة للكتاب
سلسلة الجوائز
سلسلة الجوائز
٥٦

رواية

دوريس ليسنج

الإرهابية الطيبة

ترجمة: سحر توفيق

ليسنج، دوريس.
الإرهابية الطيبة: رواية/ تأليف دوريس ليسنج؛ ترجمة: سحر توفيق. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩.
٥٠٤ ص ؛ ٢٤ سم .
تدمك ٨ ١٩٩ ٤٢١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ القصص الإنجليزية.
(أ) ـ توفيق، سحر (مترجم).
(ب) ـ العنوان .
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٢٧١١ / ٢٠٠٩
I.S.B.N- 978 - 977 - 421 - 199 - 8
ديوى ٨٢٣

الإرهابية الطيبة

رواية

دوريس ليسنج

ترجمة : سعد توفيق

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٩

● الكتاب: الإرهابية الطيبة The Good Terrorist

● تأليف: درويس ليسنج Doris Lessing

● ترجمة: سحر توفيق.

● يصدر هذا الكتاب باللغة العربية بإذن خاص من المؤلفة للهيئة المصرية العامة للكتاب.

● الطبعة الأولى ٢٠٠٩.

● طبع فى مطابع الهيئة المصرية للعامة للكتاب.

كان المنزل يبتعد عن ضوضاء الطريق الرئيسى فيما بدا مقلبًا للقمامة. بيت كبير، متماسك. ومن نظرة عين الطائر، يمكن رؤية القراميد السوداء متعامدة على طول المزراب، ثم إلى فتحة بالقرب من قاعدة مدخنة ضخمة، حيث تتدفق لرى رقعة من الحشائش تبلغ عدة أضعافها فى الطول.

قالت آليس: "ينبغى أن أفكر فى عام ١٩١٠ انظر إلى مدى سماكة الجدران". يمكن رؤية ذلك من خلال النافذة المكسورة فوقهما مباشرة فى الطابق الأول. لم تتلق ردًا، ومع ذلك نزعت حقيبة الظهر عن ظهرها، وتركتها تهوى على بساط حى من النمال الصغيرة التى كانت تحاول هضم العلب الصفيح الصدئة والأكواب البلاستيكية. رجعت خطوة إلى الوراء لترى السقف بشكل أفضل. وهنا ظهر جاسبر فى المشهد. وكما كانت تتوقع، بدا وجهه منتقدًا ويبدو أنه يعنى ملاحظة ذلك. من ناحيتها لم تكن بحاجة لأن يخبرها أحد بأن التعبير البادى على وجهها هو تعبيرها الخاص الذى اعتاد هو أن يصفه بالسخف. قال آمرًا: "كُفِّى عن هذا". وارتفعت يده، وأحيط رسغها بعظم قوى. آلمها. واجهته. فى غير تحدٍّ ولكن بثقة، وقالت: "هل يا ترى سيقبلون بنا؟" وكما توقعت، قال: "المسألة هى هل نحن سنقبل بهم؟"

تحملت الاختبار الواقع عليها، ذلك الألم العظمى، وترك رسغها وذهب إلى الباب. كان بابًا أماميًا قويًا وواثقًا من نفسه، فى شارع جانبى صغير

ملىء بالحدائق الصغيرة التى تتسم بها الضواحى، والبيوت المتشابهة المريحة. لم يكن بها ألواح ناقصة أو نوافذ مكسورة.

سألت آليس بغضب: "لماذا، لماذا، لماذا؟"، موجهة السؤال - ربما - إلى الكون ذاته، امتلأ قلبها بالألم بسبب البيت الفسيح الجميل، والمحروم من الحب. جرّتْ حقيبة ظهرها من الحزام خلفها ولحقت به.

قال: "الريح، طبعًا". وضغط على الجرس، لكنه لم يرن. أعطى الباب دفعة قوية ودخلا إلى ردهة كبيرة ظليلة بها سلالم تصعد إلى أعلى بقوة، وتصل إلى مهبط واسع، وترتفع بعيدًا عن الأنظار. كان المشهد يضيئه مصباح هواء موضوع على الأرض فى أحد الأركان. ومن غرفة جانبية جاء صوت طبل ناعم. دفع جاسبر هذا الباب أيضًا، فانفتح. كانت النوافذ مغطاة بالبطانيات، بحيث لا يتسرب أى ضوء. نظر شاب أسود من بين مجموعة الطبول، تلمع وجنتاه وأسنانه فى ضوء الشموع. قال: "هاى"، بينما كانت أصابعه كلها وقدماه تتابع العمل، حتى بدا أنه كان يرقص وهو جالس، أو كأنه يجلس على نوع من آلات التدريبات الرياضية.

هذا الصبى الأسود المبتسم المبتهج الذى بدا كإعلان عن قضاء يوم إجازة رائع فى جزر الكاريبى ترك انطباعًا لدى آليس، ولكنه كان انطباعًا خاطئًا، ووضعت بإحكام فى زاوية بعيدة من عقلها ملحوظة صغيرة بألا تنسى أنه كان لديها انطباع أوّلى بالقلق، أو حتى الأسى، والذى كان هو الرسالة الأولى التى تلقتها أعصابها منه. ووجدت نفسها فى الواقع على وشك أن تقول: "كل شىء على ما يرام، كل شىء بخير، لا تقلق!" لكن فى تلك اللحظة كان جاسبر يسأله بلهجة آمرة: "أين برت؟"

هز الشاب الأسود كتفيه بدون اكتراث، وظلت الابتسامة على شفتيه، ولم يتوقف للحظة واحدة عن هجومه المفعم بالطاقة على آلاته. وبيده الممسكة بذراعها بشدة أخرجها جاسبر من الغرفة إلى الردهة، حيث قالت آليس: "هذا المكان له رائحة سيئة".

قال جاسبر بتلك الطريقة المسترضية الخرقاء التى عرفت أنه يعنى بها نقل مشاعر الحب: "حسنًا، أفترض أنك ستضعين نهاية لهذا".

وفى الحال، شاعرة بأهميتها، قالت: "لا تنس أنك كنت تعيش عيشة ناعمة لأربع سنوات. ولن تكون الأمور سهلة بعد هذا".

قال: "لا تقولى إنى ناعم". وركلها فى كاحلها. لم تكن ركلة قوية، ولكن كافية.

هذه المرة سارت أمامه، وفتحت بابًا شعرت أنه لابد أن يكون المطبخ. وقع الضوء على خرابة. بل ما هو أسوأ: على خطر: كانت أسلاك الكهرباء منزوعة من الحائط ومتدلية عارية الأطراف. وكان الموقد منزوعًا من مكانه ويرقد على الأرض. النوافذ المكسورة سمحت بدخول مياه المطر، والتى كانت متجمعة فى برك فى كل مكان. وكان ثمة طائر ميت على الأرض، ورائحته نتنة. بدأت آليس تصرخ بغضب عارم. "الأوغاد"، قالت لاعنة، وأضافت: "الأوغاد الأقذار الفاشيون النتنون".

كانا يعرفان بالفعل أن المجلس قد أرسل عمالاً لجعل المكان غير صالح للسكنى، بهدف منع المحتلين من واضعى اليد. "إنهم حتى لم يحاولوا جعل تلك الأسلاك آمنة. إنهم حتى لم...". وفجأة، وقد توقدت حيوية، راحت تتحرك بسرعة، تفتح الأبواب. كان فى ذلك الطابق حمامان، وكان المرحاض فى كل منهما مملوءًا بالأسمنت.

ظلت تكرر اللعنات بثبات، ودموعها لا تتوقف. "الخنزير القذر المخزى، الخنزير القذر اللعين الفاشستى...". لقد ملأتها الكراهية بالطاقة، وبالشك، ففى ركن ما داخلها، لم تكن قادرة أبدًا على تصديق أن أى شخص، خاصة أبناء الطبقة العاملة، يمكن أن يطيع أمرًا بتدمير منزل. فى ركن ما من عقلها ـ كان الشك دائمًا يسكنه ـ بدأ ذلك الصوت الداخلى الذى لم يسمعه جاسبر أبدًا، لأنه ما كان يسمح بهذا: ولكنهم أشخاص، أناس فعلوا ذلك. ولماذا؟ ليمنعوا أناسًا آخرين من الحياة. لا أستطيع أن

أصدق. من هؤلاء؟ على أية شاكلة هم؟ لم أر أبدًا شخصًا يستطيع هذا. لماذا، لابد أنهم أشخاص مثل لين وبوب وبيل، أصدقاء. لقد فعلوا هذا. لقد دخلوا وملأوا المرحاضين بالأسمنت وعرُّوا كل الكابلات وسدوا أنابيب الغاز.

وقف جاسبر يلاحظها. وشعر بالسرور. فهذه الطاقة الغاضبة قد أوقفت نظرتها، التى كان يكرهها، عندما كانت تبدو كلها منتفخة ومتلألئة، كما لو لم يكن وجهها وحده بل جسدها كله مليئًا بالدموع التى ترشح من كل مسام جلدها.

وبدون الرجوع إليه، جرت تصعد السلالم، وتبعها ببطء، مستمعًا إليها وهى تدق على الأبواب، وعندما لا تسمع شيئًا، تفتحها على مصراعيها. فى الطابق الأول وقفا ينظران إلى حالة من النظام، لا الفوضى. هنا كانت كل غرفة بها أكياس للنوم، واحد أو اثنين، أو ثلاثة. وبها شموع أو مصابيح الهواء. حتى المقاعد كانت ثمة مناضد صغيرة إلى جوارها. كتب، صحف، ولكن لم يكن هناك أحد.

كانت الرائحة قوية فى هذا الطابق. وكانت تأتى من أعلى. ببطء أشد صعدا على سلالم متسعة بأريحية، وواجها رائحة نتنة جعلت جاسبر يكاد يتقيأ. كان وجه آليس صارمًا ومتكبرًا. فتحت بابًا على مشهد من الدلاء البلاستيكية، مليئة بالبراز. لكن هذه الغرفة كانت قد اعتُبرت ممتلئة بما يكفى، وكانت الغرفة المجاورة لها قد بدأ استخدامها لنفس الغرض. عشرة دلاء أو ما يقرب من ذلك، بألوان حمراء وصفراء وبرتقالية، كانت تقف فى مجموعة بانتظار استخدامها.

كانت هناك غرف أخرى فى هذا الطابق، لكن لم تستخدم أيا منها. لم يكن من الممكن استخدام أى منها، فقد كانت الرائحة قوية للغاية.

نزلا على السلالم، صامتيْن، يراقبان أقدامهما، فقد كانت القمامة فى كل مكان، وجاء الضوء ضعيفًا من خلال النوافذ القذرة.

قال مستبقًا لما قد تقوله هى: "لم نأت هنا لنعيش حياة مريحة. لسنا هنا من أجل ذلك".

قالت: "لا أفهم أى شخص يختار أن يعيش هكذا. وخاصة عندما يكون من السهل جدًا فعل شىء".

والآن كانت تبدو فاترة، لا مبالية، وقد ذهب كل توهج الغضب.

ورأت أنه على وشك أن يبدأ خطبة حول ميولها البرجوازية؛ لكن الباب الأمامى انفتح، وعلى خلفية من ضوء الشمس ظهر شخص عسكرى المظهر.

صاح: "برت!" وقفز على السلالم متخطيًا ثلاث درجات فى كل خطوة. "برت. أنا جاسبر....".

فكرت آليس فى أمومة، وهى تسمع ذلك الصوت الفرح يرن، إنه بسبب والده القذر. لكن هذا كان جزءًا من مشاعرها الداخلية، حيث إن جاسبر بالطبع لم يكن يسمح لها بأن تكون لديها مثل هذه الأفكار.

قال برت يحاول التعرُّف: "جاسبر"، ثم حدق خلال العتمة إليها هى نفسها.

وقال جاسبر: "إنها آليس... لقد أخبرتك".

قال برت: "الرفيقة آليس". كان صوته مقتضبًا، صارمًا، مجردًا، ويحمل إصرارًا على القواعد والأصول، وتراجعت نغمة صوت جاسبر وهو يقول: "لقد جئنا من فورنا، لم يكن هناك من نقدم تقرير وصولنا إليه".

وقالت آليس مُعلِّقة وهى تصل إليهما: "لقد تحدثنا إليه، الذى بالداخل هناك"، مشيرة إلى الغرفة التى كان يأتى منها صوت الطرق الناعم.

قال برت مشيحًا: "أوه، جيم". ومشى إلى باب لم يكونا قد فتحاه، ركله لينفتح حيث كانت "أكرته" مفقودة، ودخل دون أن ينظر ليرى إن كانا يتبعانه.

كانت هذه الغرفة أقرب إلى الحالة الطبيعية. ومع إغلاق الباب يمكنك أن تصدق أنها غرفة جلوس فى بيت عادى، رغم أن كل شىء - المقاعد، والأريكة، والسجادة - كان قذرًا. والرائحة امتنعت الآن تقريبًا، لكن بالنسبة لآليس بدا أن طبقة رقيقة خفية من النتن تلتصق بكل شىء، وقد تشعر بهذه الطبقة زلقة تحت أصابعها إذا لمست أى شىء.

وقف برت منتصبًا، منحنيًا إلى الأمام قليلاً، ذراعاه متدليتان، ناظرًا إليها. لكنه لم يكن يراها، كانت تعرف هذا. كان شابًا أسمر نحيفًا، ربما فى الثامنة والعشرين أو الثلاثين من عمره. وجهه ممتلئ بشعيرات سوداء لامعة، ومن بين هذه الشعيرات كانت تومض عيناه السوداوان وفمه الأحمر وأسنانه البيضاء. كان يرتدى بنطلون جينز أزرق غامقًا جديدًا من النوع القوى، وجاكيتًا ضيقًا من اللون الأزرق الغامق، مغلق الأزرار ومهندمًا. وكان جاسبر يرتدى بنطلونًا قطنيًا من الأزرق الفاتح، وقميصًا بخطوط زرقاء أشبه بقمصان البحارة؛ لكن آليس كانت تعرف أنه سرعان ما سوف يرتدى ملابس مثل ملابس برت، التى كانت فى الواقع هى ملابسه المعتادة. كان قد وجد مهربًا قصيرًا إلى الطيش والتفاهة بسبب تأثير ما.

كانت آليس تعرف أن الرجلين سيتكلمان الآن، دون أن يلقيا بالا إلى وجودها، وأعدت نفسها للاهتمام بمصالحها، بينما كانت تنظر إلى الخارج من النافذة المقوسة إلى الحديقة، حيث كانت قمامة من كل الأنواع ترتفع حتى عتبات النوافذ. كانت العصافير تعمل بهمة فى الأكوام، تنبش وتحفر. ووقف طائر أسود على كرتونة لبن ونظر إليها مباشرة. وخلف الطائر، رأت قطًا نحيفًا جاثمًا تحت نبات من نوع الهايدرانيا له أوراق خضراء حديثة الظهور وتويجات رفيعة زرقاء وقرنفلية سوف تصبح زهورًا. كان القط يراقبها أيضًا، بعينين لامعتين جائعتين.

مد برت يده إلى دولاب، وأخرج ترموس فى حجم الدلو، وثلاثة أقداح.

وسألت: "أوه، هل لديكم كهرباء إذًا؟"

قال: "لا. أحد الرفاق فى الشارع المجاور يملؤه لى كل صباح".

وبينما آليس ترقب المشهد بنصف انتباه، رأت كيف نظر جاسبر إلى الإناء، وإلى صب القهوة. كانت تعرف أنه جائع. فبسبب شجاره مع أمها خرج غاضبًا من البيت ولم يتناول إفطاره، كما أنه لم يكن لديه وقت لشرب القهوة التى أحضرتها له. فكرت: "ولكن هذا هو كل ما تناوله جاسبر طوال اليوم"، وأشارت إلى أنها لا تريد إلا نصف كوب. وقد أعطيت بالضبط كما طلبت.

شرب جاسبر كوبه فى الحال، وجلس ينظر إلى الترموس، يريد المزيد. ولم يلاحظ برت.

بدأ برت قائلاً: "لقد تغير الحال"، وكأن ذلك كان استكمالا للقاء ما. "لم يكن تحليلى صحيحًا، كما يمكن أن تقول. لقد استخففت بالنضج السياسى للقادة. عندما عُرضت القضية للتصويت، جاءت نصف الأصوات ضدها، وغادروا المكان هنا فى الحال".

قال جاسبر: "إذًا، فقد كان يمكن إثبات أنهم لا يُعتمد عليهم. هذا أفضل".

"بالضبط".

وتساءلت آليس: "ماذا كانت القضية؟" استخدمت هنا "الصوت الخاص بالمقابلات"، فقد كانت قد تعلمت أن هذا ضرورى إن كانت تريد أن تتماسك. بالنسبة لها بدا هذا الصوت مزيفًا وباردًا، وكانت دائمًا تشعر بالحرج منه؛ فبسبب المجهود الذى يتطلبه، كان يبدو عليها عدم الاهتمام، وأنها شاردة. إلا أن عينيها كانتا ثابتتين، بل وتراقبان المشهد أمامها عن كثب وبتركيز كامل: برت ينظر إليها، أو بالأحرى، إلى ما قالته؛ وجاسبر ينظر إلى الترموس. فجأة لم يستطع أن يمسك نفسه، ومد يده إلى الإناء. قال برت: "آسف"، ودفعه ناحيته.

قال جاسبر: "أنت تعرفين ماذا كانت القضية، لقد أخبرتك. إننا سوف نلتحق بالجيش الجمهورى الأيرلندى، أى ج.ج.أ".

قالت آليس: "إنك تعنى أن التصويت كان على اللحاق بالجيش الجمهورى الأيرلندى؟" وبدا أن أنفاسها توقفت من الدهشة؛ لكن برت اعتبر ذلك خوفًا، وقال بصوت مرتفع وازدراء بارد: "خوف غبى. لقد هربوا مثل الأرانب".

أصرت آليس: "كيف تم التصويت على ذلك؟"

قال برت، بعد برهة توقف: "على أن هذه المجموعة تتقدم إلى قيادة ج.ج.أ، وتعرض خدماتها ككيان إنجليزى بالأساس".

ابتلعت آليس ذلك، وبدا عليها التوتر بسبب المجهود الذى بذلته لتصديق هذا، وقالت: "لكن جاسبر قال لى إن هذا البيت كان اتحاد الوسط الشيوعى، أى أ.و. ش؟"

"صحيح. هذا هو موضع أ. و.ش، اتحاد الوسط الشيوعى".

قالت بعنف، وقد خرجت عن استخدام صوتها "السياسى" نهائيًا: "لكن هل قررت قيادة أ. و. ش تقديم خدمات كل الاتحاد إلى ج.ج. أ؟ لا أفهم". وقال برت، فى أدب وارتجال، لأنه - كما رأت - لم يكن يشعر بالارتياح: "لا".

"إذًا كيف يمكن لفرع من أ.و.ش أن يعرض خدماته؟"

هنا لاحظت أن جاسبر كان يسعى لتتلاقى عيناه بعينى برت فى نظرة تعنى "لا تهتم بما تقوله"، ولكنها أحبطته. "هذا الأمر غير منطقى".

سلم برت قائلا: "إنك على حق، بشكل ما. المسألة تمت مناقشتها. وقد تم الاتفاق على أنه بينما لا يمكن عمل مقاربات كجماعة تنتمى إلى أ.و.ش، فمن الممكن السماح لمجموعة من أعضاء أ.و.ش بعمل المقاربة، كأفراد من أعضاء الاتحاد".

"لكن..."، فقدت آليس اهتمامها. وكانت تفكر، ها هم يفعلون ذلك مرة أخرى. يراوغون. عاد انتباهها إلى كومة القمامة التى تبعد ياردة واحدة خلف الزجاج القذر. الطائر الأسود ذهب. والقط المسكين يتشمم حول أطراف الكومة، حيث يتجمع الذباب.

قالت: "ماذا تفعلون من أجل الطعام هنا؟"

"الطعام المجهز من الخارج".

"هذه القمامة ضارة بالصحة. لابد أن هناك فئرانًا".

"هذا ما قالته الشرطة".

"هل كانوا هنا؟"

"لقد كانوا هنا فى الليلة الماضية".

"أوه، فهمت، هذا سبب رحيل الآخرين".

قال برت: "لا، لقد ذهبوا لأنهم رأوا أن الموضوع هراء، بالنسبة لـ ج.ج.أ".

"وماذا قالت الشرطة؟"

"لقد أعطونا مهلة أربعة أيام لمغادرة المكان".

قالت آليس: "لماذا لا نذهب إلى المجلس؟" بعويل متوتر؛ وبينما كان جاسبر يقول: "أوه، ها هى تبدأ مرة أخرى"، فُتح الباب، ودخلت شابة. كان شعرها أسود قصيرًا يبدو أنه تم قصه على يد متخصص، عينان سوداوان سريعتا الحركة، شفتان حمراوان، وبشرة بيضاء رائقة. كانت حسنة المظهر، وصلبة، مثل الكريز الطازج. نظرت بحرص إلى برت، وجاسبر، وآليس.

قالت: "أنا بات، أخبرنى برت عنكما أنتما الاثنين"، ثم أضافت: "هل أنتما أخ وأخت؟"

أجاب جاسبر فى الحال: "لا، لسنا كذلك".

لكن آليس كانت تحب عندما يرتكب الناس هذا الخطأ، فقالت: "عادة يظننا الناس أخًا وأختًا".

تفحصتهما بات مرة أخرى. وتململ جاسبر أمام نظرتها والتفت بعيدًا، وقد وضع يديه فى جيوب جاكتته، وكأنما يحاول أن يبدو غير مكترث أمام هجوم ما.

كانا كلاهما أبيض، بلمعة محمرة فى الشعر الذى بدا على وشك أن يلتف فى خصلات وحلقات. كان شعر جاسبر قصيرًا جدًا؛ أما شعر آليس فكان قصيرًا وثقيلاً وقويًا. وكانت تقصه بنفسها. وكانا كلاهما لهما بشرة محمرة مبقعة بالنمش. كانت عينا جاسبر الزرقاوان تبدوان وسط محيطين أبيضين ضحلين، وقد أعطاه هذا مظهرًا ملائكيًا صريحًا. كان شديد النحافة، ويرتدى ملابس ملتصقة بجسده. أما آليس فكانت قصيرة ممتلئة، وتعطى انطباعًا بالسمنة. أحيانًا تبدو فتاة فى الثانية عشرة أو الثالثة عشرة لم تبلغ بعد، كما سوف تكون فى أواسط العمر. مجموعة من النساء واقفات على رصيف مترو الأنفاق. نساء فى أواسط العمر، يحملن حقائب نقالة، منهمكات فى الثرثرة. نساء قصيرات جدًا، أكيد؟ لا، إنهن فتيات، فى الثانية عشرة أو نحوها. أربعون عامًا من الحياة كنساء سوف تنضجهن وتتركهن كما هن الآن، ثقيلات وحذرات، ومشتاقات لإرضاء الآخرين. يمكن أن تبدو آليس كفتاة بدينة خرقاء أحيانًا، وفى أحيان أخرى فى حوالى الخمسين من عمرها، ولكنها لا تبدو فى سنها الحقيقية أبدًا، فى السادسة والثلاثين. الآن كانت فتاة ترد نظرة بات بفضول ودود من عينين صغيرتين بلون أزرق ـ رمادى من تحت رموشها الكثيفة.

قالت بات: "حسنًا"، وهى تسير إلى النافذة لتقف إلى جوار آليس، "هل سمعت أن هذا الجمع الصغير السعيد على وشك الانفضاض؟"

كانت تبدو أكبر كثيرًا من آليس، وإن كانت أصغر بعشر سنوات. قدمت سيجارة لآليس، ولكنها رفضت، ودخنت بات سيجارتها بنهم.

"نعم، وقلت لماذا لا نتفاوض مع المجلس؟"

"سمعتك. لكنهم يفضلون قذارتهم الرومانتيكية".

قالت آليس باشمئزاز: "رومانتيكية؟"

قال برت: "إن التفاوض مع المؤسسة لا يتفق مع الميل الطبيعى بالفعل".

قال جاسبر فجأة: "هل تعنى أن هذه الخلية على وشك الانفضاض؟"، وبدا مثل صبى صغير حتى إن آليس نظرت بسرعة لترى ما إذا كان الآخران قد لاحظا. وقد حدث، لاحظت بات، التى وقفت ترفع سيجارتها بين إصبعيها إلى شفتيها ثم تخفضها، كى تستطيع أن تستنشق وتزفر الدخان، تستنشق وتزفر الدخان، وهى تنظر إلى جاسبر، تحاول تشخيصه.

قالت آليس بسرعة وقد امتلأ قلبها بوجع ناعم مألوف، مدافعة عن جاسبر: "ليس هذا ضد ميولى، لقد فعلت ذلك كثيرًا".

قالت بات: "أوه، صحيح؟ هل فعلت ذلك؟ وأنا أيضًا. أين؟"

"فى برمنجهام. ذهبت مجموعة من سبعة أفراد منا إلى المجلس من أجل منزل محدد لنا، وكنا ندفع الغاز والكهرباء والماء، وبقينا فيه ثلاثة عشر شهرًا".

"من حسن حظك".

"وفى هاليفاكس، كنت فى بيت مهجور تم التفاوض عليه لستة أشهر. وعندما كنت فى الخنادق فى مانشستر - وكان ذلك عندما كنت فى الجامعة - كان هناك منزل ملىء بالطلبة، كنا حوالى عشرين. وبدأ الأمر كاحتلال عشوائى للمكان، ثم استجاب المجلس، وانتهى بأن أصبح بيتًا للطلبة".

أثناء ذلك كان الرجلان يسمعان، وتوقفت الإجراءات. ملأ جاسبر كوبه مرة أخرى. وأشار برت إلى بات بأن الترموس قد أصبح فارغًا، وهزت رأسها وهى تستمع إلى آليس.

قالت آليس موجهة الكلام مباشرة إلى بات: "لماذا لا نذهب إلى المجلس؟"

"يمكن هذا بالنسبة لى. ولكنى سوف أغادر على أية حال". ورأت آليس أن جسم برت يتصلب، وجلس غاضبًا وصامتًا. •

قالت بات موجهة الكلام إلى برت: "قلت لك فى الليلة الماضية إنى سوف أغادر".

فهمت آليس أن الأمر لم يكن مجرد سياسة. ثمة علاقة شخصية تنفصم بسبب أمر سياسى! إن الغرائز الطبيعية تنكر هذا. فكرت، رغمًا عنها - ما هذا الهراء، أن نترك السياسة تتسبب فى فشل العلاقة الشخصية! لم يكن هذا هو اعتقادها حقًا: فما كانت لتتمسك أمام التحدى. ولكن مثل هذه الأفكار كثيرًا ما تمر بخاطرها.

قالت بات، موجهة الكلام إلى برت الذى أشاح بوجهه: "اللعنة، ماذا كنت تتوقع؟ فى لقاء عادى مثل هذا.. اثنان منهما من الخارج، لم نكن نعرف أى شىء عنهما. إننا لا نعرف أى شىء عن الزوجين اللذين جاءا فى الأسبوع الماضى. كان جيم فى الحجرة، وهو ليس منضمًا إلى الـ أ. و. ش. فجأة وضع أمامنا هذا الحل".

"لم يكن فجأة".

"عندما ناقشناه من قبل، قررنا أن نقوم باتصالات فردية. أن نناقشه مع أفراد، بحرص".

كان صوتها مليئًا بالازدراء. كانت تنظر إلى حبيبها - كما هو مفترض - كما لو كان خليقًا بالإلقاء فى صندوق القمامة.

قال برت: "لقد غيرت رأيك، على أية حال"، كانت شفتاه حمراوين تلمعان غضبًا من بين كثافة لحيته، "لقد وافقت على أن دعم الجيش الجمهورى الأيرلندى هو الموقف المنطقى لهذه المرحلة".

قال جاسبر: "إنه الموقف الصحيح الوحيد؛ أيرلندا هى نقطة ارتكاز الهجوم الإمبريالى".

قالت بات: "أنا لم أغير رأيى، ولكن إن كنت سأعمل مع الجيش الجمهورى الأيرلندى أو أى شخص آخر، فلابد أن أعرف من الذى أعمل معه".

قالت آليس: "إنك لا تعرفيننا"، وقد شعرت بألم لتحققها المفاجئ من أنها هى وجاسبر كانا جزءًا من السبب الذى أدى إلى انفصال هذين الشخصين.

قالت بات: "لا أحمل لكما مشاعر عدائية، فالأمر ليس شخصيًا. ولكن نعم. كانت أول مرة أسمع عنكما عندما قال برت إنه قابل جاسبر فى المسيرة المضادة للتسلح النووى يوم السبت. وفهمت أن برت حتى لم يقابلك".

قالت آليس: "لا".

"حسنًا، إننى آسفة، لكن ليست هذه هى الطريقة المناسبة لفعل أى شىء".

قالت آليس: "أفهم ما تقصدين".

وساد صمت. وقفت المرأتان الشابتان عند النافذة، فى وسط سحابة من دخان سيجارة بات. وجلس الرجلان على مقعدين، فى وسط الغرفة. وجاءت دقات الطبل الشبيهة بدقات المطر من جيم عبر الردهة.

قالت آليس: "كم من الناس بقوا هنا الآن؟"

لم ترد بات، وأخيرًا قال برت: "بما يشملكما أنتما ـ الاثنين ـ سبعة"، وأضاف: "لا أعرف بالنسبة لك يا بات".

قالت بات بحدة وبرود: "نعم، تعرف". لكنهما كانا ينظران إلى بعضهما الآن، وفكرت آليس: لا، لن يكون الانفصال سهلاً بالنسبة لهما. قالت:

"حسنًا، إن كان العدد سبعة، فإن أربعة منهم الآن هنا. خمسة باعتبار جيم.... أين الاثنان الباقيان؟ أريد أن أحصل على موافقة على الذهاب إلى المجلس".

قال برت بصوت ناعم مرتفع ولهجة ساخرة: "المراحيض مملوءة بالأسمنت. وأسلاك الكهرباء مقطوعة. والأنابيب محطمة".

قالت آليس: "ليس من الصعب إصلاح ذلك. لقد فعلنا ذلك فى برمنجهام. المجلس حطم المكان وحوله دمارًا. انتزعوا المراحيض بكاملها هناك. وكل الأنابيب، وملأوا حوض الاستحمام بالأسمنت. وكوموا القمامة فى كل الغرف. وقد نظفنا كل هذا".

"مَنْ سيدفع تكاليف ذلك؟"، كان هذا السؤال من برت.

"سوف نفعل".

"مَنْ أى بند؟"

قالت بات: "أوه، توقف، إننا نتكلف فى شراء الطعام من الخارج والجرى لتسول الحمامات أكثر مما لو دفعنا نقود الكهرباء والغاز".

قال برت: "هذه وجهة نظر لها اعتبارها".

وقالت آليس: "وسوف تجعل بيل العجوز(*) يرفع يده عنا".

صمت. كانت تعرف أن بعض الناس قد يؤلمهم سماع ذلك - وقد ارتابت فى أن برت من هذا النوع، ولكن ليست بات. كانوا يستمتعون بالمواجهات مع الشرطة.

قال برت فجأة: "حسنًا، إن كنا سوف نقيم تنظيمنا، فلسنا بحاجة إلى لفت انتباه بيل العجوز".

قالت بات: "صحيح، كما كنت أقول".

(*) Old Bill: اسم مستعار يطلق على الشرطة (المترجمة).

صمت مرة أخرى. ورأت آليس أن الأمر أصبح متروكًا لها. قالت: "هناك مشكلة واحدة. فى هذه المدينة يحتاجون لأن يضمن شخص ما الكهرباء والغاز. من لديه وظيفة؟"

"ثلاثة من الرفاق الذين غادرونا بالأمس كانوا يعملون".

قال برت: "رفاق! إنهم قذارة انتهازية".

قالت بات: "إنهم ممتازون، شيوعيون مخلصون. ولكنهم لا يريدون العمل مع الجيش الجمهورى الأيرلندى".

بدأ برت يضج بضحك مسرحى صامت، ولحق به جاسبر.

قالت آليس: "إذًا نحن جميعًا نعيش على الضمان الاجتماعى".

قال برت: "ومن ثم فلا فائدة من الذهاب للمجلس".

ترددت آليس قليلا، ثم قالت بألم: "يمكننى أن أطلب من أمى....".

هنا انفجر جاسبر فى ضحك خشن ساخر، واحمر وجهه. "أمها، الخنازير البرجوازية...".

قالت آليس: "اخرس"، وقالت شارحة بصوت متوازن مقطوع الأنفاس: "لقد كنا نعيش مع أمى لأربع سنوات"، وشعرت أن صوتها كان باردًا وعدائيًا: "أربع سنوات، سواء كانت برجوازية أم لا".

قال جاسبر: "خذ من الطبقة الوسطى الثرية كل ما تستطيع أخذه منها. خذ منهم كل ما تستطيع، هذا هو مبدئى".

قالت آليس: "نعم، نعم. أوافق. ولكنها بالفعل استضافتنا لأربع سنوات". ثم، بإذعان: "حسنًا، ولم لا تفعل؟ إنها أمى". قالت هذه العبارة الأخيرة فى صوت ضعيف مرتعش، متألم.

قالت بات وهى تتأملها بإمعان: "صحيح. حسنًا، لا معنى لسؤال أمى أنا. فلم أرها منذ سنوات".

وقام برت من مقعده فجأة قائلا: "حسنًا، إذًا،" وهو يقف أمام بات، فى تحدٍّ بادٍ فى عينيه السوداوين المحدقتين فيها، "فأنت لن تذهبى على أية حال؟"

قالت بعجلة: "لابد أن نناقش الأمر يا برت"، وسارت نحوه، رافعة عينيها إلى وجهه. وضع ذراعه حولها وخرجا.

تفحصت آليس الغرفة. بعين خبيرة. كانت غرفة جلوس عائلية. مريحة. لم يكن الطلاء سيئًا جدًا؛ المقاعد والأريكة ربما ظلت فى مكانها حسبما وجدوها. كانت هناك مدفأة، ولم يتم كسوتها بالجص.

"هل سوف تسألين أمك؟ أعنى، لكى تكون ضامنًا؟" بدا جاسبر بائسًا. "ومن سيدفع تكاليف إصلاح كل شىء؟"

"سوف أسأل آخرين أن يساهموا".

"وإن لم يفعلوا؟" قال ذلك عن علم، مشاركًا فى التجربة، لحظة ودودة.

قالت: "البعض لن يساهم، نعرف هذا. لكننا سوف نتصرف. إننا دائمًا نفعل، أليس كذلك؟"

لكن هذا كان بمودة مباشرة أكثر من اللازم. وفى الحال تراجع إلى الانتقاد. "ومن سوف يقوم بالعمل كله؟"

كما كان يقول دائمًا منذ أربعة عشر أو خمسة عشر عامًا.

فى بيت مانشستر، الذى كان يشاركها فيه أربعة طلبة، كانت هى الأم فى المنزل، تقوم بالطبخ وشراء الحاجات، وترعى البيت. وقد أحبت هذا الدور. حصلت على درجة كافية، لكنها لم تحاول الحصول على عمل. وكانت لا تزال فى البيت عندما وصلت المجموعة التالية من الطلبة، فظلت فى البيت لترعاهم. وهنا التقى بها جاسبر، حيث جاء فى إحدى الأمسيات لتناول العشاء. لم يكن طالبًا، فقد كان قد تخرج بدرجات ضعيفة، وفشل فى الحصول على عمل بعد مجهودات غير جدية. وبقى فى البيت، ليس

كمقيم بشكل رسمى، ولكن كـ "ضيف" على آليس. وعلى أية حال، كانت مجهودات آليس هى التى جعلت من المكان بيتًا للطلبة: فقد كان بيتًا مهجورًا. ولم يرحل جاسبر. عرفت أنه أصبح معتمدًا عليها. لكن من حين لآخر كان يشكو من أنها ليست سوى خادمة، تضيع حياتها على الآخرين. وبينما كانا ينتقلان من مكان إلى مكان، ومن خلية إلى أخرى، استمر هذا النموذج: كانت ترعاه، وكان هو يشكو من أن الآخرين يستغلونها.

فى بيت أمها قال نفس الشىء. قال لها: "إنها تستغلك، الطبخ وشراء الحاجات. لماذا تفعلين ذلك؟"

قالت آليس الآن: "لدينا أربعة أيام، سوف أتحرك على الفور". لم تنظر إليه، بل سارت بثبات وعبرته ثم إلى الردهة. حملت حقيبة الظهر الخاصة بها إلى الغرفة حيث كان جيم يقرع الطبل، وقالت: "هل يمكنك أن تلاحظ هذا من أجلى يا رفيق". أومأ برأسه. قالت: "لو حصلت على إذن من المجلس لكى نعيش هنا، هل ستساهم فى النفقات؟"

وقعت يداه من على الطبل. تحول وجهه الودود المستدير إلى خطوط من الأسى، وقال: "يقولون إننى لا أستطيع البقاء هنا".

"ولم لا؟"

"أوه، اللعنة، أنا لست مهتمًا بالسياسة. إننى أريد فقط أن أعيش". ثم قال، بارتياب: "لقد جئت هنا أولا. قبل أى منكم. كان هذا مكانى. أنا وجدته. وأنا الذى قلت للجميع. نعم، تعالوا، تعالوا، هذه "قاعة الحرية".

قالت آليس فى الحال: "هذا ليس عدلا".

"لقد ظللت هنا ثمانية أشهر، ثمانية أشهر؛ لم يكن بيل العجوز يعرف أبدًا، لم يكن أحد يعرف. لم أكن أزج بنفسى فيما لا يخصنى. وفجأة....". كان يبكى. انسابت دموع لامعة على وجنتيه السوداوين وتناثرت على الطبل الكبير. مسحها بجانب يده.

قالت آليس: "حسنًا، لا تفقد الأمل، وسأضع الموضوع فى الأجندة".

كانت تفكر وهى تخرج من المنزل: كل هذه الدلاء المليئة بالبراز هناك بالأعلى، لابد أن جيم ملأها، ربما كلها. فكرت: إن لم أتبول سوف... لم تستطع أن تحمل نفسها على الذهاب إلى أعلى واستخدام أحد هذه الدلاء. سارت إلى مترو الأنفاق، وأخذت قطارًا إلى محطة بها مراحيض ملائمة، واستخدمتها، وغسلت وجهها ومشطت شعرها، ثم ذهبت إلى محطة أمها، حيث وقفت فى صف أمام كابينة تليفون.

ثلاث ساعات بعد أن تركت المنزل وهى تصرخ فى أمها، طلبت رقمها.

جاء صوت أمها. باردًا. وبمجرد سماعها له، امتلأت آليس بالمحبة، وفكرت، سوف أسألها إن كانت تريدنى أن أشترى لها شيئًا فى طريقى.

"هالو، ماما، أنا آليس".

صمت.

"أنا آليس".

برهة توقف. "ماذا تريدين؟" جاءها الصوت الخالى من التعبير.

آليس، بكل الدفء الذى تحتاجه للتغلب على العقبات من أجل الجميع، قالت: "أمى، أريد أن أتحدث معك. فكما ترين، هناك بيت. ويمكن أن أجعل المجلس يتركنا نستقر فيه على أساس أنه بيت مهجور تحت وضع يد قانونى. كما تعرفين، مثل مانشستر؟ لكننا بحاجة إلى شخص ليضمننا أمام الكهرباء والغاز".

سمعت غمغمة، غير مفهومة، ثم: "لا أصدق هذا!".

"أمى، انظرى، إننا لا نريد سوى توقيعك. سوف ندفع نحن".

صمت، تنهيدة أو شهقة، ثم أغلق الخط.

آليس، وقد تملكها الآن غضب جامح، طلبت الرقم مرة أخرى. وقفت تستمع إلى الرنين المتواصل، متخيلة المطبخ حيث يرن التليفون، المطبخ

الكبير الدافئ، النوافذ الممتدة، تتوهج بالضوء (قامت بتنظيفها فى الأسبوع الماضى، بسرور كبير)، والمنضدة الطويلة حيث كانت أمها الآن ـ بكل تأكيد ـ جالسة، تستمع إلى رنين التليفون. بعد حوالى ثلاث دقائق، رفعت أمها السماعة وقالت: "آليس، أعرف أنه لا فائدة من قولى هذا. لكنى سوف أقولها، مرة أخرى. لابد أن أغادر المكان هنا. هل تفهمين؟ أبوك لن يستمر فى دفع الفواتير. ولا أستطيع أن أتحمل تكاليف الحياة هنا. سوف أعانى فى دفع فواتيرى أنا. هل تفهمين يا آليس؟"

""لكن لديك كل هؤلاء الأصدقاء الأغنياء". صمت آخر. وهنا، فى صوت أمومى، ودود، ناصح، بدأت آليس تقول: "أمى، لماذا لست مثلنا؟ إننا نتشارك فى كل ما لدينا، إننا نساعد بعضنا البعض عند وجود مشكلة. ألا ترين أن عالمك قد انتهى؟ إن زمن البرجوازيين الأغنياء الأنانيين قد انتهى. إنك محكوم عليك...."

قالت والدة آليس: "أنا لا أشك فى هذا"، وشعرت آليس بدفء المحبة الصافية مرة أخرى، حيث كانت النغمة المألوفة المريحة الساخرة قد عادت إلى صوت أمها، واختفت البرودة والخواء المخيف. "لكن لابد لك عند نقطة ما أن تفهمى أن والدك لم يعد مستعدًا للمشاركة فى مكاسبه كريهة المصدر مع جاسبر وكل أصدقائه".

قالت آليس بصدق: "حسنًا، على الأقل هو مستعد أن يرى سوء مصدرها".

تنهيدة. وقالت أم آليس: "اذهبى يا آليس، فقط ابتعدى عنى. لا أريد أن أراك. لا أريد أن أسمع عنك شيئًا. حاولى أن تفهمى أنك لا تستطيعين أن تقولى للناس الأشياء التى قلتها لى هذا الصباح ثم تعودين، وكأن شيئًا لم يكن، بابتسامة مشرقة، من أجل طلب حسنة أخرى".

وانقطع الخط.

وقفت آليس، فى حيرة وصدمة. رأسها ملىء بظلال وأضواء تثير

الدوار. قال شخص ما فى الطابور خلفها: "لو كنت قد انتهيت..."، وانحشر أمامها، وبدأ يطلب الرقم.

سارت آليس على الرصيف، وراحت تطوف على غير هدى فى المنطقة، التى كانت محاطة الآن بسور من الصاج المموج، فى المنطقة التى كان فيها إلى عهد قريب سوق، مليئة بالناس يشترون ويبيعون. كان لديها هى نفسها خيمة هناك فى الصيف الماضى؛ فى البداية كانت تبيع الكعك والبسكويت والحلوى، ثم الحساء الساخن والساندويتشات. طعام كما يجب أن يكون الطعام، كله من دقيق القمح الكامل والسكر البنى، والخضراوات التى تزرع بدون استخدام مبيدات. كانت تطبخ كل هذا فى مطبخ أمها، ثم أغلق المجلس المكان، ليبنوا مكانه إحدى بناياتهم الضخمة العظيمة اللعينة، تلك البنايات الضخمة الميتة اللعينة التى لا يريدها أى شخص إلا هؤلاء الذين يحصلون على أرباح من بنائها. فساد. فساد فى كل مكان. كانت آليس تبكى بصوت مرتفع فى الطريق، وقد تخضل وجهها بالدموع، وسارت متعثرة بلا هدى خارج السور الحديدى الضخم الذى يشبه سورًا حول أحد معسكرات الاعتقال النازية، وهى تفكر فى الصيف الماضى.

شقت الفضاء صفارة. مصنع ما... الساعة الواحدة. لم تكن قد صنعت أى شىء بعد... وقفت على الدرجات المتقاربة الطويلة المؤدية إلى المكتبة العامة، مسحت وجهها، وجعلت عينيها تنظران للخارج وليس للداخل. لقد كان يومًا جميلاً. كانت الشمس مشرقة. والسماء تملؤها السحب البيضاء المتسارعة، ويبدو اللون الأزرق بينها متوهجًا وواعدًا.

عادت إلى التليفونات فى نفق المترو، وطلبت والدها فى مكتبه على رقم تليفونه الخاص.

أجاب على الفور.

"أنا آليس".

"الإجابة هى لا".

إنك لا تعرف ما سوف أقوله".

"قوليه".

"أريدك أن تضمن تكاليف الكهرباء والغاز لبيت مهجور".

"لا".

وضعت السماعة، وعاد إليها الغضب الجامح، وأخذتها طاقة هذا الغضب إلى الرصيف، وجعلتها تسير فى الطريق إلى مبنى كبير يبتعد قليلا إلى الخلف، وله درجات. صعدت الدرجات بسرعة وضغطت جرسًا، وهى تضع يدها بشكل متواصل على الجرس حتى سمعت صوت امرأة، ليس هو الصوت الذى توقعت، يقول بالإسبانية: "نعم؟"

قالت آليس بصوت مرتفع: "اللعنة، إنها الخادمة." ثم قالت: "أين تريزا؟"

"فى العمل".

"أدخلينى، دعينى أدخل".

دفعت آليس الباب ففتحته بمجرد أن سمعت صوت الكهرباء فى "الإنتركوم"، وكادت تقع فى الردهة، وقفزت أربع مجموعات من السلالم المغطاة بالسجاد إلى باب حيث وقفت امرأة سمراء قصيرة بدينة تنتظرها.

قالت آليس: "أدخلينى"، بعنف وهى تدفعها جانبًا، ولم تقل السيدة الإسبانية شيئًا ولكنها وقفت تنظر إليها، محاولة أن تعثر على الكلمات الصحيحة لتقولها.

دخلت آليس إلى غرفة الجلوس حيث كانت دائمًا مع صديقتها تريزا، صديقتها التى تعرفها آليس منذ ولادتها، تريزا الطيبة الجميلة. غرفة كبيرة، هادئة، منظمة، بنوافذ كبيرة، وخلفها حدائق... وقفت تلهث. سوف أمزق هذه الصور، كانت تفكر، سوف أبيعها، وسوف آخذ أحزمة الكيمونو الصغيرة المشغولة هذه، ما قيمتها؟ سوف أدمر المكان تمامًا.

أسرعت إلى التليفون وطلبت المكتب. لكن تريزا كانت فى مؤتمر.

قالت آمرة: "اطلبيها، أحضريها فوراً. المسألة طارئة وملحة. قولى لها إنها آليس".

لم يكن لديها شك فى أن تريزا سوف تأتى، وقد جاءت.

"ما الأمر يا آليس، ماذا حدث؟"

"أريدك أن تضمنى بعض النفقات. من أجل منزل مهجور. لا، لا، لن تضطرى لدفع أى شىء، أبداً، مجرد التوقيع".

"آليس، أنا فى وسط مؤتمر".

"لا يهمنى مؤتمرك اللعين. أريدك أن تضمنى لنا الغاز والكهرباء".

"أنت وجاسبر؟"

"نعم، وآخرون".

"أنا آسفة يا عزيزتى. لا".

"ما مشكلة جاسبر؟ لماذا أنتم هكذا؟ لماذا؟ إنه مثلكم تماماً".

قالت تريزا، بهدوء وسخرية، كما هى دائماً: "لا يا آليس، هو ليس مثلى. هو أبعد ما يكون عنى. على أية حال، هذا هو. لا، لكنى سأعطيك خمسين جنيهاً إذا جئت إلى بيتى".

"أنا هادئة. وأنا فى شقتك. لكنى لا أريد جنيهاتك الخمسين التافهة".

"حسناً، إذاً، آسفة يا عزيزتى".

"إنك تنفقين خمسين جنيهاً على رداء، على وجبة".

"لقد شاركتنى الوجبة، أليس كذلك؟ هذا سخف. أنا آسفة، إننى مشغولة. كل المشترين هنا وقد جاءوا من كل مكان".

"هذا ليس سخفاً. متى رأيتنى أنفق خمسين جنيهاً على وجبة؟ لو

كانت أمى تريد أن تنفق خمسين جنيهًا على طعام تقدمه لكل أصدقائها الأغنياء التافهين، وأنا أطبخه، فهذا لا يعنى...."

"اسمعى يا آليس، إن كنت تريدين أن تهدئى ونتحدث الليلة، فأهلا بك. لكن لابد أن يكون هذا فى وقت متأخر، لأننى سوف أعمل هنا حتى الحادية عشرة على الأقل".

"أنت.... أنت... إنكم مجموعة من الأغنياء التافهين"، قالت آليس هذا وقد فترت همتها فجأة.

وضعت السماعة، وكانت على وشك المغادرة عندما تذكرت، وذهبت إلى الحمام، حيث أفرغت نفسها، وغسلت وجهها مرة أخرى، ومشطت شعرها. كانت جائعة، فذهبت إلى المطبخ وصنعت لنفسها ساندويتشًا فاخرًا. تبعتها ليزا ووقفت عند الباب تراقب، ويداها ملفوفتان حول ذراع منفضة من الريش، كما لو كانت تؤدى صلاة. وجه أسمر صبور متعب. كانت تنفق على عائلتها فى فالينسيا، هكذا قالت تريزا. وقفت تراقب آليس تأكل السلامى فوق الخبز السميك، ثم راقبت بينما آليس تحدق فى كل ركن من الثلاجة وأحضرت بعض الأرز الباقى، والذى أكلته بملعقة وهى واقفة.

ثم قالت: "تساو"، وسمعتها وهى تغادر، "بوينوس دياس، سنيوريتا". كان هناك شىء فى هذا الصوت، انتقاد، وهذا أشعل غضبها مرة أخرى، وجرت نازلة السلالم وخرجت إلى الرصيف.

الساعة تجاوزت الثانية.

كانت أفكارها تلف وتدور. جاسبر، لماذا يكرهونه هكذا؟ لأنهم خائفون منه. خائفون من صدقه... ووجدت أنها سارت حتى محطة أتوبيس، وأن الأتوبيس سوف يأخذها إلى المجلس. ركبت، فجأة ببرود، وتركيز، وحرص.

كانت تتدرب فى ذهنها على مفاوضاتها السابقة الناجحة. كانت تعرف أن الكثير سوف يعتمد على من تراه... مسألة حظ... حسنًا، لقد

كانت محظوظة من قبل. وبالإضافة إلى ذلك، كان ما تقترحه منطقيًا، وفى صالح الجميع، فى صالح دافعى الضرائب، العامة.

فى الغرفة الكبيرة المليئة بالمكاتب والناس والتليفونات، جلست أمام فتاة، أصغر منها، وعرفت فى الحال أنها محظوظة. كان على ثدى مارى ويليامز الأيسر إشارة تقول "أنقذوا الحيتان!"، والشكل المرح للحيوان جعل آليس تشعر بالهدوء والحماية. كانت مارى ويليامز شخصية طيبة، مثلها هى نفسها، مثل جاسبر، مثل كل أصدقائهما، كانت تهتم.

أعطت آليس عنوان المنزل بثقة، وشرحت قضيتها، وانتظرت حتى التفتت الموظفة لتضغط زرًا أو اثنين، ووصلت المعلومات، ووضعت على المكتب القائم بينهما.

قالت مارى ويليامز: "هذا المنزل من المقرر هدمه"، وجلست مبتسمة، ليس هناك المزيد ليقال.

هذا ما لم تتوقعه آليس. لم تستطع أن تتحدث. تملكها الحزن، وبدأ يتحول ببطء إلى غضب. الوجه الذى رأته مارى ويليامز انتفخ والتمع بشدة، وتسبب فى أن تقول بعدم ارتياح، بل إن تتمتم: "لماذا، لماذا، ما الأمر؟"

قالت آليس بصوت خاوٍ خالٍ من التعبير: "لا يمكن أن يهدموه، لا يمكن". ثم، انفجر الغضب: "إنه بيت رائع، شديد الجمال، كيف يمكنكم هدمه؟ إنها مؤامرة دنيئة".

قالت مارى ويليامز بنعومة: "نعم، أعرف أنه أحيانًا...". وتنهدت. كانت نظرتها إلى آليس تحمل رجاء ألا تجعل من غضبها مشهدًا. رأت آليس هذه النظرة، رأت تلك المشاهد الغاضبة، وقد تكررت مرات غير قليلة على هذا المكتب.

قالت آليس: "لابد أن هناك خطأ. من المؤكد أنه ليس من حقهم أن يدمروا بيتًا كهذا... هل رأيته؟ إنه بيت جيد. بيت جيد...".

"أظن أنهم يقصدون إقامة مبانٍ سكنية متعددة الشقق".

"طبيعى، وهل هناك غير ذلك؟"

ضحكت المرأتان الشابتان، والتقت عيونهما.

قالت مارى ويليامز: "انتظرى"، وذهبت للتشاور، وهى تحمل معها الورقة التى تحتوى المعلومات الأساسية للبيت. وقفت إلى جوار مكتب رجل فى نهاية الغرفة، ثم عادت لتقول: "لقد كانت هناك شكاوى كثيرة من حالة البيتين. منها شكوى للشرطة".

قالت آليس موافقة: "نعم، البيت فى فوضى مثيرة للغثيان، لكن سوف يتم رفع كل ذلك فى الحال".

وهنا أومأت مارى - استمرى! - وجلست تلهو بالقلم فى ورقة بينما آليس تتحدث.

تحدثت وتحدثت، عن البيت. مساحته، متانته، حالته. قالت إنه فيما عدا بضعة ألواح، فهو بناء سليم تمامًا. قالت إنه بحاجة إلى القليل جدًا ليصبح قابلا للمعيشة. تحدثت عن بيت برمنجهام والاتجاه هناك إلى الموافقة؛ وتحدثت عن مانشستر، حيث تم إحياء منزل كان من المقرر هدمه، وأصبح مسكنًا رسميًا معترفًا به للطلبة.

قالت مارى: "أنا لا أقول أن هذا لا يمكن أن يحدث".

جلست تفكر، وقلمها يرسم شكلا أشبه بالخلايا، مثل خلايا النحل. نعم، كانت آليس تعرف، مارى لا بأس بها، إنها فى جانبهم. رغم أن مارى لم تكن من طرازها، بتنورتها الداكنة القصيرة، وبلوزتها المكشكشة الصغيرة، بحمالة صدرها تحدد الثدى المتواضع الذى رقد عليه الحوت، وذيله فى السماء، أسود على بحر أزرق. ومع ذلك، فإن خصلات شعر مارى الناعمة الداكنة التى تحيط برأسها، ويديها البيضاوين البضتين، جعلت آليس تشعر بالدفء والأمان. كانت تعرف أن مارى إن كان فى مقدورها فعل شىء، فسوف تكون الأمور على ما يرام.

قالت مارى: "انتظرى دقيقة". وذهبت مرة أخرى لتتشاور مع زميلها. هذا الرجل نظر إلى آليس الآن بإمعان، وجلست آليس بثقة، لكى تتلقى نظراته. كانت تعرف كيف كانت تبدو: بنت أمها بالضبط، شعر أشقر قصير، ممشط بعناية، وجه أبيض متورد به نمش خفيف، نظرة صريحة من عينيها ذاتا الزرقة ـ الرمادية. فتاة من الطبقة الوسطى تمتلئ ثقة واطمئنانًا، معرفتها بالحيل جعلتها تجلس بشكل لائق فى المقعد، وإن كانت ترتدى جاكيتًا عسكريًا من لون أزرق غامق، فإن تحته بلوزة ملونة بزهور قرنفلية وبيضاء.

عادت مارى ويليامز قائلة: "سوف يصدر قرار بشأن البيت يوم الأربعاء".

"لقد أنذرتنا الشرطة بالإخلاء فى خلال أربعة أيام".

"حسنا، لا أعرف ماذا يمكننا أن نفعل".

"كل ما نحن بحاجة إليه هو تصريح، كتابى، بأن الحالة تحت الاعتبار، لكى نريه للشرطة، هذا كل شىء".

لم تقل مارى ويليامز شيئًا. من جلستها، وعينيها ـ اللتين لم تنظرا إلى آليس ـ كان من الواضح أنها كانت رغم كل شىء صغيرة جدًا، وربما تخشى فقدان وظيفتها.

كان هناك نوع من التناقض هنا، استطاعت آليس أن تستنتج: كان هذا أكثر من مجرد كونها موظفة أحيانًا لا تحب العمل الذى تؤديه. كان ثمة شىء شخصى يغلى داخل مارى ويليامز، يعطيها تلك النظرة العنيدة الغاضبة. وأعادها هذا مرة أخرى للوقوف على قدميها، وذهبت للمرة الثالثة إلى الموظف الذى كانت وظيفته أن يقول نعم ولا.

قالت مارى ويليامز وهى تتحدث عن زميلها: "هل تعرفين أن مثل هذه الورقة لن تقول سوى أن المنزل موضوع على القائمة حتى يوم الأربعاء؟"

قالت آليس، بإلهام: "لماذا لا تأتين وترينه بنفسك؟ أنت و....؟"

"بوب هود. إنه لا غبار عليه. لكنه الشخص الذى..."

قالت آليس: "نعم، نعم، لكن لماذا لا تأتيان أنتما - الاثنين - وتريان المنزل؟"

"المنزلان، نعم - أظن أن بوب رآهما فعلا، لكن هذا كان منذ فترة - نعم، ربما ينبغى أن نفعل".

كانت مارى تكتب، وكانت آليس متأكدة من أنها تكتب الكلمات التى سوف تنقذ البيت. فطالما كانت آليس والآخرون بحاجة للبيت. سوف تنقذه نهائيًا، لم لا؟ هذه الورقة وضعت فى ظرف يحمل اسم المجلس، وأخذتها آليس.

"هل لديكم تليفون فى المنزل؟"

إنه مقطوع، منزوع الأسلاك". كانت آليس على وشك أن تصف حالة البيت: الأسمنت فى المراحيض، أسلاك الكهرباء المنزوعة، وقطعة الأرض؛ لكن الغريزة جعلتها تتوقف. رغم أنها كانت تعرف أن هذه الفتاة، مارى، يمكن أن تكون بنفس القدر من الغضب، والغيظ، كأى شخص يمكن أن يكون، عندما يعرف أن هذا التدمير المتعمد يمكن فعله بمكان، التدمير الذى فعله الموظفون، وكانت مارى موظفة. لا ينبغى فعل شىء لإثارة هذا الوحش النائم، البيروقراطية.

سألت: "متى أتصل بك؟"

"يوم الخميس".

كان هذا هو اليوم الذى قالت فيه الشرطة أنهم سيُلقى بهم خارجًا.

"هل ستكونين هنا يوم الخميس؟"

"إن لم أكن، فإن بوب هناك سوف يتلقى المكالمة".

لكن آليس كانت تعرف أن الأمور لن تكون جيدة هكذا مع بوب.

قالت مارى ويليامز: "إنه الروتين. إما أنهم سوف يهدمون البيت فى الحال، أو سوف يؤجلون ذلك. لقد أجلوا بالفعل عدة مرات". هنا قدمت لآليس ابتسامة من أجل مؤامرتهما المشتركة، وأضافت: "حظًا طيبًا".

"أشكرك، إلى اللقاء".

غادرت آليس المكان. كانت الساعة لا تزال الخامسة. فى يوم واحد قضى الأمر. فى ثمانى ساعات.

***

فى ساعة العصر الربيعية الناعمة، كان كل شىء فى حركة دائبة، السحب الفاتحة اللون، الأوراق الجديدة على الشجر، أسطح المروج المضيئة؛ وعندما وصلت إلى شارعها كان مليئًا بالأطفال، والقطط، والذين يمارسون هواية البستنة. هذا المشهد الدال على الوفرة والهدوء فى الضاحية أثار فيها دفقة من السخرية العنيفة، مثل تهديد سرى لكل شىء تراه. وفى الوقت نفسه، ومع هذا الشعور كان شعور آخر لا يؤثر فيه بأى حال رغم أنه يجرى فى موازاته، شعور بالرغبة، بالتوق.

توقفت على الرصيف. من قمة منزلها تدفق خرطوم أصفر يسيل على القمامة التى تملأ الحديقة. وعبر السياج، فى المنزل المجاور، وقفت امرأة بآلة من آلات النباتات محملة بالنبتات الصغيرة جذورها موضوعة فى تربة سوداء مفككة، وكانت تحدق فى البيت المثير للخزى. قالت: "شىء مقرف، سوف أتصل بالمجلس!".

صاحت آليس: "أوه، لا، من فضلك...". وعند رؤية وجه المرأة الجامد وعينيها الغاضبتين، قالت: "انظرى، لقد جئت لتوى من المجلس. كل شىء سيكون على ما يرام؛ إننا نتفاوض".

قالت المرأة: "وماذا عن كل تلك القمامة، إذًا!" جاءت عبارتها فى نغمة تصريحية لا استفهامية. واستدارت معطية ظهرها لآليس، وانحنت إلى التربة المفككة لحوض الزهور.

وصلت آليس إلى باب البيت فى نوبة من عاطفة التقارب مع المنزل المنتقد، غاضبة من كل من كان مسئولاً عن هذا السيل الضال. ربما هو جاسبر. وتشعر بحاجة لبدء العمل فى إعادة البناء.

لم ينفتح الباب عندما دفعته. وكانت حرارة الغضب تملؤها، فدقت على الباب بعنف صارخة: "كيف تجرءون، كيف تجرءون على إغلاق الباب دونى؟"، بينما كانت ترى بجانب عينيها كيف استقامت المرأة فى الحديقة المجاورة تحدق فى هذا المشهد من فوق سورها المعتنى به.

هدأ غضبها عندما قالت لنفسها، لابد من فعل شىء لهذه المرأة، بسرعة؛ لابد أن تصبح إلى جانبنا.

قدمت للمرأة ابتسامة ملاطفة سريعة، وإشارة من يدها، شىء أقرب شبهًا بحركة ذيل كلب معتذر، لكن جارتها لم تفعل سوى التحديق، ثم انصرفت عنها.

فجأة انفتح الباب، والتفت أصابع جاسبر بقوة حول رسغها. كانت على وجهه تكشيرة باردة تعرف هى أنها تنم عن الخوف. ممن؟

وبينما أدخلها جرًا، قالت، فى صوت أشبه بصراخ هامس: "دعنى. لا تكن غبيًا".

"أين كنت؟"

"أين تظننى كنت؟"

"ماذا كنت تفعلين طوال اليوم؟"

قالت: "أوه، اهدأ"، وهى تهز رسغها لتخلصه، وتركها عندما رأى الأبواب تنفتح فى الصالة ودخل جيم، وبات، وبرت، وامرأتان شابتان ترتديان ثيابًا متماثلة عبارة عن سراويل من القطن الخشن وسترة صوفية بيضاء منفوشة، تقفان متجاورتين وتنظران فى انتقاد.

قال برت بصوت متعجل محاولا التهدئة: "إننا دائمًا نغلق هذا الباب بالمتراس بسبب الشرطة". وفكرت آليس، حسنًا، لا داعى لأن تتعبى نفسك

كثيرًا بسببه، وقالت: "لم يكن مغلقًا هذا الصباح، عندما جئنا. والشرطة لا تأتى فى مثل هذه الساعة، أليس كذلك؟" قالت هذا لأنها كان ينبغى أن تقول شيئًا: كانت تعرف أن نوبة الغضب التى انتابتها وهى أمام الباب كانت خطأ.

كان الخمسة جميعًا يحدقون فيها، وجوههم يظللها الضوء الضعيف من مصباح الرياح، وقالت، فى صوتها العادى المعتدل: "لقد ذهبت إلى المجلس، وكل شىء على ما يرام".

قال برت مطالبًا ومؤكدًا لحقه: "ماذا تعنين بقولك إن كل شىء على ما يرام؟"

قالت آليس: "الجميع هنا، وأنا أريد مناقشة الأمر، فلماذا لا نفعل ذلك الآن؟"

قال جاسبر مازحًا، وإن كان يعنى حماية آليس كما فهمت بامتنان: "هل هناك من يعترض؟" تقاطر السبعة إلى غرفة الجلوس، التى كانت لا تزال ممتلئة بضوء النهار.

كانت عينا آليس تتحركان بقلق وهمة للتعرف على الفتاتين المجهولتين لديها. وكأنها غير قادرة أو غير راغبة فى إنفاق وقت كثير على هذا الموضوع، استقرت الفتاتان على ذراعى مقعد قديم. كانتا تشتركان فى تدخين سيجارة. كانت إحداهما بيضاء ناعمة الوجه، وقد رفعت شعرها على شكل ذيل الحصان، وتهدلت خصلات صغيرة حول وجهها. أما الأخرى فكانت فتاة ممتلئة، بل امرأة، لها شعر قصير ملتف الخصلات به لمعة فضية. وكان وجهها قويًا، وعيناها مباشرتين، ونظرت لآليس بثبات، ودون إظهار مشاعرها. قالت: "هذه فاى، وأنا روبرتا".

كانت تقول أيضًا إنهما زوجان، لكن آليس كانت ترى ذلك بالفعل. "آليس، آليس ميلينجز".

"حسنًا، أيتها الرفيقة آليس، إنك لا تتركين فرصة. أنا عن نفسى كنت أرجو أن نتناقش فى كل شىء أولا".

قالت فاى: "هذا صحيح، وأنا أيضًا. أحب أن أعرف ما الذى يقال باسمى". كانت تتحدث باللهجة الشعبية لأهل لندن، وعرفت آليس على الفور أنها تصطنع هذه اللهجة، وأنها اختارتها، كما يفعل الكثيرون، فتاة لندنية صغيرة جميلة جلست تستعرض نفسها، مبتسمة، للجميع، وكانت آليس تحدق فيها، محاولة أن تكتشف ما الأمر.

هذا التفحص الدقيق جعل فاى تتململ وتتجهم قليلا، وأسرعت روبرتا قائلة: "ما المطلوب منا، يا رفيقة آليس؟"

قالت آليس: "أوه، أراك تتواضعين".

ندت عن روبرتا صيحة تعجب صغيرة عبرت عن تفهمها لحدة آليس، وقالت: "إنك على حق. أريد أن أحتفظ ببعض التواضع لفترة".

قالت فاى: "وأنا أيضًا، إننا نحاول رسم خطة أمنية فى كلابهام، لكن الأفضل ألا يسأل أحد كيف. فكلما كان الكلام أقل، كلما كان الإصلاح أسرع"، ختمت كلامها، بلطف، وهى تلقى برأسها جانبًا فى حركة مفاجئة.

قالت روبرتا: "وما لا تعرفينه لا يؤذيك".

وأكملت فاى: "ولا تسألى فلا تسمعى أكاذيب".

قالت روبرتا: "لكن الحقيقة أغرب من الخيال".

قالت فاى: "يمكنك أن تقولى هذا مرة أخرى".

هذا الفاصل اللطيف الصغير منهما جعل الجميع يضحكون مؤيدين. كانتا كأنما تؤديان دورًا تمثيليًا: فاى، ذات اللهجة اللندنية الشعبية، والسنيدة. لم تكن روبرتا تتحدث باللهجة اللندنية، لكن كانت لها لهجة حميمة مريحة، مطمئنة تحمل رنة أهل الشمال. هل هى لهجتها الخاصة؟ لا، لقد كانت لهجة مصطنعة. ربما كانت على غرار اللهجة المستخدمة فى "شارع التتويج"(*).

(*) Coronation Street: مسلسل بريطانى فاز بجوائز متعددة، استمر تقديمه فى التليفزيون منذ ١٩٦٠، وأذيعت الحلقة رقم ٧٠٠٠ منه فى ٢٨ يناير ٢٠٠٩ (المترجمة).

قال برت: "هذا سبب آخر يوضح لماذا لا نريد الصدام مع الشرطة طوال الوقت. ويسعدنى أن الرفيقة آليس تحاول تنظيم هذا. هيا قدمى تقريرك يا رفيقة آليس".

كان برت أيضًا يستخدم لهجة معدّلة. فى بعض الأحيان تسمع آليس فى صوته النغمة الأنيقة لبعض المدارس العامة، لكنها مخشوشنة بقصد أن تبدو منتمية للطبقة العاملة. ولسوء الحظ أنه كشف نفسه.

تحدثت آليس. (لهجتها الخاصة ترجع إلى أيام مدرسة البنات التى كانت تذهب إليها فى شمال لندن، لهجة صحيحة أشبه بلهجة البى بى سى، لا طعم لها. كانت قد أغريت باتخاذ لهجة والدها الشمالية، لكنها اعتبرت ذلك نوعًا من الغش). لم تقل إنها قد اتصلت بأمها وأبيها، لكنها قالت إنها تستطيع الحصول على خمسين جنيهًا فى وقت قصير، ثم لخصت زيارتها للمجلس، وهى تتفحص ما رأته فى عقلها: التعبيرات على وجه مارى ويليامز، التى أوحت لآليس أن البيت سيكون لهم، وبسبب بعض المشاكل الشخصية أو المواقف الخاصة بمارى. لكن ما قالته آليس حول هذا، كان خلاصة لقائها بمارى: "إنها لا غبار عليها. وهى إلى جانبنا. شخصية طيبة".

قال جيم: "هل تعنين أن لديك شيئًا يمكن إظهاره للشرطة؟" وعندما سلمته آليس المظروف الأصفر أخرج ما بداخله وراح يتفحصه. استطاعت آليس أن ترى أنه كان شخصًا دائمًا ما يتقرر مصيره عن طريق الأوراق، والتقارير، والرسائل المكتبية. كانت لهجة جيم لندنية شعبية أصيلة. اللهجة الحقيقية.

سألت فجأة: "هل أنت تحت طلب القانون؟"

نظر لها جيم نظرة تنم عن المفاجأة، ثم أصبحت دفاعية، تنم عن شعور بالمرارة. تجهم وجهه الصبيانى المنفتح، وقال: "وماذا عن ذلك؟"

قالت آليس: "لا شىء". وفى الوقت نفسه، أنبأتها نظرة سريعة إلى فاى وروبرتا أنهما كلتيهما مطلوبتان للقضاء. أو ما هو أسوأ. نعم، ربما ما هو أسوأ. نعم، من المؤكد أسوأ. هل هما هاربتان؟

قال برت: "لم أكن أعرف أنك كذلك. أنا كنت مطلوبًا حتى وقت قريب".

وادعى جاسبر أيضًا: "وكذلك كنت أنا"، حيث لم يرد أن يكون مستثنى. كانت لهجة جاسبر هى نفس لهجته الأصلية تقريبًا. فقد كان ابن كاتب محام فى إحدى مدن ميدلاندز، وقد أفلس عندما كان جاسبر وسط تعليمه فى المدرسة الثانوية. وقد أنهى تعليمه بمنحة دراسية. وكان جاسبر شديد الذكاء، لكنه كان يرى أن المنحة الدراسية نوع من الصدقة، فامتلأ بالكراهية لأبيه، الذى بلغ به الغباء أن يتورط فى استثمارات مشبوهة. كانت لهجته المنتمية للطبقة الوسطى، مثل لهجة برت، قد تم تخشينها. وأصبح يبدو أحد أبناء الطبقة العاملة مع رفاقه من هذه الطبقة، وكذلك فى اللحظات الانفعالية.

علقت بات قائلة: "إن الدنيا تظلم". ووقفت، وأشعلت عود ثقاب، وأشعلت الشمعتين اللتين كانتا على المدفأة فى شمعدانين لطيفين من النحاس الأصفر. لكنهما كانا كئيبى المنظر بسبب الشمع المترب السائل عليهما. وتضاءل ضوء النهار خلف النوافذ، وغرق الأشخاص السبعة فى بحيرة من الضوء الأصفر الناعم الذى كان يرقد فى أعماق غرفة عالية الجدران، مليئة بالظلال.

كانت بات الآن قد أسندت مرفقها على المدفأة، متخذة قيادة المشهد. ولابد أنها كانت تعرف أنها تبدو، فى الضوء الشاعرى، بملابسها العسكرية القاتمة، وحذائها الأسود القوى ذى الرقبة، أشبه بأحد أفراد العصابات المقاتلة، أو جندية فى سلاح ما. لكن الضوء كان يؤكد التشكيل الرقيق لوجهها، ويديها، والواقع أنها كانت أقرب إلى الصورة المثالية للجندى التى توضع كلوحة إعلانية فى مواقع التجنيد. جندية إسرائيلية، ربما، كتاب فى يد، ومدفع فى الأخرى(*).

(*) هذه هى الصورة التى تصنعها الدعاية الإسرائيلية فى الغرب (المترجمة).

قالت بات: "النقود، لابد أن نتحدث عن النقود". كانت لهجتها نموذجية للطبقة الوسطى، لكن آليس كانت تعرف أن بداية بات لم تكن كذلك. وقد كانت تقوم بمجهود كبير لتبنى هذه اللهجة.

قال جيم: "هذا صحيح، أوافق".

الشخص الوحيد فى الغرفة الذى لم يغير لهجته - بالإضافة إلى آليس - كان جيم، اللندنى الشعبى الأصيل.

قال برت: "سوف يكلف أكثر، لكننا سوف نحصل بذلك على السلام والهدوء".

قالت آليس: "لا ضرورة لأن يكلف أكثر كثيرًا. فمثلا، يمكن أن تكون تكلفة الطعام النصف أو أقل، أنا أعرف، وقد فعلت هذا من قبل".

قالت بات: "صحيح. وكذلك أنا. إن الطعام الجاهز وتناول الطعام بالخارج يكلف كثيرًا".

قال جاسبر: "آليس ماهرة فى توفير طعام رخيص للناس".

أثناء ما كان هؤلاء الخمسة يوضحون مواقفهم، كانوا - ربما دون أن يعلموا - ينظرون إلى روبرتا وفاى. أو، بالتحديد، إلى فاى، التى جلست لا تنظر إليهم، ولكن إلى أى شىء آخر - السقف، قدميها، قدمى روبرتا، الأرض - بينما كانت تنفخ الدخان من السيجارة التى تضعها بين شفتيها. كانت يداها فوق ركبتيها ترتعشان. وأعطت انطباعًا بأن رعشة خفيفة تتملك جسدها كله. لكنها كانت تبتسم. ولم تكن ابتسامة طيبة جدًا.

قالت: "دقيقة واحدة يا رفاق، لنفترض أننى أحب الطعام الجاهز؟ إننى أحب الطعام الجاهز، أترون؟ افترضوا أننى أحب تناول الأكل بالخارج، عندما يستولى علىَّ مزاج الأكل بالخارج؟ ماذا يكون الحال، إذًا؟"

ضحكت وألقت برأسها جانبًا، مستعرضة بصفاقة تلك اللهجة اللندنية الشعبية كما تأتى فى آلاف الأفلام - وكأن حياتها تعتمد عليها.

قالت روبرتا: "إن لديهم حقًا يا فاى"، وبدا صوتها محايدًا، لكى لا تضايق صديقتها. كانت تراقب فاى، غير قادرة على منع نفسها من إلقاء نظرات عصبية سريعة إليها.

قالت فاى: "أوه، اللعنة"، معتمدة حقًا على اللهجة اللندنية، لأنها ـ كما يمكن لهم أن يروا ـ كانت تخشى من غضبها. "بالأمس، بقدر ما يخصنى، كان كل شىء يسير رائعًا، واليوم، هذا هو الحال. أنا لا أحب أن يتم تنظيم حياتى، هل ترون ما أعنى؟"

قال برت: فى لهجة طبقة عليًا باردة مبتسمًا، وكأنه يمزح: "وقد فعلت ذلك بطريقتها". لم يكن يحب فاى، ومن الواضح أنه لم يكن يهتم أن يظهر ذلك.

أسرعت بات بتغطية الأمر بملحوظة ساخرة: "حسنًا، إن لم تكونى راغبة فى الاشتراك معنا، فلا تفعلى، ليكن الأمر علينا!" جاء هذا ببساطة بدون إبداء ضغينة. حتى إن بات ضحكت، بأمل أن تضحك فاى؛ لكن فاى ألقت برأسها، وبدا وجهها متجهمًا ومتخليًا عن جماله، وابيضت شفتاها وهى تضغطهما معًا. وارتعشت السيجارة فى يدها بعنف، وتبعثر رمادها.

قالت روبرتا: "لحظة، لا داعى للتسرع". كان يبدو هذا موجهًا إلى الخمسة الذين كانوا ينظرون جميعًا إلى فاى. بينما كانت فاى تعرف أنه موجه إليها. فابتسمت ابتسامة متكلفة.

سألت روبرتا: "هل قيل أى شىء عن كيف سوف ندفع؟"

قالت آليس: "لا، لكنى أعرف الوسائل المختلفة التى يمكن أن يطلبوا الدفع بها ـ على سبيل المثال ـ فى برمنجهام، تم تحديد مبلغ تقييمى للبيت بالكامل، يغطى المعدلات. وكنا ندفع الكهرباء والغاز بشكل منفصل".

قالت فاى: "كهرباء، مَنْ يريد أن يدفع كهرباء؟"

قال جاسبر: "إنك لا تدفعين شيئًا، أو تدفعين فقط المبلغ التقييمى الأول. آليس ماهرة فى ذلك".

قالت فاى: "من الواضح لنا جميعًا ما تفعله آليس بمهارة".

قالت بات: "اسمعى، لماذا لا نؤجل هذه المناقشة حتى نعرف؟ لو قاموا بتقييم الإيجار والمعدلات ووضعوا ذلك على أساس معونتنا الاجتماعية، لكل فرد منا على حدة، فإن ذلك سوف يناسب البعض ولا يناسب البعض الآخر. فمثلا سوف يناسبنى".

قالت فاى، بلطف ولكن بعنف: "ولن يناسبنى، أترين؟"

قالت روبرتا: "ولن يناسبنى. أنا لا أريد أن أصبح مقيمة رسميًا فى هذا البيت، ولا فاى كذلك".

قالت فاى: "لا، من المؤكد أن فاى لا تريد. بالأمس كنت حرة كالطيور، أذهب وأجىء. لم أكن أعيش هنا، خرجت وعدت، والآن فجأة...".

قال برت، ساخطًا: "حسنًا. أنت لا تريدين الاشتراك، وهو كذلك".

قالت فاى بضحكة مفاجئة: "هل تطلب منى الرحيل؟" وبدا وجهها ينكمش مرة أخرى من تلقاء نفسه، مما أوحى بفاى أخرى، باهتة، بشعة، عنيفة، فاى السجينة داخل اللندنية الحسناء.

ضحك جيم ضحكة كئيبة، وقال: "لقد قيل لى أن أرحل. لماذا لا يطلب ذلك من فاى وروبرتا إن وصل الأمر إلى هذا؟"

حولت فاى قوة بشاعتها الباهتة على جيم، وسرعان ما لحقت بها روبرتا، قائلة "لا أحد سوف يرحل. لا أحد". ونظرت إلى جيم بإمعان. "لكننا جميعًا ينبغى أن نكون واضحين حول ما سوف نفعله أو ما لن نفعله. ينبغى أن نكون واضحين الآن. إذا تم تقييم مبلغ معين لهذا البيت، يمكن أن نناقش من الذى سوف يسهم، وبأى شىء. ولو تم التقييم على أساس فردى، ولو تم تعديل الضمان الاجتماعى على أساس فردى، إذًا فلا. لا. لا". قيل هذا بنغمة ودودة، ولكن بدون تحيز.

قالت فاى: "أنا لن أسهم. لماذا أفعل؟ إننى أحب الحال كما هو عليه".

قال برت: "كيف يمكن أن تحبى الحال كما هو عليه؟ إن تحمُّل هذا الحال هو جانب واحد".

وفجأة، عرفوا جميعًا لماذا كانت فاى هى التى ينظرون إليها بكل هذه العصبية. لقد كانت فاى هى التى تهيمن على كل شىء.

اعتدلت فى جلستها فوق ذراع المقعد، وحدقت، وارتعشت، وبصوت لا علاقة له على الإطلاق بتلك اللهجة اللندنية اللطيفة، قالت: "أنت أيها الهتلرى القذر اللعين العاهر، أيها القذارة الفاشستية، من أنت لتقول ما الذى ينبغى فعله؟ من أنت لتلقى الأوامر؟" خرج هذا الصوت من أعماق فاى الداخلية، مليئا بحرمان مروع. كان صوتًا خشنًا، فجًا، مجهدًا، وكأن الكلمات نفسها كانت إنجازا صعبا، والآن فقط أمكن قذفها إلى الخارج، بصعوبة، عبر ما لا يعلمه إلا الله من عقبات العقل واللسان. أية لهجة كانت هذه؟ من أين؟ راحوا يحدقون، لقد أسكتتهم جميعًا. ووضعت روبرتا ذراعيها حول كتفى صديقتها المرتعشتين، وقالت بنعومة: "فاى، فاى يا حبيبتى، فاى، فاى". ارتجفت الفتاة فجأة وبدا أنها تترنح، ثم انهارت بين ذراعيها.

صمت.

سأل برت: "ما المشكلة؟"، كان يرفض أن يرى أنه هو كان سبب هذا الانفجار من النفس الأخرى الداخلية لفاى. أو النفوس؟ "لو كانت فاى لا تريد أن تسهم، فليس ثمة مشكلة. إنهم دائما ما يضعون تقييمًا متواضعًا جدًا للبيوت المهجورة المحتلة عشوائيًا، على أية حال. وسوف يأتى آخرون - بالطبع - ليحلوا محل الرفاق الذين رحلوا بالأمس. سوف يكون علينا أن نتأكد أنهم يفهمون الترتيبات التى نجريها مع المجلس".

وبدا أن فاى، التى كانت نصف مختفية بين ذراعى روبرتا، تشهق وتجاهد، لكنها هدأت.

قالت آليس: "إن لم يتم إعداد وتنظيف هذا المكان، فسوف يكون علينا أن نرحل على أية حال. ويمكننا تنظيفه وإعداده، هذا سهل، لكننا بحاجة

إلى المجلس لكى نحافظ على نظافته. وقد كانت هناك كل تلك الشكاوى. المرأة فى البيت المجاور قالت إنها قدمت شكوى...".

قالت فاى: "جوان روبنز، تلك البقرة الفاشستية القذرة. سوف أقتلها". لكن ذلك جاء بلهجتها اللندنية، وليس بذلك الصوت الآخر الحقيقى الذى تكلمت به قبل قليل. جلست معتدلة، وحررت نفسها من روبرتا القلقة، وأشعلت سيجارة أخرى. دون أن تنظر إلى الآخرين.

قالت روبرتا بنعومة: "لا، لن تفعلى". وأكدت حقها على فاى بوضع ذراعها حولها. خضعت فاى، بتلك التلويحة الصغيرة من رأسها، وابتسامة.

قالت آليس: "حسنًا، إنه يثير الغثيان".

قال جيم: "كان كل شىء على ما يرام حتى جئت أنت". لم تكن هذه شكوى ولا اتهامًا، بل كانت أقرب إلى السؤال. لقد كان فى الواقع يريد أن يقول: كيف يكون الأمر بهذه السهولة بالنسبة لك، بينما هو مستحيل بالنسبة لى؟

قالت آليس وهى تبتسم له: "لا تقلق. عندما يصبح المكان نظيفًا، سوف نكون مثلنا مثل أى شخص آخر فى الشارع، وبعد قليل لن يلاحظنا أحد. سوف ترى".

قالت فاى: "لو كنت تريدين تبديد نقودك".

قال برت: "علينا أن ندفع على الأقل الدفعة الأولى لإدخال الكهرباء والغاز. لو استطعنا أن نقنعهم بإمدادنا بهما".

قالت آليس: "بالطبع نستطيع"، وقالت بات: "إن العدادات لا تزال موجودة هنا".

قال جيم: "نعم، لقد نسوا أن يرفعوها".

سألت فاى: "ومن أين سوف ندفع؟ إننا جميعًا على بند البطالة، أليس كذلك؟"

ساد صمت. كانت آليس تعرف أنه لو كانوا يعيشون على إيجار ضعيف للغاية فسوف يكون هناك الكثير من النقود. لو كان الناس لديهم أى حس بكيف يستخدمونها، هذا هو الأمر. هى وجاسبر، يعيشان مع أمها ولا يدفعان شيئًا، كان لديهما حوالى ثمانون جنيهًا فى الأسبوع يتقاسمانها، من الضمان الاجتماعى. لكن لم يوفرا شيئًا من ذلك، لأن جاسبر كان ينفق كل نقوده ومعظم نقودها أيضًا، دائمًا ما يأتى ليطلبها. كان يقول "من أجل الحزب"، أو أى سبب كانا ينتظمان به فى الوقت ذاته. لكنها كانت تعلم أن أغلبه كان يذهب على ما كانت تصفه لنفسها أساسًا بأنه"حياته العاطفية".

كانت تعرف أيضًا أنه فى الكوميونات المماثلة هناك من يدفعون، وهناك النوع الآخر، ولم يكن هناك ما يمكن فعله فى هذا الشأن. كانت تعرف أن بات قد تدفع؛ وأنها قد تجعل برت يدفع. طالما كانت هى هنا. أما الفتاتان الأخريان فلن تشاركا ببنس واحد. أما بالنسبة لجيم. حسنًا، فلننتظر وسوف نرى.

قالت: "هناك شىء يمكننا فعله الآن، وهو أن نخلى المراحيض مما يسدها".

ضحكت روبرتا. وجاءت ضحكتها منغمة طويلة، بقصد إثارة الانتباه.

قالت فاى: "إنها مليئة بالأسمنت".

"كذلك كانت فى أحد البيوت الأخرى التى عرفتها. إنها ليست صعبة، لكننا بحاجة إلى أدوات".

سألت بات: "هل تعنين الليلة؟" وبدا عليها الاهتمام، بل بعض الإعجاب المتردد.

قالت آليس، بقوة: "لم لا؟ لابد أن نبدأ". وفى صوتها رنت كثافة حاجتها الملحة. وقد سمعوها، وتعرفوا عليها، وسلموا بها. "لن يكون بنفس الصعوبة التى تظنونها. لقد رأيت المراحيض. لو كانت الصهاريج مملوءة

بالأسمنت لكان الأمر مختلفًا. لربما انكسرت. لكن ليس من الصعب إخراج الأسمنت من المراحيض".

قال برت: "لقد سد العمال الصنابير بالأسمنت من المصدر الرئيسى".

قالت آليس بمرارة: "هذا ضد القانون. لو عرفت هيئة المياه. هل هناك أية أدوات؟"

قال برت: "لا".

"ألم تقل أن لديك صديقًا قريبًا من هنا؟ هل لديه أدوات؟"

"صديقة، فيليسيتى. صاحبها لديه أدوات كهرباء. كل شىء. إنها مهنته".

"إذًا يمكن أن ندفع له. يستطيع أن يصلح الكهرباء، أيضًا".

سألت فاى وهى تغنى سؤالها: "بأى شىء ندفع لهم، بأى شىء ندفع لهم يا آليس العزيزة، بأى شىء؟"

قالت آليس: "سوف أذهب وآتى بالجنيهات الخمسين. اذهب أنت وقابل صديقتك". وكانت عند الباب. وصاحت قائلة: "قل له إننا نريد إصلاح السباكة والكهرباء. السباكة أولا. لو كان لديه أزميل كبير ومطرقة ثقيلة، يمكن أن نبدأ بهذا المرحاض الموجود هنا فى الصالة. إننا بحاجة حقًا إلى مطرقة فيل. سوف أعود". وسمعت جاسبر يقول: "أحضرى شيئًا يؤكل، إننى أكاد أموت جوعًا".

على أجنحة الإنجاز، طارت آليس إلى مترو الأنفاق، وفى القطار فكرت فى البيت، وتخيلته نظيفًا ومنظمًا. أخذت الشارع جريًا إلى تريزا. ولم تتذكر أن تريزا سوف تتأخر إلا عندما سمعت صوت أنطونى.

قالت فى الديكتافون: "أنا آليس".

"ادخلى يا آليس".

ذكرها صوت أنطونى الملىء، الدقيق، الجذاب، بالأعداء الذين كانت تواجههم، ووصلت إلى بابهما وعلى وجهها، كما تعرف عن يقين، نظرتها.

قال أنطونى برقة ولكن مصطنعة: "أهلا آليس، ادخلى"، فقد كانت تريزا هى صديقتها وليس هو.

دخلت، وهى تعرف أنها غير مرحب بها. كان أنطونى يرتدى عباءة منزلية، وبين يديه كتاب. فكرت أنه كان يتطلع إلى أمسية مريحة بلا عمل. حسنًا، يمكنه أن ينفق عشر دقائق منها من أجلى.

"اجلسى، هل آتيك بمشروب؟"

قالت: "لا يا أنطونى، أنا لا أشرب أبدًا"، واستطردت على الفور: "قالت تريزا هذا الصباح إننى يمكن أن آخذ خمسين جنيهًا".

"إنها ليست هنا. فلديها أحد مؤتمراتها تلك".

"كنت أفكر أنه من الممكن أن تعطينى إياها. إننى بحاجة إليها". كان هذا القول شديدًا ومباشرًا، اتهامًا، ونظر الرجل متفحصًا إلى الشابة، التى وقفت هناك فى وسط غرفة جلوسه، ترتدى ملابس كان يفكر بأنها أشبه بملابس العسكريين، منتفخة بالدموع، ومشاعر العداء.

قال: "ليس معى خمسون جنيهًا".

كذبة، مكشوفة لآليس، وحدقت فيه بكراهية حتى أنه تمتم: "آليس يا عزيزتى، اجلسى أرجوك. سوف آتى لنفسى بمشروب، إن كنت لا تريدين". كان يحاول أن يجعل هذا الكلام مرحًا، لكنها رأت ما وراءه. راقبت، وهى واقفة، بينما تحول الرجل الضخم الداكن عنها وصب لنفسها كأسًا من الويسكى من قارورة. وبدا لها أنها طوال حياتها مرت بلحظات كانت تفكر فيها أنه هو وصديقتها تريزا عاريان فى الليل فى الفراش معًا، وشعرت بالغثيان.

كانت تعرف من أمها أن الحياة الجنسية لهذين الاثنين كانت حيوية، متنوعة، عاصفة، رغم مدنية أنطونى الثقيلة المرحة، وابتسامة المحبة لتريزا وهى تتمتم، عزيزتى آليس، آليس الحبيبة، لكن فى الليل... شعرت بالغثيان.

وفكرت ـ كما سبق أن فعلت عندما كانت صغيرة ـ إنهما عجوزان للغاية! تراقب ظهر الرجل العريض، فى حرير رمادى ثقيل، رأسه الناعم ـ داكن كالبترول، صغير بالنسبة لذلك الجسم ـ فكرت، كانا يمارسان الجنس طوال الليل وكل ليلة طوال كل تلك السنوات.

التفت إليها بحركة مفاجئة، والكأس فى يده، وقد فكر فيما ينبغى أن يفعل، وقال: "سوف أطلب تريزا بالتليفون. لو لم تكن فى المؤتمر حقًا..." وذهب فجأة ومباشرة إلى التليفون.

نظرت آليس حولها فى الغرفة الكبيرة ذات الأثاث الغالى الثمن. وفكرت: سوف آخذ أحد تلك الأحزمة اليابانية وأهرب، سوف يظنون أنها المرأة الإسبانية. لكن فى تلك اللحظة عاد وقال: "إنهم يقولون إنهم يسمونه يومًا، وهى فى طريقها إلى البيت. حسنًا، سوف أعد شيئًا ما للعشاء إذًا. فى أوقات المؤتمرات تكون تريزا متعبة وغير قادرة على إعداد طعام. اسمحى لى". فكرت أنه سعيد لأنه يستطيع أن يعطيها ظهره، واختفى فى المطبخ، وفُتح الباب، كانت تريزا. للحظة لم تعرفها آليس، وجدت امرأة متعبة متوسطة العمر، ثم فكرت، لكنها تبدو مستهلكة تمامًا.

وقفت تريزا بتثاقل، وجهها ارتسمت عليه خطوط التعب. كانت تضع نظارة داكنة، مما جعل عينيها ترتعشان وتبدوان قلقتين عندما خلعتها.

قالت: "أوه، آليس"، وسارت بسرعة إلى مقعد بالقرب من المشروبات وانهارت فوقه. راحت تتخبط وهى تصب لنفسها مشروبًا، وجلست تحتضن الكأس إلى صدرها، وهى تتنفس ببطء. عيناها مغلقتان. "لحظة واحدة يا آليس، لحظة واحدة يا آليس يا عزيزتى". وبينما دخل أنطونى، محركًا كتلته الضخمة بسرعة ليقبلها، رفعت وجنتها إلى شفتيه وعيناها مغلقتان، وقالت: "الحمد لله أننا انتهينا مبكرًا. الحمد لله، ليلة أخرى حتى الحادية عشرة وأكون قد انتهيت".

وضع يديه على كتفيها، وضغط لأسفل. ابتسمت، مع حركات صغيرة تقليدًا للقبلة، وعيناها مغلقتان تمامًا، وعاد هو إلى المطبخ قائلا: "لقد صنعت بعض الحساء وسلاطة".

قالت تريزا: "أوه، يا حبيبى أنطونى، أشكرك - حساء - إنه هو ما أحتاج إليه بالضبط".

شعرت آليس فى تلك اللحظة بألم بارد قاطع - الغيرة؛ لكنها لم تكن تعرف أن ذلك هو شعورها، وقالت، لكى تنتهى من المشهد، تنتهى منهما: "قلت إنك ستعطينى خمسين جنيهًا. هل يمكن أن آخذها يا تريزا".

قالت تريزا بغموض: "هذا ما أتوقعه، يا عزيزتى". وفى لحظة كانت قد جلست، وفتحت حقيبة يدها، وراحت تحدق داخلها. قالت: "خمسون... خمسون، حسنًا، هل معى؟ نعم، بالضبط...". وأخرجت خمس ورقات من ذات العشرة، وأعطتها لآليس.

"أشكرك". كانت آليس تريد أن تطير خارجة بها، لكنها شعرت بأن ذلك غير مناسب؛ كانت مليئة بمشاعر المودة تجاه تريزا، التى بدت متعبة ومستهلكة تمامًا، والتى كانت دائمًا طيبة معها. قالت بابتسامة خرقاء: "إنك أعز صديقة، وأحسن خالة"، كما كانت تفعل عندما كانت صغيرة وكانتا تلعبان هذه اللعبة.

فتحت تريزا عينيها ونظرت مباشرة إلى آليس، وقالت: "آليس، يا عزيزتى...". وتنهدت، واعتدلت فى جلستها. وربتت على تنورتها الحمراء الداكنة. ومدت يدًا صغيرة بيضاء لتربت بها على شعرها الداكن الناعم. كان مصبوغًا، بالطبع. وقالت: "أمك المسكينة. لقد اتصلت بى تليفونيًا هذا الصباح. وكانت حزينة جدًا يا آليس".

قالت آليس فورًا: "كانت حزينة... صحيح".

تنهدت تريزا: "آليس، لماذا تتمسكين به، بجاسبر، لماذا - لا، انتظرى، لا تهربى. إنك فتاة جميلة جدًا ولطيفة، يا حبيبتى" - وهنا بدا وجهها ذلك

الوجه الطيب، كما لو كانت ترسل قبلة - "إنك بنت رائعة جدًا، يا آليس، لماذا لا تختارين لنفسك شخصًا - لابد أن تكون لك علاقة حقيقية بشخص ما"، أنهت عبارتها بارتباك، بسبب وجه آليس الملىء بالازدراء.

قالت آليس: "إننى أحب جاسبر. أحبه. لماذا لا تفهمون؟ إننى لا أهتم - بما تهتمون به. الحب ليس مجرد الجنس. هذا ما تظنونه، أعرف..."

لكن سنوات العاطفة والحب تباطأت على لسانها، وشعرت بالدموع تغمر وجهها. بكت قائلة: "أوه، يا تريزا، شكرًا لك. شكرًا لك. سوف آتى وأراك قريبًا. سوف آتى. لابد أن أذهب، إنهم ينتظرون...". وجرت إلى الباب وهى تنهنه بشدة، وخرجت من الباب وتركته ينصفق خلفها. واندفعت تنزل السلالم والدموع تتدفق على وجهها حتى وصلت إلى الشارع، وهناك تذكرت أن النقود لا تزال فى يدها، فى خطر أن تطيرها الريح أو يخطفها أحد. وضعتها بحرص فى جيب الجاكيت، وسارت بسرعة وبأمان إلى المترو.

وفى ذلك الوقت - فى الشقة الجميلة - كان الحديث يدور عن آليس. ظل أنطونى يحتفظ بنظرة متسائلة ساخرة، حتى استجابت تريزا قائلة: "ما الأمر، يا حبيبى؟"

قال: "يا لها من فتاة"، ورنت فى صوته الكراهية التى يشعر بها نحو آليس.

قالت متوترة: "نعم، نعم، أعرف...". كان شعورها بالإجهاد قد بدأ يظهر.

"فتاة - كم عمرها الآن؟"

هزت كتفيها، لا تريد أن تفكر فى الأمر، ولكن مهتمة رغم ذلك. قالت: "عندك حق، إننا ننسى باستمرار".

أصر أنطونى: "حوالى الأربعين؟"

"أوه، لا. لا يمكن أن تكون".

وحدث توقف لبرهة، بينما كان البخار يتصاعد بينهما من الطبق الذى أحضره لها، ووضعه على المنضدة الصغيرة بجوارها. ومن خلال البخار، نظر كل منهما إلى الآخر.

قالت أخيرًا بفتور: "خمسة وثلاثون؛ لا، ستة وثلاثون".

قال أنطونى بحزم: "توقف نمو"، مصرًا على حقه فى كراهية آليس.

"أوه، نعم، أتوقع هذا، لكن آليس عزيزتى... حسنًا، إنها فتاة لطيفة ـ شىء لطيف حقًا".

***

فى شارع آليس الصغير كانت المنازل مليئة بالأضواء والناس، وكانت سيارات هؤلاء الذين عادوا من العمل متزاحمة على جوانب الأرصفة؛ ولاح بيتها فى النهاية، معتمًا، قويًا، صامتًا، غامضًا، ترسم حدوده الأضواء والضجة المتصاعدة من الطريق الرئيسى خلفه. وعندما وصلت إلى البوابة رأت ثلاث شخصيات على وشك الدخول إلى المدخل المعتم. جاسبر، وبرت. والثالث؟ جرت آليس، والتفت جاسبر وبرت بحدة لمواجهة أى خطر محتمل، فرأياها، وقالا للفتى الذى كان معهما: "فيليب، كل شىء على ما يرام. هذه آليس. الرفيقة آليس، أنت تعرف". كانوا فى الردهة، ورأت آليس أن هذا لم يكن صبيًا، ولكنه شاب نحيف ممتقع، له عينان زرقاوان كبيرتان بين خصلات شعر باهتة لامعة بدت تعكس الضوء المعتم لمصباح الهواء. كان أول رد فعل لها هو: ولكنه مريض، إنه ليس قويًا بما يكفى! فقد فهمت أن هذا كان هو المنقذ المنتظر، الذى سوف يصلح البيت.

قال فيليب وهو يواجهها بعناد عرفت أنه يجتهد فى إبدائه، نوع من الدفع فى مواجهة الاحتمالات: "لكنى لابد أن آخذ أجرًا على ذلك. لا أستطيع العمل مقابل لا شىء".

قالت آليس: "خمسون جنيهًا"، ورأت حركة خفيفة غير إرادية من جاسبر نحوها فهمت منها أنه سوف يقتص منها إن لم تكن حذرة.

قال فيليب، بنفس الصوت الناعم العنيد: "أريد أن أرى العمل المطلوب أولا. لابد أن أحدد تكاليفه".

عرفت أن هذا الشخص كثيرًا ما كان يتعرض للنصب ممن يتعاملون معه. كان مظهره، يتيم صغير شجاع، يدل على ذلك! قالت، بصوت أمومى وفخور: "إننا لا نطلب منك معروفًا. هذا عمل".

قال برت، متصنعًا القسوة بشكل هزلى: "بخمسين جنيهًا يمكنك أن تتوقعى فقط إغلاق جحر فأر هذه الأيام". ورأت شفتيه الحمراوين تلمعان وسط الأحراش السوداء لوجهه. وضحك جاسبر ضحكة قصيرة مكتومة.

هذه الوقفة المتحدة بين الرجلين ضدها - كانت كذلك للحظة - أسعدتها. بل إنها كانت تفكر وهى تسرع إلى البيت أنه لو ظهر أن برت من الرجال الذين يمكن لجاسبر أن يربط نفسه بهم، كما حدث من قبل، كأخ أصغر، مما يظهر حاجة ملحة تجعلها تتألم من أجله، ففى هذه الحالة لن ينطلق فى مغامراته. وكان هذا دائمًا يضايقها، ليس بسبب الغيرة - كانت تؤكد ذلك بعنف لنفسها، وأحيانًا للآخرين - ولكن لأنها كانت تخشى أن تكون، فى يوم ما، نهاية سيئة لعلاقتهما.

مرة أو مرتان كان رجال قابلهم جاسبر أثناء مثل هذه المغامرات إلى عالم يمكن أن يحدثها عنه، تضيق قبضته حول رسغها، وهو يميل ليحدق فى وجهها بحثًا عن علامات للضعف، كانوا يأتون إلى أحد البيوت المحتلة عشوائيًا، والذى قد تكون مقيمة فيه، لتقابلهم بمودة، بمساعدة أخوية.

"جاسبر؟ سوف يعود هذا المساء. هل تريدون انتظاره؟" لكنهم ينصرفون مرة أخرى

لكن عندما يكون هناك رجل مثل برت، يستطيع أن يربط نفسه به، فى هذه الحالة لم يكن يذهب للتطوف - وهى كلمة هى نفسها كانت تستخدمها بشكل عشوائى. "هل كنت تطوف فى الليلة الماضية يا جاسبر؟ كن محاذرًا؛ تعرف أن الأوضاع سيئة وخاصة أن «أولد بيل» على رءوسنا

لأسباب سياسية". كان هذا هو الشىء الذى تمسكه به، التفتيش الذى يمكن أن تستخدمه. كان يرد بصوت رفاقى متفاخر: "إنك على حق تمامًا يا آليس. لكننى أعرف طريقى". وقد يواجهها بابتسامة من ابتساماته الحقيقية المفاجئة النادرة، والتى تعترف بأنهما رفيقان فى حرب يائسة.

أما الآن، فقد ابتسمت ابتسامة موجزة لجاسبر وبرت، وأولت انتباهها لفيليب. قالت: "أهم شىء هو المراحيض، سوف أريك".

أخذته إلى الحمام فى الطابق الأسفل، ممسكة المصباح عاليًا وهما يقفان عند الباب. منذ صب عمال المجلس الأسمنت فى حوض المرحاض، كان البيت مهجورًا. كان مليئًا بالأتربة، لكنه عادى.

وانفجرت والدموع ظاهرة فى صوتها: "الأوغاد".

وقف هناك، لم يقرر بعد، ورأت أن الأمر يتوقف عليها.

قالت: "نحن نريد مطرقة كانجو، هل لديك واحدة؟" واكتشفت أنه لا يعرفها. "إنك تعرف، مثل تلك التى يستخدمها العمال لكسر الأسمنت فى الطرقات، ولكن أصغر".

قال: "أظن أننى أعرف شخصًا لديه واحدة".

قالت: "الليلة، هل يمكنك إحضارها الليلة؟"

كانت تعرف أن تلك هى اللحظة التى يمكن أن يذهب فيها ببساطة ولا يعود، يتخلى عنها، شاعرًا بثقل ذلك البيت الخرب. كما كانت هى تشعر؛ ولكنها كانت تعرف أيضًا أنه بمجرد أن يبدأ... قالت بسرعة: "لقد فعلت هذا من قبل. أعرف هذا. الأمر ليس بالسوء الذى يبدو به". ووقف هناك، وقد ظهر امتعاضه بوضوح فى وقفته المترددة، التى أوضحت أنه يشعر مرة أخرى بالخديعة، لكنها أصرت: "سوف أرى أنك لن تخسر فى هذا العمل. أعرف أنك تخشى هذا. أعدك". كانا يقفان متقاربين فى مدخل الحمام الضيق. حدق فيها من على بعد تلك البوصات القليلة من الحالة الحميمية

المفاجئة بينهما، ورأى هذا الوجه الحاسم، ولكن المُطَمْئِن أشبه بوجه أخت كبيرة آمرة ولكن طيبة، وفجأة ابتسم، ابتسامة صريحة حلوة، وقال: "لابد أن أذهب إلى البيت، وأتصل بصديقى، وأرى إن كان فى البيت، وأسأله إن كان عنده ـ كانجو، وأقترض سيارة فيليسيتى"... كان يضايقها بتعداد ضخامة ما سوف يقوم به.

قالت: "نعم، نعم، من فضلك".

أومأ برأسه، وفى لحظة كان قد خرج من الباب الأمامى وذهب. عندما ذهبت إلى غرفة الجلوس، حيث كان جاسبر وبرت ينتظران ـ كما ظهر من الطريقة التى كانا يجلسان بها، فى حالة سلبية ومليئة بالثقة بها ـ ينتظران منها أن تأتى بالمعجزات، قالت بثقة: "لقد ذهب لإحضار بعض الأدوات، وسوف يعود".

كانت تعرف أنه سوف يعود؛ وفى خلال ساعة عاد بالفعل، ومعه حقيبة ملآى بالأدوات، الكانجو، بطارية، مصابيح، كل شىء.

كان الأسمنت فى المرحاض منذ سنوات، وكان منكمشًا من الجوانب، وسرعان ما تكسر. ثم، أصبح المرحاض قابلا للاستخدام، وإن كان مخدوشًا وباهت اللون.. قابلا للاستخدام فقط لو كانت المياه جارية.. لكن كتلة من الأسمنت كانت تغلق صنبور المياه الرئيسى.. وبرقة، وخفة، كسر فيليب هذه القشرة بمجرد استخدام مثقاب يثير ضجة من النوع الدقاق، وظهر الصنبور، يلمع كالجديد. وقف فيليب وآليس ضاحكين منتصرين، متقاربين معًا أمام الصنبور الجديد الوليد.

قالت بنعومة: "سوف أتأكد إن كانت كل الصنابير مغلقة، ولكن نترك واحدًا فقط مفتوحًا". حيث كانت تريد أن تتأكد من كل شىء قبل أن تعلن الانتصار لهذين الاثنين المنتظرين، يتحدثان فى السياسة، فى غرفة الجلوس. جرت فى المنزل تتأكد من الصنابير، وعادت جريًا. قالت لفيليب: "بعد أربع سنوات، إن لم يكن هناك قفل هوائى....". فتح فيليب

الصنبور الرئيسى.. وسرعان ما صدر عن الأنابيب أصوات هادرة، وقالت: "حسنًا، إنها "حية." 'وذهب فيليب ليختبر التانكات، بينما وقفت هى فى الردهة، تجرى على خديها دموع الفرحة والامتنان.

فى خلال ساعتين، كانت المياه قد عادت، والمراحيض الثلاثة قد أخليت، وفى الصالة كانت مجموعة من المشاركين فى الكوميون مبتهجين وغير مصدقين، عائدين من مختلف مناطق لندن، وقد قيل لهم ما الذى يجرى، وبشكل عام، كانوا لا يصدقون. نتيجة خجلهم، كما كانت تأمل آليس.

قال جيم: "ولكن كان يمكن أن نفعل ذلك من قبل، كان يمكن أن نفعل ذلك". وفى كآبة وتشكك، رغم ابتهاجه، قال: "سوف أنزل الدلاء، يمكن أن نتخلص من...".

صاحت آليس: "انتظر" لا، واحدًا واحدًا، ليس كل شىء مرة واحدة؛ فلسوف يتسبب ذلك فى سد المواسير كلها، بعد سنوات، من يعلم منذ متى؟ لقد فعلنا ذلك ذات مرة فى برمنجهام، ألقينا كمية كبيرة مرة واحدة، ولكن كانت هناك ماسورة مكسورة تحت فى مكان ما، واضطررنا فى اليوم التالى لترك المكان. وكنا قد جئنا لتونا". وقفت آليس متزعمة عليهم، وعلى نفسها، على درجة السلم السفلية، متعبة، قذرة، مغطاة بالأتربة ونثار الأسمنت المفكك، حتى على شعرها الذى أصبح رماديًا. حاولوا إبهاجها، عن صدق، لكن كان هناك بعض السخرية أيضًا. وكان ثمة تحذير، لم تسمعه، أو لم تلق له بالا.

كانت تقول: "فيليب، فيليب، لدينا الماء، الآن الكهرباء". وفى صمت، نظر فيليب برقة، بعناد، إليها، هذا الصبى الضعيف، لا، بل الرجل، فقد كان فى الخامسة والعشرين، هكذا عرفت من ضمن كل الأشياء التى كانت بحاجة لمعرفتها عنه. وفجأة كان الجميع صامتين، لأنهم كانوا يتناقشون، بينما كانت هى وفيليب يعملان، كم سوف يتكلف هذا وبكم سوف يسهمون.

قال فيليب: "إذا كنتم قد استدعيتم سباكًا، هل تعرفون كم كنتم ستدفعون له؟"

قالت بات، مترددة: "مائتين"، كانت، دون أن تتدخل فى هذه العملية الدقيقة - آليس وفيليب والبيت - مهتمة أكثر من الآخرين، تتابع مراحل العمل أثناء إنجازها، وتعلق، وبذلك تقول كيف أنها أيضًا قد فعلت فى مكان أو آخر.

أخذت آليس الجنيهات الخمسين من جيبها وأعطتها لفيليب.

وقالت: "سوف أحصل على نقود الضمان الاجتماعى الخاصة بى بعد غد". وقف، يقلب الأوراق المالية، خمس أوراق، مفكرًا، كانت تعرف أن هذا كان وضعا مألوفًا بالنسبة له، ثم رفع رأسه وابتسم لها، وقال بإيجاز: "سوف آتى صباح الغد. أريد أن أصلح الكهرباء فى ضوء النهار".

وذهب، مصحوبًا، ليس بصديقه الذى أحضره هنا، برت، لكن صحبته آليس، والتى ذهبت معه حتى البوابة، وأكوام القمامة حولهم.

قال، بابتسامته الحلوة المؤلمة، والتى مزقت قلبها بالفعل: "حسنًا، على الأقل هذا من أجل الرفاق". وسار فى الشارع، حيث وقفت البيوت أكثر إظلامًا وعتمة الآن بعد أن هجع معظم الناس. فقد كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحًا.

ذهبت إلى الردهة التى خلت من الناس، وسمعت صوت المرحاض يغمر بالمياه. وحبست أنفاسها، واقفة هناك، تفكر... الأنابيب... لكن بدا أن الأنابيب على ما يرام. خرج جاسبر وقال لها: "سوف أذهب لأنام".

"أين؟"

كانت تلك لحظة دقيقة فى بيت أمها، كان لجاسبر مكانه الخاص، مستوليًا على غرفة أخيها، حيث كان يتقوقع حول ذاته، مثل قنفذ، يحرس حقه فى أن يكون وحده أثناء الليل. أما هى، ابنة البيت، فكانت تنام فى

الغرفة التى كانت غرفتها طوال حياتها. ولم تكن تهتم، قالت هذا؛ كانت تعرف مشاعرها الخاصة؛ لكن ما كان يعنيها بشدة هو ما يظنه الآخرون، ليس فيما يخصها، بل فيما يخص جاسبر. لكنهما كانا وحدهما فى الردهة، يمكنهما مواجهة هذا القرار معًا. كان يحدق فيها بتلك النظرة المهدئة التى كانت تعنى أنه يشعر بأنه مهدد.

خرجت بات إليهما، قائلة: "الغرفة المجاورة لنا خالية. قد تكون بحاجة إلى بعض التنظيف؛ فالاثنان اللذان كانا فيها لم يكونا....".

فى الردهة الكبيرة المعتمة، حيث كان مصباح الهواء يلقى ببحيرته الضوئية المريبة، وقف الثلاثة، ونظرت المرأتان إلى جاسبر، آليس تعرف السبب، أما بات فلم تعرف بعد. عرفت آليس أن بات، بسرعة وبذكاء، سوف تفهم كل شىء فى لمحة... وفجأة علقت بات قائلة: "حسنًا، على أية حال، إنها أفضل غرفة خالية هنا...". عرفت آليس أنها فهمت كل شىء فى لحظة، لكن يبدو أن جاسبر هو الذى لم يفهم، لأنه قال بحرارة: "حسنًا، آليس، هيا بنا".

قالت بات لهما وقد تحركا فى صمت: "آليس، لا تظنى أننا لا نعتبرك أعجوبة لعينة!" وضحكت. آليس، دون أن تلقى بالا، دخلت الغرفة الكبيرة الخالية خلف جاسبر. كانت حقيبته الظهرية قد فتحت؛ وقد وضع كيس نومه بدقة بجوار الجدار الأيمن فى نهاية الغرفة، أبعد ما يمكن أن يصل إليه. قالت آليس: "سوف أحضر أشيائى"، وانتظرت منه أن يوبخها، لكنه وقف موليا ظهره إليها، لا يقول شيئًا. جرت إلى الصالة، آملة ألا تكون بات هناك، لكنها كانت هناك، تقف بهدوء وحدها، وكأنها توقعت أن تنزل آليس، تريد أن تفعل ما فعلته هى عندئذ، وهو أن تتقدم، وتأخذ آليس بين ذراعيها، وأن تريح خدها الناعم على خد آليس. أن تشعر بالارتياح. بالاطمئنان الرفاقى. والحنان والشفقة أيضًا، شعرت آليس، بأمل أن تستطيع أن تقول بصوت مرتفع: "لكنى لا مانع عندى، إنك لا تفهمين".

قالت لبات: "أشكرك"، بإيجاز وارتباك؛ وندت عن بات ضحكة أقرب إلى التنهيدة، ولوحت وهى تعود إلى غرفة الجلوس، حيث كان الرفاق - بالطبع - يتناقشون حول آليس، وجاسبر، والنظام الذى دخل إلى حياتهم فجأة.

فى حجرتهما بالأعلى، كان الظلام سائدًا. لكن كان بعض الضوء يدخل من السماء ومن أضواء المرور فى الشارع. نشرت آليس كيس نومها على قاعدته الرقيقة المصنوعة من المطاط الإسفنجى، وسرعان ما رقدت على ظهرها، على وسادتها، عند الجدار المقابل لجاسبر، الذى رقد متكومًا كما كان يفعل دائمًا، فى وحدة قاسية تجعلها تتألم من أجله. لم يكن نائمًا، لكن سرعان ما نام، عرفت ذلك من حالة الارتخاء فى جسمه، كما لو كان البحر قد ألقاه على شاطئ ورقد مهجورًا.

كانت متعبة للغاية حتى إنها لم تستطع النوم، رقدت تسمع كيف يتحرك الناس ذاهبين للنوم. مساء الخير، مساء الخير، على البسطة، والممر المتفرع منها. روبرتا وفاى فى غرفة واحدة، طبعًا. وجيم فى غرفة أخرى. وفى الغرفة المجاورة لها. بات وبرت. أوه، لا، لم تكن تريد هذا، لم تكن تريد ما تعرف أنه سوف يحدث. وقد حدث، النخر والهمس والحركة والأنين - فى الناحية الأخرى من الجدار تمامًا، بالقرب من أذنها. كان هذا كثيرًا جدًا. الحب، هذا هو؛ الشىء الذى قال الجميع إنها كانت حمقاء لأنها تعيش بدونه؛ كانوا يشعرون بالأسى من أجلها. تريزا وأنطونى، يعيشان ذلك كل ليلة وطوال الليل، هكذا قالت أمها، بعد سنوات من الزواج يئنان ويتنهدان، يتأوهان ويشتاقان. رقدت آليس، جامدة كقطعة من الخشب، تحدق فى السقف المليء بالظلال، تنعكس عليه أضواء السيارات فى الطريق، هاربة، تطارد بعضها البعض، أذناها تتعرضان للاعتداء، وعقلها للترويع. حاولت أن تركز عقلها حول: غدًا، غدًا سوف ننتهى من الكهرباء... النقود. إنها بحاجة لنقود. أين؟ سوف تحصل عليها. فهى لن تغش فيليب.

كان فيليب قد صُرف من الخدمة فى مؤسسة للبناء منذ ستة أشهر. كان أول من صُرف من الخدمة، وتعرف آليس السبب، بسبب بنيته: بالطبع، أى صاحب عمل يمكن أن يفكر، هذا الشخص الضعيف. المفروض أن يحاول استعادة صحته. كان الآن يقوم بأعمال الديكور،... والبناء، كما يأمل. كان يمتلك: سلمين نقالين كبيرين، وواحدًا قصيرًا، ومنصة (لكن فى أشد الحاجة لأخرى)، فُرَش دهان، بعض الأدوات؛ ويمكن أن يستعير من صديقه فى تشوك فارم. كان قد حصل على العمل فى ديكور المنازل رغم مظهره الضعيف، وربما بسببه؛ ولا يُدفع له إلا النصف، ويُقال له الباقى فيما بعد. وكان يعرف أن الباقى لن يُدفع له؛ وقد يعنى هذا اللجوء للقانون، ولم يكن يقدر على فعل ذلك. فقد كان يعيش على الإعانة الحكومية. وفكر أنه يمكن أن يحصل على مهمة، عمل ديكور حانة فى نيسدن. وقال إنه فكر أنه سوف يحصل على هذا العمل، لكن آليس كانت تعرف أنه لا يصدق ذلك كثيرًا. كان يعيش مع فيليسيتى (أهو على علاقة بها؟) فى شقتها، على بعد شارعين. لابد من الدفع له.

كانت الضوضاء القادمة عبر الجدار قد هدأت، لكنها كانت تبدأ مرة أخرى. جرّت آليس كيسها إلى الجدار الآخر، فى حذر خشية أن توقظ جاسبر، الذى قد يشعر بأن اقترابها منه نوع من الانتهاك. وبمجرد أن كانت تستقر، استيقظ، ورأته يحدق فيها، ويجز على أسنانه. قال: "إنك تتعدين على الحيز الذى يخصنى. أنت تعرفين أن كلا منا لا يتعدى على حيز الآخر".

قالت آليس: "أنا لا أحب ذلك الجدار". لقد حدثت هذه الحالة من قبل، مرارًا، لم تكن مضطرة للشرح. استند على مرفقه، وقد تجهم وجهه غضبًا واشمئزازًا، واستمع إلى ما كان يمكن سماعه بوضوح حتى من هذا الجدار البعيد؛ ثم رقد متوترا، وقد تلاحقت أنفاسه.

قالت: "سوف أستيقظ مبكرًا، لأرى إن كان يمكننى الحصول على بعض النقود."

لم يقل شيئا. وسرعان ما هدأ البيت. ونام هو.

***

وغفت آليس قليلا. وفى خيالها، كانت تعيش بالفعل فى اليوم التالى. انتظرت الضوء، والذى جاء غائمًا من خلال النوافذ القذرة وأظهر مدى قذارة هذه الغرفة. وكانت فى أشد الاحتياج لكوب من الشاى، وشىء تأكله. تسللت إلى الردهة، والتى كانت لا تزال تنتمى إلى الليل، ومصباح الهواء، ثم إلى غرفة الجلوس، بأمل أن يكون الترموس هناك. لكنها شربت ماء باردًا من دورق، ثم استخدمت، بسعادة وإن كان بحذر، المرحاض، وهى تفكر فى أن الأنابيب تُركت بدون عناية لعدد غير معروف من فصول الشتاء. ثم ذهبت إلى المترو، بعد أن توقفت لتناول الإفطار فى مقهى "فريد". كان هناك مكان لثمانى مناضد، أو عشرة، وضعت متقاربة. منظر مريح، وإن لم يكن حميمًا. معظم رواده من الرجال. وامرأتان جالستان معًا. فى البداية بدا أنهما فى أواسط العمر، بسبب هدوئهما وتبلدهما؛ ثم ظهر بوضوح أنهما أصغر سنًا، ولكنهما متعبتان. ربما كانتا من عاملات النظافة ترتاحان بعد عمل صباحى مبكر فى المكاتب المحلية. وعند الطاولة، طلبت آليس شايًا ـ ومع الاعتذار ـ توست أسمر؛ وقالت لها المرأة التى من المرجح جدًا أن تكون زوجة فريد ـ حيث كانت توحى بأنها صاحبة المكان، إنهم لا يقدمون خبزًا أسمر. ذهبت آليس للبحث عن مكان تجلس فيه، حاملة الشاى، وطبقًا من الخبز الأبيض يقطر زبدًا، وقطعة كيك. وكنوع من الحفاظ على الصحة، عادت للحصول على عصير برتقال. كان من الواضح أنه فى هذا المكان من الأفضل الجلوس مع المرأتين، وفعلت ذلك.

كانت المرأتان تأكلان التوست، وتشربان قهوة عكرة. جلستا فى وضع مريح يبدو منه أنهما فى حالة استرخاء متعمد، وعلى وجهيهما كانت ابتسامتان فجتان ولكن طيبتان، موجهتان إلى آليس، مثل حجاب واقٍ. لم تكونا راغبتين فى الكلام، بل فى الجلوس وحسب.

ملح الأرض! كانت آليس تقول لنفسها ذلك رغمًا عنها، وهى تراقب هذا المشهد لعمال يحاولون استعادة نشاطهم من أجل يوم عمل شاق بأطباق من البيض، ورقائق البطاطس، والسجق، والخبز المحمص،

والبقوليات - النصيب. كولسترول، شعرت آليس بألم، وكلهم يبدون فى صحة معتلة تمامًا. على وجوههم نظرات شاحبة لزجة كدهن الخنزير، أو مثل رقائق البطاطس غير المطهوة جيدًا. كان فى الجيوب، أو على المناضد، جريدة صن أو ميرور. مجرد أشياء لا أحد يريدها، وقد شعرت بالارتياح لأنها ليست مضطرة لإبداء الإعجاب بها. عمال مبانى أو عمال طرقات، ربما حتى أصحاب أعمال حرة؛ لم يكن هؤلاء الرجال هم الذين سينقذون بريطانيا من نفسها! استقرت آليس لتستمتع بقطعة التوست اللذيذة المدهونة بالزبد، وسرعان ما شعرت أنها أفضل. ورغم أنها لم تكن فى الواقع ترغب فى عصير البرتقال البارد الحامض، لكنها أرغمت نفسها على شربه بين كوبين من الشاى المُرّ. كانت المرأتان تراقبانها، بذلك النوع من الانتباه غير المكترث الذى يمكن أن تولياه لأجنبى يقوم بحركات غريبة مثيرة للاهتمام، تراقبان كل ما يبدر منها دون أن يبدو عليهما ذلك. كان يمكن سماع أفكارهما، إن لها شعرًا مموجًا جميلاً بالفعل، لماذا لم تفعل شيئًا به؟ كان متربا! ما أسوأ هذا الجاكيت العسكرى الثقيل، أقرب إلى ملابس الرجال حقًا! وهو مترب أيضًا! وانظر إلى يديها: لم تكلف نفسها الحفاظ على أظافرها نظيفة! وإذ انتهيتا من إدانتها، فقدتا الاهتمام، فتحركتا وغادرتا المكان، وهما تلقيان تحية الانصراف إلى السيدة الجالسة خلف الطاولة. "باى، ليز". "نراك غدًا يا بتى".

كانتا تأتيان هنا كل صباح بعد ثلاث أو أربع ساعات من العمل فى المكاتب. وجاء هؤلاء الرجال فى طريقهم إلى العمل. ووضح لآليس أنهم كانوا جميعًا يعرفون بعضهم، كان هذا المقهى أشبه بالنادى. أنهت إفطارها بسرعة وانصرفت. فى الخارج كان بائع الصحف على الناصية، وكانت المرأتان اللتان خرجتا قبلها قد لحقت بهما ثالثة. كن جميعًا يرتدين ملابس لا شكل لها، ويحملن أكياس مشتروات مثقلة بأدوات عملهن. وقفن يتبادلن النميمة، متقاربات بقدر الإمكان، فقد كان التيار الصباحى من الخارجين إلى أعمالهم قد ملأ الأرصفة.

كان الوقت لا يزال مبكرًا جدًا. فالساعة لم تتجاوز الثامنة إلا بلحظات. لابد أن أمها الآن تأخذ حمامها. لو ذهبت آليس هناك الآن من الممكن أن تدخل بهدوء وتصنع القهوة، لتجد أمها مفاجأة عندما تنزل فى ثوب الحمام. ويمكن حينئذ أن تجلسا إلى المائدة الكبيرة فى المطبخ وتأكلان الكعيكات وتشربان قهوتهما. سوف تنصرف دوروثى لقراءة جريدتها المفضلة، التايمز، بينما هى تقرأ الجارديان. فى ذلك البيت كانت تأتى يوميًا صحف التايمز، والجارديان، ومورننج ستار، وسوشيآليست ووركر، وكانت الجريدتان الأخيرتان لها ولجاسبر. كان جاسبر يقول إنه يقرأ الووركر؛ لأن المرء لابد أن يعرف ماذا تفعل المعارضة؛ لكن آليس كانت تعرف أنه، فى أعماقه، كانت لديه ميول تروتسكية. ولم يكن ذلك يهمها؛ فقد كانت تعتقد أن الشيوعيين من كل المذاهب لابد أن يتحدوا معًا من أجل الصالح العام. فى بيت أمها، كانت تقرأ الجارديان. لسنوات، كانت هذه الصحيفة هى الوحيدة الموجودة فى بيتهم. ثم - ذات يوم - ذهبت أمها لزيارة صديقتها العظيمة زوى دفلين ووجدتها ترتدى مريلة مطبخ مطبوعًا عليها اسم الجارديان بأشكال وأحجام مختلفة باللون الأسود، على أرضية بيضاء. وقد تسبب ذلك فى صدمة لدوروثى ميلينجز؛ وقالت إن هذا المشهد منحها رؤيا كاشفة. زوى دفلين هذه، من بين كل الناس فى العالم، لابد أن يكون لديها الاستعداد لارتداء زى مناسب، أن تكون فى مظهر يدل على الانسجام!.

كانت تلك بداية الفترة التى كانت فيها أمها تختار فى حديثها تعبيرات جميلة مختارة بعناية - وهى فترة قد انتهت بلا رجعة. كما كانت بداية سلسلة من اللقاءات المدبرة بين المرأتين بغرض إعادة فحص ما تفكران فيه. سمعت أمها تقول على التليفون مستهلة المناقشة: "إننا نستمر لعشرات السنين معتبرين أنه من المسلم به أننا متفقون، بينما نحن فى الواقع لسنا كذلك. ما أسوأ ما نفعل! علينا أن نقرر إن كنا أنا وأنت يا زوى لدينا شئ مشترك، ما رأيك؟"

كان جاسبر يرى أن ذلك هراء ثقافيًا تمامًا، وكان يقصد أن تسمعه دوروثى.

وعندما تذكرت جاسبر، عرفت آليس أنها لا يمكنها الظهور الآن، وعمل قهوة، وتحية أمها بابتسامة.

ركبت القطار ووجدت مقهى آخر لا يرى رواده أنها متميزة. كان المقهى خاليًا تقريبًا؛ فلن يبدأ موعد ازدحامه قبل ساعتين أخريين، عندما يأتى المتسوقون، رجالا ونساء. استطاعت آليس هنا أن تأكل فطائر من القمح الكامل وعسل واستعادت هناءتها، وبنظرة على الساعة المعلقة على الجدار، انتظرت الوقت المناسب. من المحتمل أن تخرج أمها للتسوق فى حوالى التاسعة والنصف أو العاشرة. كانت تحب أن تنتهى من التسوق الذى تكرهه.

ظلت آليس تقوم بالتسوق لأربع سنوات. كانت تحبه. عندما كانت تعود إلى المطبخ الكبير بكراتين مليئة بالطعام الذى تأتى به بالسيارة، كانت تضع كل شىء فى مكانه بعناية. وقد تكون أمها هناك (إن لم يكن جاسبر) وتتحدثان، تتدبران كأى شىء! دائمًا كانتا تفعلان ذلك! فى البيت، كانت آليس فتاة طيبة، ابنة طيبة، كانت دائمًا تستمتع بأن تكون كذلك. هى التى تتدبر أمور المطبخ. وبالطبع، كانت أمها مسرورة بأن تجعلها تقوم بذلك. (كان ثمة فكرة صغيرة مقلقة تختفى فى مكان ما هنا، ولكن آليس اختارت تجاهلها). وطوال السنوات الأربع التى قضتها آليس وجاسبر هناك، كانت هى التى تتسوق وتطبخ. كانت تطبخ أيضًا الطعام الذى تبيعه فى السوق، حتى إنها أحيانًا تكون مجندة فى المطبخ ليومين أو ثلاثة فى المرة.

واعتاد جاسبر أن يدخل بسرعة، منتهزًا فرصة عدم وجود دوروثى، ويملأ بطنه بما تطبخه آليس فى ذلك اليوم - على سبيل المثال - "حساءها"، أو فطائرها، أو الخبز الصحى الجيد. أو، إذا لم تكن تطبخ، أو كانت فى السوق، كان يتسلل إلى الثلاجة ويأخذ أى شىء يعجبه. كانت آليس تعمل على أن تكون الثلاجة ممونة جيدًا باللحم والسلامى والمخلل

من أجله. كان يعد لنفسه ساندويتشات ضخمة ويأخذها إلى غرفته ويبقى فيها، ولا ينزل لساعات. كانت دوروثى فى البداية تسأل بقلق: "ماذا يفعل جاسبر بالأعلى طوال اليوم؟" كانت آليس تجيب دائمًا بفخر وتجهم: "إنه يدرس". كانت تعلم أنه لا يفعل شيئا على الإطلاق، أحيانًا طوال اليوم. قد يقرأ صحيفتى سوشياليست ووركر ومورننج ستار. فيما عدا ذلك كان يصغى إلى موسيقا البوب، من خلال سماعات الرأس، وأحيانًا يرقص عليها وحده تمامًا، فى كل الغرفة. كانت آليس تعرف أنه رشيق للغاية، ولسوء الحظ كان يكره أن يراه أحد. كان ينبغى أن يرقص: ربما أن يعمل كراقص باليه؟

ثم ينزل إلى الطابق السفلى مرة أخرى، بصمت، ليحصل على مزيد من الطعام. لم يكن يدخل المطبخ أبدًا إن كانت دوروثى هناك. ولم يجلس ليأكل معهما أبدًا. وعندما احتجّت آليس على ذلك، قال إن أمها لم تكن تحب ذلك، وقال إنها لم تكن تحبه (وكان ذلك صحيحًا ـ كما ظهر ـ رغم أن دوروثى بالتأكيد لم تقل ذلك فى البداية). أما من ناحيته، فقد كان يعتقد أنها امرأة مبتذلة. هذا الوصف، البعيد تمامًا عن الصحة، أذهل آليس وجعلها غير قادرة على الرد: ومن ثم قالت بوهن: "ولكن يا جاسبر، كيف تقول ذلك؟" وردًا على هذا أصدر من فمه أصواتًا عالية وقحة بشفتيه.

بالطبع، عندما كانت دوروثى تستقبل ضيوفًا، لم يكن جاسبر يظهر. والواقع أنه قد يكون غير موجود فى البيت أيضًا، فيما عدا تلك الرحلات المنتظمة إلى المطبخ لاختلاس الطعام. وقد يظن أى شخص أن دوروثى كانت تحقد عليه لأخذه الطعام! وكثيرًا ما كانت آليس تتذمر منه، ثم تشكو لنفسها عندما لا تجد منه إلا معاملة خشنة.

والآن، وهى جالسة فى هذا المقهى الودود، الرفاقى، حيث من المحتمل أن يحييها الداخلون؛ تأكل المزيد من الفطائر، والمزيد من العسل (لمجرد قضاء الوقت الآن، وليس جوعًا)، كانت آليس تفكر: حسنًا، لكنها تكره

جاسبر بالفعل، دائمًا ما كانت تكرهه؛ الناس يكرهونه. وكانت بالفعل تحقد عليه الطعام الذى يتناوله، ربما - ما دامت تكرهه. فكرت آليس، أخيرًا، فيما يشبه الهلع إلى حد ما: كيف كان وقع ذلك بالنسبة لها، أن تكون غير قادرة على التحكم فى مطبخها الخاص أبدًا، أن تكون غير قادرة حتى على دخوله، خشية أن تلتقى بجاسبر؟ وفى هذه الحالة: كنت أنا أفعل كل شىء، كل الطبخ. وهى تحب أن تطبخ.

فى التاسعة والنصف، غادرت آليس المقهى، مودعة سارة، التى كانت نادلة هناك منذ سنوات. كانت سارة لاجئة من النمسا، وهى الآن امرأة عجوز، تضع صور أحفادها البالغين على الجدار خلف الطاولة. سارت آليس، متمهلة، إلى منزل أمها. وقفت بالخارج لبعض الوقت، ثم فكرت أن أيًا من الجيران قد يلاحظها سوف يجد فى الأمر غرابة. فدخلت بالمفتاح الذى لم تعطه لأمها عندما غادرت البيت نهائيًا بالأمس. لم يكن بالبيت أى صوت. وقفت آليس فى الصالة، تستنشق عبير المنزل، البيت؛ البيت الكبير المجهز المريح، والذى تنبعث منه رائحة المودة. دخلت المطبخ، وشعرت بقلبها يسقط فى قدميها. فعلى الأرض كانت صناديق الشاى مليئة بالأطباق والصحون، وعلى المنضدة أكواب الشاى وأدواته وقد لفت بأوراق الجرائد. أوه، بالطبع، الآن وقد رحلت هى وجاسبر، لابد أن أمها ستتخلص من الصحون والأدوات غير الضرورية. نعم، لابد أن هذا هو الأمر. وقفت آليس، وقد اتسعت عيناها وشعرت بالهلع كطفلة صغيرة مهددة، تنظر إلى صناديق الشاى، ثم جرت صاعدة إلى غرفتها. كانت كما تركتها بالأمس. فشعرت ببعض الهدوء. صعدت إلى الطابق الأعلى حيث الغرفة التى كان يستخدمها جاسبر. على الأرض كانت سجادة، من نوع بُخارَى. كانت هذه السجادة قبلا فى غرفة الجلوس، لكنها نحلت ووجدت مكانًا آمنًا تحت منضدة هنا فى هذه الغرفة، التى لم تكن تستخدم إلا قليلاً حتى احتلها جاسبر. كانت سجادة جميلة. لفّتها آليس برقة، وجرت حاملة إياها إلى المطبخ. الآن كانت تأمل ألا تلتقى بأمها. نظرت حولها بحثًا عن ورقة وقلم، وكتبت: "أخذت السجادة، آليس"، ووضعت الورقة بشكل ظاهر بين الأكواب

الملفوفة. مرة أخرى شعرت بالضيق من منظر صناديق الشاى. لكنها صرفت نفسها عن التفكير فيها، وخرجت من البيت. فى نهاية الشارع كانت أمها آتية تجاهها تحت مظلة خضراء زاهية. كانت تسير ببطء ورأسها محنى. بدت عجوزًا متعبة. جرت آليس بسرعة فى الناحية المضادة، حاملة السجادة الثقيلة، حتى أصبحت بعيدة عن نظر أمها، ثم سارت، يتزايد بطء خطواتها، إلى "تشوك فارم". كان محل السجاجيد قد فتح للتو. جلست امرأة فى منتصف العمر إلى مكتب، وأمامها كوب من القهوة، ودفعت نظارة داكنة على عينيها لتنظر إلى آليس.

سألت: "هل تريدين بيعها؟" وقالت: "بديع!" عندما بسطت آليس السجادة على الأرض، وهى تتنفس بصعوبة. وقفتا معًا تنظران، وقد أسرتهما بحيرة الزخارف الرقيقة الملونة على الأرض. انحنت المرأة، والتقطتها، ووضعتها فى الضوء. تحركت آليس لتقف بجوارها وترى الضوء يتخلل السجادة، ويتوهج فوق مكان واحد منها. شعرت آليس بغصة فى حلقها. وفكرت بحدة: "سوف آخذها إلى المبنى، إنها جميلة للغاية...". لكنها انتظرت بينما ألقت المرأة بالسجادة على الأرض مرة أخرى، بإهمال، فى كومة، وقالت: "إنها بالية تمامًا". وسوف تحتاج إلى إصلاح. لا يمكن أن أدفع لك أكثر من ثلاثين."

صاحت آليس: "ثلاثين؟" ماذا كانت تتوقع؟ كانت تعرف أنها قيِّمة، أو أنها كانت قيِّمة. راحت تتمتم: "ثلاثين،" وهى تفكر أنها لم تكن تستحق أن تأخذها.

قالت المرأة، وهى عائدة إلى مكتبها تاركة النظارة الداكنة تعود إلى مكانها: "نصيحتى أن تحتفظى بها وتستمتعى بها"، وبدأت تشرب القهوة.

قالت آليس: "لا، إننى بحاجة للنقود."

أخذت الوريقات الثلاث، وتلكأت تنظر إلى السجادة راقدة حيث تخلت عنها، ثم خرجت من الدكان.

اشترت طعامًا لجاسبر وعادت إلى المبنى. كان الشارع يتخذ مظهرًا صباحيًا، لا أحد بالخارج، الناس ذهبوا إلى أعمالهم أو إلى المدارس؛ والنساء داخل البيوت إما ينظفن أو مع أطفالهن. لم تكن تتوقع أن يكون أى أحد مستيقظًا فى بيتها، ففى مثل هذه المبانى لا أحد يستيقظ مبكرًا.

لكن بات كانت فى غرفة الجلوس وحدها، تشرب قهوة من الترموس. أشارت إلى آليس أن تأخذ بعض القهوة، لكن آليس كانت لا تزال ممتلئة من إفطارها الجيد، وهزت رأسها. قالت: "لقد حصلت على بعض النقود، ولكنها غير كافية."

لم تقل بات شيئًا. فى ضوء الصباح القوى كانت تبدو أكبر سنًا، فى حالة استرخاء وإنهاك، وليست مشرقة كالكريز. لم تكن قد مشطت شعرها بعد، وانبعثت منها رائحة الجنس والعرق. فكرت آليس. اليوم سوف ننتهى من الحمامات. كان يوجد حمامان بالبيت.

لم تقل بات شيئًا، لكنها أشعلت سيجارة، ودخنتها وكأنها كانت تخطط للغرق فى الدخان.

عرفت آليس أن بات كانت من هؤلاء الذين يحتاجون لبعض الوقت فى الصباح قبل أن ينتبهوا، وأنها لن تقول شيئًا. جلست بهدوء، وراحت تدرس حالة الغرفة: كانت الستائر هالكة، ولا يمكن توقع أن تحتمل التنظيف الجاف. حسنًا، ربما أمها... السجادة - يمكن أن تؤدى الغرض. مكنسة كهربائية؟

كانت تعرف أن بات تنظر إليها، لكنها لم تبادلها نظرتها. كانت تشعر أن بات حليفة لها، ولم ترد أن تخالف هذا الشعور.

قالت بات وهى تسعل قليلا من الدخان: "أربع وعشرون ساعة، إنك هنا منذ أربع وعشرين ساعة!" وضحكت. كانت ضحكة غير عدوانية. لكنها لا تنبئ عما وراءها. فكرت آلبس، هذا مشروع. فى السياسة، لابد للمرء.

فجأة جاءت أصوات من الشارع، ووقفت بالخارج سيارة جمع القمامة. وبصيحة جرت آليس إلى الخارج، وتوجهت مباشرة إلى رجلين كانا يحملان صناديق القمامة من الحديقة المجاورة: "من فضلك، من فضلك.." .. وقفا متجاورين ينظران إليها، رجلان يتميزان بضخامة الجثة، قويان للقيام بمثل هذا العمل، وقد واجهتهما هذه الفتاة التى كانت من العناد حتى لا يمكن تحريكها، وفى حالة هلع. قالت متمتمة: "كم تأخذان لرفع القمامة من هذه الحديقة... ؟ نعم، أعرف." .. كانت على وجهيهما تعبيرات متماثلة من السخرية المشمئزة وهما ينقلان أنظارهما من أكوام القذارة إليها، ثم عودة إلى الأكوام، ثم إليها، ثم بثبات على الأكوام، محاولين تقييم العمل.

قال أحدهما، أخيرًا: "ينبغى أن تستدعى المجلس".

قالت آليس: "إنكم أنتم المجلس". ثم: "لا، من فضلك، من فضلك... انظروا، لقد وصلنا إلى اتفاق. اتفاق تمت الموافقة عليه. سوف ندفع النفقات. تعرفون، مبنى متفق عليه".

صاح أحدهم: "يا آلان"، متجهًا بصوته نحو سيارة اللورى الضخمة المرتعشة، التى كانت تقف على استعداد لبلع أية كمية من الكراتين البلاستيكية، والعلب، والأوراق - القمامة التى تكومت فى حديقة منزلها حتى مستوى النوافذ.

نزل من اللورى رجل آخر يرتدى بذلة عمل زرقاء وقفازات جلدية سميكة. آلان، المتحكم فى مصيرها، واحد آخر، مثل فيليب، مثل مارى ويليامز.

قالت: "كم تأخذون لرفع كل هذا؟" نطقت هذه العبارة بهدوء وثقة، كما يتناسب مع ابنة أمها، ولكن أيضًا بيأس ورجاء؛ حدقوا، متمهلين، فى الوجه الطفولى غير المتشكل، العينين الزرقاوين المستديرتين الحائرتين، والجينز الباهت ولكن مرتب، والجاكيت الثقيل، والبلوزة اللطيفة المطبوعة بالزهور. وكل هذا، كل شىء، مشرب بأتربة باهتة، والتى كانت قد نُفضت وأُزيحت وضُربت، لكنها ظلت موجودة بعناد، كنوع من القتامة اللونية.

وهزوا أكتافهم، كرجل واحد. ثلاثة أزواج من العيون تتشاور.

قال آلان، السائق: "عشرون جنيهًا".

صاحت آليس: "عشرون جنيهًا؟"

"عشرون!".

وقفة. كانوا يبدون غير مرتاحين. ووقفة. "ضعى كل ذلك فى أكياس بلاستيكية يا حبيبتى، وسوف نأخذها غدًا. خمسة عشر".

ابتسمت. ثم ضحكت. ثم تنهدت. وقالت بلهفة: "أوه، شكرًا، شكرًا". وتنفست الصعداء.

قال آلان، بصوت أبوى: "استعدى غدًا، يا حبيبتى". وتحرك الثلاثة ذاهبين كرجل واحد إلى البيت المقابل وصناديق قمامته.

تحسست آليس النقود فى أمان جيبها، وعادت إلى المنزل. كانت بات لا تزال فى مكانها، فى نوبة تدخين. وكان جيم قد نزل ويأكل الطعام الذى أحضرته لجاسبر. قالت: "لو وضعنا كل شىء فى أكياس، سيأخذونها فى الغد".

قالت بات: "النقود".

قال جيم: "النقود النقود النقود"، وهو يحشر الموز فى فمه.

"النقود معى. إذا جئت بالأكياس..". وقفت أمامهما، مليئة بالرجاء.

قال جيم: "أنا معك".

قالت بات: "صحيح، لكن ماذا عن البيت المجاور؟ يمكننا تنظيف هذا المكان كما تشائين، ولكن ذلك المكان أسوأ من هذا". وبينما حدقت آليس بشدة، تدلى فمها الوردى باكتئاب، "لا تقولى إنك لم تلاحظى البيت المجاور؟"

أسرعت آليس إلى الخارج، ونظرت أولا إلى الحديقة التى كانت فيها المرأة التى تحدثت معها. نظام يليق بالضواحى. لكن كان هناك سور مرتفع

على الناحية الأخرى من هذا البيت، ووراءه... جرت إلى الشارع الرئيسى، وعلى طوله كان مدخله قصيرًا، ورأت بيتًا يماثل البيت الذى كانت تطالب به، لم تره من قبل لأنها كانت تخرج من طريق آخر، كانت نوافذه مكسورة، وأحواله سيئة، يبدو مهجورًا، حديقته مليئة بالقمامة. ورائحته بشعة.

عادت تفكر شاعرة بالمرارة إلى غرفة الجلوس وسألت:"هل هو خال؟"

قالت بات: "الشرطة أخلته منذ ثلاثة أشهر، لكنه محتل الآن مرة أخرى".

قالت آليس: "تلك ليست مشكلتنا"، وبدا عليها أنها متشككة فى ذلك. "سوف أذهب لإحضار الأكياس البلاستيكية".

إحضار ما يكفى كلفها عشرة جنيهات.

نظرت بات إلى الكومة العظيمة من الأكياس السوداء اللامعة على الدرجات وقالت: "بنس طيب"، لكنها لم تعرض دفع شىء. وقالت: "هل سنقوم باستخدام أيدينا؟"

دون لحظة تردد، جرت آليس إلى الحديقة المجاورة، ورنت الجرس، وتداولت بعض الحديث مع جوان روبنز، وعادت ومعها جاروف، وجرافة، وشوكة.

قالت بات بسخرية متعبة: "كيف تفعلين هذا!" لكنها حملت الشوكة، وأخذت كيسًا، وبدأت العمل.

وهكذا، راحوا يؤدون العمل الشاق. كانت أسوأ كثيرًا مما تبدو، فقد كانت الطبقات السفلية مضغوطة وعفنة وكريهة الرائحة. استقبلت الأكياس السوداء اللامعة حملها البشع، كيسًا بعد كيس، ووقفت متجاورة، حتى امتلأت الحديقة بالأكياس السوداء، التى كانت أفواهها تظهر نفاية متحللة. كان القط النحيل يراقب من السور، وعيناه على آليس. ولم تتحمل آليس ذلك، فدخلت وملأت وعاء باللبن، وآخر بفتات الجبن والخبز ورقائق

البطاطس الباردة، وأحضرت ذلك للقط، الذى زحف على مخالبه إلى الطعام وأكل.

وقفت بات تستريح، ناظرة إلى آليس. التى كانت تنظر إلى القط. واستند جيم على المجرفة، قائلا: "كان عندى قط صغير، دهسته سيارة".

انتظرت بات المزيد، لكن لم يكن هناك غير ذلك. هزت كتفيها وقالت: "قصة حياة قط". واستمرت فى العمل.

لكن عينى جيم اغرورقتا، وقالت آليس: "إنى آسفة، يا جيم".

قال: "لا أريد أن يكون لدى قط صغير آخر. ليس بعد هذا القط"، وعاد إلى العمل بجنون.

وسرعان ما كانت الحديقتان الأمامية والخلفية خاليتين. كان ثمة حشائش باهتة تستعد للانطلاق للحياة مجددًا. وكانت زهرة، مغمورة طويلا، قد ظهر لها نماء جديد يميل إلى البياض.

قال جيم، مسرورًا: "لقد كانت حديقة جميلة".

قالت آليس بمرارة: "أشم الرائحة... ماذا سوف نفعل؟ وأنا لم أفكر بعد فى المياه الساخنة. إذا جاء فيليب، قل له إننى لن أتغيب أكثر من دقيقة".

وأسرعت إلى الداخل؛ وضعت دلاء مليئة بالمياه الباردة فى الحمام؛ فعلت كل ما تستطيع، ولم يكن كافيًا. المياه الساخنة، كانت تفكر، المياه الساخنة، هذا هو التالى. النقود.

لم يأت فيليب.

نزل برت وجاسبر معًا وهما يتبادلان مناقشة مسئولة عن بعض وجهات النظر السياسية. وأخبرا آليس وبات أنهما سيذهبان لإحضار بعض الإفطار، ولاحظا الحديقة وقد أخليت وصفوف الأكياس، قالا: "عمل جيد"، وذهبا إلى مقهى فريد.

كانت بات تود مشاركة آليس فى ضحكة، لكن آليس لم تكن ترغب فى أن تلتقى عيونهما. فلن تخون جاسبر أبدًا، ولا من أجل أى أحد!.

لكن بات أصرت فى مثابرة: "لقد تركت أحد المبانى لأننى كنت أقوم بكل العمل. ليس الرجال فقط، كنا جميعًا ستة أفراد، ثلاث نساء، وأنا وحدى كنت أقوم بكل شىء".

هنا، واجهت آليس بات بجدية، متوقفة عما كانت تقوم به من تنظيف للنافذة، وقالت: "هكذا هو الحال دائمًا. هناك دائمًا فرد أو اثنان يقومان بالعمل". وانتظرت من بات أن تعلق أو تعترض، أو تستأنف متعللة بالمبادئ.

قالت بات: "أنت لا مانع لديك".

كانت تبدو نظيفة ومضبوطة، وفى حالة طيبة مرة أخرى، بعد أن اغتسلت ومشطت شعرها. كانت آليس تفكر: نعم، كل شىء جميل ومرتب، عيناها مرسومتان، شفتاها حمراوان، وفى هذه الحالة يمكنه أن... وشعرت بمرارة.

قالت: "هذا هو الحال دائمًا".

قالت بات: "يا لها من ثورية"، بطريقتها التى كانت تبدو ودودة ولكن مع لسعة تشير ـ كما يبدو ـ إلى شىء من رأيها الدائم والعميق، طريقة متأصلة للنظر إلى الحياة.

قالت آليس، بجدية: "لكننى ثورية".

لم تقل بات شيئًا، ولكنها شدت الدخان إلى أعمق أعماق رئتيها المسكينتين، وصنعت بفمها دائرة حمراء لإخراج خيط رمادى تصاعد فى حلقات إلى السقف الكئيب. وتابعت عيناها الدخان المتصاعد لولبيًا. وأخيرًا قالت: "نعم، أظن أنك كذلك. لكن الآخرين ليسوا متأكدين جدًا".

قالت آليس: "هل تعنين روبرتا وفاى؟ أوه، حسنًا، إنهما مجرد شخصيتين بائستين!".

ضحكت بات: "ماذا؟"

قالت آليس: "تعرفين". وقفت آليس فى عناد أمام بات، تتحداها لأخذ موقف حول ما تعرف آليس أنه كينونة بات، لم تكن بات شخصية بائسة، وإنما كانت شخصية جادة، مثلها هى نفسها. لم تجفل بات من هذه المواجهة. لقد كانت لحظة لها أهميتها، وكانتا تعرفان هذا.

مرت لحظة صمت، وتصاعد المزيد من الدخان الخارج من الرئتين، ببطء واستمتاع، وكلتا المرأتين تراقبان حلقاته الوفيرة.

قالت بات: "على أية حال، إنهما مستعدتان لأى شىء. إنهما يتحملان، أنت تعرفين. أسوأ الأشياء، إذا كان ولابد".

قالت آليس بهدوء وثقة: "حسنًا؟ وكذلك أنا. أنا مستعدة أيضًا".

قالت بات: "نعم، أعتقد أنك كذلك".

جاء جيم: "فيليب هنا". طارت آليس، ورأته فى ضوء النهار لأول مرة. صبى نحيل محدودب قليلا - لكنه كان رجلا - بخديه الغائرين الشاحبين، وعينيه الزرقاوين الواسعتين المليئتين بالضوء، ويديه البيضاوين البديعتين، وخصلات شعره الباهتة اللامعة. كان يحمل أدواته معه.

قالت: "الكهرباء؟" وسارت أمامه إلى المطبخ الخرب، وهى تعلم أنه هنا يوجد شىء آخر لابد من مواجهته وحله. تبعها، وأغلق الباب خلفه، وقال: "آليس، إذا انتهيت من العمل هنا، هل يمكننى أن أنتقل للحياة معكم؟"

عرفت الآن أنها كانت تتوقع ذلك. نعم، كل مرة هذا التدبير، هو وفتاته، كان هناك شىء لم يفصح عنه.

وقال شارحًا: "كنت أريد أن أكون مستقلا. أن أعتمد على نفسى". ولأنه كان يعرف أنها تفكر فى الآخرين، وخططهم، قال: "إننى أنتمى إلى أ. و. ش، لا أعرف لماذا يمكن أن تكون ثمة مشكلة؟"

فكرت آليس، لكنه ليس فى ج.ج.أ، لكنها كانت تعرف أنها سوف تتدبر كل هذا فيما بعد. قالت: "إن كان الأمر يتوقف علىّ، فنعم". لكن هل هذا

يكفى؟ لقد تعامل معها باعتبارها الرئيس هنا . ومن يمكن أن يعتبر غير ذلك؟

صرف انتباهه الآن إلى الأسلاك الممزقة التى كانت خارجة عن الجدار؛ وموقد الغاز، الذى تم نزعه ليقع على جانبه على الأرض.

كان وجهه ينم عن شعور بالمرارة؛ وشعرت هى أيضًا بنفس الغضب المفعم بالشك. وقفا معًا، يشعران بأنهما يستطيعان أن يدمرا بأيديهما العارية هؤلاء الرجال الذين فعلوا ذلك.

فكرت آليس أن من هم على شاكلة رجال القمامة يجعلونها تفكر فى الأمر. كانوا رجالا طيبين. وقد قاموا بالأمر. لكن عندما نلغى الإمبريالية الفاشستية، لن يكون هناك أناس كهؤلاء.

عند هذه الفكرة ظهرت صورة عقلية لأمها، التى كانت عندما تقول آليس أشياء من هذا النوع تتنهد أو تضحك، وتبدو منهكة. فى الأسبوع الماضى فقط قالت، وهى فى حالتها المزاجية الجديدة، فى لهجة مريرة وسطحية وموجزة: "الآلهة نفسها ضد الغباء".

سألت آليس: "نعم؟ ماذا يعنى ذلك؟"

قالت أمها حينئذ: "الآلهة.. نفسها.. ضد... الغباء..". قالت ذلك، وهى تفصل كل كلمة عن الأخرى لتقدمها إلى آليس، ليس لأنها تتوقع أى شىء منها، ولكن لتذكِّر نفسها بعدم الجدوى من كل شىء.

المرارة التى شعرت بها آليس تجاه المجلس، والعمال، و"المؤسسة" شملت أمها الآن، وقد طغى عليها غضب أعمى جعلها تشعر بالدوار وتطبق يديها. وإذ أفاقت لنفسها، رأت فيليب ينظر إليها باستغراب، ربما كان يرى أن هذه الحالة أكثر عنفًا مما يستحقه العمال المخربون؟

قالت: "يمكن أن أقتلهم". وسمعت صوتها، مهلكًا، وأدهشها هذا الصوت. شعرت بأن يديها تؤلمانها، فأرختهما.

قال فيليب: "أنا أيضًا"، لكن طريقته كانت مختلفة. وضع بصمت حقائب الأدوات، وكان يقف بهدوء هناك، ينتظر. كان ينظر إليها بعناده الذى كان الآن قد أصبح مألوفًا ومؤثرًا. انصرفت شخصية القاتلة عن آليس، وقالت، وهى تعده بذلك الوعد الذى لابد أن يحصل عليه قبل أن يقوم بالمزيد من العمل: "سوف يكون هذا عدلا، إذا قمت بالعمل".

أومأ برأسه، وصدقها، ثم تحول عناده هذا إلى الانتباه الذى يوليه للجدار المخرب. قال أخيرا: "إنه ليس سيئًا جدًا. يبدو وكأنهم أطاحوا بالمكان فى نوبة من الغيظ: فلم يقوموا بعمل كامل".

قالت: "ماذا؟"، غير مصدقة؛ فقد بدا لها أن المطبخ، أو على الأقل جدارين منه، انتزعت منهما الكابلات والأسلاك وتتدلى عليهما بشكل بائس؛ والجص الكريمى اللون يرقد مثل العجينة فى أكوام أسفل هذين الجدارين، وقد فقد لونه وبدا مشققًا.

قال: "لقد رأيت ما هو أسوأ من هذا"، ثم استطرد: "لابد أن أرفع ألواح الأرضية؛ لا يمكننى العمل بهذا الحال هنا".

كان الجص الساقط قد أصبح متماسكًا صلبًا، واضطرت آليس أن تهشمه ليتفكك. وامتلأ المطبخ بالغبار الأبيض الناعم. عملت هى فى الأرضية، بينما وقف فيليب بالأعلى على المنضدة الكبيرة التى جذبها نحو الحائط، ثم جمعا الجص والقمامة فى أكياس، وقامت بغسل الأرضية مستخدمة الفرشاة اليدوية والحلة، فلم يكن لديها أدوات أخرى. كانت متوترة وتشعر برغبة فى البكاء، لأنها كانت تعرف أن كل بوصة من السقف والجدران لابد أن يتم غسلها وطلاؤها، ثم البيت، البيت كله، كان بنفس الطريقة، والسقف. ماذا سوف يجدون عندما يتم التخلص من تلك الدلاء ذات الرائحة البشعة فى الطابق الأعلى؟ من سوف يقوم بتغيير ألواح السقف، كيف سيتم تدبير تكاليف كل ذلك؟ كانت تدلك الأرض بالفرشاة، وفى كل مسحة يتناثر المزيد من القذارة فى الهواء، وكانت تفكر، لابد أن أذهب إلى هيئة الكهرباء؛ كيف يمكن لى ذلك وأنا بهذا المنظر؟

وقفت، أشبه بالشبح وسط الهواء المليء بالغبار الأبيض، وقالت: "صديقتك، هل هى فى البيت؟ هل يمكن أن تسمح لى بأخذ حمام؟"

لم يجب فيليب، فقد كان يفحص الكابل بمصباح قوى.

قالت غاضبة: "كانت هناك حمامات عامة حتى العام الماضى، حمامات جيدة، فى مكان لا يبعد كثيرًا عن هنا، كانت فى شارع أوكشن. كان بعض أصدقائى يستخدمونها ـ فى مبنى فى شارع بيليز. ثم أغلقها المجلس. أغلقوها". شعرت بالدموع ساخنة على وجنتيها المتربتين، ووقفت، منهوكة القوى، تنظر فى مناشدة إلى ظهر فيليب النحيل الأقرب إلى ظهور الفتيات.

قال: "ثار بيننا شجار قديم عندما غادرت البيت".

فكرت، وألقته من رأسها.

قالت: "لا تهتم. سوف أتدبر أمرى. سوف أنظف نفسى وأذهب إلى هيئة الكهرباء. كن حذرًا، فقد تعود الكهرباء فى أية لحظة".

"هل تظنين أنك تستطيعين أن تجعليهم يعيدونها؟"

"لقد تدبرت الأمور قبل ذلك، ألم أفعل؟" وعندما فكرت فى ذلك وفى انتصارات أخرى، ارتفعت معنوياتها، وعادت إليها الطاقة مرة أخرى.

فى الردهة، كانت الفتاتان البائستان على وشك الخروج إلى عالم الشوارع والحدائق والجيران والقطط والسيارات والعصافير الصغيرة.

وفكرت آليس أنهما تبدوان مثل أى شخص آخر، وهى تراهما تتلفتان، فاى الحسناء البيضاء، رقيقة داخل البيئة الحارسة الملموسة لروبرتا السمراء، قوية مثل دبابة ـ فكرت آليس، قوية مثلى، كانت تعرف أنها تبدو وهى واقفة هناك كمهرج غُمر لتوه بالدقيق.

قالت فاى، ساخرة: "حسنًا،" وعلقت روبرتا: "حسنًا"، وضحكت المرأتان، وخرجتا من الباب وكأن كل هذا العمل الشاق لا علاقة له بهما.

قالت آليس لنفسها: "لا فائدة من توقع أى شىء"، فى يأس، بعد كل تلك الخبرة بهؤلاء الذين يفعلون والذين لا يريدون أن يفعلوا شيئًا. مرة أخرى صعدت إلى الحمام، ووقفت عارية فى المكان القفر، بينما كان حوض الاستحمام يمتلئ بمياه باردة حتى حافته التى ظهرت حيث فعلت كل هذا فى وقت مبكر من ذلك اليوم. ومرة أخرى وقفت فى المياه الباردة جاهدة لتخليص نفسها من القذارة، ابنة أمها، تفكر بعنف فى السنوات الأربع التى عاشتها داخل منزل أمها، حيث المياه الساخنة تأتى طيِّعة بلمسة واحدة. إنهم لا يعرفون كم تكلف، كانت تتمتم بجنون. كل هذا يأتى من العمال، منا نحن.

فعلت كل ما تستطيع، وارتدت تنورة لطيفة نظيفة، كانت قد استولت عليها من أمها بمزحة قائلة إنها تناسبها أكثر: كانت بحاجة إلى تنورة من حين لآخر لتمنحها مظهرًا محترمًا، بعض الناس كانوا يشعرون باطمئنان أكثر أمامها. ارتدت أحد القمصان النظيفة الأخرى، كان من القطن الأزرق هذه المرة، وجعلها ذلك تشعر بارتياح. فعلت كل ما تستطيعه بشعرها، الذى كان ملمسه دهنيًا ورمليًا، رغم أنها وقفت ووضعته فى دلو من تلك المياه الباردة العنيدة. ثم ذهبت إلى غرفة الجلوس. كانت بات نائمة باسترخاء فى مقعد كبير ذى ذراعين. دخلت آليس بهدوء وحدقت فى تلك المرأة المجهولة، التى كانت حليفتها. كانت تفكر: لن ترحل بعد. إنها لا ترى فى برت ما يستحق، سوف تبقى بسبب كل هذا "الحب".

رقدت بات ممددة على المقعد، وكأنها قد وقعت من السقف. كان رأسها مائلاً إلى الخلف، وجهها مرفوعًا ومكشوفًا. وكانت عيناها وشفتاها ترتعش على وشك أن تُفتح. توقعت آليس منها أن تستيقظ وتبتسم. لكن بات ظلت نائمة، تحت نظرات آليس الفاحصة. استمرت آليس واقفة هناك، تنظر. شعرت أنها امتلكت بات، بهذه النظرة ـ حياتها، ما كانته وما يمكن أن تكونه. لم يكن من الممكن لآليس أن تسمح لنفسها أن تنام هكذا، معرضة لأى شخص أن يدخل وينظر إليها. كان ذلك نوعًا من التهور

والطيش، مثل السير فى الشوارع مع الإمساك بالنقود فى اليد بدون اهتمام. اقتربت آليس أكثر ومالت فوق بات مباشرة، لتحدق إلى ذلك الوجه البرىء بعينيه المغلقتين بخفة، خلفهما ساكن رحل إلى بلد غير معروف. شعرت آليس بالفضول. ما الذى تحلم به، وهى تبدو هكذا مثل طفل غفا لتوه بعد أن التهم زجاجة لبن؟ بدأت آليس تشعر بأنها حامية، تريد أن تستيقظ بات لئلا يدخل الآخرون ويرونها، بلا دفاعات. ثم فكرت آليس، حسنًا، ربما يكون برت، أليس كذلك؟ الجمال النائم! والآن تغير شعورها إلى الاحتقار، بسبب حاجة بات. لو كانت تريد أن تحصل عليه، فينبغى أن تحصل عليه، قالت آليس ذلك بحكمة لنفسها، تاركة بعض التفاوتات الضرورية. وخرجت بخفة من غرفة الجلوس، وعبرت الردهة، ثم إلى العالم الخارجى. كانت الساعة حوالى الثالثة من عصر ربيعى منعش. أخذت الأتوبيس إلى هيئة الكهرباء، بثقة.

كان مبنى هيئة الكهرباء كبيرًا حديث الطراز، أقيم بعيدًا عن الطريق الرئيسى الذى كان يرغى بالمحتاجين إلى الكهرباء من أناس من مختلف الأصناف، والذين تعتمد حياتهم على الضوء، وأوانى غلىّ المياه الكهربائية، والمكانس الكهربائية... الطاقة. كان المبنى يبدو واعيًا بدوره: فمليون شخص على الأقل يعتمدون عليه. وقف صامدًا وجديرًا بالثقة. نوافذه لامعة، ووقفت سيارات موظفيه ينبعث منها الوميض فى صفوف سهلة الحركة.

صعدت آليس الدرجات بخفة جريًا، كانت تعلم طريقها، فقد دخلت الكثير من المبانى المماثلة، ذهبت مباشرة إلى الطابق الأول، وعرفت أنها فى المكان الصحيح، فقد كانت هناك غرفة ينتظر فيها عشرة أشخاص أو نحو ذلك. الفواتير غير المدفوعة، الحسابات الجديدة، التهديد بقطع الكهرباء: مجموعة صغيرة من أصحاب الطلبات المنتظرين بصبر. يفتح على هذه الغرفة بابان، وجلست آليس فى مكان يمكِّنُها من الرؤية داخل الغرفتين كلتيهما. وبينما كان البابان ينفتحان لإخراج أحد الزبائن وإدخال

آخر، كانت آليس تتفحص وجوه هؤلاء المحكمين الجدد، جالسين خلف مكاتبهم المحترمة. امرأتان. إحداهما عرفت من نظرة واحدة أنها ينبغى تجنبها. رأت آليس أن تلك المرأة تمثل القانون بمعناه الحرفى، يبدو عليها الاعتداد والعناد. وجه نحيف وشفتان رفيعتان، وشعر أشقر مصفف بعناية بالغة، وابتسامة كانت آليس عازمة على عدم الفوز بها. لكن المرأة الأخرى، نعم، يمكن أن تفى بالغرض، رغم أنها من النظرة الأولى... كانت ضخمة، وكان ثوبها الثقيل المحبوك يجعلها متماسكة ومطمئنة، يقوم بوظيفة كورسيه، لكن من ذلك الثوب بزغ وجه كبير ناعم بناتى، ويدان كبيرتان ناعمتان. عدّلت آليس مقعدها، وعندما جاء دورها وجدت نفسها جالسة أمام هذه السيدة ذات المظهر الأمومى، والتى عرفت آليس أنها كانت مرات عديدة أثناء اليوم تتساهل فى الأمور قليلا لأنها كانت تشعر بالأسى من أجل الآخرين.

قصت آليس حكايتها، ووصفت. وهى تعرف بالضبط ما كانت تفعله. البيت الكبير الصامد الذى كان على وشك أن يتم هدمه بدون سبب على الإطلاق، من أجل إقامة كتلة بشعة من الشقق. ثم أظهرت مظروف المجلس ذا المظهر الرسمى، والرسالة داخله.

بمجرد أن لمحت هذه الموظفة، مسز ويتفيلد، المظروف، قالت: "نعم، لكن البيت فى الخطة، هذا كل شىء، لم يتقرر الأمر بعد". وقلبت ورقة فى الخزانة المجاورة لها، وقالت: "رقم ثلاثة وأربعين؟ أعرفه. رقم ثلاثة وأربعين ورقم خمسة وأربعين. إننى أمر بهما كل يوم فى طريقى إلى مترو الأنفاق. إنهما يشعراننى بالغثيان". ونظرت، محرجة، إلى آليس، بل إن وجهها تضرج.

"لقد بدأنا بالفعل تنظيف ثلاثة وأربعين. ورجال القمامة قادمون فى الغد لرفعها".

"هل تريدين أن يتم توصيل الكهرباء الآن، قبل معرفة قرار المجلس؟"

قالت آليس، مبتسمة: "إننى واثقة أن كل شىء سيكون على ما يرام". كانت واثقة. رأت مسز ويتفيلد ذلك، وشعرت به، وأومأت برأسها.

"مَنْ الذى سوف يضمن الدفع؟ أنت؟ هل لديك وظيفة؟"

قالت آليس: "لا، ليس حاليًا". وبدأت تتحدث بطريقة هادئة وجادة عن البيوت التى تم إنقاذها فى مانشستر، وفى هاليفاكس، وفى برمنجهام، حيث تدفقت الكهرباء طائعة فى الأسلاك، بعد فترة طويلة من الانقطاع. استمعت مسز ويتفيلد، وهى جالسة صامدة فى مقعدها، بينما كانت يدها البيضاء الكبيرة تمسك بقلم موجه إلى استمارة تحته: نعم. لا.

قالت: "لو أصدرت الأمر بإعادة الكهرباء، لابد أن يكون لدى ضامن فى البداية".

"ولكن هل تعلمين أن ذلك لا يحدث إلا فى هذه البلدة - حسنًا، ربما فى بلدة أخرى أو اثنتين. فى لامبتون - على سبيل المثال - ينبغى أن تعطونا الكهرباء. إذا طلبها الناس، لابد من توصيلها".

قالت مسز ويتفيلد بهدوء: "حسنًا، يبدو أنك تعرفين الحال كما أعرفها بالضبط! أنا لا أصنع السياسة. أنا فقط أطبقها. السياسة فى هذه البلدة هى أن الضامن ضرورى".

لكن عينيها، الكبيرتين، الناعمتين، الزرقاوين، كانتا تركزان مباشرة على وجه آليس ولم تكونا معاديتين، على العكس تمامًا؛ بدا أنها تناشد آليس أن تفكر فى شىء ما.

قالت آليس: "أبى سوف يضمن الدفع، أنا متأكدة من ذلك".

كانت مسز ويتفيلد قد بدأت بالفعل تملأ الاستمارة. قالت: "إذًا فلا مشكلة، اسمه؟ عنوانه؟ رقم تليفونه؟ ولابد أن يكون هناك مبلغ مقدم".

أخرجت آليس عشرة جنيهات ووضعتها على المكتب. كانت تعرف أن هذا لا يكفى. نظرت مسز ويتفيلد إليها بحذر، ووقعت. لم تنظر إلى

آليس. هذه علامة سيئة. ولم تأخذ الورقة المالية. ثم رفعت عينيها إلى وجه آليس، وبدا وكأنها قد فوجئت بما رأته فى وجهها.

سألت باستعجال: "كم شخصًا هناك؟" ناظرة بسرعة إلى الورقة المالية ثم جعلت نفسها فى مقابل وجه آليس، ذلك الوجه الذى لا يمكن تجاهله. لم يكن هذا عدلاً! بدا أن مسز ويتفيلد تشعر بذلك. هذا غير مناسب وخطأ، تلك المشاعر التى أثارتها آليس فى هذا المكتب النظامى والعاقل. ربما ما ينبغى لمسز ويتفيلد أن تفعله هو أن تقول لآليس أن تذهب وتعود ومعها دليل أفضل على وضعها كمواطنة. لم تستطع مسز ويتفيلد أن تفعل هذا. لم تستطع. رأت آليس من الطريقة التى يخفق بها صدرها الكبير المحصور فى الثوب، من الوجه المصدوم المتضرج، أنها - آليس - كانت على وشك الوصول إلى هدفها.

أخيرًا، قالت مسز وايتفيلد: "حسنًا،" وانتظرت لحظة، لا شك الآن فى أنها قد وصلت إلى قرار، ولكنها تشعر بالقلق. وقالت لآليس: "هذه بيوت كبيرة"، كانت تعنى بهذه الملحوظة أن مثل هذه البيوت تستهلك الكثير من الكهرباء.

قالت آليس: "لا مشكلة فى ذلك"، من المؤكد أن الأمر كذلك. "هل يمكن إعادة الكهرباء هذا المساء؟ إن لدينا كهربائيًا يعمل. وسوف يساعد ذلك...".

أومأت مسز ويتفيلد برأسها. وخرجت آليس، وهى تعرف أن الموظفة تراقبها وهى تذهب، مضطربة، ربما تعجب فعلا لماذا سلمت.

وبدلا من الذهاب إلى البيت مباشرة، ذهبت آليس إلى كابينة التليفون وطلبت أمها. رد عليها صوت لم تتعرف عليه فى البداية، لكنها كانت أمها. ذلك الصوت البشع المروع... كادت آليس تقول: "آلو، أنا آليس"، لكنها لم تستطع. أعادت السماعة برقة، وطلبت والدها. لكن شريكه هو الذى رد.

اشترت ترموس كبيرًا (والذى سيكون مفيدًا دائمًا، على سبيل المثال - فى المظاهرات أو الإضرابات)، وطلبت من زوجة فريد أن تملأه بشاى قوى، وذهبت إلى البيت.

كانت سحابة الغبار الأبيض فى المطبخ قد هدأت، وقالت لفيليب، الذى كان جالسًا على الأرض وقد رُفعت نصف ألواح الأرضية: "كن حذرًا، قد تعود الكهرباء فى أية لحظة".

قال فيليب: "عادت، لقد اختبرتها لتوى". ومنحها ابتسامة أشعرتها بأن كل شىء يستحق ما تبذله.

جلسا إلى المائدة الكبيرة، وشربا شايًا قويًا، وشعرا بسعادة ومودة. كان المطبخ كبيرًا. فى يوم من الأيام كانت عائلة ما تتخذه مركزًا، دافئًا، وآمنًا، ولا يخذل أحدًا. جلسوا معًا حول هذه المنضدة. لكن آليس كانت تعرف أنه قبل أن يعود كذلك مرة أخرى، لابد من إيجاد نقود.

تركت فيليب وذهبت إلى غرفة الجلوس، حيث كانت بات مستيقظة ولم تعد راقدة وحيدة ومعرضة لفضول آليس وقلقها. كانت تقرأ. رواية. لمؤلف روسى ما. عرفت آليس اسم المؤلف كما كانت تعرف أسماء المؤلفين - أى كما لو كانوا أشياء موضوعة على الرف، مكتملة، صلبة، ولامعة، لها حياتها وضوؤها الخاص. مثل البلىّ، الذى رغم أنك تستطيع أن تديره بين أصابعك كما تحب، فإنه لا يستسلم، ولا يمنح أسراره، ولا يتنازل.

لم تقرأ آليس شيئا أبدًا سوى الصحف.

عندما كانت طفلة كانوا يضايقونها قائلين: آليس لديها حصانة ضد الكتب. بدأت القراءة متأخرة، وهو أمر صعب تجاهله فى ذلك البيت المغرم بالكتب. والداها، خاصة أمها، كل الزائرين، كل شخص قابلته طوال حياتها قد قرأ كل شىء. لم يتوقفوا أبدًا عن القراءة. انسابت الكتب إلى البيت وخرجت منه فى موجات. كان والداها، ثم أخوها، يمزحون بسعادة: "إن الكتب تتكاثر على الأرفف". لكن آليس كانت ترعى حصانتها. كان عالمًا

استطاعت اختيار ألا تدخله. يمكن للمرء أن يرفض بأدب. أصرت، بأدب ولكن بحزم، وهى تستمتع سرًا بالقوة التى تمتلكها لإثارة قلق والديها. كانت تقول: "لا أرى الهدف من كل هذه القراءة"؛ واستمرت تقول ذلك، حتى فى الجامعة، تدرس السياسة والاقتصاد أساسًا؛ لأن الكتب التى من المتوقع قراءتها لم تكن من النوعية المخادعة غير القابلة للفهم لتلك الكتب الأخرى. وفى تلك الفترة، عندما لم يكن بد من قراءة حد أدنى من الكتب، كانت تقول: "إننى أهتم فقط بالحقائق".

لكن فيما بعد عرفت أنها لا تستطيع أن تقول هذا. لقد كانت هناك دائمًا كتب من كل الأنواع فى المبانى المهجورة والكوميونات. كانت تعجب كيف أن أحد الرفاق له نظرة جيدة، وواضحة، وصحيحة للحياة، يمكن أن يكون مستعدًا لتعريض هذه النظرة للتهديد بقراءة كل هذا الكم الخطير الملتبس الذى يمكن أن تنغمس فيه باستعجال، ثم تتراجع وكأنها أصيبت بداء. بل إنها كانت تقرأ سرًا تقريبًا إلى نهاية الرواية المقترحة عليها كأداة مفيدة فى الصراع، لكنها كانت تشعر بنفس الشىء الذى كانت تشعر به فى طفولتها: إن استمرت، إن سمحت لكتاب واحد أن يقودها إلى آخر، فقد تجد نفسها تائهة بدون خريطة ترشدها إلى الطريق.

لكنها عرفت الأشياء التى ينبغى أن تقولها. وعلقت الآن على الكتاب الذى كانت تقرؤه بات: "إنه كاتب إنسانى بديع".

أغلقت بات كتاب ضحك فى الظلام(*)، وجلست مفكرة وهى تنظر إلى آليس.

سألت: "نابوكوف، إنسانى؟"، ورأت آليس أن ثمة خطورة من الشىء الذى كانت تخشاه أكثر من أى شىء آخر، حوار أدبى.

أصرت آليس: "حسنًا، هذا رأيى"، بابتسامة متواضعة، وجو شخص مستعد للدفاع عن موقف غير شائع تم الوصول إليه بعد تفكير طويل. "إنه حقًا يهتم بالناس".

(*) رواية لفلاديمير نابوكوف (المترجمة).

شخص ما - أحد الرفاق - فى وقت ما، فى مبنى أو آخر - قال كنوع من المزاح: "إن كنت فى شك، فصنفهم كإنسانيين".

كانت نظرة بات الثابتة، المهتمة، المفكرة، تذكِّر آليس بشىء ما. بشخص ما. نعم، زوى دفلين. هكذا كانت تنظر إلى آليس عندما يُثار موضوع الأدب، وتكون آليس مضطرة إلى المساهمة.

فجأة، تذكرت آليس شيئًا. زوى دفلين، نعم.

شجار، أو على الأقل مناقشة حامية، بين دوروثى ميلينجز وزوى دفلين. فى وقت قريب، قبل أن ترحل آليس بقليل.

كانت آليس تركز بشدة على ما تتذكره حتى إنها جلست ببطء، دون أن تلحظ ما فعلته، وقد نسيت كل شىء عن بات.

كانت أمها تريد زوى أن تقرأ كتابًا ما، ورفضت زوى، كانت ترى أن آراءه السياسية رجعية.

سألت دوروثى ضاحكة: "كيف تعرفين وأنت لم تقرئيه؟"

قالت زوى: "هناك الكثير من الكتب مثله، ربما كتبتها المخابرات الأمريكية".

قالت دوروثى ميلينجز، وقد توقفت عن الضحك: "زوى، هل هذه أنت؟ هل هذه زوى دفلين التى تتحدث؟ صديقتى الطيبة الشجاعة ذات العقل المتفتح، التى لا يمكن أن تفسد، زوى دفلين؟"

قالت زوى ضاحكة: "أتمنى ذلك".

قالت دوروثى، دون أن تضحك: "أتمنى ذلك أيضًا. هل لا يزال هناك شىء مشترك بيننا، فى رأيك؟"

"أوه، استمرى يا دوروثى، دعى المسائل تظهر. أنا لا أريد الشجار حتى لو كنت تريدين".

"إنك غير مستعدة للشجار حول أى شىء شديد التفاهة مثل كتاب؟ مثل وجهة نظر فى الحياة؟"

حولت زوى كل شىء إلى مزحة. وسرعان ما ذهبت. فهل عادت إلى البيت مرة أخرى؟ بالطبع، لابد أنها عادت، لقد كانت زائرة مستديمة للبيت منذ... قبل ميلاد آليس.

كانت زوى واحدة من "خالات" آليس، مثل تريزا.

لماذا لم تفكر آليس فى الذهاب إليها لطلب نقود؟ انتظرى، هناك شىء ما، فى خلفية عقلها - ماذا؟ نعم، كان هناك ذلك الشجار المشتعل، الفظيع، بين دوروثى وزوى. نعم، فى الفترة الأخيرة، يا إلهى، منذ ما لا يزيد عن أسبوع تقريبًا. شجار واحد؟ لا، أكثر. شجارات كثيرة.

قالت دوروثى: إن زوى كانت لينة فى داخلها، مثل كريمة الشيكولاتة.

لقد كانت كل منهما تصرخ فى الأخرى. وخرجت زوى جريًا. وهى - آليس - صرخت فى أمها: "لن يكون لك أصدقاء إذا استمريت بهذه الطريقة".

شعرت آليس بالغثيان. بشدة. كانت على وشك أن تقىء إن لم تكن حريصة. جلست، ساكنة تمامًا، عيناها مغمضتان بشدة، مركزة على أن تخرج من حالة الغثيان.

سمعت صوت بات: "آليس. آليس. ماذا حدث؟"

قالت، بصوت متعجل خفيض وهى لا تزال مركزة: "لا شىء. كل شىء على ما يرام". وفى دقيقة أو اثنتين، فتحت عينيها وقالت، بصوت طبيعى، وكأن شيئًا لم يكن على الإطلاق: "إننى أخشى أن تداهمنا الشرطة فجأة". كان هذا هو كل ما خطر ببالها أن تقوله.

"الشرطة؟ لماذا؟ ماذا تقصدين؟"

"لابد أن نقرر. لابد أن نصل إلى قرار. لنفترض أنهم جاءوا واقتحموا المكان".

"لقد تجاوزنا مثل ذلك من قبل".

"لا، أقصد، تلك الدلاء، كل تلك الدلاء. لا يمكننا أن نلقى بها فى المجارى. لا يمكن إلقاؤها كلها مرة واحدة. لا يعلم إلا الله ما هى حالة المواسير تحت الأرض حيث لا يمكننا رؤيتها. لو أفرغناها واحدًا فى كل مرة، لنقل واحدًا كل يوم، فسوف يستغرق الأمر وقتًا طويلاً جدًا. ولكن لو حفرنا حفرة...."

قالت بات على الفور: "الجيران!".

"سأتحدث إلى المرأة فى البيت المجاور".

"لا أظن جوان روبنز ستجن من الفرحة".

"لكن هذا سينهى الأمر، أليس كذلك؟ وسوف يسر الجميع بذلك".

"هذا قد يعنى أنت وأنا وجيم".

"نعم، أعرف. سوف أذهب إلى المرأة روبنز. وأنت اسألى جيم".

توقف قصير. تثاءبت بات، واهتزت فى مقعدها، رفعت كتابها، وتركته يسقط مرة أخرى، ثم قالت: "أظن هذا".

فى الحديقة المجاورة، التى كانت واسعة، ويقسمها ممر مفروش بالحصى، كانت جوان روبنز تعمل فى أحد الأسوار بشوكة. وعلى الجانب الآخر جلست، تحت شجرة، امرأة عجوز للغاية، تنظر إلى السماء.

وقفت جوان روبنز عندما ظهرت آليس، وبدت دفاعية. لكن آليس لم تعطها وقتًا. قالت: "مسز روبنز، هل يمكننا أن نحتفظ بالأدوات بعض الوقت؟ نريد أن نحفر حفرة، حفرة كبيرة، من أجل القاذورات".

جوان روبنز، التى اضطرت لتحمل مضايقات ذلك البيت البشع رقم٤٣ كل هذا الوقت الطويل، بدا وكأنها قد تقول لا، وأنها قد نالت كفايتها من هذا كله. كان وجهها اللطيف متوترًا، ومحمرًا.

لكن المرأة العجوز تحت الشجرة اعتدلت فى مقعدها، وانحنت إلى الأمام، محدقة. كان وجهها مكتئبًا وشديد الاحمرار، وخصلات الشعر الأبيض الصوفى تتدلى حوله. قالت بصوت غليظ، عجوز، مهتز: "أنتم أيها الأقذار".

قالت آليس بثبات: "لا، إننا لسنا أقذارًا. إننا نقوم بتنظيف المكان كله".

قالت العجوز: "أقذار أوساخ"، ولكن بصوت أقل ثقة، وقد رأت آليس، مثل هذه الفتاة اللطيفة، تقف على الأرض الخضراء وزهور النرجس خلفها.

قالت آليس: "والدتك؟"

قالت مسز روبنز: "إنها مستأجرة حائزة للشقة بالطابق الأعلى"، دون أن تخفف من لهجتها، وفهمت آليس الوضع فى لمحة. ذهبت إلى السيدة العجوز وقالت: "كيف حالك؟ أنا آليس ميلينجز. لقد انتقلت من فورى إلى ثلاثة وأربعين، ونحن نصلح المكان وننظفه من كل القمامة".

غاصت المرأة العجوز فى مقعدها، وبدت عيناها تتوهجان بكل هذا المجهود.

قالت آليس:"تحياتى، أراك مرة أخرى قريبًا"، وعادت إلى مسز روبنز، التى سألت بعناد: "ماذا ستدفنون؟"، وهى تشير إلى الصفوف المتراصة من الأكياس السوداء اللامعة الممتلئة.

كانت تعرف!.

قالت آليس: "سوف يخلصنا ذلك من كل الرائحة البشعة مرة واحدة. لقد فكرنا فى حفر الحفرة هذا المساء، والتخلص من كل شىء أثناء الليل... مرة واحدة وننتهى من الأمر".

قالت مسز روبنز والدموع فى عينيها: "هذا مريع، إن هذا شارع جميل للغاية".

"فى مثل هذا الوقت غدًا ستكون القمامة وكل شىء آخر قد رحل، وستكون الرائحة قد اختفت".

"وماذا عن البيت الآخر، خمسة وأربعين؟ الذباب، فى الصيف! ينبغى ألا يكون مسموحًا بحدوث ذلك. لقد أخرجتهم الشرطة مرة، ولكن... عادوا مرة أخرى".

كان يمكن أن تقول "عدتم"، وأصرت آليس: "إذا بدأنا نحفر الآن..."

وقالت جوان روبنز: "حسنًا، أظن إذا حفرتم بعمق كافٍ...".

طارت آليس عائدة إلى البيت. كان جيم جالسًا يضرب طبوله فى الغرفة التى رأته فيها لأول مرة. فى البداية لم يبتسم، ثم ابتسم، لأنه كان على طبيعته، لكنه قال: "نعم، والشىء التالى، سيقولون جيم، لابد أن ترحل"، كان يوجه الاتهام.

قالت آليس: "لا، لن يفعلوا"، وبذلك بذلت وعدًا آخر.

قام، وتبعها؛ ووجدا بات فى الردهة. وفى الحديقة، فى المنطقة البعيدة عن الشارع الرئيسى يحجبها المنزل، تحت شجرة كان مكان استُخدم ذات يوم لعمل سماد للحديقة. وهناك بدءوا يحفرون، بينما كانت مسز روبنز تعمل بثبات فى سورها، لا تنظر إليهم. لكنها كانت حاجزًا بينهم وبين باقى الشارع المزدحم بالناس، والذين كانوا بالطبع ينظرون إليهم من خلف النوافذ، يتبادلون النميمة عنهم، بل ويفكرون أن الوقت حان لطلب الشرطة مرة أخرى.

كانت الأرض لينة، وعثروا على هيكل لكلب كبير؛ وبنسين قديمين، وسكين مكسورة، وشوكة حديقة صدئة، والتى يمكن أن تصبح مفيدة لو تم تنظيفها؛ ثم وجدوا زجاجة... وزجاجة أخرى. وسرعان ما كانوا يكومون زجاجات، زجاجات، زجاجات. ويسكى، وبراندى وجين، زجاجات من كل الأحجام، مئات، ثم وقفوا إلى وسطهم فى حفرة تنبعث منها رائحة الطمى الطيبة، والزجاجات تتدحرج وتقف حول الحافة لياردات، سنوات من السُّكر والثمالة، لشخص ما.

كان الناس العائدون من العمل يقفون وينظرون، ويرمون بالتعليقات. سألهم رجل بشكل عدوانى: "هل ستدفنون جثة؟"

قال جيم بمرارة، وخبرة: "أولد بيل"، سوف يحوم حولنا".

صاحت بات: "يا إلهى، كل تلك الزجاجات"، وقالت آليس: "بنك الزجاجات. لو فقط لدينا سيارة... من لديه سيارة؟"

"البيت الآخر لديهم سيارة"

"خمسة وأربعين؟ هل يمكن أن يقرضوها لنا؟ لابد أن نتخلص من تلك الزجاجات".

قالت بات: "أوه، يا إلهى، يا آليس"، لكنها أسندت جاروفها على جدار المنزل ـ الذى كان خلفه غرفة الجلوس التى يعرفون أن جاسبر وبرت جالسان فيها يتحدثان ـ وذهبت إلى الشارع الجانبى، ثم إلى الشارع الرئيسى. وعادت فى دقيقة، فى سيارة تويوتا قديمة. فرشوا أكياسًا بلاستيكية سوداء خالية على المقاعد، وملأوا السيارة بالزجاجات: حتى السقف فى الخلف، والحقيبة، والمكان الخالى بجوار السائق، ولم يتركوا إلا هذا المقعد، الذى قبعت فيه آليس، بينما قادت بات السيارة إلى الحاويات الأسمنتية الكبيرة، حيث عملتا لمدة ثلاثة أرباع الساعة فى تحطيم الزجاجات.

قالت بات: "هذا يكفى اليوم"، وكانت تعنى هذا، حيث ركنت السيارة خارج ٤٥ وخرجتا. نظرت آليس إلى حديقته، وروعت.

قالت بات فى تصريح آخر: "أنت لا تنوين أن تدخلى هذا فى الخطة أيضًا".

وذهبت إلى بيتهم، دون أن تنظر، وصعدت إلى الطابق الأول، إلى الحمام.

لم تعلق على لمبة الكهرباء الجديدة التى انبعث منها ضوء ضعيف فى الردهة.

فكرت آليس: "كم عدد الغرف فى هذا المنزل؟ فلنر، مصباح كهربائى لكل غرفة؟ لكن ذلك سيكلف جنيهات كثيرة، على الأقل عشرة. لابد أن أحصل على نقود.

كان الجو قد أظلم بالخارج. ليلة عاصفة ممطرة.

ذهبت إلى غرفة الجلوس. لم يكن برت وجاسبر هناك. فكرت: إذًا أنا وجيم.

كان جيم قد عاد مرة أخرى إلى طبله. ذهبت إليه وقالت: "سأحمل الدلاء إلى أسفل. وأنت تقف عند الحفرة وتلقى بالتراب. بسرعة، قبل أن يلجأ الشارع كله إلى الشكوى".

تردد جيم، وبدا على وشك الاعتراض، لكنه أتى.

لم تضطر من قبل أبدًا أن تفعل شيئًا بهذا القدر من البشاعة، ولا فى كل تاريخها من التنقل بين العشوائيات، والكوميونات، والبيوت المهجورة. كانت الغرفة التى بها دلاء قليلة فيها سيئة للغاية، أما الغرفة الكبيرة، المزدحمة بالدلاء المبقبقة، كل هذا جعلها فى حالة من الغثيان حتى قبل أن تفتح الباب. عملت بثبات، حاملة دلوين فى كل مرة إلى أسفل، محاولة التحكم فى بطنها التى كانت فى حالة ارتباك، فى جو من العفن بدا أنه لا يقل، بل على العكس، انتشر من البيت والحديقة إلى الشارع. كانت تفرغ الدلاء، بينما كان جيم بسرعة يجرف التراب فى الحفرة. كان وجهه يبدو تعيسًا. من الحديقة المقابلة جاءت صرخات "خنازير!". خرجت آليس إلى الشارع الصغير ووقفت أمام السور، الذى كان عاليًا، وقالت للرجل الواقف خلفه يراقب: "إننا نتخلص من كل شىء الآن. لن تكون هناك أية رائحة بعد الليلة".

"لابد من إبلاغ المجلس عنك".

قالت آليس: "المجلس يعرف. إنهم يعرفون كل شىء عن هذا". كان صوتها هادئًا، واثقًا؛ تحدثت كصاحبة بيت لمن هو مثلها. وعادت تحت

أضواء الشارع إلى حديقتها المظلمة بطريقة هادئة لا مبالية. وعادت إلى العمل فى إنزال الدلاء.

فى الحادية عشرة كانت الحفرة قد امتلأت وتمت تغطيتها، وكانت الرائحة قد بدأت تختفى بالفعل.

وقفت آليس وجيم معًا فى الظلام، تحيط بهما شجيرات معزية. أخرج سيجارة وأشعلها، ورغم أنها لم تدخن من قبل أبدًا، فقد أخذت واحدة منه، ووقفا يدخنان معًا، يجذبان السحب اللطيفة وينفخانها عمدًا، محاولين أن يملئا هواء الحديقة بها.

قال جيم، بضحكة جزعة: "كان كل هذا نفايتى. حسنًا، معظمه. البعض يعود لفاى وروبرتا".

"نعم، أعرف. حسنًا، لا عليك".

"هل فكرت يا آليس. هل فكرت أبدًا؟ كم من البراز يخرج من أجسامنا فى كل حياتنا؟ أعنى، لى هنا فقط ثمانية أشهر، حسنًا، تقريبًا. أعنى، إذا وضع البراز الذى نخرجه فى حياتنا فى طبلة، أو تانك كبير مثلا، سوف تكونين بحاجة إلى تانك يصل إلى حجم محطة قوى باترسى لكل شخص". كان يضحك، لكنه بدا خائفًا. "كل هذا يذهب فى المجارى، تحتنا هنا، ولكن افرضى أن المجارى امتلأت؟"

قالت آليس وهى تحدق فى الظلام فى وجهه محاولة اكتشاف ما يخيفه حقًا: "لن تمتلئ".

"ولم لا؟ أعنى، يقولون إن المجارى عندنا كلها قديمة ومتعفنة. افرضى أنها كلها انفجرت؟ بغازات المجارى؟" وضحك مرة أخرى.

لم تعرف ماذا تقول.

قال، فى حالة يأس شديد: "أعنى، إننا نستمر فى الحياة فى هذه المدينة، نستمر فى الحياة..."

كان جيم الآن أبعد ما يكون عن شخصيته المعتادة. اختفى ذلك الوجه اللطيف المبتسم الودود. كان مريرًا، وغاضبًا، ومخيفًا.

قالت: "هيا ندخل يا جيم، هيا نتناول كوب شاى وننسى ذلك، لقد انتهى الأمر".

قال، مكتئبًا: "هذا هو بالضبط ما أعنيه. إنك تقولين تعال ولنتناول كوبًا من الشاى. وهذه نهاية الأمر. لكن الأمر لم ينته، لن ينتهى أبدًا طوال حياتك".

وألقى بالجاروف، ودخل ليغلق على نفسه فى غرفته.

تبعته آليس. ولثالث مرة فى ذلك اليوم تقف فى الحمام الكئيب، تحاول بالمياه الباردة تنظيف نفسها.

ثم صعدت السلم. فى الطابق العلوى كانت كل النوافذ مفتوحة، لإدخال رائحة منعشة. كانت تمطر. أكياس القمامة سوف تمتلئ بالكثير من المياه، وقد يغضب رجال القمامة بسببها.

عند منتصف الليل، هبطت آليس على السلم، متثائبة، تجمع الإحساس بالبيت فى عقلها، طراز الغرف، كل ما يحتاج إلى الإنجاز. أين جاسبر؟ كانت تريد جاسبر. كانت الحاجة إلى جاسبر أحيانًا تستولى عليها، هكذا. مجرد أن تعرف أنه فى مكان ما، أو إن لم يكن، سرعان ما سيكون. كان قلبها يخفق فى يأس، بحاجة إلى جاسبر. لكن عندما وصلت إلى الدرجة السفلى، كان ثمة دق عنيف على الباب وكأنه صادر عن منجنيق. الشرطة. عمل عقلها بسرعة: جاسبر؟ لو كان فى البيت، فهل سيظل مختفيًا عن الأنظار؟ لو وقعت أنظار "أولد بيل" على جاسبر سوف ينقضون عليه. كان هو وهى يتمازحان كثيرًا حول أن الشرطة لو رأت جاسبر على بعد مائة ياردة فى الظلام، فسوف يقتربون مهددين بالقتل: فمشاعرهم تجاهه لا تحتمل. وماذا عن روبرتا وفاى؟ أدعو الله أن تكونا لاتزالان فى الإضراب. ما على الشرطة سوى أن تلقى عليهما نظرة واحدة

أيضًا لتنطلق من عقالها. فيليب؟ إن النوع الخطأ من رجال الشرطة سيجدون هذا المظهر الطفولى لا يقاوم. لكن بات يمكن أن تكون لا غبار عليها، وبرت... جيم، أين هو؟

بينما كانت تفكر فى ذلك ظهرت بات عند باب غرفة الجلوس وأغلقته خلفها، مشيرة إلى آليس بطريقة فهمت منها أن الرجلين هناك بالداخل؛ ووقف فيليب عند باب المطبخ، حاملاً مصباح بطارية كبيرًا، مضيئًا، وكماشة.

جرت آليس إلى الباب الأمامى، وفتحته بسرعة، حتى أن الرجال الذين كانوا يقرعونه اندفعوا داخلين، وكادوا يقعون فوقها.

قالت بصوت رصين وقد أدركت حالتهم بنظرة واحدة: "ادخلوا". كانت على وجوههم تلك النظرة الصيّادة، التى تعرفها جيدًا، لكنها لم تكن سيئة جدًا، لم يكن دمهم يغلى فى الواقع، إلا ربما ذلك الشخص، الذى كانت تعرف وجهه، ليس شخصه، ولكن طرازه من رجال الشرطة. كان له وجه نظيف، بارد، هادئ، به شارب صغير مشعث: وجه طفولى له عينان رماديتان، جامدتان باردتان. فكرت أنه يستمتع بذلك؛ وعندما رأت نظرته السريعة حول المكان، يكبح تقدمه، وكأنه عند طرف مقود، شعرت بخفقات حادة صغيرة فى فخذيها. لكنها حاذرت ألا يلاحظ نظرتها، وذهبت مباشرة لتقف أمام رجل ضخم كبير الجثة، لابد أنه يزن أكثر من مائتى رطل. كان سيرجنت. كانت تعرف هذا الطراز أيضًا. ليس سيئًا جدًا. كانت مضطرة لأن ترفع رأسها إليه، حيث كان أطول منها، وكان هو ينظر لأسفل نحوها، محاولا تقييمها.

قال هذا الرجل: "لقد قلنا لكم مرارًا أن تغادروا المكان"، بتلك النغمة الحادة فى صوته التى سمعتها فى أصوات رجال القمامة، ازدراء عنيد، لكنه كان يشير إلى رجلين كانا على وشك أن يجذبا بات جانبًا ويدخلا إلى غرفة الجلوس. فتراجعا.

أمسكت آليس بالورقة الصفراء، وقالت: "إن هذا المبنى متفق عليه مع المجلس".

قال السيرجنت: "ليس بعد"، وقد فهم الموضوع الأساسى فى الحال.

قالت آليس: "لا، لكن لم يبق إلا يومان. وقد فعلت هذا من قبل، أترى. لا مشكلة ما دمت تدفع الفواتير وتحافظ على نظافة المكان".

قال السيرجنت وهو يميل عليها واضعًا يديه على ردفيه مثل شرطى فى مسرحية ما، مستر بلود الشرطى(*): "نظيف، إنه مثير للغثيان".

قالت آليس: "لقد رأيتم القمامة بالخارج، المجلس سيرفعها غدًا، لقد اتفقت معهم".

"اتفقت، صحيح؟ فلماذا إذًا تأتينا مكالمات تليفونية تشكو من أنكم تحفرون حفرة فى الحديقة وتملئونها بالأقذار؟"

قالت آليس: "نعم الأقذار. إن رجال المجلس قد ملئوا المراحيض بالأسمنت، ومن ثم كانت هناك دلاء هنا بالأعلى. كان لابد أن نتخلص منها. فحفرنا حفرة".

ومرت فترة صمت قصيرة. وقف الرجل العريض الضخم هناك، مائلا قليلا إلى الأمام، ليتيح لوجهه الأحمر أن يعبر عن عدم تصديق محسوب.

قال: "حفرتم حفرة".

"نعم، فعلنا".

"فى وسط لندن، حفرتم حفرة".

قالت آليس، بأدب: "هذا صحيح".

"وبعد أن حفرتم حفرة، ملأتموها بالـ..."، وتردد.

قالت آليس، بهدوء: "بالخراء".

(*) شخصية فى مسلسل شهير قدمه التليفزيون البريطانى (المترجمة).

ضحك رجال البوليس الخمسة الآخرون، كاتمين ضحكهم، وجذبوا أنفاسهم، وفقًا لطبيعتهم، لكن الشاب الوحشى الذى كانت آليس تنظر إليه بنصف عين فجأة خبط على باب الدولاب الموجود تحت السلم، فكسره.

أطلق فيليب صيحة، وفى لمحة كان إلى جانبه. قال، وهو ينظر إلى فيليب الذى وقف فى أفروله الأبيض الصغير: "هل قلت شيئًا؟". لو وجه إليه ركلة لوقع مهشمًا.

قال السيرجنت بصوت سلطوى: "لا عليك". أراد أن يتابع الحديث فى الجريمة الأساسية. تراجع الشرير خطوة ووقف وقد كوّم قبضتيه، وعيناه تراقبان بات، التى وقفت فى استرخاء، تراقب آليس. آليس، التى لاحظت نظرته، وعرفت أنها لو حاولت مقابلة هذه النظرة بنوع من الاعتراض، فلسوف يكون الأمر أسوأ. مرة أخرى غمرتها دفقة باردة من المشاعر العنيفة.

"أنت - تقفين - هناك - وتقولين - لى - إنك حفرت حفرة فى الحديقة، وجعلتها حفرة لإلقاء البراز، دون أى إذن، دون أية سلطة!".

قالت آليس بنغمة واضحة ومنطقية: "ولكن ماذا كان يمكن أن نفعل. لا يمكن أن نلقى بعشرات الدلاء من البراز فى المجارى مرة واحدة. ليس فى مثل هذا البيت الذى كان خاليًا. لو فعلنا ذلك لأصبح عندك حجة حقيقية للشكوى، أليس كذلك؟"

وقفة صمت. ثم قال السيرجنت: "لا يمكنكم أن تفعلوا مثل هذا الشىء". ثم توقف قليلاً، متراجعًا. فكرت آليس، أرجوك يا إلهى، ألا ترد بات أو فيليب بكلمة من نوع: ولكننا فعلنا!.

قالت: "لقد كانت حفرة كبيرة جدًا. لقد وقعنا بالصدفة على حفرة كبيرة دفنت بها كمية كبيرة من الزجاجات. كانت بعمق خمسة أقدام. يمكن أن نريك، لكنها تمطر. لو جئت فى الغد، يمكن أن نريك تلك الحفرة؟"

ساد صمت. وتأرجح فى نوع من التوازن. فكرت آليس، أرجوك أرجوك يا إلهى، ألا يحدث شىء، ألا تدخل الفتاتان - فلسوف تنهيان كل شىء فعلا - أو أن يفكر جاسبر فجأة فى التدخل.... فإن جاسبر، فى حالة مزاجية معينة، ربما يخرج بمنتهى البساطة ويستمتع بإثارة مواجهة.

لكن الأمر استمر. عاد رجال الشرطة الخمسة الذين كانوا قد تناثروا فى فراغ الردهة ليقتربوا من قائدهم، مثل القطط، وقالت آليس: "معذرة، لكن هل يمكن أن تعيد لى هذه"، فقد كان السيرجنت لا يزال ممسكًا بالورقة الصفراء. قرأها جيدًا مرة أخرى، بهدوء، وأعادها إليها.

قال: "لابد أن أبلغ عن تلك الحفرة لهيئة المياه".

قالت آليس: "لم تكن هناك أية مواسير حيث حفرنا، ولا واحدة".

قالت بات، بإهمال: "لم نجد إلا هيكلاً عظميًا". وفى حركة واحدة، التفت رجال الشرطة الستة، فى حالة انفعال بالغ. قالت بات: "كلب، لقد كانت مقبرة كلب".

استرخى الرجال. لكنهم ظلوا ينظرون إلى بات. لقد استطاعت أن تبعث فيهم يقظة، ولكن بنعومة شديدة. وفى الضوء الخافت من المصباح الكهربائى الوحيد، وقفت متكاسلة، فتاة سمراء جميلة، تبتسم بأدب.

قال السيرجنت: "سوف نعود"، والتفت برأسه إلى الباب. خرجوا جميعًا، وآخرهم القاتل، الذى كان ينظر نظرة باردة ومحبطة إلى فيليب الصغير، وإلى بات، ولكن ليس كثيرًا نحو بات التى كانت عادية، غير صدامية.

أغلق الباب. لم يتحرك أحد. وقفوا جميعًا يحدقون فى ذلك الباب؛ فالشرطة يمكن أن يأتوا منقضين مرة أخرى. فخ؟ لكن الثوانى مرت. وسمعوا صوت محرك سيارة. وهزت آليس رأسها إلى فيليب، الذى بدا على وشك أن ينفجر فى نوبة من المشاعر المتدفقة. وفتح الباب بالفعل. كان السيرجنت.

قال: "كنت ألقى نظرة على تلك الأكياس، لقد قلت إنهم سيأخذونها غدًا؟" لكن عينيه كانتا تدوران حول الردهة، وتتلكئان بتكشيرة خفيفة على باب الدولاب المهشم تحت السلم.

قالت آليس: "غدًا". ثم، فى نغمة محبطة: "لم يكن طيبا تهشيم هذا الباب الصغير بدون سبب، أليس كذلك؟"

قال: "قدمى شكوى"، كاد ذلك يكون بصوت ذى طبيعة طيبة، واختفى.

قالت بات: "أقذار فاشستيون"، كنوع من الانفجار، ولم تتحرك. ظلوا فى أماكنهم. ربما كانوا يلعبون دور "تماثيل".

تركوا دقيقتين تمران، ثم فى لحظة واحدة، عادت إليهم الحياة، حيث ظهر جيم من ظلال غرفته، مكشرًا، وذهب أربعتهم إلى غرفة الجلوس، حيث كان جاسبر وبرت متكاسلين، يشربان البيرة. عرفت آليس من نظرتهما إليها أن جاسبر كان يخبر برت، مرة أخرى، كم كانت بارعة فى ذلك - مع إرجاع الفضل لنفسه؛ وأن بات كانت قد تأثرت، وأن جيم كان فى حالة ذهول من السهولة الظاهرة لكل ذلك. كانت تعرف أن هذه كانت لحظة تستطيع فيها أن تمضى فى طريقها لعمل أى شىء، وفى عقلها، كان على رأس أجندة الصعوبات التى ينبغى التغلب عليها موضوع: فيليب وجيم.

قدم لها برت، زجاجة بيرة، مع إشارة تشجيع بإبهام مرفوع لأعلى، وسرعان ما كانوا جميعًا يجلسون فى مجموعة متقاربة، فى مركز الغرفة ذات الجدران العالية. المضاءة بالشموع: لم يكن هناك وقت لوضع مصباح كهربى. لكن فيليب جلس مبتعدًا قليلاً، ومترددًا.

قالت بات: "أولا، فى صحة آليس!"

شربوا تحية لها، وجلست صامتة، مبتسمة، تخشى أن تنفجر فى بكاء.

كانت تفكر، الآن سوف أفتح موضوع فيليب، سوف افتح موضوع جيم. سوف نسوى هذه المسألة.

ولكن فى الصالة، فجأة، كانت أصوات، ضحك، وفى لحظة دخلت الفتاتان، مشتعلتين بتلك النشوة التى تأتى بعد يوم مشبع من الإضراب والمظاهرات والمسيرات.

توجهت روبرتا ضاحكة إلى حامل الزجاجات، ورفعت واحدة إلى فمها، وشربت واقفة، ابتلعت البيرة، ثم أعطت الزجاجة لفاى، التى فعلت نفس الشىء.

قالت روبرتا: "يا له من يوم"، وتركت نفسها تتداعى على ذراع مقعد، بينما جلست فاى على الذراع الأخرى. زوجان وحدهما، يتفحصان الآخرين، كما يفعل المغامرون عندما يعودون إلى بيوتهم، ويبدءون رواياتهم، روبرتا تقود، وفاى تكمل.

كانت المسألة كلها مائتين أو ثلاثمائة من المضربين ـ اختلفت الأرقام، حيث كان الناس يأتون ويذهبون ـ يمنعون الشاحنات التى تحمل الصحف من الدخول من البوابات لتوزيعها. وكانت الشرطة هناك تعمل على دخول السيارات سالمة.

قالت روبرتا، باحتقار: "مائتان من رجال الشرطة... مائتان من رجال الشرطة الملاعين!".

قالت فاى ضاحكة: "رجال الشرطة كانوا أكثر من المضربين"، ونظرت روبرتا إليها بهيام. كانت فاى مفعمة بالنشاط والحيوية، والحق أنها كانت جميلة جدًا. وكان الفتور الذى يبدو عليها، بل الإحباط، قد اختفى. وبدت بارقة فى الغرفة المعتمة.

قالت روبرتا: "اضطررت لإيقاف فاى عن أن يجرفها الحماس، وإلا لكانت لا تزال هناك. بالطبع، مع أننا نحن ـ الاثنتين ـ ينبغى أن نكون غير ظاهرتين..."

"هل كانت هناك اعتقالات؟"

قالت روبرتا: "خمس. أخذوا جيرى، ورغم ذلك فلم يذهب بهدوء."

قالت فاى بفخر: "لا بالطبع".

"من أيضًا؟"

"لم أعرف الآخرين. أظن أنهم كانوا من العسكريين".

وقفة صمت. عرفت آليس أنها فقدت أهميتها، وشعرت بهمتها تفتر. وعند رؤيتها وجه جاسبر، وهو يراقب الفتاتين المتظاهرتين، كانت تفكر: سوف يذهب إلى هناك غدًا، أعرفه جيدًا.

قال جاسبر: "سوف أنزل غدًا". ونظر إلى برت، الذى قال: "حسنًا".

نظر برت إلى بات، وقالت: "وأنا معكم".

ساد صمتٌ. قالت فاى بحماس: "أود لو أجرب واحدة من هذه الشاحنات. كما تعلمون، عندما رأيت ذلك الشىء يقف هناك، مسلحًا، مشتعلاً بالكامل، كان يوجد سلك فوق شاشة النافذة، وقد شعرت بكراهية عميقة نحوها ـ لقد بدت مثل شر مستطير".

وافق برت: "نعم، إنها تمثل كل ما نكرهه".

"أود لو ـ أود لو ـ"، هنا، عندما رأت فاى كيف كانت عشيقتها تنظر إليها، بدأت تتلاعب بالكلمات متوددة، وقالت برعشة تمثيلية: "أود لو أنشب أسنانى فيها!" ووجهت برتا لها دفعة ناعمة ودودة انسحبت عبر كتفيها، ثم احتضنتها للحظة قصيرة.

قالت: "على أية حال، لا ينبغى لنا ـ نحن الاثنتين ـ أن نكون هناك مرة أخرى، لا ينبغى أن يقبض علينا".

قالت فاى متمتمة: "أوه، ولم لا، علينا فقط أن نكون على حذر".

قال جيم منفعلاً: "لابد أنهم صوروا كل شىء، بالطبع؛ سوف تكون صوركما لديهم".

قالت فاى: "نعم، لكننا لم نكن نفعل أى شىء، لسوء الحظ، لا ندس أنوفنا فى شىء...".

قال جيم: "سوف آتى أنا أيضًا. أود ذلك. يا لهم من خنازير أقذار". وتحدث بأسى، صادق، حتى أن فاى وروبرتا نظرتا إليه فى فضول، وقال برت: "الشرطة كانت هنا الليلة".

قالت روبرتا: "إذًا من حسن الحظ أننا لم نكن هنا".

قالت بات: "آليس تعاملت معهم. إنها معجزة". ولكن لم يكن صوتها ودودًا كما لو كان يمكن أن يحدث لو لم تأت هاتان الفتاتان وتتسببان فى تقسيم الولاءات.

فكرت آليس بمرارة، لقد دمرتا كل شىء، وشعرت بالدهشة من نفسها. منذ دقيقة كانت تفكر: هأنذا، أهتم ببيت تافه، بينما هم جميعًا يقومون بأشياء جادة.

قالت فاى: "أوه، حسنًا"، مهملة زيارة الشرطة إلى البيت كشىء لا أهمية له مقارنة بالقضايا الكبيرة حقًا: "سوف أذهب لأنام، إن كنا سنستيقظ مبكرًا غدًا".

وقفت المرأتان. نظرت روبرتا إلى فيليب، الذى كان لا يزال جالسًا هناك، على جانب، وكأنه ينتظر. سألت: "هل ستبيت الليلة هنا؟"، ونظر فيليب إلى آليس. قالت: "لقد قلت لفيليب إن بإمكانه أن يعيش هنا". سمعت الرجاء فى صوتها، وعرفت كيف كانت تبدو، وعرفت أنها يمكن بكل بساطة أن تنهار وتبكى.

تغير قوام روبرتا فجأة، تصلب، وبدا فى حالة مواجهة، رغم أنها حاولت بقدر الإمكان أن يبدو وجهها فى حالة تجرد. وبدا أن فيليب يتلقى ضربات خفية.

نظرت روبرتا إلى برت، وقد رفعت حاجبيها، ولكن برت أجابها بنظرة لا تحمل أى التزام: فلن يأخذ جانب أى أحد. مرة أخرى فكرت آليس، إنه لا يقدر على الكثير! إنه لا فائدة منه.

نظرت آليس إلى بات، ورأت شيئًا هناك يمكن أن ينقذ الموقف. كانت بات تنتظر برت؛ نعم، هناك شىء ما قيل بينهما، مناقشة دارت، عندما لم تكن آليس موجودة. قرار؟

وإذ لم يتكلم برت، قالت بات: "فيليب، آليس لا يمكنها أن تقرر كفرد وحدها. أنت تعرفين هذا يا آليس! ينبغى أن تكون بيننا مناقشة جادة". وهنا ألقت نظرة إلى جيم، الذى قال فى الحال: "لقد كنت هنا قبل أى منكم، هذا بيتى". وبدا عنيفًا، خطرًا، كل مودته الباسمة قد اختفت. واستطرد: "لقد قلت لكم، تعالوا، هذه 'قاعة الحرية هكذا قلت". كانت هذه مسألة مبدأ. عرفتها آليس. وفكرت: "جيم هو الذى سوف ينقذ فيليب!"، واستمر جيم يقول: "ثم أسمع من يقول 'لابد أن ترحل من هنا، هذا ليس مكانك!'، كيف هذا؟ لا أفهم".

وقفت روبرتا وفاى. قالت روبرتا: "لابد أن ندعو لاجتماع فعلى ونناقش الأمر جيدًا".

وقف فيليب. وقال: "لقد عملت هنا لمدة يومين. الخمسون جنيهًا لن تكفى ثمن الكابل الذى استخدمته".

نظرت آليس بعنف إلى جاسبر. الذى كان ينتظر برت، بينما ابتسم برت بهدوء، أسنان بيضاء وشفتان حمراوان تلمع وسط اللحية السوداء.

وقفت بات، وقالت باختصار وقد أصابها الإحباط فى برت: "لا أرى أى سبب يجعل إقامة فيليب مرفوضة. لماذا لا؟ وجيم كان هنا قبل أى منا. حسنًا، إننى ذاهبة إلى الفراش. إذا كنا ذاهبين إلى الإضراب غدًا، فلابد أن نستيقظ قبل الثامنة على أكثر تقدير".

قال فيليب: "سأذهب معكم إلى الإضراب".

تنفست آليس الصعداء، وتوقفت آهة كادت تخرج منها. وقالت: "وأنا سوف أحصل على نقود. ستكون معى فى مساء الغد".

ندت عن فيليب ضحكة محبطة، وقال: "ربما. وليست هذه هى المسألة. إن كنت سأتخذ موقفى بناء على النقود فلن أبقى هنا على الإطلاق".

قالت بات: "بالطبع لا. حسنًا، دعونا جميعا نذهب غدًا". وتثاءبت وتمطت بحيوية وهى تنظر إلى برت نظرة ذات مغزى، والذى استجاب بالقيام ووضع ذراعه حولها.

فكرت آليس، أوه، لا، ليس مرة أخرى.

وخرجت روبرتا وفاى، متماسكتى الأيدى. تصبحون على خير، تصبحون على خير.

خرج برت وبات متقاربين.

وخلفهما خرج جاسبر، وسمعته آليس يجرى بضوضاء صاعدًا السلالم.

قالت آليس لفيليب ولجيم: "سيكون كل شىء على ما يرام".

قال فيليب: "لكنك لا تستطيعين أن تقولى هذا، ليس كفرد وحدك".

قال جيم: "لا". كان قد تخلص من غضبه العنيف. واستعاد نفسه العاقلة المبتسمة. لكن آليس فكرت: إن ألقينا به إلى الخارج، سوف يعود ذات ليلة ويدمر المكان. أو شىء كهذا. وقد أدهشها أن الآخرين لم يروا ذلك، ولم يشعروا به.

قال فيليب لآليس، التى كانت تعرف أنه يتخذ موقفًا دائمًا ما ألزم نفسه به من قبل: "لن أعمل هنا غدًا، سوف أذهب مع الآخرين. فالحرب ضد الرأسماليين أكثر أهمية من راحتنا، على أية حال". لا أجر، لا عمل! وسار خارجًا، وسُمعت خطواته تصعد الدرجات.

ذهب جيم دون أن يقول تحية المساء، ولجأ إلى غرفته. وبدأ صوت طبله، ناعما، عاطفيًا، كأنه تهديد.

وأصبحت آليس وحيدة. دارت فى الغرفة تطفئ الشموع، ثم وقفت تاركة الظلام يستقر لتتمكن من الرؤية فى الظلمة غير المستوية، حتى يتخذ مسند المقعد، والحافة الحادة للمنضدة شكلا. كانت تفكر: الشىء التالى الذى أفعله سيكون.

وغادرت الغرفة، كانت قلقة. هل أخذ جاسبر أشياءه إلى غرفة أخرى؟ وشعرت بقلبها يكاد ينهار. إن كان عازمًا على تجنبها، فمع وجود برت هنا ستجد من الصعب أن تحتفظ بالعلاقة معه، تلك العلاقة التى كانت هى المعنى والهدف من حياتها، ولن يتركها، كانت تعرف هذا؛ لكن يمكن أن يبدو متباعدًا جدًا.

ذهبت إلى الصالة، التى كانت الآن خاوية وكبيرة بعد أن خلت من الناس، وأغلقت مفتاح النور. صعدت السلم فى الظلام، وهى تستشعر بالسجادة البالية زلقة تحت قدميها، ووصلت إلى منصة الطابق الذى كانت كل أبوابه مغلقة على الآخرين؛ فيليب أيضًا، فى الغرفة الصغيرة بعد الغرفة الكبيرة التى تحتلها روبرتا وفاى. وكان جيم دائمًا ينام بالأسفل، حيث موسيقاه. ولسبب آخر، أنه من السهل القفز من النافذة هناك، والهرب منها عند الضرورة.

فتحت الباب فى الغرفة، وغمرها ارتياح جعل ركبتيها تتداعيان، كان جاسبر يرقد ملتفًا بجوار الحائط، فى شكل دودوى تحت الضوء المعتم. كانت حقيبة نومها ممددة عند نفس الجدار مثله؛ والمعتاد فى الماضى أن ينقلها. اندست فيها فورًا، بكامل ملابسها.

قالت: "جاسبر؟"

"ماذا هناك؟"

"تصبح على خير، إذًا".

لم يقل شيئًا. رقد كلاهما هادئين، أرهفا آذانهما ليسمعا إن كانت بات وبرت سوف يبدءان مرة أخرى. وقد فعلا. لكن آليس كانت منهكة

تمامًا، فاستغرقت فى النوم، وعندما استيقظت كان ضوء النهار. كان جاسبر قد ذهب، عرفت أنهم ذهبوا جميعًا، وأنها وحدها فى البيت، فيما عدا ربما فيليب. ذهبت لتنظر. لم يكن فيليب هناك؛ وكانت أدواته بالقرب من الفتحة التى صنعها فى ألواح الأرضية ليقوم بتغيير الكابل.

لابد أن تحصل على نقود. لابد.

كانت التاسعة صباحًا.

كانت تفكر: لو تحدثت مع أمى، لو شرحت لها... لكن الفكرة غرقت فى حفرة من الحيرة. لم تكن تذكر ما قالته أمها فى الواقع، لكن صوتها الخاوى، وكأن أى حياة قد غادرتها ـ هو ما كانت تذكره آليس. ولكن ماذا حدث لها، فكرت آليس فى سخط، ما الذى تعتزمه؟

والدها. لكنه لابد أن يعطيها لى. لابد أن يفعل! هذه الفكرة أيضًا ماتت داخلها؛ ولم تستطع الاستمرار... وجدت أنها تفكر فى بيت والدها الجديد. حسنًا، ليس جديدًا جدًا؛ لقد أمضى فيه خمس سنوات، فلم تنتقل هى وجاسبر للمعيشة مع أمها حتى كان عام قد مضى منذ غادر والدها البيت. زوجة جديدة. طفلان جديدان. وقفت آليس، تتخيل البيت الذى زارته مرات عديدة. الحديقة: جين. جين ميلينجز، مع طفليها الوسيمين فى الحديقة الخضراء الكبيرة، التى تملؤها الآن أزهار الربيع وشجيرات الفرسيثية.

دبت الحياة فى آليس، وأسرعت إلى الطابق السفلى، واختطفت سترتها، وفى لحظة كانت خارج البيت وفى الشارع، كان الناس قد بدءوا فى تسخين سياراتهم للذهاب إلى العمل. وبينما كانت تسرع فكرت: رجال القمامة قالوا إنهم سوف يأتون! لكنها لن تغيب سوى ساعة واحدة: لن يأتوا مبكرين هكذا. ولكن من أين لى أن أعلم؟ لو جاءوا ولم يجدوا أحدًا هناك... إلا أنها ظلت تجرى، وهى تفكر: لكنهم لن يأتوا الآن، أعرف أنهم لن يفعلوا.

أسرعت إلى نفق المترو، واختطفت التذكرة من الآلة، وهرولت على السلالم، وكان هناك قطار لحسن الحظ. ولم تندهش آليس، فهى تعلم أن الأشياء تسير فى صالحها هذا الصباح. تململت وهى واقفة فى القطار المزدحم، وجرت على السلالم فى المحطة، جرت وجرت، فى الشوارع المزدانة بالأشجار، ثم وقفت خارج بيت أبيها، والذى لم يكن يبعد عن منزل أمها بأكثر من نصف ميل.

ولم يدهشها أن رأت فى الحديقة جين، زوجة أبيها الجديدة، جالسة على العشب، على مفرش كبير مخطط باللونين الأحمر والأخضر، مع الطفلين الصغيرين اللذين كانت الشمس تلمع على رأسيهما الشقراوين.

حولت آليس عينيها عن المشهد، وكأنما يمكن لنظرتها أن تكون لها قوة تدفع جين على النظر نحوها. ذهبت آليس مباشرة إلى الطريق المؤدى إلى الباب الأمامى، فوجدته مغلقًا، لفت حول البيت إلى الخلف. كانت أمام جين مباشرة لو فقط أدارت رأسها. دخلت آليس إلى المطبخ، وشعرت بقلبها يؤلمها، حيث كان كبيرًا، وبه طاقم المائدة الخشبى الرائع الذى يضم أوانى للفواكه والزهور، والذى كان بالنسبة لآليس رمزًا للسعادة.

جرت آليس إلى الصالة، وصعدت السلالم، وهى تفكر أن والدها لو كان متأخرًا فى الذهاب إلى العمل اليوم - إلا أن ذلك لم يحدث أبدًا - فسوف تقول: أوه، هالو يا والدى، ها قد وجدتك! فتحت الباب المؤدى إلى غرفة النوم بهدوء، ورأت، كما توقعت، سرير الزواج الكبير، وقد ألقى الغطاء إلى الخلف، وفوقه ثوب النوم الخاص بجين (ولاحظت آليس بغيظ أنه كان من الحرير الأحمر)، وبيجامة والدها، وكرة طفل صوفية مخططة، ودب تيدى.

ذهبت مباشرة إلى الأبواب المنزلقة فى الخلف حيث كانت ملابس والدها معلقة. مرتبة تمامًا، فقد كان والدها شخصًا منهجيًا. بحثت فى جيوبه، فهى تعلم أنها قد تجد شيئًا، فقد كان مما يستدعى التفكه فى "بيتهم"، أن دوروثى ميلينجز تجد نقودًا فى جيوبه، وتنفقها فى نوع من

التبذير. كان والدها يقول: "حسنًا، قولى فورًا، على أى شىء أنفقتها؟" وكانت والدتها تقول: "اشتريت خوخًا بالبراندى"، أو "مارون جلاسيه"، أو "ويسكى فاخر".

راحت يدا آليس تدخلان وتخرجان من الجيوب وهى تدعو، يا إلهى، يارب أجد بعض النقود، بعض النقود، كثيرًا من النقود. شعرت أصابعها بلفة سميكة ناعمة، فأخرجتها، وهى لا تصدق حظها. لفة سميكة من النقود الورقية. أوراق من فئة العشرة جنيهات. دستها فى جيب صدرها، وخرجت من الغرفة فورًا، ونزلت السلالم، ثم من المطبخ إلى الحديقة الخلفية. لم تتوقف لترى إن كانت جين تنظر إلى الناحية الأخرى، كانت آليس تعلم أنها كذلك.

خرجت آليس من المنزل وإلى الطريق، وكانت بعيدة عن المنزل فى دقيقة واحدة. ثم وقفت فى مواجهة سور مرتفع، وقد أعطت ظهرها للطريق، وأحصت الوريقات المالية. ولم تصدق نفسها. كانت حقيقة. ثلاثمائة جنيه.

حسنًا، قد يشعر بغياب هذا المبلغ: فلم يكن مجرد قارورة خل تافهة أو بعض الخوخ. ثلاثمائة جنيه، سوف يفكر أنها قد تكون سرقتها ـ جين. فليكن. ملأ آليس سرور بارد، وأعادت النقود إلى جيبها وبدأت الجرى. رجال القمامة.

مرت ثلاثة أرباع الساعة منذ رحلت، وكانت فى البيت، ورأت سيارة القمامة تلف من الطريق الرئيسى.

كانت تعرف، كانت تعرف أن كل شىء سيسير على أحسن ما يكون، ووقفت تبتسم، وقلبها يخفق مرسلا الدماء تدق على أذنيها.

قفز من سيارة القمامة نفس الرجال الثلاثة، وبدءوا فى حمل الأكياس السوداء اللامعة، بعد أن اطمأنوا على وجودها هناك. ولم ينبسوا بكلمة عن المطر الذى تسرب إلى الأكياس التى تحمل القمامة.

استغرق الأمر عشرين دقيقة أو نحوها، وفى هذا الوقت جاءت جوان روبنز ووقفت عند بابها وقد عقدت ذراعيها، تراقب. ومن أيضًا كان يراقب؟ لم تنظر آليس، لكنها ذهبت إلى السور وتحدثت مع جوان روبنز وابتسمت: جارتان، وبعض النميمة، هذا ما سوف يراه المراقبون؛ ثم وقفت على البوابة التى أُخذت منها آخر الأكياس، ووضعت فى يد آلان السائق مبلغ خمسة عشر جنيهًا، مع ابتسامة ست بيت. ودخلت. كانت الساعة قد تخطت العاشرة صباحًا. وكان اليوم لا يزال أمامها بطوله، وسوف تستغل كل دقيقة بنشاط مفيد. سوف يحدث، ما أن تبدأ. فقد كانت مرهقة. والآن كانت تفكر فيهم، أصدقائها، "عائلتها"، الذين ربما يكونون الآن وسط مظاهرات ملستيد، ولابد أنهم اختلطوا بالآخرين، ولابد أنهم الآن واقفون يتخذون احتياطهم من الشرطة، ويسيرون بثقة، يتبادلون التعليقات التى سوف يسمعها رجال الشرطة ويتجاهلونها - يتجاهلون حتى يردوها فيما بعد.

برت وجاسبر وبات، جيم وفيليب، روبرتا وفاى - كانت تأمل أن تكون هاتان الاثنتان محترستين. حسنًا، فهم جميعًا ناضجون سياسيًا؛ يعرفون إلى أى مدى يذهبون. جاسبر؟ لم يدخل جاسبر فى مواجهات لفترة طويلة؛ لأنه انتهى قريبًا فقط من كونه مطلوبًا. لم يكن الأمر أنها تريده سالمًا، ولكنها أرادت أن تتم الأشياء بالطريقة الصحيحة. كان جاسبر جامحًا، ذات مرة ظل مطلوبًا مدة سنتين، ولم يكن لسبب مفيد، فى نظرها - ولكن بسبب الإهمال.

جلست آليس وحدها، فى غرفة الجلوس الكبيرة الرثة، وفكرت أنها جائعة. ولم تكن لديها طاقة للخروج مرة أخرى. إلى جوار الجدار كان أحد أكياس التسوق مغضنًا، وفيه رغيف من الخبز وبعض السلامى. لا يعلم إلا الله منذ متى كان فى هذا المكان، لكنها لم تهتم. جلست تأكل، ببطء، حريصة على ألا تسقط فتات الخبز. بالنسبة لهذه الغرفة، سوف تحتاج لمساعدة: كانت كبيرة جدًا والسقف مرتفعًا للغاية. لكن المطبخ... استغرقت

ساعة أو ما إلى ذلك لتقوم من مكانها؛ كانت متعبة بالفعل. بالإضافة إلى أنها كانت تستمتع ذهنيًا بإنفاق النقود التى كانت تشعر بها فى لفتها السميكة تحت قلبها مباشرة. ثم جرّت نفسها للقيام، وذهبت إلى المطبخ. ملأت بعض الدلاء بالمياه الباردة - لسوء الحظ - وبدأت العمل. تمسح السقف، الجدران، بينما تناور لتتوازن على السلم النقال حول الموقد، الذى كان لا يزال راقدًا على جانبه على الأرض. وعند نقطة ما كانت تعرف أن الدموع كانت تجرى على خديها - فقد كانت تفكر فى الآخرين، كلهم معًا، يصرخون معًا: "تسقط تاتشر، تسقط، تسقط"، ويصيحون: "يسقط الطفيليون، يسقط، يسقط".

كان يمكنها أن تسمعهم يغنون: "العمال متحدون لن يهزموا أبدًا!".

وفكرت كيف أن أحدهم - فيليب، نعم، فيليب - قد يخرج إلى مكان عام ويشترى سندويتشات وبيرة لهم جميعًا. ربما يكون ثمة كانتين متحرك الآن؛ لابد أن يكون هناك واحد، فالإضراب الآن مستمر منذ أيام.

فكرت فى كيف أن الجو سوف يكون ثقيلاً ومكهربًا، وكيف أنه عندما تبدأ الشاحنات المدرعة - رمز كل شىء يحتقرونه - فى الحركة، سوف يجاهد الجمع معًا ويصبحون مثل الحائط أمام الشرطة.

بكت آليس قليلا، بصوت مرتفع، نهنهت وشمشمت، وهى تقف تمسح الأرض. لو قرروا أن فيليب لا يستطيع أن يبقى هنا، إذًا... فإن هذه البلاطات على السقف، تلك البلاطات.

***

فى حوالى الرابعة بعد الظهر كان المطبخ قد تم تنظيفه، لم يعد ثمة أثر لتراب أو رمل فى أى مكان. وكانت المنضدة الكبيرة تقف حيث يجب أن تكون، بمقاعدها الخشبية الثقيلة حولها، وعليها برطمان مربى زجاجى داخله بعض زهور النرجس من الحديقة. لم يبق إلا الموقد المسكين راقدًا على جنبه، يذكّر بالفوضى. فكرت آليس أنها سوف تأخذ قطارًا وتذهب

إلى الآخرين. هذا من حقها، لقد كانت بطلة لمائة معركة. لكنها جلست لترتاح فى غرفة الجلوس وسقطت نائمة، واستيقظت لتجد الآخرين مجتمعين يملئون المكان بالضجيج، يضحكون ويتحدثون، مبتهجين وممتلئين بفرحة الإنجاز.

آليس، مخلوق نائم فى المقعد الكبير، كانت متواضعة، بل تميل إلى الاعتذار، وهى تجاهد لتحيتهم. وعندما تم وضع الطعام والشراب على الأرض ودعيت للمشاركة، شعرت أنه لم يكن من حقها.

ثم تذكرت. جذبت لفة النقود السميكة ضاحكة، وأعطت ١٥٠جنيهًا لفيليب. وقالت: "على الحساب".

ساد صمت. حدقوا. ثم ضحكوا، وبدءوا يعانقونها ويعانقون بعضهم البعض. حتى جاسبر وضع ذراعه حولها بسرعة وهو يضحك، وبدا وكأنه يستعرضها أمام الآخرين.

قالت روبرتا: "الأفضل ألا نسأل من أين، ولكن نهنئك".

قالت فاى: "أتمنى أن تكونى قد حصلت عليها من طريق شريف"، وبدءوا مرة أخرى يتعانقون ويضحكون، لكن آليس كانت تعرف أن هذا نتيجة عواطف زائدة من المواجهات الحامية طوال اليوم مع السلطة كما أنه بسبب أنهم مسرورون منها.

قالت فاى: "على أية حال، لابد أن نصل إلى قرار جماعى"، وقالت روبرتا: "أوه، هراء، فاى، لا داعى. كل شىء على ما يرام...".

تبادلت المرأتان نظرة؛ وعرفت آليس: لقد كانوا يناقشون الأمر هناك، وقد اختلفوا. قال برت باختصار، وكأن الأمر لا يهم حقًا، ولم تكن له أهمية: "نعم، عن نفسى أنا أرى أنه لا مشكلة". وردد جاسبر خلفه: "نعم، أنا موافق".

وقالت بات: "بالطبع، لا مشكلة".

لم يستطع فيليب الكلام، وإلا لكان بكى؛ كان يمتلئ بشعور بالارتياح والسعادة. وجيم: حسنًا، رأت آليس أنه كان يتقبل الأمر كنوع من الإنقاذ المؤقت؛ كانت تعرف أنه ما من شىء يمكن أن يبدو بالنسبة لجيم أكثر من جيد مؤقتًا. لكنه كان مسرورًا بما يكفى. كان ثمة شعور دافئ طيب فى الغرفة. شعور بالعائلة.

استمر الشعور الطيب طوال الوجبة، وبينما أخذتهم آليس إلى المطبخ لتريهم نظافته.

قالت فاى: "أعجوبة هى، آليس الأعجوبة، آليس المعجزة...."، كانت تترنح مبتهجة، واستمتع الجميع بالنظر إليها.

وبدون أن تسأل آليس، قام جاسبر وبرت برفع الموقد وإعادته إلى مكانه بجوار الحائط.

قال فيليب، مسرورًا: "سوف أقوم بإصلاحه غدًا".

وصعدوا جميعًا على الدرجات، مترددين فى الافتراق لفترة الليل، لقد شعروا بالجماعة بقوة.

وبينما كانت ترقد بجوار الحائط، فى الظلام، وقدماها على بعد ياردة واحدة من قدمى جاسبر، علقت آليس حالمة: "ماذا قررتما أنت وبرت إذًا؟"

لاحظت حركة سريعة من جاسبر، وفكرت، لم أكن أعلم أنى سأقول هذا.

كان يرقد متخشبًا، وكأنه قد انكشف؛ هكذا كان رد فعله على ما قالته.

قالت نافذة الصبر ولكن فى استرضاء: "أوه، أنا لا أهتم يا جاسبر. لكنكما ناقشتما ذلك، أليس كذلك؟"

بعد وقفة: "نعم، تناقشنا".

"حسنًا، إن ذلك يؤثر علينا جميعًا".

وقفة. وبغيظ: "فكرنا أنه لن يكون أمرًا سيئًا، أن يكون هناك آخرون هنا. لكن ينبغى أن يكونوا ضمن اتحاد الوسط الشيوعى، جيم لابد أن ينضم".

"تقصد فيليب وجيم سيكونان ستارتين".

لم يقل شيئًا، لكن الصمت يعنى الموافقة. قالت: "نعم، وبالطبع سيأتى آخرون، و...."

قال بضيق: "لا ينبغى أن نتقبل أى شخص، لا يمكن أن ينضم إلينا أى أشخاص دون تمييز".

"لم أقل، أى شخص. لكن لا ضرورة لأن يعلم الآخرون أننا مع الجيش الجمهورى الأيرلندى".

قال جاسبر: "بالضبط".

ثم قالت معلقة، فى صوت حالم، وأدهشها ما قالته: "ومع وجود الرفاق فى البيت الآخر، يا ترى...."، وتوقفت. وقد أثار ما قالته اهتمامها. احترامها.

لكنه انتصب مستندًا على مرفقه، وراح يحدق فيها فى الضوء المعتم، حيث كانت أضواء السيارات القادمة من الطريق تبعث ضوءًا متحركًا عبر السقف والجدران والأرض، ومن ثم كان الضوء يقع عليهما فى غير انتظام. كان صامتًا. لم يسأل: "كيف عرفت أخبار البيت الآخر؟"، ولم يقل: "كيف تجرؤين على التجسس علىّ؟". أشياء قيلت كثيرًا بما يكفى فى الماضى، حتى عرف أنها تستطيع أن تفعل هذا: أن تعرف، دون أن يقول لها أحد.

كانت تفكر بسرعة، وهى تستمع إلى ما قالته. إذًا، لقد ذهب برت وجاسبر إلى البيت المجاور، هل فعلا؟ هل يوجد رفاق هناك؟ نعم، هذا هو!.

قالت: هل ذهبت هناك فقط بالمصادفة، أو ـ ماذا حدث؟"

أجاب بجفاف، بعد وقفة: "لقد حدث بيننا اتصال. لقد أرسلوا رسالة".

"إليك؟ إليك أنت وبرت؟"

ومن تردده عرفت أنها كانت ضمن من أرسلت إليهم الرسالة، لكنها لم تكن تنوى أن تصنع من ذلك قضية.

قال: "جاءت رسالة"، ورقد.

"وأنت وبرت والرفاق هناك قررتم أننا ينبغى أن يكون لدينا المزيد من الناس، كستار".

صمت. لكنها عرفت أنه لم يكن نائمًا. تركت بضع دقائق تمر، وهى تفكر، ثم غيرت الموضوع، قائلة: "سرعان ما سيكون على الناس أن يسهموا. حتى الآن أنا دفعت كل التكاليف".

سأل فى الحال: "من أين جئت بالنقود؟"، وقد تذكر الموضوع، وهو ما كانت تهدف إليه.

كانت قد أعدتها له؛ مالت فى الظلام وأعطته بعض الوريقات المالية.

سأل: "كم هذا؟"

"خمسون".

"على كم حصلت؟"

قالت: "لا تسأل أية أسئلة"، رغم أنها ربما تقول له لو سأل؛ لكنه قال فقط: "عندك حق، اعصرى آخر قطرة دم لديهم".

قالت: "غدًا لابد أن أنظر موضوع المجلس. هل لك أن تحضر لى التأمين الاجتماعى الخاص بى؟"

"حسنًا".

كانا كلاهما بانتظار أصوات الحب من الغرفة المجاورة، لكن برت وبات لابد أنهما سقطا نائمين. كان جاسبر وآليس يرقدان متوترين؛ والآن شعرا بارتياح، ودخلا فى صمت أنيس. كانت آليس تفكر: نحن معًا... هذا مثل الزواج: نتحدث معًا قبل النوم. أتمنى أن يبدأ فى إخبارى عما حدث اليوم.

لم تكن تريد أن تسأل، لكنه كان يعرف أنها تتحرق لسماع كل شىء. وسرعان ما ترفق بها؛ وبدأ يتكلم. كانت تحبه هكذا. قال لها كل شىء، منذ مستهل اليوم: كيف ركبوا هم السبعة القطار، كيف اشتروا سندويتشات وقهوة فى المحطة، وازدحموا على المقعدين المتواجهين واشتركوا فى الإفطار. ثم كيف ذهبوا بالتاكسى إلى أعمال الطباعة. كان سائق التاكسى فى جانبهم: وقد قال: "حظًا طيبًا"، وهو يتركهم.

قالت آليس بنعومة وهى تبتسم فى الظلام: "كان هذا لطيفًا".

وهكذا تكلما، بهدوء، جاسبر يحكى كل شىء، فقد كان ماهرًا فى ذلك، يبنى صورًا كلامية من أى حدث، أو مناسبة. فكرت آليس أنه كان ينبغى أن يكون صحفيًا، فهو شديد الذكاء.

كان يمكن أن تتحدث طوال الليل، لأنها بالطبع نامت وقتًا طويلاً، لكنه سقط نائمًا بسرعة؛ واكتفت هى بالرقاد هناك، فى الهدوء، ترتب خططها لليوم التالى، والذى كانت تعرف أنه لن يكون يومًا سهلاً.

عندما استيقظت، لم يكن جاسبر هناك. جرت إلى قمة البيت، ونظرت إلى الغرف الأربعة التى كانت قد تركت نوافذها كلها مفتوحة. الغرفتان اللتان كان بهما تلك الدلاء المرعبة أصبحتا مجرد غرفتين سرعان ما سيكون هنا من يسكن فيهما. لكنها لم تصعد من أجل هذا. كان سقفا الغرفتينِ بهما رقع بنية مبتلة، وبعد أن حددت موقع الباب المسحور المؤدى إلى الغرفة

العلوية، وقفت على عتبة إحدى النوافذ لتصل إليه. واستطاعت ذلك، حسنًا، وشعرت بالباب المسحور يرتفع تحت أصابعها. لا مشكلة هناك!.

نزلت وأسرعت إلى المطبخ، حيث كانت تأتى منه أصوات. ورأت ما جعل عينيها تمتلئان بالدموع. كانوا جالسين حول المنضدة؛ برت وبات، متجاوران؛ جاسبر؛ جيم يبتسم سعيدًا؛ وفيليب، الذى كان بالفعل يعمل فى الموقد، يميل خلفه، وهناك كوب من القهوة فوقه. كان برت قد ذهب إلى فيليسيتى، صديقة فيليب، وامتلأ الترموس، واشترى كرواسان وزبدًا ومربى. كانت وجبة حقيقية. دلفت إلى مكانها على رأس المائدة، فى مقابل برت، وقالت: "لو كان لهذا المطبخ ستائر..."، ضحكوا جميعًا.

قال جاسبر: "قبل الحديث عن الستائر، الأفضل أن تصلحى الأمور مع المجلس"، بنوع من الاستبداد والغطرسة، لكن ذلك فقط لأنه كان يشعر بالغيرة من بات، التى قالت: "أوه، أنا سوف أدعم آليس. سوف أدعمها فى أى شىء".

ظهرت أمامها القهوة والكرواسان، وقالت آليس: "هل لاحظ أحد السقف فى الطابق العلوى؟"

قالت بات: "نعم، لاحظت".

قال فيليب: "لا يمكننى أن أفعل كل شىء مرة واحدة". وبدا عليه الحزن، وقالت بات: "لا تقلق. ليس من الصعب إصلاح الألواح. لقد فعلت ذلك مرة فى موقع آخر".

قال فيليب: "سأفعله معك عندما أنتهى من هذا".

قالت بات لبرت: "إن كان أحد يستطيع إحضار القراميد المخلوعة من ذلك المزراب...؟"

قال برت بارتياح: "لا أستطيع أن أصل للمرتفعات".

قالت آليس: "أنا يمكن أن أفعل هذا"، ثم قالت لجاسبر، وليس لبرت:

"لو أمكنك أن تستعير السيارة من البيت المجاور، يمكنك الذهاب للبحث فى مقالب المهملات عن بعض الأثاث؟ لقد رأيت أربعة مقالب فى شارع أبى بها كل الأشياء الجيدة". وأضافت بغيظ: "مهملات. كل هذا مهملات". كانت تعرف أن نظرتها على وشك أن تغلبها، وهى تقول: "هذا البيت، كل تلك الغرف... الناس يلقون الأشياء فى كل مكان، رغم أنها لا عيب فيها". وجلست تجاهد نفسها، شاعرة بأن بات تتفحصها، وتحاول تشخيص حالتها. قالت بات لبرت: "هاك، يا برت، عمل لهذا اليوم. أنت وجاسبر". وبينما كان يجلس ضاحكًا من نكتة قديمة حول كسله، قالت، متوترة: "أوه، من أجل الهراء، لقد قامت آليس بكل العمل".

قال فيليب، وهو عند الموقد: "وجاءت بكل النقود".

وقال برت: "هكذا، لقد اقتنعت".

ووافق جاسبر مسرورًا: "نعم، هكذا". وكان بالفعل يتحرك بقلق لرغبته فى الخروج مع برت، يبحثان ويحضران، يمشطان الشوارع.

خرج هذان الاثنان فى اللحظة التى دخلت فيها فاى وروبرتا، ورأتا بقايا الكرواسان وجلستا لأكلها.

جرَت آليس سلم فيليب النقال الثقيل إلى مقدمة البيت، وصعدت عليه. لحسن الحظ كان البيت من المبانى، ثقيلا على الأرض، وليس طويلاً ومخيفًا. وعندما وصلت إلى القمة كانت بات بالفعل فوق السقف. جالسة بالقرب من المدخنة وقد لفت ذراعها حولها: صعدت من خلال العلوية وكوة فى سطح البيت. حول قاعدة المدخنة كان السقف متآكلاً. وكانت قراميد كثيرة قد تزحلقت وتناثرت على جانبى المزراب. كل المياه تسقط بالداخل، وأين تذهب؟ لم يفحصوا العلوية بعد.

كانت آليس تمد يدها للقراميد الساقطة، وتضعها على السقف أمامها. أما بات فبدا أنها غير متعجلة أن تبدأ؛ كانت تستمتع بالجلوس هناك، تنظر إلى الأسقف والنوافذ العليا، والجيران، بالطبع، الذين

يراقبونهما، امرأتان تعملان فوق سطح بيت. وأين الرجال؟ هؤلاء الناس يمكن أن نسمعهم يفكرون بشكل إيجابى ـ جوان روبنز، المرأة العجوز الجالسة هناك تحت شجرتها، والرجل الذى يحدق بغيظ من إحدى النوافذ العلوية.

قالت آليس: "الْقُفى"، وهى تستعد لإلقاء القرميدة، لكن بات قالت: "انتظرى". وانحنت على بطنها وحدقت فى السطح.

قالت فى صوت خفيض: "هناك عش على العارضة هنا"، وكأنها تخشى من إزعاج الطيور.

قالت آليس: "أوه، لا.... أوه، يا للهول!" وفجأة بدت فى حالة هستيرية، ونظرت إليها بات ببرود من فوق ذراعها، الذى كان ممددًا تحت السطح. قالت آليس: "أوه، يا ربى"، وبدأت تبكى.

قالت بات: "طائر... طائر وليس إنسانًا"، وجذبت ملء يدها من القش والأشياء المكونة للعش، وذرتها فى الهواء، فتهادت إلى أسفل، ثم اصطدم شىء بقراميد السطح: بيضة. وزحف جنين صغير للغاية لطائر هناك. يتحرك.

استمرت آليس فى البكاء، وانشجت فى بكاء متقطع الأنفاس، وقد تركزت عيناها على السطح أمامها.

وانكسرت بيضة أخرى على السطح.

عينان فى فزع طفولى تتوسلان إلى بات، التى كانت لا تزال تمد ذراعها لاقتلاع الموجود فى الفتحة تحتها. لكن بات عامدة لم تنظر إلى آليس التى كانت تبكى وتغص أسفلها.

وطارت بيضة ثالثة فى قوس ووقعت متهشمة فى الحديقة.

قالت بات: "قد أنجز هذا"، ونظرت إلى آليس. "توقفى عن ذلك"، ابتلعت آليس أنفاسها وصمتت، وبدأت تلقى القراميد عندما أشارت لها بات. كانت بات تلتقطها، بحرص، وتضعها واحدة فوق الأخرى.

ظهرت روبرتا وفاى أسفل، وذهبتا وهما تلوحان لهما.

قالت بات باختصار وسخرية: "أتمنى لكما يومًا طيبًا"، ولكن مع ابتسامة تقول إنها، مثل آليس، لم تتوقع شيئًا آخر.

وسرعان ما صعد فيليب لمساعدة بات وآليس، بعد أن نظفت كل ما يمكنها الوصول إليه من المزاريب، ونزلت لتحريك السلم النقال الثقيل عدة خطوات. عملت بهذه الطريقة حول البيت كله، تزيل أوراق الأشجار المحشورة المشبعة بالماء، والقراميد الخارجة عن مكانها. وفوقها، فيليب وبات، يستبدلان القراميد.

شعرت آليس بالضآلة والخيانة. من شخص ما. كان جنينا الطائر يرقدان هناك، عنقاهما ممددان، عيناهما الدقيقتان مغلقتان، ولا أحد ينظر إليهما. والطائران الأبوان يرفرفان باهتياج على الأفرع العالية القريبة، يجأران بالشكوى.

حاولت آليس أن تركز عقلها على ما ينبغى فعله بعد ذلك. التنظيف. التنظيف! النوافذ والأرضيات والجدران والأسقف، ثم الطلاء، طلاء كثير، سوف يكلف....

فى العصر ذهبت لتبلغ المجلس، وكأن ذلك لم يكن شيئًا مهمًا، وكأن الأشياء كانت قد استقرت.

سمعت أن مارى ويليامز لم تكن هناك، وأظلم قلبها.

بوب هود، موظف منزعج بعمله المهم، قال باختصار إن ما يخص رقم ٤٣ و ٤٥ قد تم تأجيله إلى الغد.

قالت آليس: "لا مشكلة، إذًا، أليس كذلك؟"

قال بوب هود: "لا، بكل تأكيد لا. لم يتم الاتفاق على أنه يمكن لك أو لأى شخص آخر احتلال تلك الأماكن".

قالت آليس بطريقة تحمل مثل عجرفته وحسمه: "ينبغى أن تأتى وترى هذا المكان. إنه لمن العار اعتباره مناسبًا للهدم. لابد أن تدور رأس شخص ما بسببه. أنا متأكدة أن الرءوس ستدور. إنهما بيتان سليمان تمامًا، وفى حالة جيدة".

وقفة. وقال بحدة. ولكنه كان يتراجع. "وقد كانت هناك شكاوى كثيرة. شكاوى من أشياء لا يمكن السماح باستمرارها".

"لكننا قمنا بتنظيف ثلاثة وأربعين. المكان الذى وضعنا أيدينا عليه. وسوف تؤكد لكم الشرطة أنه تم تنظيفه تمامًا".

انتظرت آليس فى ثقة. أوه، كانت تعرف هذا النوع، تعرف كيف تعمل عقولهم الصغيرة الجبانة، وتعرف أنها امتلكته. كان يمكنها سماع تنفسه، ويمكنها أن تلاحظ بإيجابية كيف تعمل الأجهزة الذهنية فى المكان.

قال: "حسنًا، سوف آتى لأنظر. لقد كنت أنوى إلقاء نظرة على هذين المبنيين".

قالت آليس: "هل يمكنك أن تعطينى إشارة عن الموعد الذى ستحضر فيه؟"

"لا داعى لهذا، فلدينا مفاتيح".

"نعم، لكننا لا يمكن أن نترك الناس يتجولون فى المكان دون علمنا، أليس كذلك؟ أريدك أن تحدد لى موعدًا بالتقريب".

كان أسلوبها وقحًا لدرجة أنها تعجبت من نفسها. إلا أنها كانت تعرف أنها لم تتجاوز المدى، بسبب سلوكها: كل تفصيلة كانت بنفس المستوى السلطوى الذى عاملها به. ولم يدهشها عندما قال: "سوف آتى الآن".

قالت آليس: "حسنًا، سوف نكون بانتظارك". ووضعت سماعة التليفون.

وأسرعت عائدة. وأبلغت فيليب وبات بأن المجلس قادم، وأنهم لا ينبغى أن يتوقفوا تحت أى ظرف، لأنه سوف يكون من الطيب أن يروهم

أثناء العمل هناك بالأعلى. جرت إلى الداخل لترى كيف حال غرفة الجلوس، والمطبخ. وصعدت إلى الطابق العلوى إلى الغرف التى كانوا ينامون فيها، وأدهشها أن غرفة روبرتا وفاى كانت عشًا حقيقيًا لمظاهر الأنوثة، مع منضدة زينة، ووسائد، وغطاء على كيس النوم المزدوج، وصور - كلها وضيعة، لكنها يمكن أن تعطى انطباعًا طيبًا. لبست تنورة بسرعة، ومشطت شعرها وقلمت أظافرها. وسمعت دقة قبل أن تتوقعها، فنزلت على السلم بابتسامة باردة معدلة خصيصًا على وجهها لفتح الباب: "بوب هود؟ أنا آليس ميلينجز".

"أتمنى أن يكون هذان الاثنان على السطح يعرفان ما يفعلان؟"

"هذا ما ينتظر منهما. إنه بناء، وهى تساعده. وهى غير متخصصة، لكنها فعلت ذلك من قبل".

لقد أسكتته. أوه، أنت أيها الرجل الصغير الشرير، هكذا كانت تفكر خلف ابتسامتها الطيبة المهذبة. أيها البيروقراطى الصغير الشرير.

"هل تحب أن ترى الطابق الأرضى أولا؟ بالطبع، هذا لن يعطيك فكرة عما كان عليه الحال منذ ثلاثة أيام فقط. أحد الأمور هو أن عمال المجلس ملئوا المراحيض بالأسمنت وانتزعوا كابلات الكهرباء خارج الحائط. وتركوها على حالها، كان يمكن أن تسبب حريقًا".

قال: "لا أشك أنهم كانوا ينفذون التعليمات".

"هل تقصد أنه وجهت إليهم تعليمات بترك الكابلات بهذه الخطورة؟ وبسد مصدر المياه الرئيسى بالأسمنت؟ هل يا ترى تعرف هيئة المياه بهذا؟"

احمر وجهه، وبدا غاضبًا. ودون أن تنظر إليه فتحت بابًا بعد الآخر فى الطابق الأرضى، وتلكأت قليلاً فى المطبخ. "الكهربائى قد جعل الأسلاك آمنة هنا، لكن من حسن حظكم لم ينشب حريق هنا. لقد قالت مارى ويليامز إنكم زرتم هذا المنزل. كيف لم تلاحظوا الكابلات؟"

فى الطابق الأعلى، قالت، وهى تعرف أنه بالنسبة لهذا الرجل أى شىء غير سليم، حتى لو مجرد حشية على الأرض وليست على فراش، لابد أن تكون مواجهة إلى الأبد: "بالطبع، عليك أن تصدق ما أقوله لك. هذه الغرف كانت فى حالة مزرية لا يمكن وصفها عندما جئنا، لكننا قد بدأنا لتونا".

قال بعجرفة: "إنها فى حالة مزرية لا يمكن وصفها الآن"، وهو ينظر إلى الغرفة التى تنام فيها هى وجاسبر، كان كيسا النوم يبدوان مثل قشرة تركها ثعبان بعد تغيير جلده بجوار الحائط.

"المسألة نسبية. أظن أنك سوف تندهش لو جئت فى خلال شهر من الآن".

قال بسرعة، ليأخذ لنفسه فرصة: "قلت لك، لا تتوقعى شيئًا".

"لو تُرك هذا المكان مهجورًا مرة أخرى، فلسوف يمتلئ بالمخربين والمهملات فى خلال أسبوع، أنت تعرف هذا. من حسن حظكم أننا جئنا هنا. إننا نعيد إصلاحه ليصبح قابلا للاستخدام، بدون تكاليف على دافعى الضرائب".

لم يُجِبْ على هذا. وفى صمت انتقلا بين الغرف فى الطابق العلوى، التى كانت رائحتها طيبة الآن، والهواء يهب فيها. وراح غريزيًا يغلق نافذة بعد الأخرى، فكرت آليس مبتسمة أنه يفعل ذلك فى حالة من المبالغة الفاضلة والمتوترة المعتنية بالتفاصيل، مثل ربة منزل غاضبة.

نزلا إلى الطابق الأرضى. قال: "حسنًا، ينبغى أن أوافق معك - ليس ثمة سبب لهدم هذين البيتين، يمكن أن أرى هذا. لابد أن أعيد بحث الأمر".

قالت آليس، بلطف وبرود: "إلا إن كان هناك من سوف يستفيد من ذلك. هل رأيت المقال المنشور فى صحيفة الجارديان؟ 'فضيحة بيوت المجلس؟:

قال: "نعم، إن صح أن أقول هذا. لكنه لا علاقة له بهذه الحالة".

"فهمت".

كانا عند الباب.

كانت تنتظر. إنها تستحق وعدًا. وقد جاء. قال الموظف، دون أن يبتسم ولكن جسده كله يعبر عن تضامن خارج عن إرادته: "سوف أضع القضية بالنسبة لك غدًا. لكنى لا أعد بشىء. والأمر لا يتوقف على هذا البيت، ولكن البيت المجاور أيضًا. إننى ذاهب هناك الآن".

مرة أخرى، نسيت آليس البيت المجاور.

ذهب بوب هود، جرت إلى نافذة صغيرة تطل على البيت المجاور، وراحت تراقب، فى نوبة من الإحباط، كيف أن الشاب النظيف الأنيق المصفف الشعر وقف ينظر إلى أكوام القمامة فى تلك الحديقة، ورأت التعبير على وجهه كما كان على وجوه رجال القمامة: اشمئزاز غاضب، وعدم تصديق.

ولعدم قدرتها على تحمل ضربات قلبها وتقلب معدتها، انهارت آليس، ببطء، وقد فقدت فجأة كل طاقة فيها، وانهارت فى غرفة الجلوس فى لحظة دخول بات مع فيليب.

سألت بات: "حسنًا؟"، وكان وجه فيليب تتجمد عليه مشاعر الحاجة، والأمل، عيناه كانتا تتوسلان.

قالت آليس: "الأمر غير مضمون"، وبدأت تبكى، مما أثار غضبها أيضًا.

بكت: "آه، يا إلهى، يا ربى، ما أسوأ هذا. أوه، لا".

كانت بات قريبة من ذراع المقعد الذى كانت آليس تتكوم عليه، وضعت ذراعيها حول الكتفين المكتئبين وقالت: "إنك متعبة. يا لها من مفاجأة! أنت متعبة".

نهنهت آليس: "سوف ينتهى الأمر على ما يرام، أعرف ذلك، سوف يكون، أنا أشعر بذلك".

من الصمت، عرفت أن بات وفيليب فوق رأسها يتبادلان النظرات التى تقول إنها - آليس - لابد من إضحاكها، وتطييب خاطرها، والربت عليها، وإعطائها قهوة من الترموس، ثم براندى من زجاجة مُدّخرة لحين الحاجة. لكنها كانت تعرف أن بات، رغم أن اهتمامها حقيقى، إلا أنه ليس مثل اهتمام فيليب واهتمامها هى. قلب بات أبدًا لن يدق، ولن تتقلب معدتها... ولهذا السبب لم تقبل المشاعر الأخوية التى أحاطتها بها بات، وظلت هى نفسها، وحيدة، حزينة، ومنعزلة، تشرب القهوة، والبراندى. كان فيليب هو باعثها، مسئوليتها: "عائلتها"، هكذا شعرت، لأنه كان مثلها. ورغم ذلك فقد سرها أن تكون بات حليفة لها.

وهنا وصل جاسبر وبرت، وقد جاءا بما التقطاه من لندن، ذلك المقلب العظيم المحظوظ، وطارت آليس إلى الصالة - لترحب بحمل من الأشياء التى ينبغى تخزينها؛ والتى غيرت مشاعرها وأعادت إليها الطاقة. وقالت غاضبة: "أوه، الأشرار المهملين لكل شىء"، وهى ترى أكياسًا بلاستيكية ملآى بالستائر، التى ألقيت فقط لأن شخصًا ما قد ملها؛ وثلاجة، ومقاعد وأخرى بلا مسند، ومناضد - كلها صالحة للاستخدام، لو فقط أنفقت دقائق قليلة فى إصلاحها.

وخرج برت وجاسبر مرة أخرى؛ لقد كانا مبتهجين ويستمتعان بالأمر. كانا رفيقين متناسبين حقًا، فريقًا؛ وحدت بينهما هذه المهمة، فرش البيت. وكانت معهما السيارة طوال اليوم، ولابد أن يستفيدا من وجودها لأقصى حد ممكن.

ترك فيليب وبات موضوع السقف ليساعدا آليس فى وضع الأثاث فى أماكنه، وطارا لشراء الأشياء المناسبة لتعليق الستائر، والتى أخرجت آليس النقود اللازمة لها.

أسرعوا يتحركون فى كل مكان، فوق وتحت، يجرون الأثاث، يعلقون الستائر، ينشرون فى الصالة سجادة كبيرة لم تكن تحتاج إلا بعض التنظيف لتصبح رائعة.

عاد برت وجاسبر فى أواخر العصر وقد طافا حول مايفير وغابة سانت جون، بحمل آخر، وقالا إن هذا كل شىء، لن يكون هناك المزيد اليوم وجلس سكان البيت فى المطبخ يشربون الشاى ويأكلون شرائح لحم مجفف وبيض تم طهيه على الموقد، وصوت الثلاجة يصاحبهم فى خلفية المشهد.

وفى وسط هذه الوجبة، التى كانت توازنا دقيقًا للمصالح، نتيجة إرادة طيبة حريصة ومحسوبة، كان ثمة طرق على الباب. غير أنه كان طرقًا مترددًا، وليس استدعاء دكتاتوريًا. التفتوا كشخص واحد؛ من المطبخ كان يمكنهم رؤية الباب الأمامى، وكان يُفتح. وقفت امرأة شابة هناك، وحدق الآخرون - صديقة من هذه؟ - بدأ قلب آليس يدق. فقد كانت تعرف كل شىء، من الطريقة التى كانت تنظر بها هذه الزائرة فى الصالة، التى كانت قد فرشت بالسجادة، وتوحى بالدفء، وتبدو لائقة وإن كانت الإضاءة ضعيفة، ثم نظرت الزائرة إلى السلالم القوية، ثم إليهم جميعًا. كانت تعبر عن تصميم وهدف.

أكدت آليس: "المجلس، إنها مارى ويليامز. زميلة ذلك الفاشستى الصغير الذى كان هنا اليوم. لكنها لا غبار عليها...". كانت تعرف أن هذا هو بداية حقيقية لجدال سوف يأخذ وقتًا فيما بعد، ربما فى نفس الليلة. وربما ليس جدالا، ليس مرارة، ولكن مجرد مناقشة ودودة - أوه، راحت آليس تدعو فى نفسها، أن ينتهى كل شىء على خير، وانسحبت من بين الآخرين، قائلة: "لا مشكلة هناك، فقط سوف....".

وأغلقت الباب على المطبخ، وفى ضحكة عبرت عن أنها تتخذ موقف الرئيسة، غير أن ذلك لم يكن مستحيلا. أوه، يارب، يارب، يا رب، كانت تردد فى داخلها - القدر، ربما - وهى تذهب باسمة تجاه مارى التى كانت تقف مبتسمة فى نوع من الاسترضاء.

كما توقعت آليس تمامًا، بدأت مارى قائلة: "لقد مررت بالمكتب، فقد كنت فى جولة اليوم، كما تعلمين، فهم يرسلون الموظفين فى جولات، وأنا أقوم بالعلاقات الاجتماعية ـ ورأيت بوب خارجًا. قال لى إنه جاء هنا...". كانت آليس تفتح باب غرفة الجلوس، والتى كانت تبدو مثل أية غرفة جلوس فى أى بيت، رغم أنها بالية قليلا، ورأت وجه مارى القلق يهدأ، وسمعت تنهيدتها.

جلستا. والآن كانت مارى هى التى تلتمس، وكانت آليس هى الحكم. وساعدت آليس قائلة: "إنه بيت جميل، أليس كذلك؟ من الجنون هدمه".

انفجرت مارى: "حسنًا، إنهم مجانين". (لاحظت آليس نطقها لكلمة "إنهم" بنوع من الجفاف، والابتعاد، والتعجب). "عندما اخترت مهنة الإسكان، كان ذلك لأننى فكرت.. حسنًا، إننى سأساعد الناس على السكن، سوف أساعد من لا يملكون مسكنًا، لكن لو كنت أعرف... حسنًا، لقد تخلصت الآن من الوهم، وإذا عرفت بما يجرى."

"لكنى أعرف".

"حسنًا، إذًا..."

احمر وجه مارى، كانت عيناها تتوسلان: "سوف أدخل فى الموضوع مباشرة. هل تظنين أنه يمكن لى أن آتى وأعيش هنا؟ إننى أحتاج ذلك. ولا يتوقف الأمر علىّ وحدى. إننا نريد أن نتزوج ـ أنا وفتاى، ريجى. إنه أخصائى فى الكيمياء الصناعية". فكرت آليس، مهنة الكيميائى هذه ذُكرت لطمأنتها، مع بدايات شعور بالاحتقار حاولت رغم ذلك كبته بعيدًا عن أن يظهر. "لقد كنا ندخر لشراء شقة، لكنه فقد عمله. الشركة أغلقت. ومن ثم اضطررنا للتخلى عن تلك الشقة. وكان يمكن أن نعيش مع أمى أو مع والديه، ولكن... لو عشنا هنا سوف نتمكن من توفير بعض النقود...". لقد أخرجت كل هذا بصعوبة، كارهة دور الشحاذة؛ ونتيجة ذلك المجهود كان قرارًا واضحًا، أشبه بأمر.

لكن آليس كانت تفكر، ياه، اللعنة، لا، إن الأمر أسوأ مما كنت أتصور. ماذا سيقول الآخرون؟

ولعبت على كسب بعض الوقت قائلة: "هل تريدين رؤية البيت؟"

قالت مارى منفجرة فى الدموع: "أوه، يا إلهى، قال بوب إن هناك حجرات وحجرات فى الأعلى، كلها خالية".

"إنه لا ينوى أن يسكن معنا!"، قالت آليس ذلك وهى لا تعلم أنها سوف تقوله، بكل تلك الكراهية الباردة له التى جعلت مارى تتوقف عن البكاء وتحملق.

قالت: "إنه لا غبار عليه، حقًا. عيبه الوحيد طريقته".

قالت آليس: "لا، ليس فقط طريقته".

"ربما لا ...".

هذا الاعتراف بسوء بوب جعل آليس تشعر بمودة أكثر، وقالت برقة: "هل عشت أبدًا فى أحد البيوت المهجورة عن طريق وضع اليد؟ لا أظن أنك فعلت! حسنًا، لقد جربت ذلك، فى أماكن عدة. الأمر يحتاج إلى حذر؛ لابد أن يكون السكان متوافقين معًا".

كانت عينا مارى الجائعتان - فكرت آليس أنهما مثل عينى القط المسكين - تأكلان وجه مارى بالحاجة لأن تكون ما تريده آليس. قالت: "لم يقل أحد أبدًا إننى صعبة المعشر"، محاولة أن تبدو فكهة، وتنهدت.

قالت آليس، متكلفة الجدية: "معظم الناس هنا يهتمون بالسياسة".

"ومن لا يهتم بها؟ إن واجب كل إنسان فى أيامنا هذه أن يكون سياسيًا".

"إننا اشتراكيون".

"حسنًا، طبعًا".

غمغمت آليس: "اتحاد الوسط الشيوعى".

"الشيوعى؟"

فكرت آليس، لو ذهبت إلى ذلك الاجتماع غدًا وقالت: إنهم شيوعيون... إنها قادرة تمامًا على أن تفعل ذلك، ومع ابتسامة ديمقراطية مشرقة! قالت: "ليس شيوعيين، مثل الحزب الشيوعى البريطانى". وهى تنظر بإمعان إلى وجه مارى، لأنها عرفت أن ما رأته مارى كان مطمئنًا - إلا إن كانت آليس تنظر نظرتها المعهودة، وكانت متأكدة أنها ليست كذلك - قالت بحزم: "لقد ضل الرفاق فى روسيا الطريق. لقد ضلوا الطريق منذ زمن بعيد".

قالت مارى: "لا جدال فى ذلك"، بنوع من الازدراء الخفيف، الرشيق، وهى تمسح عينيها بمنديل. جلست متمالكة نفسها، فتاة عادية لطيفة، شعر بنى لامع، وبشرة شابة. كإعلان لصابون تواليت من النوع متوسط الجودة. لكن غدًا يمكنها أن تقرر مصيرهم جميعًا، فكرت آليس فى هذا وهى تفحصها بفضول. لو قالت لبوب فى صباح الغد وهما يتشاركان فى شرب القهوة قبل المقابلة: "لقد مررت فى الليلة الماضية بذلك البيت، كما تعرف، رقم ثلاثة وأربعين طريق أولد ميل، ويا إلهى، أى نظام هذا!"، فيمكن أن يغير رأيه، بكل بساطة، خاصة وأن البيت المجاور فى هذا الحال المزرى.

سألت: "هل قال بوب هود أى شىء عن البيت المجاور؟"

"قال إنه ليس به عيب فى البناء"

وانفجرت آليس غير قادرة على كبت نفسها: "إذًا لماذا؟ لماذا، لماذا، لماذا؟"

"كانت الخطة هى بناء كتلتين سكنيتين للشقق مكان هذين البيتين. لا، ليست شققًا سيئة، بل شققًا جيدة فعلا، لكنها لن تكون مناسبة، وسط تلك

البيوت المجاورة هنا". وأضافت بمرارة، وقد نسيت وضعها: "لكن أحد المتعاقدين سوف يكسب كثيرًا من ذلك". وهنا، ذهبت خطوة أسوأ: "إسناد الأعمال للمعارف". وصدمت من نفسها، فألقت إلى آليس بنظرة سريعة مرتبكة، وأضافت ابتسامة لطيفة.

قالت آليس: "لا يمكن أن ندعهم يفعلون هذا".

"أوافقك. حسنًا، إن ما يهم هو ما يقوله بوب، وهو فى حالة غضب شديد، حقًا. وهو ينوى أن يحارب بالفعل. ويقول إنها جريمة أن يتم هدم هذين البيتين". وترددت، ثم سارت فى تهورها إلى ما كانت تشعر بوضوح أنه مناسب لحماقة أسوأ، قائلة: "لقد كنت منضمة لمجموعة من المناضلين لبعض الوقت، لكنى لا أحب وسائلهم. ومن ثم فقد تركتهم".

جلست آليس صامتة فى دهشة. مارى، فى النضال! حسنًا، بالطبع لن تحب الأساليب النضالية. ولن تحب أساليب آليس وجاسبر وبات وروبرتا وفاى. ولا بالطبع أساليب جيم (هكذا ظنت آليس). لكن أن تذهب مارى هذه نحو النضال ولو عن بعد، هذا مستحيل! سألت بحذر: "وريجى؟"

"كان يحاول النضال لنفس السبب الذى دفعنى إليه. وقد صدمنى ما رأيته يحدث فى العمل، إسناد الأعمال للأصدقاء، كما قلت....". مرة أخرى، تلك الابتسامة الوجيزة المفتعلة، مثل اعتذار متجمد. "وقد قررنا فى وقت واحد أن الأسلوب النضالى ليس لنا. فالتحقنا بالسلام الأخضر".

قالت آليس، آملة: "حسنًا، بالطبع، لكن لو كنتما تروتسكيين.....". لو ثمة بصيص ضئيل من الحظ ستقول مارى نعم، وأنها تعد نفسها من التروتسكيين، وفى هذه الحالة بالطبع سيكون البقاء فى هذا البيت مستحيلاً.... لكن مارى سمعتها تقول: "لسنا نتبع أى شىء حاليًا، فقط السلام الأخضر. فكرنا أن نلحق بحزب العمال، لكننا نحتاج لشىء أكثر...".

قالت آليس: "ديناميكية،" مختارة لفظًا قويًا ينطوى على إشباع للكبرياء، لكنه ليس أيديولوجيا. "أعتقد ربما يناسبكما اتحاد الوسط

الشيوعى. على أية حال، تعالا وانظرا البيت". نهضت، وكذلك مارى ـ وبدا الأمر أشبه بإنهاء مقابلة. قررت آليس أنها حقيقة تشعر بالمودة نحو مارى. إنها تصلح. لكن ماذا عن ريجى؟ صاحب التفكير فى ريجى المرأتين وهما تطوفان بسرعة بالطابقين العلويين. كانت آليس تفتح الأبواب على غرف خالية، وسمعت كيف كانت مارى تتنهد وتشتاق، ولم يكن الأمر مدهشًا على الإطلاق أن تسمعها تقول، وهما تنزلان إلى الطابق الأرضى مرة أخرى: "الحق أن ريجى موجود فى الحانة الكائنة فى الطريق إلى هنا".

ضحكت آليس، ضحكة بنت نشيطة، ولحقت بها مارى بعد وقفة قصيرة، بضحكة صغيرة مقطوعة الأنفاس.

قالت آليس: "الأمر هو أننا ينبغى أن نناقش ذلك. كلنا. قرار جماعى، تعرفين".

"لو عدنا بعد حوالى نصف ساعة؟"

قالت آليس: "أكثر من ذلك"، ثم أضافت، بسبب عينى مارى المتوسلتين: "سوف أفعل كل ما أستطيع".

دخلت المطبخ، حيث كانوا يجلسون فى جو من الراحة (هى التى صنعته)، وجلست، ثم عرضت الموضوع عليهم.

بسبب كل ذلك الطعام وتبادل الحديث والجو الطيب مع الجماعة، كانت هناك عاصفة من الضحك. بل إنهم حرفيًا وقعوا من الضحك. لكن كان ثمة طبيعة مسرحية فى هذا لم تعجب آليس كثيرًا.

وأخيرًا ساد الصمت، وقالت بات: "آليس، تقولين إنه إن لم نقبلهم هنا، فلن نحصل على هذا البيت؟"

لم تجب آليس فى الحال. وأخيرًا قالت: "إنها لن تقوم بشىء سيئ عامدة، هذا أنا متأكدة منه. ولكن، إن كانت سوف تأتى لتعيش هنا، فسوف تكون حريصة فى كل ما تقول. إنها الطبيعة البشرية"، كان صوتها واهنًا، ولكن باستخدام عبارة أبعد ما تكون عن الغموض.

أصرت بات: "ماذا يمكن أن تقوله ويصنع فارقًا؟"

"لو قالت، إنهم عصابة من الحُمر، فسوف يجد بوب هود فورًا سببًا لطردنا. إنها لا تهتم، لأنها هى نفسها كذلك".

سأل برت، ضاحكًا: "هذه الفتاة ثورية؟"

"إنها تروتسكية، إلى حد ما. أو كانت كذلك".

قال برت بحزم وإن كان بمودة: "إذًا كيف يمكن أن يأتيا ويعيشا هنا يا آليس".

"لا أظن أنها شديدة التمسك بأى شىء، فى الوقت الحالى. من الناحية الأيديولوجية. وعلى أية حال...."، استمرت بإصرار وشجاعة، وهى تعلم كم كلفتها مثل هذه المناقشة فى الماضى، حيث سببت توجيه كل أنواع الاتهامات إليها: "ألسنا كذلك بمعنى من المعانى؟ على أية حال، إننا لا نقول إن تروتسكى لم يكن له وجود أبدًا! إننا نعطيه حقه من المديح لإنجازاته. إننا نقول إن لينين كان القائد الحقيقى للعمال، ثم أخذ الرفاق منحنى خاطئًا مع ستالين. إن كان القول بأن تروتسكى كان رفيقًا طيبًا، وأنه اتخذ المنحنى الخاطئ يجعل منك تروتسكيًا، فإننى لا أعرف لماذا لسنا كذلك؟ على أية حال، لا يبدو أننى أتذكر أننا فى الواقع حددنا مسارنا حسب تروتسكى. ليس فى أ.و.ش. على أية حال".

قال جاسبر: "أوه، آليس"، بنغمة من يشعر بتفوقه، "الأيديولوجية ليست مسارًا مناسبًا لك".

قالت بات، بعد إن كانت قد تبادلت نظرات كافية مع برت: "حسنًا، من ناحيتى أنا لا أظن أن هذه هى اللحظة المناسبة لتحديد مواقفنا من الرفيق تروتسكى. هناك شىء صحيح فيما تقوله آليس. ولكن ليس هذا هو ما أقصد إليه. إن قصدى هو أن هذا الأمر من أن يكون لدينا بيت نظيف جيد وسقف فوق رءوسنا هو بداية لتحديد هويتنا. هذا هو ما نفعله".

قالت آليس: "لقد أخذ الأمر أربعة أيام... أربعة أيام"، وكانت تتوسل من أجل العدل.

"نعم، لكن الآن يبدو، وكأننا سوف ينضم إلينا شخصان هنا فقط لكى نتمكن من الاحتفاظ بالبيت".

قال جيم: "لماذا لا نطلب منهما الانضمام إلى أ.و. ش. أنا سوف ألتحق".

قال برت، بعد وقفة تفكير: "حسنًا، لم لا؟" رأته آليس هو وجاسبر يتبادلان نظرة تفكير طويلة. كانت تعرف أنهما يفكران أنه من المحتمل أن سيكون عليهما أن يذهبا إلى البيت المجاور ليسألا أحدًا - مَنْ هو؟ - أن يشير عليهما. أو يعطيهما تعليمات.

قالت: "لابد أن نقرر الليلة. المقابلة غدًا". والآن كانت نظرتها المعتادة تلك قد عادت بالفعل إلى وجهها. كان هذا واضحًا فى صوتها؛ وظاهرًا للآخرين، الذين التفتوا ليروا كيف كانت تجلس فى حالة غيظ ومعاناة.

كان برت وجاسبر لا يزالان يحلقان فى بعضهما بطريقة تجريدية. إن ما كانا يفعلانه فى الواقع هو أنهما كانا يديران فى رأسيهما ما قاله شخص ما فى البيت المجاور، ويتساءلان كيف يمكن أن يجعلا الحالة تتلاءم مع ما قيل.

قال برت: "لا أجد مشكلة فى أن نطلب منهما أن ينضما إلينا. إننا نتحدث باستمرار عن رغبتنا فى تجنيد آخرين. ويبدو لى أن هذين الاثنين قد يكونان ناضجين. نالا بعض التعليم السياسى...."، ومع هذه الكلمات، قام هو وجاسبر كشخص واحد، وخرجا، بينما قال جاسبر: "سنعود بعد دقيقة".

قالت بات: "وأنا سأخرج لزيارة شخص ما".

"لكن، ألا تريدين مقابلة مارى وريجى؟"

هزت بات كتفيها، وابتسمت، وغادرت المكان. وتذكرت آليس ـ كما كانت متأكدة من أن بات قد قررت ـ إنها لا تهتم حقًا، فلسوف تغادر على أية حال.

وبقيت آليس وجيم وفيليب.

وسرعان ما جاءت مارى، مع رجل ما أن رأته آليس حتى وجدت نفسها تفكر "حسنًا، بالطبع!" ـ أى أنه ومارى كانا متناسبين. ليس فى المظهر، فقد كان طويلاً، متكتلاً، بشرته شديدة البياض، عيناه صغيرتان سوداوان يعلوهما حاجبان كثيفان حالكا السواد، وشعر أسود ناعم جدًا. ويبدو أنه سوف يصيبه الصلع مبكرًا. أما ما بدا أنه متفق بينهما فهو جو من الاعتدال، من الحس العام البديهى الذى تفرضه فكرة ما ينبغى أن يكون. ما ينبغى أن يكون، أى بالنسبة لما يحيط بهما، بالنسبة لأقرانهما، وللمجتمع. كانت آليس تبدو جديرة بالاحترام، وكانت تعرف هذا. ولم يكن الأمر أنها لم تكن تقدِّر هذا النوع من الحس الطيب؛ ولكنه لم يكن نوع الحس الذى يمكن أن يكون مناسبًا هنا، فى هذا المنزل. كان سماحها لأناس آخرين لديهم حاجة لذلك الدعم والتأييد شعور غير محدود بالتسامح. كانت تفكر، يا إلهى، لقد ولدا ليكونا برجوازيين صغيرين لطيفين فى بيت صغير لطيف. وسوف يكون عليهما بعد ذلك القلق على معاش تقاعدهما.

شعرت عندما رأتهما معًا بأن هناك خطأ يحدث. لا ينبغى أن يكونا هنا. لقد شعرت بالمودة نحو مارى عندما كانت وحدها. أما رؤيتها مع رجلها، ريجى، فقد شعرت آليس بالتباعد، مع بدايات مشاعر عدائية قوية.

ابتسمت لهما: "اجلسا". ووضعت الطاسة على الموقد وأدارت مفتاح الكهرباء. بكل أسف: قد يكون موقد غاز أفضل كثيرًا. حسنًا، سوف يجدون واحدًا فى أحد المقالب، أو يمكن حتى شراء واحد معدل بعشرة جنيهات أو ما إلى ذلك.

التفتت لترى ريجى يتأمل جيم فاحصًا، وفكرت. بقليل من الحظ يمكن أن يكون عنصريًا من ناحية اللون، فلا يقبل بأن يكون هنا. ولكن لم يكن ثمة حظ: لقد بدا أنه معجب بجيم. أو، إن كان لا يحب السود، فإن سلوكه لم يفصح عن شىء من ذلك. بالطبع، فكرت آليس، هذه الطبقة، الطبقة الوسطى اللعينة، لن تكتشف أى شىء فى سلوكهم، التهذيب هو كل شىء. ولكن لا، لقد كان أصيلاً، كانت متأكدة من ذلك؛ فلغة الجسد ـ وهى شىء كانت آليس تفهمه بالغريزة، قبل أن يكون لها اسم اصطلاحى بزمن طويل ـ أفصحت لها عن أن ريجى كان على ما يرام مع اللون، على الأقل. جلست تستمع إليهما يتحدثان، كل شىء سهل، ريجى مع جيم، ومارى مع فيليب. صبت أكوابًا من القهوة ووضعت أمامهم طبقًا من الكيك.

ثرثرة. كيف استطاعت هى، آليس، أن تصلح كل الأمور مع هيئة الكهرباء، وسوف تفعل مع هيئة الغاز. هيئة المياه، بالطبع، سوف يتم إبلاغها. لم تقل آليس إن هيئة المياه قد لا تطلع على أمرهم لشهور، وأنها لم تكن تنوى أن تجذب انتباههم. فهذان الاثنان كانا من دافعى الفواتير وأمناء الحسابات.

قالت، لتحذيرهما: "لقد عشت فى كثير من البيوت المهجورة، وسوف يكون عليكما أن تقبلا، بعض الناس لا يقومون بما يجب عليهم القيام به. إنهم لا يفعلون وحسب".

وهنا قال جيم، وقد شعر بالاستياء: "حتى جئت أنت لم يكن هناك أى شىء ينبغى دفعه، أليس كذلك؟" وقالت: "لا، أنا لا أتكلم عنك، أنا أتكلم عن الحالة. ليس من الطيب أن ينتقل هذان الاثنان معنا ويتوقعا أن يكون كل شىء منتظمًا".

قالت مارى: "ولكن مع وجودِ أناس كثيرين هنا، سيظل الأمر أرخص من أى شىء آخر، مع عدم دفع إيجار".

قال ريجى: "بالضبط". ودخل فى الموضوع مباشرة، بقوله: "حدثينا عن أ. و. ش؟ أنت تعرفين، إننا لم نسمع عنه أبدًا. أنا ومارى تحدثنا فى الحانة. هذا الاسم لم يطرق آذاننا من قبل".

قالت آليس: "حسنًا، الحق إنه ليس حزبًا كبيرًا. ولكنه ينمو. عندما أسسناه، لم يكن هدفنا أبدًا أن يكون حزبًا ضخمًا؛ لا نريد له ذلك. فتلك الأحزاب الضخمة تفقد الاتصال بالشعب".

قال ريجى: "هذا صحيح فعلا"، لكنه قال ذلك بحرص، وكأنه كان يمكن أن يقول أشياء أخرى، وفكرت آليس: سوف يتبادل هو ومارى النظرات... لم يفعلا، ولكن بمجهود كان شديد الوضوح حتى أنها فكرت بازدراء: الناس عجيبون للغاية. إنهم يتبادلون النظرات كما لو لم يكن أحد يستطيع رؤيتهم، ولا يعرفون مدى كشفهم لأنفسهم ببساطة..... أى أحد يستطيع أن يدرك ما يفكر فيه الناس.

قال ريجى: "أ.و. ش - أى اتحاد الوسط الشيوعى؟"

"الوسط، لأننا أردنا ألا نبدو مجرد منحرفين يساريين أو مراجعين".

"اتحاد - هو اتحاد بين حزبين، جماعتين؟"

"لا، اتحاد لوجهات النظر. لا مجادلات عقيمة. لا نريد أى شىء من ذلك".

"وأنت مؤسسة الاتحاد؟"

"كنت واحدة من المؤسسين. وجاسبر ويليس. هل سمعت عنه؟" وبينما هز ريجى ومارى رأسيهما، فكرت آليس: لكن ستسمعان. "كثيرون منا. لقد أسس الاتحاد فى برمنجهام. ولدينا فرع هناك، وفى الأسبوع الماضى أرسل أحد الرفاق يقول إنه أسس فرعًا فى ليفربول. ولديه أربعة أعضاء جدد. وهناك الفرع الموجود هنا فى لندن".

هنا أخيرًا لم تستطع مارى وريجى أن يمنعا عيونهما من التلاقى. شعرت آليس بدفقة من الازدراء الحقيقى، الأقرب إلى الكراهية. قالت:

"كل الأحزاب السياسية لابد أن تكون لها بداية، أليس كذلك؟ وأى حزب يبدأ بأعضاء قليلين. حسنًا، لقد بدأنا فقط منذ عام ولدينا ثلاثون عضوًا هنا فى لندن، بما يشمل الرفاق فى هذا البيت". وقاومت إغراء لأن تقول: وبالطبع هناك بعضهم فى البيت المجاور.

سأل ريجى: "وماذا عن سياستكم؟"، بنفس الطريقة الحذرة التى تعنى أن الشخص ليس بسبيله لأن يسمح بالدخول فى مناقشة حقيقية لأنه لابد أن يكون متحفظًا فى إبداء رأيه.

فكرت آليس مرة أخرى، حسنًا، ما عليكما إلا الانتظار، سوف تسمعان باتحاد الوسط الشيوعى. على أية حال، سوف تنضمان إليه، لأنكما تريدان أن تسكنا هنا. انتهازيون! كانت تفكر فى الوقت نفسه، سوف نعلمكما. المادة الخام هى المادة الخام. هكذا ستكونان فى مدى عام واحد، لو لم تكونا قد وفرتما ما يكفى للانتقال من المكان قبل ذلك. وعلى الأقل لن تكونا أنتما - الاثنين - بحاجة للاستعجال لرؤية هذه الخلية تصل إلى نهايتها. وقالت: "إن لدينا بيانًا عن سياستنا. سوف أعطيكما نسخة. لكننا سوف نعقد مؤتمرًا لائقًا الشهر القادم ونعلن فيه كل التفاصيل".

لكنهما لم يكونا يسمعان، ولاحظت آليس ذلك. كانا يفكران فى السرعة التى يمكن بها أن ينتقلا هنا.

وسألا إذا ما كان يمكنهما إحضار بعض الأثاث، وعرضا إحضار أوانٍ وأطباق وغلاية كهربائية.

قالت آليس: "نقبل مع الامتنان"، وهكذا راحوا يثرثرون حتى عاد جاسبر وبرت من البيت المجاور، وعرفت آليس أنه لم تكن ثمة مشكلة على الإطلاق فى بقاء هذين الاثنين. ليس من قبل الموجودين فى البيت المجاور، على أية حال، مهما ظهر بعد ذلك؛ رغم أن روبرتا وفاى كانتا شيئًا آخر.

جلس ريجى بهدوء، مائلا للخلف فى المقعد، يحاول أن يلخص جاسبر، ويلخص برت. وعرفت آليس أنه شعر بالدفء نحو برت. حسنًا،

لقد كانا من نوع واحد. لم يكن مثل جاسبر. أوه، كانت تعرف تلك النظرة عندما يلتقى الناس بجاسبر لأول مرة. وتذكرت كيف أنها هى أيضًا، عندما رأت جاسبر لأول مرة منذ سنوات كثيرة، شعرت بحذر غريزى، أو انكماش. وانظر كم كانت مخطئة.

فى الحادية عشرة، ذهبت مارى وريجى؛ كانا يخشيان أن يفوتهما آخر قطار عائد إلى موسويل هيل وفولهام، حيث يسكنان بالترتيب، بعيدين عن بعضهما.

قال فيليب إنه متعب، وذهب إلى النوم.

وذهب جيم إلى غرفته، وسمعوا الموسيقى الناعمة من جهاز التسجيل الخاص به، تصحبه دقات الطبول الأكثر نعومة.

سألت آليس: "ماذا حدث لفاى وروبرتا؟"، وأجاب برت: "هناك كوميونة نسائية فى بادينجتون، وهما تذهبان إلى هناك كثيرًا".

"ولماذا لا تسكنان هناك؟"

قال برت: "يعجبهما المكان هنا"، بنظرة تقول لا تسألى أسئلة. و....

وصعد برت لينام. وظلت آليس مع جاسبر وحدهما فى المطبخ.

قال جاسبر: "وهو كذلك، سوف أقول لك، أعطنى فرصة".

صعدا إلى غرفتهما؛ لم يقل جاسبر إنها ينبغى أن تنتقل خارجها، أو إنه سوف يفعل ذلك؛ وتسللت آليس إلى كيس النوم، كما يتسلل كلب إلى مكان محبب، متفاديًا النظر، بأمل ألا يلاحظ أحد.

واستطاعا أن يسمعا برت يتحرك فى الغرفة المجاورة. قال جاسبر: "برت وبات سيذهبان فى إجازة آخر الأسبوع". كان من المؤلم سماع صوته.

طيبت آليس خاطره المتأسى لفقد برت: "آخر الأسبوع فقط". أما بالنسبة لها، فقد قال لها قلبها المحزون كم سوف تفتقد بات، حتى لو لمجرد آخر الأسبوع. "إلى أين سيذهبان؟"

"لم يقولا، ولم أسأل".

ورقدا بمودة بجوار حائطهما، أقدامهما لا تبعد كثيرًا عن بعضها البعض. لم يجدا ستائر بعد لهذه الغرفة، وكانت الأضواء القادمة من السيارات فى الخارج لا تزال تطارد بعضها عبر السقف، والبيت كله يرتج رجة خفيفة مع مرور سيارات النقل الثقيل متجهة إلى الشمال، فيعطى آليس شعورًا مريحًا بالألفة، كما لو كانا يعيشان هنا منذ أشهر، وليس أيامًا؛ بدا وكأنها قد عاشت كل حياتها فى بيوت ترتج بسبب النقل الثقيل.

"هل تحبين أن تأتى إلى الإضراب غدًا؟"

قالت آليس بأسى: "لكنى لابد فى الواقع أن أكون هنا".

"حسنًا، فى ليلة السبت يمكن أن نذهب ونرسم بعض الشعارات".

حاولت أن تثبت صوتها لكى لا يفصح عن تدفق الفرحة والشعور بالامتنان. "سوف يكون هذا طيبًا، يا جاسبر".

"نعم، أحضرى بعض الألوان الرش". والتفت إلى الحائط. لم يكن ثمة ما يدل على أنها سوف تسمع شيئًا عن البيت المجاور الليلة. لكن غدًا، مساء الغد... ربما. أما فى يوم السبت..

***

استيقظت عندما استيقظ جاسبر، فى السابعة، ولكنها ظلت راقدة، تراقبه بعينين شبه مغلقتين. كان جسده النحيل القوى مليئاً بطاقة من الآمال. كان كل شىء فيه - من أول شعره البنى الفاتح بلون الزنجبيل (والذى كانت تفكر فيه أنه بلون القرفة)، إلى قدميه الصغيرتين الرشيقتين، اللتين كانت تعشقهما لأنهما كانتا شديدتى البياض والنحافة - كل شىء فيه كان ممتلئًا بالحياة. بدا أن ارتداءه ملابسه يحدث بحركات راقصة، ووجهه الشاحب بدا بريئًا وحلوًا عندما وقف لحظات عند النافذة، ليرى كيف كان الجو من أجل قضاء اليوم فى الإضرابات. كان مظهره يبدو

منتشيًا حالمًا، وهو يمر عبر آليس التى تبدو نائمة نحو الباب. لم ينظر إليها.

استرخت، راقدة على ظهرها، وتسمعت. دق الباب المجاور، وسمعت ردًا مترددًا من برت، وإشارة بات: "وهو كذلك، نحن مستيقظان"، ثم الدق على باب روبرتا وفاى. هل سيدق على باب فيليب؟ لا، ليس فيليب، فهى تحتاجه هنا! لكن لم تكن ثمة دقة أخرى، ثم بدأت تقلق: أتمنى ألا يكون فيليب يشعر بأنه خارج المجموعة، أو أن أحدًا يزدريه؟ دقة على باب الغرفة التى تحت هذه مباشرة - الغرفة الكبيرة الخاصة بجيم، رغم أنها كانت فى الواقع غرفة معيشة، وربما ينبغى أن تستخدم هكذا... لا، هذا ليس عدلا. وسمعت صرخة مجفلة من جيم: لكنها لم تستطع أن تقرر إن كان مسرورًا لإيقاظه أم لا.

كانت أصوات عودة الحياة إلى البيت. يمكن لها أن تنزل إن أرادت، وتجلس مع المجموعة المرحة حتى يذهبوا فى طريقهم وهى تودعهم بالابتسامات، لكن فمها كان جافًا وكانت تشعر بوخز فى عينيها. لسبب ما - ربما حلم؟ - أرادت أن تبكى، وأن تعود إلى النوم. أن تستسلم. وكانت لا تثق فى مشاعرها؛ فقد كانت معها منذ نعومة أظفارها: الشعور بأنها خارج الجماعة، أنها منبوذة. غير مرغوبة. وكان هذا سخيفًا، لأن كل ما كان عليها أن تقول إنها ذاهبة، أيضًا. لكن كيف يمكنها هذا، إن كان مصيرهم، مصيرهم جميعًا، سوف يتقرر هذا الصباح فى المجلس، وكان من المؤكد بدون أدنى شك أن البيت سيكون لهم. عندما خرجت مارى قائلة: "سوف أفعل كل ما بوسعى"، لم يكن لهذه العبارة معنى إلا ذلك. واستحضرت آليس بوب هود فى عقلها، وحدقت إلى الشاب المضبوط مطلق الأحكام، ورغبت منه أن يفعل ما تريد. قالت له: "ضع قضيتنا أمامهم"... "اجعلهم يسمحوا لنا بأخذه. إنه بيتنا". وحفظت ذلك فى ذهنها لبضع دقائق، وهى تستمع إلى حركة الآخرين فى المطبخ. وتقريبًا فى الوقت نفسه كانوا جميعًا خارج البيت. ذاهبين للإفطار فى مقهى. أمر

سخيف، شعرت آليس بالغضب: إضاعة كل تلك النقود! تناول الطعام فى البيت هو ما يجب أن يتعلموا فعله. سوف تشير إلى ذلك، وتحدثهم فيه صراحة.

أوه، لقد كانت تشعر فعلا بالإجهاد والحزن.

لسبب ما، فكرت فى أخيها، همفرى، وامتلأت بذلك الغضب الشديد المألوف لها. كيف يمكنه أن يكتفى بأن يلعب لعبتهم؟ مهنة صغيرة طيبة آمنة - قائد طائرة، من كان يمكن أن يفكر فى أنه سوف يقضى حياته بهذه الطريقة! وقد قالت أمها إنه كتب إليها قائلاً إنه أنجب طفلاً. الأول، كما قال. فجأة فكرت آليس: هذا يعنى أننى عمة. لم يخطر هذا ببالها من قبل. اختفى غضبها، وفكرت، حسنًا، ربما أذهب وأرى الوليد. ورقدت هناك مبتسمة لبعض الوقت، فى بيت صامت، رغم طنين المرور الذى يحيط به، ثم استجمعت نفسها بوعى، وقد اكتسى وجهها بنظرة محددة، تدحرجت خارج كيس النوم، وارتدت الجينز، ونزلت إلى الطابق الأرضى. على منضدة المطبخ كانت خمسة أكواب قهوة غير مغسولة - لقد كان لديهم الوقت لشرب القهوة، فلم يذهبوا إذًا إلى المقهى؛ سوف يذهبون فى رحلة بالقطار مرة أخرى؛ لا، لا تفكرى فى هذا. غسلت الأكواب وهى تفكر، لابد أن أنظم المسألة لتكون هناك مياه ساخنة - من المعتاد أن يتم التسخين بالغاز، ولكن بالطبع سرق عمال المجلس الغلاية. وليس بإمكاننا شراء واحدة جديدة. ربما واحدة مستعملة؟ لابد أن فيليب يعرف من أين وكيف..... اليوم سوف يصلح النوافذ، إن أحضرت الزجاج. قال إنه يحتاج لصباح آخر من أجل تركيب الألواح. سبع نوافذ - كم يا ترى سوف يكلف الزجاج لها؟

أخرجت النقود الباقية: أقل من مائة جنيه. وإذا تم حساب كل ما ينبغى شراؤه، وكل ما ينبغى الدفع له... كان جاسبر قد قال إنه سوف يحضر لها نقود البطالة، ولكن بالطبع لا يمكنها أن تشكو، فقد عمل بجدية حقًا بالأمس، أحضر كل تلك الأشياء من المقالب. فى هذه اللحظة

رأت، على طرف النافذة، مظروفًا مكتوبًا عليه "آليس"، وتحت ذلك: "أتمنى لك يومًا طيبًا!" وتحت ذلك "مع حبى، جاسبر". كانت نقودها فيه. أحصتها بسرعة: كان معروفًا أنه يحتفظ بنصفها، قائلا: لابد أن نقدم تضحيات من أجل المستقبل. لكن كانت فى المظروف أربع وريقات من ذات العشرة.

جلست إلى المنضدة، وقد امتلأت بالحب والامتنان. لقد كان يحبها فعلا. فعلا. وكان يقوم بهذه الأشياء الرائعة الجميلة.

جلست مسترخية، على رأس المائدة الخشبية العظيمة. لو أرادوا بيعها، يمكن أن يحصلوا على خمسين جنيهًا مقابلها، بل أكثر. كان المطبخ غرفة طويلة، ليست شديدة الاتساع. والمائدة موضوعة بالقرب من نافذة لها عتبة عريضة. من المنضدة يمكنها أن ترى الشجرة، المكان الذى دفنت فيه هى وجيم الغائط. كان الآن يبدو قطعة أرض داكنة صحية، وخلفها كان سور منزل جوان روبنز. كان سورا طويلاً من الخشب، وظهرت فوقه أطراف الشجيرات، وعليها براعم الأزهار الصفراء لشجيرات الفورسيثية. الطيور. والقط يتسلل فوق السور، وفتح فمه فى مواء بلا صوت، وهو ينظر إليها. فتحت النافذة التى كانت تلمع تحت ضوء الشمس، ودخل القط إلى عتبة النافذة، وشرب بعض اللبن، وأكل فتات الخبز، وجلس لبعض الوقت، وعيناه الخبيرتان مثبتتان على آليس. ثم بدأ يلعق نفسه.

كان فى حالة سيئة، وينبغى الذهاب به إلى العيادة البيطرية.

كل هذه الأشياء التى ينبغى عملها. كانت آليس تعرف أنها لن تفعل شيئًا من ذلك حتى تسمع الأخبار من مارى. سوف تجلس هنا، وحدها، ولن تفعل شيئًا. يا له من شىء مضحك، كانت توصف بأنها متبطلة، لم تكن لديها وظيفة أبدًا، وكانت دائمًا مشغولة. وكان الجلوس بهدوء لمجرد التفكير أجازة بالنسبة لها. أن يكون الإنسان مع نفسه، هذا لطيف. وجاء تهديد الشعور بالذنب مع هذه الفكرة: هذه خيانة لأصدقائها. لم تكن تريد أن تكون مثل أمها، أنانية. لقد اعتادت أمها أن تشكو وتتذمر لكى تفوز بساعة عصر مع نفسها: على الأطفال أن يتحملوا ذلك. الخصوصية. هذا

المكان صنع شيئًا ما بالنسبة للخصوصية؛ ٩٩ بالمائة من سكان العالم لا يعرفون الكلمة. بل ربما لم يسمعوا بها أبدًا. لا، كان هذا أفضل، صحى أكثر، مجموعة من الرفاق. يتشاركون. لكن هنا بدأ القلق يلسع ويضايق، وكانت تفكر: هذا هو السبب فى شعورى بالإحباط هذا الصباح. مارى وريجى. إنهما ببساطة ليسا منا. ولن يستسلما أبدًا ويذوبا معنا، سيظلان زوجين. سوف تكون لهما آراء خاصة عن بقيتنا. حسنًا، إذًا، هذا كان صحيحًا عن روبرتا وفاى، فهما زوجان: وقد أوضحتا أن لهما مواقفهما وآراءهما الخاصة؛ لم يعجبهما ما يحدث الآن، بالنسبة للبيت. وبرت وبات؟ لا، فلم يكن لهما رأيهما الخاص بهما والمضاد للآخرين؛ لكن بات كانت هنا فقط لأنها فى الواقع تستمتع بالجنس. جيم؟ فيليب؟ هى وجاسبر؟

إذا أردنا الواقع، فقد كانت هى وجاسبر الوحيدين الثوريين بشكل أصيل هنا. وشعرت بالروع من هذه الفكرة، ولكنها تفحصتها. ماذا عن برت؟ جاسبر يؤيده. علاقة جاسبر بالرجال الذين يبدون مثل الإخوة الأكبر ليس لها علاقة بانتماءاتهم السياسية، وإنما بطبيعتهم؛ إنهم دائمًا نفس النوع. يتعاملون بسهولة. طيبون. هذا هو. كان برت إنسانًا طيبًا. لكن هل هو ثورى؟ وفكرت آليس، لم يكن من العدل أن أعتبر فاى وروبرتا ليستا ثوريتين أصيلتين لمجرد أننى لا أحبهما.... إلى أين تأخذها هذه الأفكار؟ ما الهدف؟ الجماعة، عائلتها، تكمن فى أجزائها، منتقصة، منتقدة، خارج الوجود. جلست آليس وحدها، تفكر حتى، حسنًا، إن لم نأخذ البيت، فسوف نذهب إلى المكان الخالى الموجود فى بريكستون.

سمعت صوتًا بالأعلى فوقها مباشرة. فاى وروبرتا: إنهما لم تذهبا مع الآخرين. استمعت آليس لكيف تستيقظان: الحركات، وصوت الانزلاق الذى تحدثه أكياس النوم على ألواح الأرضية العارية؛ ضحكة، ضحكة عالية. صمت، ثم خطوات أقدام، وهما قادمتان إلى المطبخ.

قامت آليس لتضع الكسرولة على الموقد، وجلست. كانت رائحة الفتاتين طازجة - حلوة وأنثوية. لم تكونا تنويان الاغتسال بالمياه الباردة، ليس هاتين الاثنتين!.

جلست المرأتان، تبتسمان لآليس، معًا وظهراهما للموقد، حيث يمكن لهما النظر من النافذة ورؤية شمس الصباح.

ولأنها تعلم أنها ينبغى أن تفعل، أخبرتهما آليس بما حدث فى الليلة الماضية، فيما يختص بمارى وريجى. ولم تخفف من الأمر على الإطلاق. جلست الاثنتان الأخريان متجاورتين، بانتظار قهوتهما، لا تتبادلان النظر، وقد شعرت آليس بالامتنان لذلك. ورأت ما أدى إليه صوتها الساخر من ظهور السخرية على وجهيهما.

قالت روبرتا: "إذًا فقد تم تجنيد اثنين لاتحاد الوسط الشيوعى؟"، وانفجرت ضاحكة.

قالت آليس مؤنبة: "إنهما طيبان"، لكنها ضحكت أيضًا.

ولم تضحك فاى؛ عضت بخفة بأسنانها البيضاء على شفتها السفلى الوردية، وانعقد حاجباها البنيان اللامعان، ووضح من مظهرها كله عدم موافقتها. توقفت روبرتا عن الضحك.

آه، فكرت آليس، لقد رأيت هذا من قبل: قد تظن أن روبرتا هى الشخصية القوية - إنها تبدو أقرب إلى الشكل الأمومى ولكن مع استرجال، مثل دجاجة لها فرخ واحد - لكن لا، إن فاى هى القوية، لا تلق بالاً أبدًا إلى أساليبها الحلوة الفاجرة. ونظرت بحرص واحترام إلى فاى، التى كانت على وشك أن تعلن. وانتظرت روبرتا أيضًا.

"اسمعى يا آليس، الآن ينبغى أن تسمعى جيدًا، لأننى على وشك أن أقول كلمتى...". ورأت آليس أنه من الصعب بالنسبة لها أن تؤكد نفسها، وأن هذا هو السبب فى أن لديها كثيرًا من الآلاعيب والأحابيل، وحالات

الاستياء الخفيفة والتردد والنظرات المتعبة الصغيرة والابتسامات الخفيفة لروبرتا ولنفسها، ولكن تحت ذلك كانت من الحديد، كانت مهولة. "مرة واحدة وأخيرة، لا أعبأ بكل ذلك الهراء المنزلى، كل ما يخص البيت والحديقة...". وهنا انتظرت، بأدب، بينما ضحكت روبرتا ثم آليس التى ضحكت لضحك روبرتا. قالت فاى: "حسنًا، بالنسبة لى كل ذلك مسألة طبقية لطيفة. هذا البيت ربما بدا لى فى يوم من الأيام مثل القصر. لقد عشت على الأقل فى ألف من الأماكن المهجورة والأوكار، والخلوات والزوايا والأكواخ والبيوت، وهذا هو أفضلها حتى الآن. ولا يهمنى على الإطلاق". وهنا هزت إصبعها بدلال وظرف فى وجه آليس. كانت روبرتا تركز أنظارها على وجه محبوبتها، بالضبط كأخت كبرى: هل ستتجاوز الحد؟ تتجاوز الحد، كانت آليس تعرف، مع كل هذه المقدمة، السلوك، والوسيلة، التى مكنت فاى من قول قولتها. لم تكن روبرتا تريد آليس أن تظن أن هذه البنت كانت تافهة أو حمقاء.

حسنًا، بكل تأكيد لم تكن تريد ذلك.

"فى أية دقيقة الآن سيكون لدينا مياه ساخنة وطلاء مزدوج، لن يدهشنى ذلك. بالنسبة لى كل هذا كثير من الهراء، هل تسمعين؟ هراء!".

قامت آليس، وبينما تصب المياه المغلية فى الأكواب الثلاثة التى كان بها مسحوق القهوة بالفعل، وضعت الأكواب على المنضدة، ووضعت زجاجة اللبن والسكر بالقرب من فاى. فعلت ذلك كشىء من التظاهر، ورأت فاى وهى تمد يدها لتأخذ القهوة، كانت تشربها بدون لبن أو سكر، كانت تعرف ذلك، بل وأعجبها، والذى ظهر فى ابتسامة سريعة قاسية. لكنها كانت مستمرة، بتصميم. لقد فقدت أيضًا شخصيتها اللندنية الشعبية، واللهجة التى كانت تصاحبها.

جاءت بقية بيانها بلهجة البى بى سى الصالحة لكل الأغراض "لا يهمنى أى شىء من ذلك يا آليس. ألا تفهمين؟ إن كنت تريدين أن تخدمينى، فافعلى. إن كنت لا تريدين، فلا تفعلى. لا يهمنى أيهما".

قالت روبرتا بسرعة، لاتقاء أى رد فعل: "لقد عاشت فاى حياة مريعة، حياة فظيعة بشعة ..."، واهتز صوتها وأدارت وجهها بعيدًا.

قالت فاى: "نعم، هذا حدث، لكن لا تكبرى الأمر. فأنا لا أفعل". هزت روبرتا رأسها، غير قادرة على الكلام، ومدت يدها مترددة على وشك أن ترفض، على ذراع فاى. قالت فاى: "إن كنت سوف تخبرين آليس عن طفولتى المروعة، فافعلى، لكن وأنا غير موجودة هنا".

تجرعت جرعات كبيرة من القهوة المرة، وكشرت، ومدت يدها لتأخذ بسكويتًا، وقضمت قطعة منه، ثم بلعتها مرة واحدة، كما لو كانت جرعة من الدواء، ثم جرعة أخرى من الكافيين. كانت روبرتا تتقى النظرات بوجهها. وعرفت آليس أنها كانت تشعر بحزن بالغ لشىء ما؛ إن لم يكن ماضى فاى، فهو حاضرها: سقطت يدها، التى تجاهلتها فاى، عن ذراع فاى، وزحفت عائدة إلى حجرها، حيث رقدت ترتعش فى حالة تستدعى الرثاء، وقد خفضت رأسها بمحصوله من الخصلات السوداء المفضضة مما جعل آليس تفكر فى شعر كلب حبوب ذليل. كانت روبرتا تشع بالحب والاشتياق. وفى هذه اللحظة، على الأقل، لم تكن فاى بحاجة إلى روبرتا، ولكن روبرتا هى التى كانت فى أشد الحاجة لفاى.

من المحتمل أن هناك أوقاتًا ترغب فيها فاى أن تكون متحررة من روبرتا، وتجد أن كل هذا كثير ـ نعم هذا هو. حسنًا، أراهن أن روبرتا لا تريد أبدًا أن تتحرر من فاى! يا إلهى، كل تلك التفاصيل الشخصية، تقف فى طريق كل شىء طوال الوقت. حسنًا، على الأقل جاسبر وأنا قد جعلنا أمورنا مختزنة بعيدًا عن الآخرين.

كانت فاى مستمرة. فكرت آليس: يا ربى، استمع إليها، يمكنها أن تحصل على وظيفة فى البى بى سى. يا ترى متى تعلمت فعل ذلك بهذا الإتقان؟ ولماذا؟

"لقد قابلت أناسًا مثلك من قبل، يا آليس. فى مسار حياتى العملية الطويل. إنك لا تستطيعين ترك الأشياء تمر. إنك دائمًا تجعلين الأشياء فى

ارتفاع وتجعلين الأشياء تعمل. لو كانت ثمة ذرة من التراب فى أحد الأركان ستصابين بالهلع". هنا أخرجت روبرتا ضحكة فظة، وابتسمت آليس ابتسامة محسوبة ـ كانت تفكر فى كل تلك الدلاء. "أوه، اضحكى. اضحكى عاليًا". وبدا أنها كان يمكن أن تنتهى هنا، لأنها ترددت، وبدأت تعود إلى اللهجة اللندنية اللطيفة، بابتسامة سليطة لعوبة. لكن فاى تملصت، وجلست منتصبة فى وحدة باردة قاسية، مكتفية بنفسها، حتى أن يد روبرتا الجزعة والمتلهفة وقعت مرة أخرى. "أنا لا يهمنى سوى شىء واحد يا آليس. واستمعى إلىَّ يا روبرتا، فأنت دائمًا تنسين ما أنا، ما هى شخصيتى. أريد أن أضع نهاية لهذا النظام البشع القذر الكاذب القاسى المنافق والزائف. هل تفهمين؟ حسنًا، وهل تفهمين يا روبرتا؟"

لم تكن حلوة على الإطلاق، ولا جذابة، فى تلك اللحظة، ولكنها كانت ممتقعة وغاضبة، وكان فمها مزمومًا بعنف وعيناها قاسيتين، وهذا ـ ما بدا من مظهرها ـ أية شاعرية مما قالته بعد ذلك. "أريد أن أضع نهاية له كله لكيلا يعانى الأطفال، بالطريقة التى عانيتها".

جلست روبرتا هناك معزولة، منكرة، غير قادرة على الكلام.

قالت آليس: "لكن يا فاى، هل تظنين أننى لست ثورية؟ إننى أتفق مع كل كلمة قلتها".

"أنا لا أعرف أى شىء عنك، يا رفيقة آليس. فيما عدا أنك أعجوبة فيما يتعلق بالبيت، وفى التعامل مع الشرطة. هذا يعجبنى. لكن قبل أن تأتى مباشرة، كنا قد اتخذنا قرارًا، قرارًا مشتركًا. لقد قررنا أننا سوف نعمل مع ج.ج.أ. هل نسيت؟"

سكتت آليس. كانت تفكر، لكن جاسبر وبرت كانا يناقشان الأشياء فى البيت المجاور، أكيد؟ قالت، بحرص: "أفهم أن ثمة رفيقًا فى البيت المجاور قد أشار إلى ذلك...".

هنا عادت روبرتا إلى الحياة، وتساءلت بلهجة آمرة: "أى رفيق؟ إننا لا نعرف شيئًا عن هذا".

قالت آليس: "أوه، لقد ظننت...."

قالت فاى: "إنه مجرد هراء هواة. فجأة ثمة سلطة غير معروفة فى البيت المجاور تقول هذا وذاك".

قالت آليس: "لم أتحقق من شىء". لم يكن لديها ما تقوله. كانت تفكر: هل هو برت الذى قاد جاسبر إلى....؟ هل هو جاسبر الذى.....؟ لا أذكر أن جاسبر يفعل أى شىء كهذا من قبل.

وبعد مضى بعض الوقت دون أن تقول إحداهن شيئاً، لكن كلا منهن جلست فى حالة انفصال، تدور فى رأسها أفكارها الخاصة، قالت آليس: "حسنًا، أنا أوافق. لقد آن الأوان أن نجلس معًا جميعًا ونناقش الأمر. بشكل لائق".

تساءلت فاى، بمرارة: "بما يشمل الرفيقين الجديدين؟"

"لا، لا، نحن فقط. فقط أنت وروبرتا وبرت وجاسبر وبات وأنا".

قالت روبرتا: "وليس فيليب ولا جيم".

قالت آليس: "فى هذه الحالة ينبغى أن نذهب نحن الستة إلى مقهى أو مكان ما لنتناقش".

قالت فاى: "تمامًا. لا يمكن أن نعقد اجتماعًا هنا، هناك عناصر خارجية كثيرة. بالضبط".

قالت آليس: "حسنًا، ربما نستطيع أن نستعير غرفة فى البيت رقم خمسة وأربعين".

قالت فاى، بعنف: "يمكن أن نذهب ونقوم بنزهة لطيفة فى الحديقة، لم لا؟"

قالت روبرتا، ضاحكة: "لم لا؟" كان من الواضح أنها كانت تعود إلى

السيطرة، جلست قوية وواثقة، وراحت ترسل نظرات نحو فاى، وسرعان ما تلقت نظرات مماثلة فى المقابل.

صمت آخر، ودود، بمشاعر صافية.

قالت آليس: "لابد أن أسأل هذا السؤال، هل أنتما - الاثنتين - مستعدتان للمساهمة بأى شىء فى النفقات؟"

فاى - كما هو متوقع - ضحكت. قالت روبرتا بسرعة، متقية فاى - التى قالت لآليس كل شىء عن المناقشة التى جرت حول هذا الموضوع نفسه - "سوف ندفع نفقات الطعام وما إلى ذلك. عليك أن تخبرينا كيف يتم الأمر".

"ستكون التكاليف رخيصة للغاية، مع وجود كل هذا العدد".

قالت فاى: "نعم، هذا عدل. لكنك يمكن أن تخرجينى من كل المسائل الخاصة بالحياة المرفهة. فهذا لا يثير اهتمامى. يمكن لروبرتا أن تفعل ما تشاء". ونهضت، وابتسمت ابتسامة لطيفة لكليهما، وخرجت. وكادت روبرتا تقوم بحركة غريزية للذهاب خلفها، لكنها بقيت. قالت: "أنا سوف أساهم يا آليس. فأنا لست مثل فاى - أنا لا أتجاهل ما حولى. أنت تعرفين، إنها كذلك فعلا"، قالت ذلك بعجلة، مبتسمة، مؤكدة لآليس اختلاف فاى، وتفردها، وقيمتها.

"نعم، أعرف".

أعطت روبرتا لآليس ورقتين من فئة العشرة جنيهات، فأخذتهما، بدون تعبير على وجهها، فهى تعرف أن هذا سيكون كل شىء، وشكرت روبرتا، التى تململت قليلا، ثم قامت، غير قادرة على الاحتمال، وذهبت خلف فاى.

لم تكن الساعة العاشرة بعد. قالت مارى إن تتصل بها فى الواحدة. وحثها العبير الذى تركته فاى وروبرتا فى هواء المطبخ على الصعود إلى الحمام وإرغام نفسها على أخذ حمام بارد، حيث جثمت، غير قادرة فى

الواقع على إدخال ردفيها فى الماء، تنظف جسمها وتملؤه برغوة الصابون. وفى توهج ارتدت ثيابًا نظيفة، وحزمت ما خلعته مع ثياب جاسبر التى تحتاج إلى غسيل ـ قررت ذلك بشم رائحتها ـ وخرجت إلى المغسلة عندما رأت المرأة العجوز جالسة تحت الشجرة فى الحديقة المجاورة، كل أعضائها حادة مثل كومة من العصى داخل لخبطة من الثياب الصوفية. أشارت بعجلة إلى آليس، التى خرجت إلى الشارع ودخلت مرة أخرى إلى البوابة البيضاء النظيفة، باسمة. كانت تأمل أن يكون الجيران يراقبون.

قالت المرأة العجوز: "لقد خرجت وتركتنى"، وهى تجاهد للجلوس جيدًا من مكان انهيارها. "إنهم لا يهتمون، لا أحد منهم يهتم". وعندما استمرت بصوت خشن تروى جرائم جوان روبنز، جذبت آليس العجوز العزيزة برشاقة، فكرت أنها لا تزن أكثر من صرة الغسيل التى معها، وأجلستها فى وضع مناسب لتستنشق الهواء. استمعت آليس مبتسمة حتى اكتفت، ثم مالت عليها لتزعق فى الأذن الصماء، "لكنها لطيفة جدًا؛ لأنها تخرجك هنا لتجلسى فى الحديقة؛ إنها ليست مضطرة لفعل ذلك، أليس كذلك؟" وهنا، عندما بدا أن الوجه العجوز يجاهد ويتحول إلى الاعتراض، قالت: "ولا يهمك، سوف أحضر لك كوبًا من القهوة".

قالت الحيزبون تحثها: "شاى، شاى".

"سوف تضطرين لشرب القهوة. فليس عندنا براد شاى. اجلسى أنت هنا فقط وانتظرى".

عادت آليس، وصنعت قهوة طيبة، وأحضرتها إلى العجوز: "ما اسمك؟"

"مسز جاكسون، جاكسون، هذا هو اسمى".

"أنا اسمى آليس، وأسكن فى رقم ثلاثة وأربعين".

قالت مسز جاكسون: "أنت أبعدت كل هؤلاء الناس القذرين، جيد

جدًا". وكانت تنزلق فى مقعدها مرة أخرى، مثل دمية عجوز ثملة، والكوب يميل جانبًا فى يدها.

قالت آليس: "سوف أراك بعد دقائق"، وهربت.

استغرقت فى المغسلة ثلاثة أرباع الساعة. واستعادت كوبها من مسز جاكسون، ثم وقفت تستمع إلى جوان روبنز، التى جاءت من مطبخها لتخبر آليس أنه لا ينبغى أن تصدق العجوز، التى كانت تتجول، ولا سبب فى العالم كله يجعلها، جوان روبنز، تفعل أى شىء لها، فضلا عن مساعدتها فى نزول السلالم إلى الحديقة ثم الصعود مرة أخرى وصنع أقداح القهوة لها و... استمرت الشكوى، بينما كانت مسز جاكسون تومئ إليهما بأن قصتها هى القصة الصحيحة. هذا المشهد الصغير كان يشهده العديد من الناس فى الحدائق ومن النوافذ، وتركتهم آليس يملئون عيونهم منه.

وبتلويحة من يدها، عادت إلى بيتها.

كانت الساعة الحادية عشرة، وإذا بشبح ضعيف يترنح على السلم: فيليب، الذى قال: آليس، أنا أشعر بأننى لست بخير، أشعر..."

وصل مترنحًا إلى جانبها، وقدم إليها وجهه، الذى بدا وجهًا ملائكيًا وإن كان خجلا، لكى ترى وتقوم بالتشخيص، فى ثقة تامة بالعدالة. والتى أعطتها له: "هذا لا يدهشنى، كل هذا العمل على السطح. حسنًا، انس الأمر اليوم، وخذ راحة".

"كنت أريد الذهاب مع الآخرين، ولكن..."

"اذهب إلى غرفة الجلوس، واسترخ. سوف أحضر لك بعض القهوة".

كانت تعرف هذا المرض ليس بحاجة إلا إلى التعاطف، وعندما استقر فيليب فى مقعد كبير، أخذت له قهوة وجلست معه، تفكر: "ليس لدى ما أفعله أفضل من ذلك الآن".

كانت قد عرفت منذ بعض الوقت أنها سوف تضطر لسماع قصة عن الأخطاء: وقد آن الأوان. كان فيليب قد تلقى وعودًا بأعمال ولم ينلها؛ وقد

فصل من العمل دون إخطار، ولم يُدفع له أجر أعمال قام بها؛ وقد قال لها هذا بصوت حزين لإنسان عانى من سوء حظ غير مفهوم وعاثر بكل تأكيد، ولم يشر أحد إلى السبب الحقيقى لكل هذا ـ وهو أنه كان هشًا مثل دمية؛ بل إنه ما كان من الممكن أبدًا الإشارة إليه، هذا ما كانت آليس متأكدة منه. "وهل تعرفين يا آليس، لقد قال لى، نعم، تعال يوم الإثنين القادم وسوف يكون هناك عمل لك ـ هل تعرفين أى عمل كان؟ أرادنى أن أقوم بتحميل صناديق ضخمة من الألوان والأدوات فى الشاحنات! أنا بناء وأقوم بأعمال الديكور يا آليس! حسنًا، وقد قمت بهذا، فعلت ذلك لأربعة أيام، وانهار ظهرى. وظللت فى المستشفى أسبوعين، ثم فى عيادة العلاج الطبيعى لمدة شهر. وعندما عدت إليه وقلت إنه يدين لى بأجر أربعة أيام، قال إننى كنت الشخص المخطئ، و....". استمعت آليس وابتسمت، وشعرت بقلبها يئن من أجله. بدا لها أن قدرًا كبيرًا مطلوبًا من قلبها هذا الصباح، ضحية مسكينة بعد أخرى. حسنًا، لا يهم، فى يوم من الأيام لن تكون الحياة هكذا؛ إنها الرأسمالية التى كانت صعبة ومؤلمة ولا تهتم بآلام ضحاياها.

فى الثانية عشرة والنصف، عندما كانت تفكر فى الذهاب إلى كشك التليفون، سمعت شخصًا يدخل، وطارت لترى أهى الشرطة، المجلس ـ أو من هذه المرة؟

كان ريجى، والذى كان مبتسمًا، يضع صناديق فى الصالة. قال إن مارى تسللت من المقابلة لتتصل به تليفونيًا وتخبره بالأخبار الطيبة. وسوف تأتى بحمولة أخرى فى ساعة الغداء. الفرحة والارتياح جعلا آليس تشعر بالدوار؛ ثم بكت. وقفت مستندة إلى الحائط بجوار الباب فى غرفة الجلوس، وقد رفعت يديها إلى فمها وكأنما فى حالة حزن بالغ، وأغلقت عينيها بشدة وانهمرت منهما الدموع.

قال ريجى: "لماذا يا آليس"، وجاء ليحدق فى وجهها المحزون، واضطرت لدفع التربيت الودود، والدفعات، وذراع التف حول كتفيها.

غمغمت: "رد فعل"، وهى تندفع إلى الحمام لتتقيأ. وعندما خرجت، كان فيليب وريجى يقفان جنبًا إلى جنب، يحدقان فيها، مستعدين للابتسام، آملين أن تسمح لهما به.

وأخيرًا، ابتسمت، ثم ضحكت، ولم تستطع التوقف.

راح فيليب يعتنى بها، وجلس ريجى شاعرًا بالحرج.

وكانت هى تشعر بالحرج: ماذا حدث لى؟ لابد أننى مريضة أيضًا.

لكن فيليب لم يعد مريضًا. خرج ليقيس النوافذ المكسورة لتركيب زجاج جديد، وتسلق ريجى السلالم لينظر على الغرف. وبقيت آليس فى المطبخ.

وجاءت مارى إليها هناك بكرتونة من أوانى الطبخ، والأطباق، وغلاية كهربائية. جلست على الناحية الأخرى من المنضدة. كانت متوردة ومبتهجة. سمعتها آليس تضحك مع ريجى بنفس الطريقة التى تضحك بها فاى وروبرتا؛ و.. أحيانًا، برت وبات. اثنان ضد العالم. الحميمية.

سألت آليس مباشرة: "ما الأحوال؟"

"لمدة عام فقط".

ابتسمت آليس، وعندما نظرت مارى إليها، شرحت قائلة: "سوف تكون مدى الحياة".

"لكن بالطبع يمكن أن يمدوا لكم. إن لم يقرروا هدمه على أية حال".

قالت آليس فى ثقة: "لن يهدموه".

"أوه، لا تكونى واثقة هكذا". الآن كانت مارى ساخطة بالنيابة عن الجانب الآخر من شخصيتها، المجلس.

هزت آليس كتفيها فى لامبالاة. انتظرت وعيناها على مارى، التى لم تكن يبدو حقا أنها تعرف لماذا. فى النهاية قالت آليس: "ولكن ماذا تقرر عن الدفع؟"

قالت ماري، بمرح: "أوه، مقدار تافه. إنهم لم يقرروا المبلغ المطلوب بالضبط بعد، لكنه لا شىء، حقًا. مبلغ اسمى".

قالت آليس بصبر: "نعم. لكن كيف. مبلغ كامل للمنزل كله؟"

قالت مارى: "أوه، لا"، وكأن هذا كان فكرة باهظة بشكل لا يمكن تخيله - هكذا هى قوة القرار الرسمى على عقل الموظف - "أوه، لا. سوف يتم حساب الفوائد حسب كل فرد فى المنزل. ولا يوجد هنا أحد يعمل، ألم تقولى ذلك؟"

قالت آليس "ليس هذا ما أقصده يا مارى"، بأمل أن تفهم مارى ما تقصده. لكنها لم تفهم. بالطبع لا؛ ماذا فى خبرتها يمكن أن يعدها لهذا؟

"حسنًا، أفترض أنه سيكون أسهل لو كان المبلغ كتلة واحدة، ويتقاسمه الناس. خاصة إذا كان صغيرًا هكذا. ما يكفى لتغطية المعدلات، لا أكثر من عشرة أو خمسة عشر جنيهًا فى الأسبوع. لكن ليس هذا ما يتم فعله معنا". مرة أخرى تحدثت الموظفة، بأسلوب قاطع لشخص يعرف أن ما تم فعله لابد أن يكون هو أفضل طريقة ممكنة لفعله.

سألت آليس بحرص، بعد توقف: "هل أنت متأكدة من أنه حقًا لا توجد إمكانية تغيير القرار؟"

قالت مارى: "إطلاقًا"، وما كانت فى الواقع تقوله هو: هذا أمر شديد التفاهة لدرجة أنه لا يوجد ما يدعو لإضاعة دقيقة عليه.

وكان قليل الأهمية لمارى حتى إنها بدأت تتمشى فى المطبخ، تفحصه، بابتسامة سعيدة، وكأنها تفض هدية.

فى الوقت ذاته جلست آليس تحاول تكييف المسألة. فاى وروبرتا لن توافقا، وقد تغادران المكان فورًا. جيم، أيضًا. جاسبر لن يحب هذا - قد يطالب بأن يرحلا هو وآليس. حسنًا، لا مانع، إذًا سوف يذهبون جميعًا. لم لا؟ لقد فعلت ذلك كثيرًا! كان هناك ذلك البيت الخالى فى ستوكويل...

ظلت هى وجاسبر يتحدثان شهورًا عن وضع اليد عليه. قد يناسب الأمر فاى وروبرتا، لأن لديهما الكوميونة النسائية فى مكان ما. لا يعلم إلا الله ما هى تلك الأماكن الأخرى، الملاجئ والمخابئ التى استخدمتاها. كان لدى آليس انطباع بأنها عديدة.

ترك هذا البيت سيكون أمرًا مؤسفًا. وعندما فكرت آليس فى الرحيل، غص حلقها حزنًا، وأغلقت عينيها، معاناة.

قالت، محاولة أن تبدو هادئة وحازمة، بسبب الغصة فى حلقها: "حسنًا، هذا هو. أنا آسفة، لكن هذا كل شىء".

استدارت مارى، ووقفت، فى حالة تراجيدية، وقد رفعت يدها إلى حلقها هاتفة: "ماذا تعنين؟ لا أعرف ماذا تعنين!" بدت مهتاجة، متوعدة.

"حسنًا، الأمر لا أهمية له بالنسبة لك، أليس كذلك؟ أنت وريجى يمكنكما البقاء هنا بنفسيكما. ويمكن بسهولة أن تأتوا بأصدقاء آخرين ليسكنوا معكما، أنا متأكدة".

انهارت مارى على مقعد. انتقلت فجأة من أسعد فتاة فى العالم، إلى مخلوق ضعيف مسكين، شاحبة وهشة، متضرعة. "لا أفهم! ما الفرق؟ وبالطبع أنا وريجى لن نبقى هنا وحدنا".

"ولم لا؟"

احمر وجه مارى، وغمغمت: "حسنًا، بالطبع... لا داعى لأن أقول... لا يمكن أن يعرفوا أننى أعيش هنا. بوب هود والآخرون لا يمكن أن يعرفوا أننى أسكن فى منزل مهجور بوضع اليد".

"قالت آليس: "أوه، حسنًا، هذا هو إذًا"، بإبهام؛ لأنها كانت بالفعل تفكر فى مشاكل الانتقال مرة أخرى.

سألت مارى: "لا أفهم. قولى لى، ما المشكلة".

تنهدت آليس وقالت بلهجة آلية أن هناك أسبابًا تجعل بعضهم لا يريدون تحديد مكان إقامتهم.

سألت مارى: "لماذا؟ هل هم مجرمون؟" وقد احمرت تمامًا، وبدت ناقمة.

فهمت آليس أنها مرت بمثل هذه اللحظة من قبل، مع العسكرية. المنهجية.

قالت آليس ساخرة بسبب المجهود الذى كانت تبذله لتكون صبورة: "السياسة يا مارى، السياسة، ألا تفهمين؟" فكرت أنه بالنسبة لجيم قد يكون هناك شىء إجرامى، ولكنها تغاضت عن ذلك. ومن المحتمل أن هناك شيئًا إجراميًا أيضًا بالنسبة لفاى وروبرتا. "ألا ترين؟ الناس يأخذون معاش الضمان الاجتماعى الخاص منهم على عنوان، ويعيشون فى مكان آخر. أحيانًا فى عدة أماكن أخرى".

"أوه، فهمت".

جلست مارى تتأمل هذا المنظور: الثوريون الماهرون والخطرون، هاربون، تحت ستار. لكن بدا أنها غير قادرة على استيعاب ذلك. قالت ساخطة: "حسنًا، أظن أن القرار يمكن تعديله، لابد أن أقول إننى أرى أن هذا من العدل طالما أن المجلس لا يعرف!".

قالت آليس: "أوه، هل تعنين أنك يمكن أن تجعلى القرار يتغير؟" وجلست باسمة، لقد أرجئ تنفيذ الحكم، وعاد البيت إليها، امتلأت عيناها بالدموع. "أوه، رائع، كل شىء على ما يرام إذًا".

حدقت مارى فى آليس. بينما ابتسمت آليس لها، وقد تورد وجهها خجلا بسبب عمق مشاعرها. كانت تلك هى اللحظة التى يمكن أن تقوم فيها مارى، من كراهيتها لأى شىء لا يتناسب مع المعايير القياسية لتلك الأداة الخفية التى يقاس عليها ما هو صحيح، ومناسب، وملائم، غمغمت ببعض كلمات الاعتذار الجافة الممتعضة، وغادرت. لتقول لبوب هود إن المجلس قد ارتكب خطأ، وأن هؤلاء الناس فى رقم ٤٣....

لكنها ابتسمت، وقالت: "سوف أتبادل كلمة مع بوب. وأتوقع أن كل شىء سيسير بشكل طيب. إذًا فسوف يقتسم الجميع؟ سوف أجعلهم يرسلون الفواتير شهرية لا ربع سنوية. بذلك سيكون الدفع أسهل". وثرثرت قليلا، لتستعيد نفسها وسلطة المجلس، ثم علقت قائلة إنه ينبغى فعل شىء ما لرقم ٤٥ . فهناك شكاوى طوال الوقت.

قالت آليس: "سوف أذهب إلى البيت المجاور وأراهم".

مرة أخرى، كان رد فعل الموظفة هو: "هذا ليس من شأنك، أليس كذلك؟ فلماذا تتجشمين المشقة؟" وعندما رأت أن آليس قد هزت كتفيها بلا مبالاة، قالت مارى بسرعة: "نعم، ربما ينبغى لك...".

وذهبت إلى الطابق الأعلى، وعلى وجهها نظرة متوترة كما على وجه آليس. كانت المرأتان كلتاهما تفكران أن الأمر لن يكون سهلا مع هذه التركيبة من الناس فى البيت.

وسرعان ما ذهبت مارى مع ريجى. سوف يعيدها إلى عملها، ثم سيعودان معًا فيما بعد بحمولة أخرى. سوف يحضران بعض الأثاث أيضًا، إن لم يكن أحد يعترض. سرير، مثلاً.

جلست آليس، وحدها. ثم جاء فيليب لتعطيه النقود لشراء الزجاج، وذهب لشرائه.

كانت آليس تنظر إلى نفسها أثناء الأيام الأربعة الأخيرة، وتفكر: هل كنت مجنونة إلى حد ما؟ على أية حال هو مجرد منزل.... وماذا فعلت؟ هذان الاثنان، ريجى ومارى. هل يمكن أن يكونا ثوريين؟ كانا مع المناضلين؟ جنون!.

وببطء استعادت نفسها. وبدأت الطاقة تتسلل إليها. فكرت فى الآخرين، فى الجبهة هناك فى ملستد. لقد كانوا يعملون من أجل القضية؛ وهى لابد أن تفعل ذلك أيضًا! وبسرعة خرجت من البيت، حريصة على ألا

تنظر إذا ما كانت العجوز تلوح لها، وذهبت إلى الطريق الرئيسى، سارت بجوار السور الذى يفصل منزلهم أولا عن الطريق، ثم عن رقم ٤٥ دارت إلى الشارع الصغير الذى كان يماثل شارعهم تمامًا، ثم وقفت حيث رأت بوب هود يقف بالأمس، ينظر إلى تلك الحديقة المليئة بالقاذورات.

سارت بحزم فى الطريق، مستعدة لأن يدرسها أى شخص هناك ويهتم. دقت الباب. وانتظرت وقتًا كافيًا لكى يفتح. واختطفت نظرة إلى الصالة، المماثلة لصالتهم، لكنها كانت مليئة بالكراتين والصناديق. هناك لمبة كهربائية واحدة. إذًا لقد كانت لديهم كهرباء بالفعل.

أمامها كان رجل بدا للوهلة الأولى أجنبيًا. لم يكن ثمة شىء معين فى هيئته؛ لم يكن إلا أن هناك شيئًا ما غير محدد. كان روسيًا، عرفت ذلك. وقد أعطاها ذلك بعض الشعور بالرضا. كانت السلطة، فكرة السلطة، هى التى تجعلها تنفعل. كان الرجل نفسه عاديًا إلى أبعد حد، حيث كان عريضا - ليس بدينًا، رغم أنه يمكن بسهولة أن يصبح كذلك - وليس طويلاً، فى الواقع لم يكن أطول منها كثيرًا. وجهه من النوع العريض، وعيناه صغيرتان عنيفتان، رماديتان. كان يرتدى بنطلونًا رماديًا من التويل بدا مرتفع الثمن وجديدًا، وقميصًا رماديًا مخضرًا مزررًا ومضبوطًا.

كان من الممكن أن يكون جنديًا.

"أنا آليس ميلينجز من البيت المجاور".

أومأ برأسه، دون أن يبتسم، وقال: "طبعًا، ادخلى". قادها خلال صفوف الكراتين إلى الغرفة التى كانت مثيلتها فى بيتهم هى غرفة الجلوس. هنا أخذت شكل غرفة مكتب. هناك منضدة موضوعة فى مشربية النافذة؛ وكان مقعده ظهره للنافذة، فهمت آليس أن ذلك؛ لأنه يريد أن يعرف من يدخل ويخرج من الباب؛ لم يكن يريد أن يعطى ظهره له.

جلس فى هذا المقعد، وأشار إلى مقعد آخر مقابل له. جلست آليس.

كانت تفكر، وقد كان الانطباع مؤثرًا: هذا الشخص، إنه الشئ الحقيقى.

كان ينتظر منها أن تقول شيئًا.

الشئ الوحيد الذى عرفت الآن أنها لن تستطيع قوله هو: "هل كنت تملى على جاسبر وبرت ماذا يفعلان؟" وهو الشئ الذى كانت تريد معرفته.

قالت: "لقد حصلنا لتونا على إذن من المجلس؛ باعتبار المنزل مسكنًا للإيجار قصير الأجل، كما تعلم". أومأ برأسه. "حسنًا، فكرنا أنكم ينبغى أن تفعلوا نفس الشئ. هذا يجعل الحياة أسهل، كما ترى. ويعنى أن الشرطة لن تضايقكم".

بدا أنه يسترخى، استند فى جلسته، ودفع علبة سجائر نحوها، وأشعل واحدة لنفسه بعد أن هزت رأسها بالرفض، جلس حابسًا الدخان فى رئتيه، ثم أطلقه فى دفعة واحدة، وقال: "هذا يرجع للآخرين. أنا لا أعيش هنا".

أهذا هو كل ما سوف يقوله؟ بدا ذلك. حسنًا، لقد قال فى الواقع كل ما هو ضرورى. أصيبت آليس ببعض التشوش، فأسرعت قائلة: "تلك القمامة. لابد أن تدفعوا لرجال القمامة..."، وتلعثمت.

كانت عيناه مثبتتين عليها. عرفت أنه كان يرى كل شئ. كان يفحصها بعينين باردتين، حياديتين. لا مشاعر عدائية، ليس خاليًا من المودة، أكيد؟ صاحت: "لقد منحنا مهلة لمدة عام. هذا يعنى أنه ما أن يصبح المكان سليما، يمكن أن نعطى كل انتباهنا لـ..." - وفكرت، "الثورة" - "السياسة".

بدا أنه لم يسمع شيئًا. هل ينتظر المزيد؟ هل ينتظر أن تذهب؟ قالت، تتلمس متعثرة: "بالطبع ليس كل فرد فى بيتنا... على سبيل المثال، روبرتا وفاى، لا تفكران أن... ولكن لماذا ينبغى أن تعرف عنهما؟ سوف أشرح..."

قاطعها: "أنا أعرف أمر روبرتا وفاى. قولى لى، كيف هما الاثنان الجديدان؟"

قالت، لتعطى ريجى ومارى الفضل الذى يستحقانه: "كانا فى السابق عضوين فى النضال، لكن لم تعجبهما مناهجهم". هنا تجرأت بالابتسام له، بأمل أنه سوف يرد بابتسامة أيضًا، لكنه قال: "إنها تعمل فى المجلس؟ فى أى مستوى وظيفى؟"

"ليست من صانعى القرارات".

أومأ برأسه. "وماذا عنه؟ كيميائى، على ما أظن؟"

"يعمل بالكيمياء الصناعية. وقد فقد وظيفته".

"أين؟"

"لم أسأل"، وأضافت: "سوف أعرف وأوصل لك المعلومة".

أومأ برأسه. وجلس يدخن. جلس مستقيمًا أمام المكتب، ذراعاه عليه، أمامه ورقة بدا أن عينيه تكتبان ملاحظات عليها. كان يشبه لينين!.

فكرت: لهجته، أمريكية. نعم، لكن ثمة شيئًا مضحكًا فى طريقته لنطق اللهجة الأمريكية. لا، لم تكن اللهجة، وإنما اللكنة، لكن هناك شيئًا آخر، فى شخصه.

لم يقل شيئًا. السؤال، اللهفة التى كانت تتصاعد فى داخلها ظهرت. "ذهب جاسبر وبرت إلى ميلستد، لقد غادرا مبكرين".

أومأ برأسه. ومد يده ليتناول جريدة مطوية بعناية، وفتحها أمامه، يقلب الصفحات. "هل رأيت جريدة التايمز اليوم؟"

"لا أقرأ الصحافة الرأسمالية".

بعد لحظة توقف، علق قائلا: "ربما هذا يدعو للأسف". ودفع إليها الصحيفة، مشيرًا إلى فقرة فيها.

عندما سئل إن كانوا يرحبون بتلك الحشود العسكرية على خط الإضراب، قال كرابت - ممثل المضربين - إنه يتمنى لو أن التروتسكيين والحشود التى تحاول الالتصاق بالإضراب دون داع، أن يبتعدوا. فهم غير مرغوبين. إن العمال يستطيعون التعامل مع الأشياء بأنفسهم.

شعرت آليس أنها يمكن أن تبدأ البكاء مرة أخرى.

قالت: "ولكن هذه جريدة رأسمالية. إنهم يحاولون فقط تفرقة القوى الديمقراطية، إنهم يريدون كسر وحدتنا". كانت تنوى أن تضيف: "ألا يمكنك أن تفهم هذا؟"، لكنها لم تستطع أن تقولها.

استعاد الجريدة ووضعها حيث كانت. والآن لم يكن ينظر إليها.

قال: "رفيقة آليس، هناك طرق كثيرة أكثر كفاءة لفعل الأشياء كما تعلمين".

وقف. "إن لدى عملاً ينبغى إنجازه". لقد صرفها. خرج من خلف المكتب، وسار معها إلى الباب وخلال الصالة إلى الباب الخارجى.

قال: "أشكرك لأنك جئت لرؤيتى".

غمغمت: "هل يمكن أن يكون هناك غرفة فى هذا البيت يمكن لنا أن نستخدمها من أجل... مناقشة. كما ترى، بعضنا غير واثق من... البعض الآخر".

قال: "سوف أسأل". لم يكن رد فعله كما خشيت أن يفعل. فقد كانت إثارة الموضوع تبدو واهنة.

أومأ برأسه، وأخيرًا منحها ابتسامة. ذهبت فى حالة من الانبهار. كانت تقول لنفسها، لكنه هو الشىء الحقيقى، إنه هو.

لم يخبرها باسمه.

سارت فى المسافة القصيرة من نهر الطريق الرئيسى ببطء، لأنه أمامها، فى وسط الرصيف، كانت فتاة معها طفل صغير فى عربة أطفال. كان الطفل يبدو مثل كومة بلاستيكية بدينة فى قمتها وجه مكتنز مرقط

يظهر فى قمة العربة. كان يعوى بنغمة عالية عنيدة جعلت أسنان آليس تصر. وبدا على الفتاة التعب واليأس. كان شعرها يبدو مشوشًا وباهتًا وكأنه غير مغسول. وفهمت آليس من الكتفين الهابطتين الغاضبتين أنها تريد أن تضرب الطفل. كانت آليس تنوى أن تسير أسرع عندما تتمكن من الالتفاف إلى طريقها، لكن الفتاة التفتت، ولا تزال فى وسط الرصيف. وهناك توقفت، ناظرة إلى البيوت، وخاصة رقم ٤٣ ذهبت آليس عابرة إياها ودخلت إلى البوابة. سمعت الفتاة تقول: "هل تعيشين هنا؟ فى هذا البيت؟"

قالت آليس باقتضاب، دون أن تلتفت: "نعم". كانت تعرف ما سوف يأتى. سارت على الممر. وسمعت عجلات العربة تقرقر خلفها.

وسمعت: "عذرًا"، وعرفت من الصوت الضعيف العنيد أنها لن تستطيع التملص منه. التفتت بحدة، مغلقة الطريق إلى الباب الأمامى. والآن كانت تواجه الفتاة بثبات، وكلمة "لا" مكتوبة على كل جزء منها. لم تكن هذه هى المرة الأولى بالطبع التى تجد نفسها فى مثل هذا الموقف. كانت تشعر: من الظلم أن أضطر للتعامل مع هذا.

كانت تبدو مسكينة جدًا، هذه الفتاة. ربما فى حوالى العشرين. فى حالة سيئة من جميع النواحى، والطاقة الوحيدة التى كانت لديها هى التوتر الذى كانت فيه بسبب طفلها المرقط.

قالت: "سمعت أن هذا البيت قد أصبح منزلا للإقامة القصيرة الآن"، وظلت عيناها مثبتتين على وجه آليس. كانتا كبيرتين، رماديتين، فيهما مسحة من جمال، ولم تكن آليس بحاجة إلى الضغط الذى تمارسه عليها هاتان العينان. التفتت إلى الباب، وفتحته.

"أين سمعت هذا؟"

لم تجب الفتاة على هذا السؤال. قالت: "إننى أكاد أجن. لابد أن أحصل على مكان، لابد أن أجد مكانًا ما. لابد".

دخلت آليس إلى الصالة، تستعد لإغلاق الباب، لكنها وجدت الفتاة قد مدت قدمها لتمنع ذلك. شعرت آليس بالدهشة، فلم تتوقع مثل هذا التصرف. لكنه قرارها أصبح أقوى بسبب إحساسها بأنه إن كانت الفتاة لديها كل تلك الجرأة، فإنها لم تكن فى حالة سيئة جدًا على أية حال.

ظل الباب مفتوحًا. كان الطفل الآن يبكى بصوت مرتفع ومن كل قلبه تحت غطائه الشفاف، كانت عيناه الزرقاوان المفتوحتان على آخرهما تقذفان بالدموع على البلاستيك. واجهت الفتاة آليس، التى رأت أنها ترتعش غضبًا.

قالت: "إن لى نفس الحق الذى لك هنا، لو كانت هناك غرفة فسوف آتى هنا. ولديكم مكان، أليس كذلك؟ انظرى إلى حجم هذا المكان، فقط انظرى إليه!" كانت تبحلق فى الصالة الواسعة، التى فرشت فيها السجادة البراقة التى كانت تعطى جوًا مترفًا إلى حد ما للمكان، وإلى الأبواب الكبيرة التى تفتح عليها إلى حجرات، حجرات، كنز من الحجرات، ثم حدقت فى السلم الواسع الذى يصعد إلى طابق آخر. أبواب أخرى، مساحة أكبر. نظرت آليس معها فى أسى.

"أنا فى واحد من تلك الفنادق، هل تعرفينها؟ حسنًا، لماذا لا، لابد أن الكل يعرف. المجلس ألقى بنا هناك، أنا وزوجى وبوبى. غرفة واحدة. لنا هناك سبعة أشهر". كان يمكن لآليس أن تسمع فى نغمة صوتها، التى كانت نغمة توحى بعدم التصديق أمام مدى البشاعة، كيف كانت هذه الأشهر السبعة. "يملكه بعض الأجانب الأقذار، مثير للغثيان، لماذا يكون لديهم فندق ويأمروننا بما ينبغى أن نفعل؟ ليس مسموحًا لنا بأن نطبخ. هل تتصورين؟ ومع طفل؟ غرفة واحدة. الأرض شديدة القذارة لدرجة أننى لا أستطيع أن أضعه ليزحف عليها". هذه المعلومات وصلت إلى آليس فى صوت خفيض مرتعش، مع بكاء مستمر ومزعج من الطفل.

قالت آليس: "لا يمكنك المجىء هنا، المكان غير مناسب. أحد الأشياء أنه لا توجد تدفئة. لا توجد حتى مياه ساخنة".

قالت الفتاة وهى تهتز غضبًا: "مياه ساخنة! مياه ساخنة! إننا لم نحظ بمياه ساخنة منذ ثلاثة أيام، وأغلقت التدفئة. وعندما تتصلين بالمجلس للشكوى، يقولون إنهم سوف ينظرون فى المسألة. إننى بحاجة إلى مكان. إلى غرفة. يمكننى أن أسخن مياه فى آنية مطبخ من أجل نظافته. إن لديكم موقدًا، أليس كذلك؟ إننى حتى لا أستطيع أن أقدم له طعامًا ملائمًا. مجرد نفاية من المعلبات".

لم تجب آليس، كانت تفكر، حسنًا، لم لا؟ ما الحق الذى أملكه لأرفض؟ وبينما كانت تفكر فى ذلك سمعت صوتًا من أعلى، والتفتت لترى فاى، واقفة على البسطة، تنظر لأسفل. كان ثمة شىء فى مظهرها جذب انتباه آليس؛ نوبة من التصميم، أو حالة نفسية بشعة. فاى، المخلوق الجميل الرقيق الضعيف، قد اختفت مرة أخرى؛ ومكانها ظهرت امرأة شريرة بيضاء الوجه، بعينين باردتين قاتلتين، نزلت السلم فى اندفاع سريع وكأنها تهجم مباشرة على الفتاة، التى تسمرت مكانها فى البداية، ثم فى دهشة، خطت إلى الخلف، وفاى فى مواجهتها مباشرة، تميل إلى الأمام، تفح: "اخرجى. اخرجى. اخرجى. اخرجى".

غمغمت الفتاة: "مَنْ أنت؟ ماذا ..." بينما راحت فاى تدفعها، بقوة وجودها، وكراهيتها، خطوة خطوة، إلى الخلف، نحو الباب. وكان الطفل يصرخ الآن.

كانت فاى تقول: "كيف تجروئين؟ كيف تجروئين على اقتحام المكان؟ لم يقل لك أحد إن هذا من حقك. أنا أعرف من هم على شاكلتك. بمجرد أن تدخلى سوف تأخذين كل ما يمكنك الوصول إليه، هذا أنت".

هذا الجنون ألجم آليس، وجعل الفتاة تحدق بعينين مفتوحتين وفم فاغر إلى المرأة القاسية التى تدفعها وهى تتراجع نحو الباب. وهناك دفعتها فاى بالفعل دفعة قوية، جعلتها تتراجع على عربة الأطفال وكادت تقلبها.

ودفعت فاى الباب لتغلقه بعنف، ثم فتحته، ودفعته بعنف مرة أخرى. وبدا أنها سوف تستمر فى هذه العملية، لكن روبرتا وصلت إلى ساحة المشهد. حتى هى لم تجرؤ على لمس فاى فى تلك اللحظة، لكنها كانت تتكلم بثبات بصوت خافت، ملح، مقنع:

"فاى، فاى يا حبيبتى، حبيبتى فاى، توقفى، لا، لابد أن تتوقفى. هل تسمعيننى؟ توقفى يا فاى..."

سمعتها فاى ـ كما هو واضح من الطريقة التى أمسكت بها الباب مفتوحًا ـ مترددة قبل أن تصفقه مرة أخرى. وخلفها كان يمكن رؤية الفتاة تتراجع ببطء إلى الطريق، مع طفلها الزاعق. نظرت بسرعة حولها فى اللحظة التى رأت فيها روبرتا تأخذ فاى بين ذراعيها وتحبسها هناك، سجينة. والآن كانت فاى تصرخ بصوت خشن، منقطع الأنفاس، "اتركينى". توقفت الفتاة، وسقط فمها مفتوحًا، وبدا عليها الهلع. وبدت عيناها تقولان "أوه، لا"، وهى تلتفت وتجرى بارتباك بعيدًا عن هذا البيت المرعب.

أغلقت آليس الباب، وتراجعت أصوات صراخ الطفل.

كانت روبرتا تدندن: "فاى، فاى، هاك يا حبيبتى، لا يا حبيبتى، كل شىء على ما يرام". وكانت فاى تنهنه، كطفل، وتشهق شهقات كبيرة، وقد انهارت مستندة على روبرتا.

وبرقة، قادتها روبرتا إلى أعلى، خطوة خطوة، تدندن طوال الطريق: "هاك، لا تفعلى، من فضلك لا داعى، فاى، كل شىء على ما يرام".

أغلق باب غرفتهما عليهما، وأصبحت الصالة خالية. وقفت آليس هناك، مذهولة، لبعض الوقت؛ ثم ذهبت إلى المطبخ وجلست ترتعد.

فى ذهنها كانت هى مع الفتاة على الرصيف. كانت تشعر، ليس بالذنب، وإنما بالتطابق معها. تخيلت نفسها تذهب بذلك الطفل الثقيل الأخرق إلى محطة الأتوبيس، تنتظر وتنتظر أن يأتى، وجهها متجمد ويقول للناس الآخرين فى المحطة إنها لا تهتم برأيهم فى طفلها الصارخ، ثم

تحصل على مقعد صعب فى الأتوبيس، وتجلس هناك مع الطفل، الذى إن لم يكن يصرخ فسوف يكون كومة من الشقاء المجهد، ثم تنزل من الأتوبيس، تضع الطفل فى عربته مرة أخرى، وتسير إلى الفندق. نعم، كانت آليس تعرف تلك الفنادق، وتعرف أحوالها.

بعد قليل صنعت لنفسها شايًا قويًا، وجلست تشربه وكأنه كأس من البراندى. الصمت سائد بالطابق الأعلى. ربما استطاعت روبرتا أن تجعل فاى تستسلم للنوم؟

فيما بعد، جاءت روبرتا وجلست. عرفت آليس ما يبدو مظهرها عليه، من تفحص روبرتا لها. فكرت، إن روبرتا فى الواقع واحدة من أولئك الفتيات الممتلئات بمشاعر الأمومة، والتعاطف والغفلة والسذاجة؛ إنها تريد أن تبدو ذكورية وقوية، لكن لسوء حظها، هى أم.

لم تكن تريد أن يتم إزعاجها بما سوف يأتى.

عندما قالت روبرتا: "انظرى يا آليس، أعرف كيف يبدو هذا، لكن..."، قاطعتها قائلة: "أنا لا أهتم. لا داعى للقلق".

ترددت روبرتا، ثم دفعت نفسها للاستمرار: "فاى أحيانًا تحدث لها مثل هذه الحالة، لكنها أفضل كثيرًا، ولم تحدث لها منذ وقت طويل. أكثر من عام".

"لا مشكلة".

"وبالطبع لا يمكن أن يكون هناك أطفال هنا".

لم تقل آليس أى شىء.

كانت روبرتا بحاجة إلى أى نوع من رد الفعل لكنها لم تحصل على شىء، فقامت تصنع بعض الجلبة فى المطبخ بأكياس الشاى وكوب، وقالت بصوت خفيض، سريع، متوتر: "لو عرفت ما عانته فى طفولتها، لو عرفت ماذا حدث لها..."

علقت آليس: "لا يهمنى أى شىء من طفولتها اللعينة".

"لا، لابد أن أخبرك، من أجلها، من أجل فاى... لقد كانت طفلة محطمة، اسمعى..."

زعقت آليس فجأة: "لا يهمنى. إنك لا تفهمين. لقد نالتنى كل الطفولات التعيسة اللعينة التى سوف أستمع إليها. الناس يستمرون ويعيشون... وبقدر ما يخصنى، الطفولات التعيسة هى أعظم حجة، أعظم مبرر".

قالت روبرتا، مصدومة: "طفلة محطمة - والأطفال المحطمون يكبرون ليصبحوا بالغين". كانت قد عادت إلى مكانها، جالسة، تميل للأمام، عيناها مثبتتان على آليس، مصممة على أن تجعلها تستجيب.

قالت آليس: "أنا أعرف شيئًا واحدًا. فى الكوميونات، وفى مثل هذا البيت. إن لم تكونى حريصة، تتحول إلى هذا الشىء - أناس يجلسون يتناقشون فى طفولاتهم اللعينة. لا تحاولى ذلك أبدًا مرة أخرى. إننا لسنا هنا من أجل هذا. أم أن هذا هو ما تريدانه؟ نوع من الجماعة الصدامية دائمًا. كل شىء يتحول إلى ذلك، إن لم نأخذ حذرنا".

جلست روبرتا صامتة، وقد اقتنعت بأن آليس لن تسمع شيئًا. شربت شايها بضجة، ووجدت آليس نفسها تجفل.

كانت آليس تفكر أن ثمة شيئًا رديئًا ووضيعًا فى شخصية روبرتا، وقد انزعجت وكدرها أنها تراقب أفكارها. وأنها لم تغتسل بعد، رغم أن المياه تجرى فى الصنابير. هناك رائحة معدنية حادة للدم حولها. إما هى أو فاى، أو كلتاهما، فى دورتها الشهرية.

أغلقت آليس عينيها، وتراجعت داخل نفسها، إلى مكان اكتشفته منذ سنوات بعيدة - لا تعرف متى، ولكنها كانت طفلة صغيرة. بالداخل هنا كانت آمنة، والعالم يمكن أن يتحطم ويزأر ويصرخ بقدر ما يشاء. سمعت نفسها تقول، وكان ذلك بصوتها الحالم المتجرد:

"حسنًا، أظن أن فاى سوف تموت من هذا فى يوم من الأيام. لقد حاولت الانتحار، ألم تفعل؟"

ساد الصمت. فتحت عينيها لترى روبرتا تبكى.

"نعم، ولكن ليس منذ..."

غمغمت آليس: "كل تلك السوارات التى ترتديها، هناك ندوب تحتها".

دافعت روبرتا: "لديها ندبة صغيرة واحدة، على رسغها الأيسر".

أغلقت آليس عينيها مرة أخرى، وراحت ترتشف الشاى، شاعرة بأن كل أعصابها سوف تعود إلى الحياة مرة أخرى. قالت: "فى يوم من الأيام، سأحكى لك عن طفولة أمى التعيسة. لقد كانت لها أم مجنونة، وأب عجيب. 'عجيب' هى الكلمة الصحيحة. لو أخبرتك!" لم تكن تقصد أن تذكر أمها. قالت: "أوه، لا يهمك". وبدأت تضحك. كانت ضحكة صحية، بل ومبتهجة، تحمل تقديرًا لثراء الحياة وأهوائها. "من ناحية أخرى، أبى - هذا وعاء آخر مختلف تمامًا. عندما كان طفلاً كان سعيدًا طوال اليوم، هكذا يقول، كانت أسعد أيام حياته. ولكن هل نصدقه؟ حسنًا، أنا أميل إلى تصديقه، نعم. إنه شديد الغباء والبشاعة لدرجة أنه لن يلاحظ لو كان تعيسًا. من المحتمل أنهم كانوا يحطمونه كما يشاءون، وهو حتى لم يلاحظ".

وفتحت عينيها. كانت روبرتا تتفحصها بابتسامة صغيرة لاذعة، ورغم إرادتها، ابتسمت آليس فى المقابل.

قالت آليس: "حسنًا، هذا هو، بقدر ما يعنينى. هل لديك أى براندى؟ أو أى شىء من هذا القبيل؟"

"ما رأيك فى سيجارة مخدر؟"

"لا، هذا لا يفعل لى شيئًا. لا أحبه"

خرجت روبرتا وعادت بزجاجة من الويسكى. وجلست الاثنتان

تحتسيان فى المطبخ، على طرفى المنضدة الخشبية الكبيرة. وعندما جاء فيليب يترنح تحت ثقل ألواح الزجاج، مستعدًا لبدء العمل، رفض أن يتناول كأسًا، قائلاً إنه يشعر بالغثيان. وذهب إلى أعلى، عائدًا إلى كيس نومه. ما كان يقوله فى الواقع هو أن آليس ينبغى أن تعمل معه لا أن تجلس هناك تضيع الوقت.

عادت روبرتا، التى شربت كثيرًا، إلى فاى بالطابق الأعلى، وساد الصمت فى المكان.

قررت آليس أن تصعد وتأخذ قيلولة. فى الصالة كان ظرف ظنت أنه من المهملات. التقطته لكى تلقى به، ورأت أنه من هيئة الكهرباء، فشعرت بالبرودة تسرى فى بدنها؛ وقررت أن تأخذ وقتًا لتستعيد أعصابها قبل فتحه. ذهبت إلى المطبخ. يسلم يدويًا. قالت مسز وايتفيلد إنها مرت عليها فى طريقها إلى العمل ذهابًا وإيابًا. لابد أنها أوصلته بنفسها، فى طريقها إلى البيت. كان هذا لطيفًا منها.... فتحت آليس الرسالة بخفة، وكانت تقول:

عزيزتى ميس ميلينجز،

لقد اتصلت بوالدك من أجل ضمان دفع حسابات رقم ٤٣ طريق أولد ميل، حسب ما جاء فى مناقشتنا. ويؤسفنى أن رده كان سلبيًا. ربما يمكنك أن تمرى لمناقشة هذا الأمر خلال الأيام القليلة القادمة؟

المخلصة، د. وايتفيلد

هذه الرسالة اللطيفة الإنسانية جعلت آليس تشعر بأنها مدعومة فى البداية؛ ثم تملكها الغضب. لحسن الحظ، لم يكن هناك أحد ليراها وقد انفجرت داخليًا، صرير أسنانها، وجحوظ عينيها، ورفع قبضتيها وكأنهما تحملان خنجرين. انفجرت وهى تلف فى المطبخ، مثل ذبابة كبيرة أغلق عليها فى غرفة فى عصر يوم حار، تتخبط فى الجدران وأركان المنضدة والموقد، غير عالمة بما تفعله، وتخرج منها ضوضاء غمغمة ودمدمة.

وسرعان ما سمعتها. عرفت إنها كانت هى التى تصدر هذه الأصوات، ففزعت، وجلست إلى المنضدة، ساكنة تمامًا، تحاول احتواء ما تشعر به. فى هدوء تام بعد كل هذا العنف، لدقائق قليلة، ثم أسرعت إلى الحركة، خرجت من المطبخ، وصعدت السلم، لتدق على باب فيليب. دقات، حركات، ولكن لا رد، وصاحت: "فيليب، إنه أنا، آليس".

ودخلت عندما قال: "ادخلى"، ورأته يخرج من كيس نومه ويدخل فى ثيابه. قالت: "أوه، آسفة"، رافضة شعوره غير المهم بالحرج، وبدأت على الفور.

"فيليب، هل تضمن فاتورة الكهرباء الخاصة بنا؟" بينما حدق ولم يفهم: "كما تعرف، فاتورة هذا البيت؟ أمى لا تريد، أبى لا يريد، تريزا الملعونة وأنطونى الملعون لا يريدان".

كان يقف أمامها، فى أواخر العصر كان الضوء قويًا وأصفر خلفه، شبح صغير داكن فى وضع متيبس أخرق. لم تستطع رؤية وجهه، وذهبت إلى جانب الغرفة، كى يلتفت نحوها، وتستطيع أن تراه فى مواجهتها، صغيرًا، ممتقعًا، ولكن عنيدًا. عرفت من هذه النظرة أنها سوف تفشل، لكنها قالت بحدة: "إن لديك عملاً، تتبع مؤسسة، يمكنك أن تضمن الحساب".

"آليس، كيف يمكننى ذلك؟ لا أستطيع دفع تلك النقود، تعرفين أننى لا أستطيع". فكرت آليس أنه يتحدث وكأنه سوف يضطر للدفع، فثار غضبها مرة أخرى. لكنه هل سمعها وهى تتندر بأن أول دفعة نقود سوف تكون الأخيرة؟

قالت، بلهجة سيطرة: "أوه، فيليب، لا تكن سخيفًا. لن يكون عليك أن تدفع، أليس كذلك؟ هذا فقط لتظل الكهرباء مستمرة".

قال، محاولاً أن يبدو مرحًا: "حسنًا، يا آليس، ولكن ربما سوف أضطر؟"

"لا، بالطبع لا!".

كان كما ترى مستعداً للضحك معها، لكنها لم تستطع.

كانت تطالبه: "ماذا يمكن لى أن أفعل؟ لا أعرف ماذا أفعل!".

قال، وهو يضحك حقًا، ولكن بلطف: "لا أظن أننى أصدق ذلك يا آليس".

وبصوت عادى، قالت: "فيليب، لابد أن يكون لدينا ضامن. وأنت الوحيد هنا الذى يمكن أن يقوم بذلك، أترى؟"

لكنه كان لديه عفريته الخاص، قال: "آليس، لا. لسبب واحد، هذا العنوان المكتوب على الورق هو المكان الذى كنت أعيش فيه قبل فيليسيتى. وقد تم هدمه، إزالته. لم يعد موجوداً من الأصل".

وهنا، حدقا إلى بعضهما البعض بتعبيرات رعب متشابهة، وكأن ألواح الأرضية تتداعى؛ فكلاهما كانت تتملكه، فى اللحظة نفسها، رؤية لعدم الدوام: البيوت، المبانى، الشوارع، مناطق كاملة تمت إزالتها، اختفت، تختفى، وهم. تنهدا معًا، وبدافع الموقف، تعانقا برقة، كل منهما يحاول التخفيف عن الآخر.

قالت آليس: "المسألة أنها لا تريد أن تقطع الكهرباء. إنها تريد أن تساعد؛ لكنها فقط بحاجة إلى مبرر، حجة، هذا كل شىء... انتظر - انتظر لحظة، أظن أن لدينا الحل....".

قال: "أعرف أنك ستفعلين"، وأومأت وقالت بانفعال، "نعم، إنه أخى. سوف أخبر الكهرباء أنه سوف يضمن، ولكنه فى رحلة عمل فى... البحرين، لا يهم أين. سوف تحتفظ بالأمر، أعرف أنها سوف تفعل.....".

ورفعا إبهاميهما فى علامة التشجيع، وجرت خارجة، ضاحكة ومنتشية.

الوقت متأخر على أن تطلب مسز وايتفيلد تليفونيًا، لكنها سوف تفعل غدًا، وسوف يكون كل شىء كما ينبغى.

لا حاجة لإخبار مارى وريجى بأى شىء من ذلك. بالطبع، لو كان لمارى أى نفع، لأصبحت مستعدة لضمان الحساب؛ لقد كانت الوحيدة بينهم التى تعمل فى وظيفة. لكنها لن تفعل، كانت آليس تعرف هذا.

كانت بحاجة إلى النوم. كانت مهتزة ومرتعدة داخليًا، حيث الغضب مازال حيًا.

***

كان الظلام يحل عندما استيقظت آليس. سمعت ضحكة برت، ضحكة عميقة آتية من المطبخ. فكرت آليس أنها ليست ضحكته المعهودة. يا ترى ماذا تشبه ضحكته؟ أقرب إلى "تا هى هى". لا، لقد اختلق هذه الضحكة لنفسه. مريحة ويعتمد عليها. رجولية. الأصوات والضحكات، إننا نصنعها..... صوت روبرتا المختلق، مريح. وكان هذا هو صوت بات السريع الخفيف، وضحكتها. ضحكتها الخاصة؟ ربما. إذًا فقد عاد الاثنان، وهذا يعنى أن جاسبر عاد أيضًا. كانت آليس قد نهضت من كيس نومها وترتدى سويتر، وعلى وجهها ابتسامة تتماشى مع أحاسيسها تجاه جاسبر: الإعجاب وحب بعيد المنال.

لكن جاسبر لم يكن فى المطبخ مع الاثنين، اللذين كانا فى حالة سعادة، ورضا، ويأكلان سمكًا ورقائق بطاطس.

قالت بات: "لا عليك، يا آليس"، وهى تجذب مقعدًا لها لتجلس. "لقد قبضوا عليه، لكن الأمر ليس خطيرًا. سوف يكون فى المحكمة غدًا صباحًا فى إنفيلد. وسيكون هنا بحلول الغداء".

سأل برت: "إلا إن كان مطلوبًا؟"

"لقد كان مطلوبًا لعامين فى ليدز، لكن ذلك انتهى فى الشهر الماضى".

قالت بات: "الشهر الماضى؟" والتقت عيناها بعينى برت، ولم تجد أى رد فعل مما كان يجول بخاطرها . ربما ضد إرادتها، كانت آليس تعتقد ذلك . ولكى لا تلتقى بعينى آليس، خفضت عينيها لتنشغلا بما تأكله من شرائح البطاطس الذهبية واحدة بعد الأخرى. لم تكن تلك هى المرة الأولى التى لقيت فيها آليس إيحاءات بأن جاسبر يحب أن يكون مطلوبًا . بحاجة إلى الإثارة التى يجدها بذلك فى الحياة. قالت معتذرة: "حسنًا، كان ينبغى أن يكون حذرًا لوقت طويل، يراقب كل صغيرة وكبيرة يفعلها، كما أظن...." . كانت تراقب برت، الذى كانت تعلم أنه يمكن أن يخبرها ما تحتاج إلى معرفته عن الاعتقال. لقد اعتقل جاسبر، لكن لم يعتقل برت؛ إن هذا فى حد ذاته...

دفعت بات إليها بعض رقائق البطاطس، وأكلت آليس واحدة أو اثنتين، وهى تفكر فى الكوليسترول.

"كم واحدًا اعتقلوا؟"

"سبعة. ثلاثة لا نعرفهم. لكن الآخرين هم جون، وكلاريسا، وتشارلى، وجاسبر" .

"ليس منهم رفاق من النقابة؟"

"لا" .

صمت.

ثم قال برت: "كانوا يغرّمون الناس خمسة وعشرين جنيهًا" .

قالت آليس بآلية: "إذًا فربما ستكون غرامة جاسبر خمسين جنيهًا" .

"كان يظن خمسة وعشرين. لقد أعطيته عشرين جنيها، ومن ثم معه ما يكفى" .

آليس، التى كانت على وشك أن تقوم، مستعدة لمغادرة المكان، قالت بسرعة: "ألا يريدنى أن أذهب إليه؟ لم لا؟ ماذا قال؟"

قالت بات، بحذر: "لقد طلب منى أن أخبرك ألا تنزلى".

"لكنى كنت دائمًا أذهب هناك عندما يعتقل. دائمًا. كنت أذهب إلى المحكمة فى كل مرة".

قال برت: "هذا هو ما قاله، قل لآليس ألا تتعب نفسها".

جلست آليس وهى تفكر عن عمد بأن المطبخ، وبرت، وبات، وحتى المنزل المحيط بها، كل شىء قد اختفى. كانت جالسة فى موقع الإضرابات. ظهرت الشاحنة محملة بالصحف عند البوابات، مظهرها اللامع الشرير يبدو مثيرًا لكراهية الجميع؛ تحرك حشد المضربين إلى الأمام، يزعقون؛ وهناك كان جاسبر، كما رأته كثيرًا، وجهه الشاحب تنبعث منه نظرة تنم عن الكراهية العميقة والخالصة، شعره الأحمر اللامع. كان دائمًا أول من يتم اعتقاله، فكرت فخورة، لقد كان دائمًا شديد الإخلاص، بوضوح شديد ـ حتى للشرطة ـ يضحى بنفسه. خالصًا.

لكن كان ثمة شىء فى غير موضعه.

قالت: "هل قررت ألا يتم اعتقالك لأى سبب، يا برت؟"

لأنه، إن كان الأمر كذلك، فالمتوقع أن يعود جاسبر أيضًا إلى البيت.

قال برت: "لقد وجد جاسبر شخصًا ما هناك، شخص من المحتمل أن يكون مفيدا جدًا لنا".

فى الحال تجسد المشهد فى عقل آليس: "هل كان واحدًا من الثلاثة الذين لا تعرفهم؟"

قال برت: "هذا هو، بالضبط". وتثاءب. وقال: "إننى أكره أن أضطر للسؤال، لكن هل يمكنك أن تعطينى العشرين جنيهًا؟ قال جاسبر لى إن أطلب منك".

أحصت آليس النقود. ولم ترتفع عينيها عن هذه المهمة.

قالت بات بلطف: "تلك الحزمة الصغيرة لن تبقى طويلا بهذه الطريقة".

"لا".

كانت آليس تدعو فى نفسها: يا رب يذهب برت، يارب يصعد إلى أعلى. أريد أن أتحدث مع بات. كانت تفكر فى ذلك بعمق لدرجة أنها لم تدهش عندما وقف وقال: "سوف أذهب لأمُرّ على فيليسيتى وآخذ حمامًا حقيقيًا".

قالت بات: "سوف آتى بعد دقيقة".

ذهب برت، وجلست المرأتان.

سألت آليس: "ما اسم الرجل فى البيت المجاور؟"

قالت بات: "لينين؟" ضحكت آليس معها شاكرة، شاعرة بأنها متميزة وخاصة فى هذه الألفة مع بات، التى أدخلتها فى مؤامرة مهمة. استمرت بات قائلة: "دائمًا ما يقول إن اسمه أندرو".

"من أين يمكن أن نقول إنه جاء؟"

"سؤال جيد".

قالت آليس: "مع تلك اللهجة الأمريكية".

"لغة العالم الجديد".

"نعم."

وتبادلتا النظرات.

حيث قالتا كل ما تريدان حول هذا الموضوع، تركتاه، وقالت آليس بعد وقفة قصيرة: لقد ذهبت فى عصر هذا اليوم. لأسألهم أن يفعلوا شيئًا بخصوص تلك الفوضى".

"فكرة جيدة"

"ماذا فى تلك الصناديق واللفائف؟"

"كتيبات، كتب، هكذا قيل لنا".

"لكن والشرطة تأتى طوال الوقت؟"

"لم تكن اللفائف هناك أول أمس. وأراهن أنها سوف تختفى بحلول الغد. أو أنها ذهبت بالفعل".

"هل رأيت الكتيبات فعلا؟"

"لا، ولكنى سألت. وكان هذا هو ما قاله - أندرو. مواد دعائية".

مرة أخرى تم تجاوز الموضوع، باتفاق غير معلن.

قالت بات: "أعتقد أن برت يظنّ هذا الرفيق - الذى كان جاسبر يتحدث إليه فى ملستيد - قد تكون لديه بعض الروابط المفيدة".

"هل تقصدين بالنسبة لـ ج.ج.أ؟"

"نعم، أظن هذا".

"هل سمعت أى شىء مما قالاه؟"

"لا، لكن برت كان هناك لجزء من الوقت".

هنا كان يمكن أن تسأل آليس، ما رأى برت فيه؟ لكنها لم تكن تهتم برأى برت. وإنما بتقييم بات، نعم.

سألت: "كيف كان يبدو؟ ربما أعرفه، لم يكن واحدًا من الزحام المعتاد؟"

"لم أره من قبل أبدًا، أنا متأكدة من ذلك. وليس هناك شىء مخصوص يمكن أن نقوله عنه".

"هل قال لك الرفيق أندرو أن تذهبى إلى الإضرابات؟ هل قال أى شىء عن ملستد لك؟ كم من المرات ذهبت إلى البيت المجاور؟"

ابتسمت بات وأجابت، رغم أنها أوحت بطريقتها أنه ليس ثمة سبب يجعلها تجيب: "لقد ذهبت إلى البيت المجاور مرتين. لكن برت وجاسبر

ذهبا مرات أكثر. أما بالنسبة لملستد، فلدى انطباع أن الرفيق أندرو" ـ وهنا شددت بخفة على كلمة "رفيق"، وكأن الأفضل لآليس أن تفكر فيها ـ "أن الرفيق أندرو ليس بهذه الدرجة من التحمس على إلحاق كادرات من الخارج بالإضرابات".

قالت آليس بحرارة: "نعم، لكنه نضالنا، أيضًا. إنه نضال كل القوى التقدمية فى البلاد. ملستد نقطة مركزية للفاشية الإمبريالية، وهى ليست فقط شأن اتحاد عمال ملستد".

قالت بات: "لقد سألت". ثم أضافت: "وفى رأيى أن الرفيق أندرو لديه مسألة أكثر أهمية". وشعرت آليس برعشة الحماس تسرى فى بدنها، مثلما يحدث لشخص كان يتحدث طوال حياته عن الحيوانات الأسطورية وفجأة يجد واحدًا منها. نظرت بانفعال وانتباه إلى بات، التى فيما يبدو لم تكن تعلم ماذا قالت. لو لم تكن تشير ضمنيًا إلى أنهم، الرفاق فى ٤٣ طريق أولد ميل، قد اقتربوا من حيث لا يدرون من أحداث عظيمة، فماذا تعنى؟ لكن بات كانت تقوم. منهية المناقشة. أرادت آليس منها أن تبقى. ولم تستطع أن تصدق أن بات تستعد للذهاب الآن فى هذه اللحظة المفعمة بالإثارة والتى يبدو فيها أن أحداثًا رائعة على وشك الوقوع. لكن بات كانت تمد ذراعيها وتتثاءب. وكانت ابتسامتها مترفة، والتقت عيناها بعينى آليس للحظة، وبدت فعلا تحاول إغاظتها وإثارتها. وفكرت آليس فى غيظ، يا لها من فاسقة.

ولكنها قالت: "لقد سألت.... الرفيق أندرو إن كنا نستطيع استخدام الغرفة فى ذلك البيت للقاءات. أعنى، لقاءات الجماعة الداخلية".

"وهكذا فعلنا. وقد وافق".

ابتسمت بات، وخفضت ذراعيها، ثم وقفت تنظر إلى آليس، دون أن تبتسم، قائلة بجسدها إنها اكتفت من آليس وتريد الذهاب. "أين رفاقنا الجدد؟" وكانت فى طريقها إلى الباب.

"بالطابق العلوى".

"أشك إن كنا سوف نراهم كثيرًا. ومع ذلك، فهم لا غبار عليهم". وتثاءبت، بفصاحة، وقالت: "هذا مجهود زائد للذهاب بحثًا عن حمام. لابد أن يحاول برت احتمالى كما أنا".

وذهبت، وجلست آليس فى مكانها حتى سمعتها تصعد السلالم وتغلق بابها.

ثم تحركت آليس خارجة من المنزل بسرعة. لقد كان الوقت مبكرًا جدًا لما كانت تنوى فعله. ورغم أن الشارع كان مظلمًا، فقد كان لا يزال يحمل آثار نهاية اليوم، والسيارات تدور لتقف فى أماكنها، وسيارات أخرى تتحرك من أجل الخروج إلى بعض الترفيه المسائى، أضواء لا تتوقف. لكن الشارع الرئيسى كان لا يزال يضج بالمرور بالكثافة النهارية. وتسكعت تنظر داخل حديقة ٤٥ . وبدا لها أنهم بدءوا بالنسبة للقمامة؛ نعم، لقد حدث، وهناك بعض الأكياس الممتلئة تقف بجوار السور، يلمع البلاستك بالسواد. ورأت شخصين ينحنيان فوق رقعة ما فى الخلف؛ ليس بعيدًا عن المكان الذى حفرت فيه هى وبات وجيم، رغم أن سورًا كبيرًا يقف بينهما. هل كانوا يحفرون حفرة أيضًا؟ كان الظلام شديدًا هناك فى الخلف. وكانت الأضواء من النوافذ العليا فى منزل جوان روبنز تضىء المستويات العليا من رقم٤٥ لكنها لا تصل إلى الحديقة المتزايدة الكثافة. تلكأت آليس قليلاً، ولم يأت أو يخرج أحد؛ ولم تستطع رؤية الرفيق أندرو من خلال نوافذ الطابق الأسفل، حيث كانت الستائر مسدلة.

ذهبت إلى نفق المترو، وجلست فى القطار تخطط ما تنوى فعله، وسارت فى الطريق الذى تصطف على جانبيه الأشجار؛ حيث كان منزل تريزا وأنطونى. ووقفت على الرصيف تنظر إلى نوافذ مطبخهما فى الطابق الثالث. وتخيلت أنهما كانا يجلسان هناك متقابلين على طرفى المائدة الصغيرة التى كانا يستخدمانها عندما يكونان وحدهما. وأمامهما طعام لذيذ. كان لعابها يسيل فعلا عندما تفكر فى طبخ تريزا. لو دقت

الجرس، قد تسمع صوت تريزا: آليس يا عزيزتى، أهذا أنت؟ ادخلى. وقد تصعد، وتلحق بهما فى أمسيتهما الطويلة المريحة، وطعامهما. ومن الممكن أيضًا أن تمر أمها. لكن عند هذه الفكرة استولى عليها الغضب وراح يهزها بيدين حمراوين ساخنتين، حتى أن عينيها غامتا ووجدت نفسها تسرع الخطى فى الطريق، ثم إلى طريق آخر، وثالث، تسير وكأنها سوف تنفجر إذا توقفت. سارت لفترة طويلة، بينما تغير مظهر الشوارع إلى الليل. وجهت نفسها إلى شارع أبيها. وسارت فيه بلا اهتمام. كانت الأضواء فى الطابق السفلى؛ كل نافذة ينبعث منها الضوء. وفى الطابق العلوى كان ثمة وهج ضعيف يأتى من الغرفة التى ينام فيها الأطفال. الوقت مبكر جدًا. سارت أكثر، حول المكان ذهابًا وإيابًا، مرت ببيت تريزا وأنطونى، حيث كانت نوافذ المطبخ الآن مظلمة، ثم حتى أعلى التل، ونزلت ودارت ودخلت شارع والدها. الآن كانت الأضواء مظلمة بالطابق الأسفل، لكنها مضاءة فى غرفة النوم. قبل ساعة أو ما إلى ذلك، كانت قد رأت حجرًا من الحجم المناسب والشكل المناسب على حافة إحدى الحدائق، ووضعته فى جيبها. نظرت إلى أعلى وأسفل الشارع الهادئ، حيث الأضواء تصنع فراغات ذهبية متباعدة بين أوراق الأشجار. شخصان، متشابكا الذراعين، جاءا ببطء من اتجاه المترو. عجوزان. زوجان عجوزان. كانا منهمكين فى مجهود المشى، ولم يريا آليس. التى ذهبت رغم ذلك إلى نهاية الشارع، وعادت بخفة بدافع حاجتها، قرارها. والآن لم يكن ثمة روح فى الشارع. وبينما وصلت إلى بيت أبيها، سارت مباشرة داخلة إلى البوابة، التى لم تكلف نفسها عناء فتحها بهدوء، وقذفت الحجر بقدر ما تستطيع من قوة على زجاج نافذة غرفة النوم. هذه الحركة، الخط الوحيد القوى الواضح للقذف، بكل جسدها وراءها؛ ثم الالتفافة الكاملة فى أرجحة القذف، ثم قفزة إلى الرصيف، والسرعة والاندفاع فيها، المهارة، كل ذلك ما كان يمكن أبدًا الاستدلال عليه من الحالة التى كانت عليها آليس، فى أى وقت آخر من النهار أو الليل، الفتاة الطيبة آليس، ابنة أمها... سمعت الزجاج

يتحطم، وصرخة، وزعيق والدها. لكنها كانت قد ذهبت؛ لقد جرت فى ظل الأشجار الكثيفة إلى شارع جانبى، وأسرعت فيه ثم إلى الطريق الرئيسى المزدحم فى خلال ستين ثانية بعد أن ألقت الحجر. كانت تتنفس بصعوبة، وبصوت مرتفع..... وقفت تنظر إلى نافذة أحد المحلات لتهدئ من تنفسها. واكتشفت أنها تزدحم بأجهزة التليفزيون، فتحركت برزانة إلى التالية، لتتفرج على الثياب، حتى استطاعت أن تدخل السوبر ماركت دون أن يلاحظ أحد تنفسها. وهناك قضت عشرين دقيقة طيبة، تختار وترفض. وأخذت السلة المحملة إلى المخرج، ودفعت، وملأت أكياس المشتروات، وذهبت إلى البيت بالمترو. منذ ترك الحجر يدها، لم يخطر ببالها أن تفكر فيما يمكن أن يكون جاريًا فى بيت أبيها.

والآن، عند رؤية اللمعة الزرقاء الرسينة لمركز الشرطة، دخلت. وعند طاولة الاستقبال، لم يكن هناك أحد، استطاعت سماع أصوات من جزء من الغرفة غير ظاهر للعين. دقت الجرس. لم يأت أحد. ودقت الجرس مرة أخرى، بعنف. خرجت إليها شرطية شابة، ونظرت إليها جيدًا، وقررت أنها متضايقة، وعادت أدراجها. دقت آليس مرة أخرى. وهنا خرجت الشابة، بنظام ودقة فى زيها القاتم كما كانت آليس فى زيها - الجينز والجاكيت العسكرى - وجاءت ببطء نحوها، كان وجهها ينم عن الضيق، والحزم، يظهر أن الكلمات يتم اختيارها لإيقاف آليس عند حدها.

قالت آليس: "كان يمكن أن تكون هناك حالة طوارئ، كيف تعلمين؟ وبالمصادفة أنها ليست كذلك. فأنت محظوظة".

فجأة اندفع اللون الأحمر إلى وجه الشرطية، وتنهدت، واتسعت عيناها.

قالت آليس: "لقد جئت لأبلغ عن بيت تم الاتفاق عليه - كما تعلمين - سكن قصير الأجل، من المؤكد أنك تعلمين...".

قالت الشرطية بذكاء، فى محاولة لاستعادة سيطرتها على الموقف: "فى هذا الوقت من الليل؟"

قالت آليس: "لا يمكن أن تكون الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة؟ لم أكن أعلم أن لديكم وقتًا محددًا للتعامل مع مسائل الإسكان".

قالت الشرطية: "بما أنك هنا، فلنقم بالأمر. ماذا تريدين؟ الإبلاغ عنه؟"

نطقت آليس بالموضوع: "أنتم كنتم هناك ـ فى غارة، منذ ثلاث ليالٍ. ولم تفهموا أنه سكن متفق عليه ـ مع المجلس. وقد شرحت الوضع. والآن جئت لأؤكد ذلك. لقد تمت الموافقة فى الاجتماع الدورى للمجلس اليوم".

"ما العنوان؟"

رقم ثلاثة وأربعين طريق أولد ميل".

طاف بعض التردد على وجه الشرطية. وقالت: "انتظرى دقيقة"، ثم اختفت. استمعت آليس إلى أصوات، رجالية ونسائية.

عادت الشرطية، ومعها رجل؛ وتعرفت آليس عليه كواحد من هؤلاء الذين جاءوا فى الليلة الأخرى. وشعرت بخيبة الأمل حيث إنه لم يكن الشخص الذى خبط الباب.

خاطبته بلطف قائلة: "آه، مساء الخير، أنت تذكر أنكم جئتم إلى ثلاثة وأربعين طريق أولد ميل منذ ليلتين".

قال: "نعم، أتذكر. وعلى وجهه ارتعشت ظلال الضحكات المكتومة التى كان لتوه يستمتع بها مع من هم على شاكلته من زملائه. "لقد كنتم الناس الذين دفنوا... الذين حفروا حفرة..."

"نعم، ودفنا قاذورات الإخراج التى تركها السابقون فى الطابق العلوى. فى دلاء".

وراقبت متفحصة الوجهين المشمئزين، الممتعضين، الغاضبين فى مواجهتها. ذكرًا وأنثى، نوعان من جنس واحد.

قالت: "الواقع أنى لا أتخيل السبب فى رد فعلكم هذا. لقد ظل البشر يدفنون بقاياهم البشرية فى حفر منذ آلاف السنين. وهم يفعلون ذلك الآن، فى معظم أنحاء العالم..."، وحيث بدا أن ذلك لا يكفى للوصول إليهم، أضافت: "وفى هذا البلد، لم يكن لدينا مجارى البلاليع إلا منذ مائة عام أو ما إلى ذلك. وأقل كثيرًا فى بعض المناطق".

قالت الشرطية بذكاء: "نعم، حسنًا، لكنها لدينا الآن".

وقال الشرطى: "هذا صحيح".

"يبدو لى أننا تصرفنا بالطريقة المسئولة والصحية. وسوف تتكفل الطبيعة بالأمر بالسرعة الكافية".

قال الشرطى: "حسنًا، لا تفعلوا ذلك مرة أخرى".

قالت آليس بلطف: "لن نكون بحاجة إلى ذلك، أليس كذلك؟"، ثم أضافت: "ما جئت لأقوله هو إنكم إذا رجعتم إلى المجلس، سوف يكون لديكم التوكيد، رقم ثلاثة وأربعين هو الآن سكن متفق عليه. مسكن قصير الأجل متفق عليه".

مدت الشرطية يدها وأخرجت ورقة رسمية. وعاد زميلها ليلحق بزملائه. وسرعان ما كان هناك انفجار من الضحك المرتفع الشرير. ثم مرة أخرى. زمت الشرطية شفتيها وهى تملأ الاستمارة بعناية؛ ولم تستطع آليس أن تفهم إن كان ذلك نوعًا من الانتقاد أم لا.

قالت آليس: "الأشياء التافهة يتسلى بها أصحاب العقول التافهة".

وجهت الشرطية إليها نظرة تقول إنه ليس لها أن تقول ذلك، حتى لو كانت هى، نفسها، تفكر فى الشىء نفسه.

ابتسمت آليس لها، امرأة لامرأة. وقالت: "وهكذا، هذا كل شىء. رقم ثلاثة وأربعين الآن قانونى، ومنظم. أية غارات أخرى سوف تكونون قد تخطيتوا الحدود".

قالت الشرطية، بابتسامة خفيفة حازمة: "هذا يرجع تقريره لنا، فيما أعتقد".

قالت آليس: "لا، في الأصل، لا. لا أعتقد. فمن المؤكد أنه لن يكون هناك أية شكاوى أخرى من الجيران".

"حسنًا، نتمنى ذلك بالفعل"، وعادت الشرطية إلى الغرفة الخلفية.

خرجت آليس شاعرة بالرضا، واتجهت إلى البيت، موجهة نفسها بحيث تمر أمام ٤٥ لم يكن هناك أحد في الحديقة الآن. لكن في الظلال العميقة في زاوية السياج النباتي استطاعت أن تتبين أن ثمة حفرة قد حفرت. ولم تستطع المقاومة. ولثاني مرة تلك الليلة، تتسلل في صمت من بوابة حديقة. بدا خمسة وأربعون مهجورًا؛ كل نوافذه مظلمة. كانت الحفرة بعمق أربعة أقدام. وكانت هناك رائحة تربة قوية لطيفة تأتي من بقايا التراب حول أطرافها. وبدا القاع شديد الاستواء - أهي مياه؟ مالت لتتأكد. إنها حقيبة، أو كرتونة، شيء كهذا، قد وضعت على القاع. استقامت بسرعة، ونظرت حولها. كانت تستمتع بوعي بالحالة، الشعور بالخطر، بالتهديد، فكرت: لابد أنهم يراقبون من بين هذه الستائر أو من الطابق العلوي - سوف أفعل هذا لو كانت في مكانهم. ومع ذلك، فيا له من أمر خطير الذي تفعله؛ عادت لتفحص إستراتيجية العملية. لا، ربما كان كل شيء على ما يرام. فبينما كان الحفر في حديقتهم على الجانب الآخر من السور يمكن لسكان ثلاثة بيوت مشاهدته، وكذلك أي شخص في بيت جوان روبنز، فهنا يوجد جانبان يحوطهما سور مرتفع وسياج، والثالث هو البيت. وبين هذا المكان والبوابة كانت شجيرات وحشائش. وكانت النوافذ العليا في منزل جوان روبنز مظلمة. وعبر الطريق، ثمة بيت مبني للخلف في حديقته الخاصة؛ ومن المؤكد أن أي شخص يستطيع رؤية ما يرغب من النوافذ العلوية. والتي كانت لا تزال مظلمة؛ إلا أن الناس لم يذهبوا للنوم بالأعلى بعد. لقد رأت ما تحتاج لأن تراه. كانت تود لو تبقى، رائحة الأرض الطيبة والشعور بالخطر يدفع الدم في عروقها، لكنها تحركت، بسرعة وخفة كظل، إلى الباب الأمامي، ودقت، برقة. فتح في الحال. فتحه أندرو.

قالت: "أعرف أنك لابد تراقب، لكنى جئت لأقول إننى أبلغت مركز الشرطة أن ثلاثة وأربعين قد تم الاتفاق عليه. وهكذا فهم سيكونون مستعدين تماما لقبول الأمر عندما تقولون إنكم كذلك".

كان نبضها يدق، وقلبها يسرع، كل خلية ترقص فى انتباه. كانت تبتسم، كانت تعرف؛ أوه، كان هذا هو عكس "مظهرها"، عندما كانت تشعر بذلك، وكأنها شربت رحيقًا مقطرًا تقطيرًا جيدًا من الخطر، وكان يمكن أن تخطو إلى ما بين النجوم، أو تجرى ثلاثين ميلا.

رأت الشخص القصير القوى يخرج من ظلام الصالة، إلى حيث تستطيع رؤية وجهه فى ضوء مصابيح الشارع. كان جادًا، هادئًا، ورؤيته أعطتها شعورًا لطيفًا بالخضوع لسلطة أعلى.

قال: "لقد دفنت شيئًا - أمر طارئ. سوف يختفى فى خلال يوم أو اثنين. أنت تعرفين".

ابتسمت آليس: "بالضبط".

وتردد. ثم خرج أكثر. وشعرت بيدين قويتين أعلى ذراعيها. هل شمت رائحة مشروب روحى؟ فودكا؟ ويسكى؟

"إننى أطلب منك أن تحتفظى بالأمر سرًا".

أومأت برأسها: "بالطبع".

"أعنى، ألا يعرف أى أحد آخر". أومأت، مفكرة لو كان شخص واحد فى ٤٣ يعرف، ومع ذلك ففى هذا البيت لابد أن كثيرين يعرفون؟

قال: "سوف أثق بك تمامًا، يا آليس". ومنحها ابتسامته الخفيفة السريعة. "لأنى لابد أن أفعل. لا أحد فى هذا البيت يعرف سواى أنا نفسى. لقد خرجوا جميعًا. وانتهزت الفرصة لـ... الاستفادة من فرصة ملائمة جدًا. فرصة مؤقتة. وكنت بصدد إلقاء طبقة أخرى من التراب، ثم أضع بعض القمامة".

وقفت آليس تبتسم، وقد شعرت بخيبة الأمل، إن لم يكن فى وضعها هى؛ كانت لا تزال فى حالة طفوها فوق السحاب. فكرت أن ما قاله كان من المحتمل أن يكون غير صحيح، إما جزئيًا أو كليًا، لكن هذا لم يكن من شأنها. كان لا يزال يمسك بأعلى ذراعيها، وكانت على حافة رفض هذا الضغط الثابت، المحذر، الذكورى. وبدا أنه شعر بذلك، لأن يديه سقطتا.

"لابد أن أقول إن رأيى فيك يختلف عن رأيى فى بعض الآخرين من منزلكم. أنا أثق بك".

لم تقل آليس أى شىء. أومأت فقط.

دخل البيت، وهو يشير لها برأسه، ولكن لم يبتسم.

ينبغى أن تفكر فى ذلك مليًا، الأفضل أن تنام عليه.

كان ابتهاجهًا يتلاشى، بسرعة. فكرت: "لكن غدًا سنخرج معًا أنا وجاسبر، ثم..." سوف يكون مساء كاملا من تلك الانفعالات اللطيفة للسباق والخطر.

ولكن مسكين جاسبر، لا، لن يشعر بذلك، ربما، لو كان قد قضى الليل فى الزنازين. ماذا كان شكل مركز شركة إنفيلد؟ لم تستطع أن تتذكر أى تقارير عنه.

من الطريق الرئيسى، رأت خارج بوابة ٤٢ شخصًا نحيفًا خافض الرأس. وضع غريب، منحنى. كانت فتاة ذلك المساء، وكانت على وشك أن تلقى شيئًا على نافذة غرفة المعيشة. حجر! فكرت آليس: قذف الحجارة سرًا، شىء يدعو للأسى؛ وأعاد هذا الشعور بالاحتقار إليها الحيوية. وصلت فى حالة من الحيوية والتألق إلى الفتاة، والتى التفتت بشكل محزن لمواجهتها، صائحة "أوه".

نصحتها آليس: "الأفضل أن تتركى هذا من يدك"، وفعلت الفتاة.

فى هذا الضوء، كان لها مظهر باهت: شعر بلا لون ووجه وحتى شفتيها وعينيها، كلها فاقدة اللون. ورأت آليس أن حدقتى عينيها كبيرتان للغاية.

سألت آليس بصوت ينم عن التهديد: "أين طفلك؟"

قالت: "زوجى هناك، وهو فى حالة سُكر"، وراحت تنتحب، ثم أوقفت نفسها. كانت ترتعش.

قالت آليس: "لماذا لا تذهبين إلى الناس المختصين فى السكن قصير الأجل؟ تعرفين أن هناك أناسًا ينصحون بالأماكن المتاحة".

"لقد فعلت"، وبدأت تبكى، بكاء يائسًا، سريعًا، متقطعًا، مثل طفل ظل يبكى لساعات.

قالت آليس: "انظرى"، وهى تشعر فى نفسها بدايات كل هذا المألوف للغاية من الشد والجذب. "لابد أن تفعلى شيئًا لنفسك، أنت تعرفين هذا. ليس من الطيب أن تنتظرى من الناس أن يفعلوا شيئًا من أجلك. لابد أن تجدى مكانًا لنفسك. انتقلى إليه. واستولى عليه. ثم اذهبى إلى المجلس... توقفى عن هذا"، شعرت بالغضب والفتاة مستمرة فى النهنهة.

كبتت الفتاة بكاءها ووقفت ورأسها محنية أمام آليس، منتظرة الحكم عليها، أو الحكم بإعدامها.

فكرت آليس، آه، يا إلهى. ما الفائدة؟ أعلم هذه الشخصية تمامًا! إنها مثل سارة، فى ليفربول، وتلك المسكينة ميبل. مجرد أن يلقى مسئول رسمى نظرة فقط، وسوف تستسلم فى الحال.

مسئول رسمى... لماذا، هناك مسئول رسمى هنا، فى هذا البيت؛ هناك مارى ويليامز. وقفت آليس تتعجب من هذه الفكرة: منذ يومين فقط كانت مارى روبنز تبدو متحكمة فى مصيرها - مصير آليس - فى يديها؛ والآن، وجدت آليس نفسها تحاول بصعوبة أن تتذكر مكانتها الوظيفية. والواقع أنها كانت تشعر بالنسبة لمارى بالازدراء المناسب لشخص أو لهيئة

تستسلم بسهولة. لكن مارى يمكن اللجوء إليها فى هذا الأمر... طفل. مرة أخرى ابتلعت آليس منظر الفتاة المنهارة، وحالة السلبية، وفكرت: ما الفائدة، إنها واحدة من أولئك الذين....

وكان يملؤها الآن شعور بالسخط.

"ما اسمك؟"

ارتفعت الرأس الساقطة، وظهرت العينان الغارقتان، تنظران، فى حالة صدمة، لآليس. سألتها آليس بصوت آمر: "ماذا تظنين أنى سوف أفعل؟ أذهب إلى الشرطة وأخبرهم أنك كنت على وشك إلقاء حجر على نافذتنا؟" وفجأة بدأت تضحك، بينما كانت الفتاة تراقبها، متعجبة؛ وتراجعت خطوة بشكل لا إرادى عن تلك المجنونة. "كل ما فى الأمر أننى فكرت فى شىء. أعرف شخصًا فى المجلس من المحتمل - من المحتمل فقط...". انبعثت الحياة فى الفتاة، ومالت إلى الأمام، ووضعت يدها المرتعشة على ذراع آليس.

وتنفست: "اسمى مونيكا".

قالت آليس: "لا يكفى اسم مونيكا"، وهى تحاول إيقاف نفسها عن السير وتركها ببساطة بسبب الملل. "لابد أن أعرف اسمك بالكامل، وعنوانك، أليس كذلك؟"

سقطت يد الفتاة، وبدأت تتلمس بكآبة تنورتها، ومن أحد الجيوب أخرجت كيسًا، نظرت داخله.

قالت آليس: "أوه، لا عليك من هذا كله، قولى لى، وسوف أتذكر".

قالت الفتاة إن اسمها مونيكا ونترز، والفندق - الذى كانت آليس تعرف خبره بالفعل - كان اسمه كذا وكذا، ورقمها، ٥٥٦ هذا الرقم جلب معه صورة للبؤس المركز، مئات الأزواج مع أطفال صغار، كل عائلة فى غرفة واحدة، لا يوجد أى من أسباب الراحة، أسوأ مكان على الإطلاق. واختفى كل الابتهاج، والانفعال، وقفت آليس هناك بصبر، مروعة.

قالت آليس: "سوف أسأل هذا الشخص أن يكتب لك. وفى هذه الأثناء، لو كنت مكانك، لسرت فى كل مكان ونظرت إلى أى بيوت خالية يمكن أن تجديها. انظرى إليها. تعلمين. نظرة إلى الداخل، انظرى إلى وسائل الراحة ـ السباكة و...". وتوقفت يائسة، فهى تعلم أن مونيكا غير قادرة على فتح نافذة فى بيت خال والتسلق لتلقى نظرة، وأنه من المحتمل جدًا أن يكون زوجها على نفس الشاكلة.

قالت آليس: "إلى اللقاء"، والتفتت مبتعدة عن الفتاة ودخلت، وهى تشعر أن القدر قد وضع فى طريقها، كمسئولية تلقى على عاتقها، رقم ٥٥٦ على الأقل، الأزواج الشباب بأطفالهم المرقعين المحبطين.

كانت تغمغم: "أوه، يا إلهى"، وهى تصنع لنفسها كوبًا من الشاى فى المطبخ الخالى. "آه يا إلهى، ماذا أفعل؟" كان من الممكن بسهولة أن تبكى بشدة وبلا فائدة مثل مونيكا. ولم يكن جاسبر هنا!.

صعدت السلالم، ورأت ضوءًا ظاهرًا فى الطابق العلوى. صعدت لأعلى، تحت باب الغرفة التى تشغلها مارى وريجى كان ضوء ظاهر. نسيت أن الوقت فى منتصف الليل وأنهما كانا زوجين محترمين. دقت على الباب. بعد بعض الحركات والأصوات سمعت: "ادخل".

نظرت آليس إلى مشهد يدل على الترف. أثاث، ستائر جميلة، وسرير كبير مزدوج كانت مارى وريجى يرقدان عليه متجاورين، يقرءان. نظرا إليها من فوق كتابيهما بنفس التعبير المحترس الذى يقول: "حتى عندك ولا أكثر!" شعرت آليس بموجة من الضحك المتردد تهدد بغزوها. قاومتها وهى تفكر، هذان الاثنان، لن نرى منهما شيئًا، سوف يذهبان....

قالت: "مارى، هناك فتاة جاءت هنا من لحظات، وهى فى حالة يائسة؛ إنها فى فندق شافتوود، تعرفين..."

قالت مارى فى الحال: "ليس فى منطقتنا".

"لا، لكنها....".

قالت مارى: "أعرف شافتوود".

كان ريجى يفحص يده، ظهرًا لبطن، باهتمام باد. عرفت آليس أنه كان يفحص الوضع؛ فلم يكن معتادًا على هذه التصرفات الخارجة عن المعاملات الرسمية، على الحياة الجماعية، لكنه كان لا يزال يعطى الأمر اعتباره.

"ألسنا جميعًا؟ لكن هذه الفتاة. واسمها مونيكا. تبدو لى من الشخصيات التى تميل للانتحار، إنها يمكن أن تفعل شيئًا".

قالت مارى بعد لحظة توقف: "آليس، سوف أرى ما هناك فى الغد، لكنك تعرفين أن هناك مئات، آلاف من هؤلاء".

قالت آليس: "نعم أعرف"، ثم أضافت: "تصبحان على خير". ونزلت السلم وهى تفكر، يا لى من سخيفة. ألا يبدو وكأننى لا أعرف هذا النوع. إذا استطعت أن تجدى لها مكانًا، سوف تفسده تمامًا بشكل ما. أتتذكرين سارة؟ كان علىّ أن أجد لها شقة، وأنقلها إليها، وأذهب إلى هيئة الكهرباء، ثم زوجها... مونيكا واحدة من هؤلاء الذين بحاجة لأم، شخص يحملها على عاتقه... وخطرت برأس آليس فكرة شديدة الجمال والبساطة حتى أنها بدأت تضحك بهدوء مع نفسها.

والآن كانت فى غرفة نومهما، هى وجاسبر. وحدها. كيس النوم الخاص به كان شيئًا أزرق باهتًا مكومًا، ورتبته. وفكرت: كان ذلك جميلا، مشاركة جاسبر فى غرفة. ثم فكرت: لكنه هنا فقط؛ لأن برت فى الجانب الآخر تمامًا من ذلك الجدار. واستمعت: صمت. كانت بات وبرت نائمين. هذه الفكرة، فى كيف أن جاسبر وافق على السماح لها بالنوم هنا، بدلا من الذهاب إلى غرفة أخرى أو أن يطلب منها الذهاب، جعلت عقلها يلف، وكأنه ـ عقلها ـ كان فى حالة دوار. جلست على كيس نومها، وخلعت السويتر، والجينز، وشدت ثوب نوم من طراز قديم من الفيلا القرمزية كان يخص أمها. وشعرت بالراحة والارتياح فيه.

مرة أخرى بدأت تضحك: كانت أمها تحب العناية بالناس!.

كانت داخل كيس النوم. والأضواء من المرور تهرب عبر السقف. فكرت فى حسد فى جاسبر فى زنزانته. سوف يكون مع هذا الشخص الغامض الجديد... حسنًا، سوف تسمع كل ما فى الأمر غدًا. سوف يكون هنا فى موعد الغداء.

***

استيقظت آليس متأخرة. وعندما نزلت إلى المطبخ، كانت هناك ثمانية أكواب على لوحة الغسيل تقول إن شخصًا قد غسل؛ وكانت الأخيرة. على المنضدة كانت ملحوظة موجهة إليها: "خرجنا لقضاء نهاية الأسبوع. سنعود فى مساء الأحد. جاسبر يعرف". ووقعت بات تحت ذلك "بات وبرت".

كان فيليب يعمل فى الأسلاك الكهربائية للطابق العلوى بأسلوب عامل يعمل بسرعة خفيفة، متأملا. جلست آليس بجواره لتساعده، بينما فكرت: هذا لن يكون رئيسًا أبدًا؛ إنه موظف؛ لا يستطيع العمل بدون أن يمسك أحد بيده. كان فيليب لطيفًا، شاعرًا بأنه لم يكن كذلك بالأمس. تحدث عن كل ما تبقى عمله، وكيف سوف يقوم بكل شىء، حبة بحبة؛ وقال إن أول شىء لابد من فحص العلوية، لأن تسرب الأمطار الكثيرة لابد قد أثر فى العروق الخشبية. قالت آليس إنها مستعدة للصعود هناك معه، ولكن قبل كل شىء لابد أن تتصل بهيئة الكهرباء بسرعة. وأين كان جيم؟ يمكنه أن يساعد فى العلوية أيضًا. كانت آليس تفكر: جيم كبير الحجم وقوى، أما فيليب فلا؛ ومعًا سوف يوفران نصف الوقت. لكن فيليب قال إنه سأل جيم، هذا الصباح فقط. كان جيم شخصًا متقلب المزاج، أليس كذلك. فهو لا يحب أن يطلب منه. وفى رأى فيليب أن جيم شخصية لا يسهل فهمها للوهلة الأولى. هنا تبادلت آليس وفيليب بعينيهما مشاعرهما حول جيم؛ بالضبط كما ينظر الناس دون أن يتحدثوا، وتفاهما بحذر تجاه فاى. وكأن

هناك شيئًا أخطر من أن تعبر عنه الكلمات، أو على الأقل شىء قابل للانفجار، قابل للإطلاق كآلة إلكترونية خطرة مع تركيبة من الأصوات الطائشة.

قالت آليس بصوت غير واضح: "ربما ينبغى أن أتحدث معه"، ونزلت إلى الطابق السفلى لتلقى نظرة على منطقة اختصاصها قبل الذهاب إلى التليفون.

مارى، بالطبع، كانت فى العمل. ريجى؟ وبينما تتساءل، قدم هو من الخارج حاملا المزيد من الكراتين المليئة بالأشياء. وبدا فرحًا، كما يتناسب مع رجل قد غزا منطقة من فوره، ولكن مرتبكًا أيضًا، بسبب كل هذه الأدلة على الاهتمام بالماديات. كان يفضل باختصار ألا يصادف آليس. لكن الآن قال إنه رغم أنه ومارى كانا بالفعل يملئان غرفة ثانية بقطع الأثاث والأشياء الخاصة بهما، بالطبع سوف ينقلانها كلها إلى الخارج فى الحال إن كان أحد يريد الغرفة ليعيش فيها.

قالت آليس: "هناك العلوية. أو سوف تكون، فلم يتم إعدادها بعد". وانتظرت منه أن يعرض المساعدة فى إعدادها، لكن هذا لم يخطر بباله. وخرج فى الحال ليحضر حملا آخر.

فكرت آليس أنها سوف تنتهى من عملية الاتصال بالكهرباء. كانت تكره أن تضطر للإسراع بالخروج من أجل التليفون، فى وسط هذا العمل المفيد، تضيع الوقت على شىء كان مجرد روتين.

لكن بمجرد أن سمعت صوت مسز وايتفيلد عرفت أنها لابد أن تبذل المزيد من وقتها وانتباهها للمسألة أكثر مما ظنت. فإن لم تكن مسز وايتفيلد عدائية، فقد كانت جافة فى لومها. قالت إنه فى رأيها سيكون من الأفضل أن تأتى آليس، بأسرع ما يمكن. قالت آليس إنها يمكن أن تأتى الآن، إنها مسألة قطع الطريق، فى صوت مفعم بالإشراق والمودة مصر على أنه ليس ثمة مشكلة حقيقية، لا شىء خطأ. ووضعت السماعة برقة، بطريقة تتناسب مع الصوت. لكنها كانت تتعرض لهجوم من إحدى حالات

غضبها. أبوها! ماذا قال؟ لابد أنه قال كلامًا سيئًا جدًا ليجعل مسز وايتفيلد تتغير هكذا.

كانت فى حالة غضب شديد بحيث لا يصلح أن تجرى إلى هيئة الكهرباء فى الحال، كان لابد أن تهدئ من نفسها بالسير بسرعة فى الشوارع، مؤجلة الأفكار حول أبيها لوقت آخر. لكنها سوف تريه، لا ينبغى أن يظن أنها لن تفعل.

فى غرفة الانتظار فى هيئة الكهرباء ابتسمت ولوحت إلى مسز وايتفيلد: هأنذا، فتاة طيبة! لكن مسز وايتفيلد أشاحت بوجهها. ودخل أربعة من الناس قبل آليس. يا له من ضياع للوقت.

جلست أمام الموظفة، فى المكتب الكبير المضاء، وعرفت أن مسز وايتفيلد لن تقطع الكهرباء. على الأقل هى لا تريد ذلك. الأمر يتوقف على آليس. التى بدأت تتحدث عن أبيها. كان غنيًا ويمتلك شركة طباعة. بالطبع يمكنه بسهولة أن يدفع الفواتير إن كانت هناك حاجة. لكن آليس اعترفت أنه كان فى مرحلة سيئة فى هذا الوقت.

قالت متنهدة: "إنه يعانى من متاعب كثيرة، وعلى وجهها كانت نظرة شخصية تتأمل التعاسة الإنسانية فى تعاطف، وتحاول إعفاءها من اللوم. وفى تلك اللحظة، كان هذا ما تشعر به. "انفصاله عن أمى... ثم كل أنواع المشاكل... زوجته الجديدة، إنها طيبة، وهى صديقة لى، لكنها ليست ممن يقدر على التحمل أو المواجهة، تعرفين ما أعنى؟ إن لديه الكثير على عاتقه". جعلت تثرثر هكذا، وهى منقبضة تشعر بأنها لا تصلح من الأمر شيئًا. بينما كانت مسز وايتفيلد جالسة، عيناها خافضتان، تنقش بطرف قلمها ذى السن الكروى على الركن الشمالى الأعلى من استمارة آليس.

وأخيرًا قالت: "إن والدك كان محددًا للغاية فى أنه غير مستعد لضمان الدفع".

لم تكن تريد أن تنظر إلى آليس. كانت آليس تحاول أن تجعلها ترفع عينيها، أن تستقطبها. ماذا يمكن أن يكون سيدريك ميلينجز قد قال؟

قالت: "هناك عشرة منا فى البيت الآن. وهذا يعنى نقودًا كثيرة تدخل كل أسبوع".

"نعم، لكن هل بعضها سوف يأتى فى هذا الاتجاه؟" كانت مسز وايتفيلد جافة جدًا ولا تلين بعد. "ألا يعمل أحد منكم فى وظيفة؟"

أضافت، فى إلهام: "واحدة. لكنها موظفة فى المجلس. وهى تعمل فى طريق بلسترود، لكنها لا تريد أن تعطى عنوانها على بيت مهجور. إنها لا تستطيع أن تجد مكانًا، وهى فى حالة يأس".

تنهدت مسز وايتفيلد، وقالت: "نعم، أعرف كم يمكن أن تسوء الأمور". لكنها الآن رفعت عينيها ونظرت بشكل مختلف إلى آليس، فهناك زميلة فى المنزل هى موظفة فى المجلس وتعمل فى المكتب الرئيسى لهذه المنطقة. قالت: "حسنًا، ماذا سنفعل؟"

هذا هو، لقد كسبت! آليس لم تستطع أن تمنع نفسها من الابتهاج صراحة.

قالت بتواضع: "إن لى أخًا. وهو يعمل فى شركة طيران آس. سوف أسأله". أومأت مسز وايتفيلد برأسها، موافقة على قبول الأخ. "لكنه فى البحرين حاليًا".

تنهدت مسز وايتفيلد. ليس بسبب التوتر، ولكن لأنها كانت تعلم أن هذه كذبة، وشعرت بالأسف من أجل آليس. خفضت عينيها مرة أخرى. وبدأ يظهر شكل زخرفى ثانٍ بجوار الأول على استمارة آليس.

وسألت بهدوء: "وهل سيكون أخوك مستعدًا لضمان فواتير الكهرباء من أجل عشرة أشخاص؟"

قالت آليس: "لكنه سوف يعرف أنه لن يكون عليه أن يدفعها، أليس كذلك؟" وأكملت بسرعة، خشية أن تشعر مسز وايتفيلد أنها مضطرة حقًا لإجابة السؤال: "لكنى متأكدة أنه سيقول نعم".

"متى سيعود من البحرين؟"

"بعد حوالى شهر. لكنى سوف أذهب وأحدثه وأشرح له عن هذا. هذا هو الخطأ الذى ارتكبته مع أبى. كان لابد أن أذهب وأشرح، بدلا من مجرد افتراض..."، وارتعش صوتها. وبدا حزينًا، لكن موجات السخونة القاتلة كانت تضطرم داخلها. سوف أفجر بيتهم هذا، كانت تفكر، سوف أقتلهم.

قالت مسز وايتفيلد: "نعم، أظن أن هذه فكرة طيبة".

وقفة طويلة. ليس لأنها كانت لم تقرر بعد: كان القرار قد اتخذ. كانت تريد آليس أن تقول شيئًا أكثر يجعل الحالة أفضل، أو تبدو أفضل. لكن آليس فقط جلست منتظرة.

وأخيرًا، قالت مسز وايتفيلد: "حسنًا"، وجلست معتدلة داخل ثوبها المشدود القوى قصير الأكمام بنى اللون، بذراعيها البدينتين ويديها البدينتين تلمع فيهما خواتم صغيرة، كل شىء فيها كان يبدو مناسبًا لها، قدميها - لا شك، رغم أن آليس لم تكن تستطيع رؤيتهما - موضوعتان جنبًا إلى جنب. "حسنًا، سوف أعطيك خمسة أسابيع. لابد أن هذا وقت كافٍ لرؤية أخيك". لم تكن تنظر إلى آليس. "وسوف أحتاج المزيد بالنسبة للمقدم".

أخرجت آليس ورقة من ذات العشرة جنيهات - ليست كافية، كانت تعرف - ووضعتها أمام مسز وايتفيلد، التى أخذتها، وفردتها، ووضعتها فى صندوق نقود قديم داخل الدرج، وكتبت إيصالا. ثم قالت: "سأراك بعد خمسة أسابيع"، وتنهدت مرة أخرى. "إلى اللقاء"، قالت ذلك المرأة اللطيفة الطيبة، وهى تشعر بالأسى أمام صروف هذا العالم الشرير المكتوبة على كل جزء فيها. وربما يظهر ذلك بكل تأكيد فى عينيها، أيضًا، لكنها لم تكن تنظر، لا تريد أن تنظر، إلى آليس؛ فقط قالت: "اطلبى ممن يليك أن يدخل".

قالت آليس ذلك، رابطة الجأش، حتى لا تبالغ فى الأمر، رغم أنها كانت تشعر بالراحة والامتنان، قالت: "أشكرك، إلى اللقاء إذًا"، وخرجت.

خمسة أسابيع عمر آخر، أى شيء يمكن أن يحدث.. وسوف يحدث. لكنها كانت على شعاع موجة من الحظ الطيب؛ سوف تنطلق إلى هيئة الغاز وتسوى المسائل.

وهناك، قالت إن المنزل ٤٣ طريق أولد ميل قد أصبح منزلاً متفقًا عليه، وستؤكد ذلك مارى ويليامز التى تسكن فى طريق بلسترود؛ وقد تم توصيل الكهرباء، ومسز وايتفيلد من هيئة الكهرباء سوف تؤكد ذلك؛ وأن أخاها، الذى فى البحرين حاليًا، سوف يضمن الدفع. وانتظرت حتى أنهى الموظف ما بيده من عمل، كان يبدو عطوفًا، كبير السن، أبويًا، وتوجهت إليه بالرجاء: "هل يمكن توصيل الغاز الآن، من فضلك، إن الجو شديد البرودة... ولا ماء ساخن... لا يحتمل..." وجهه المهتم المصدوم! هذا الرجل لم يكن من السهل أن يتخيل الحياة بدون ماء ساخن، على الأقل ليس بالنسبة لأناس مثله نفسه ومثل آليس.

مقدم؟

وضعت عشرين جنيهًا وركزت عليه عينين فتيتين ودودتين.

أخذ النقود. وافق. لكنه ليس راضيًا عن الوضع. مثل مسز وايتفيلد عند أول لقاء، لم يكن متأكدًا لماذا يشعر بأنه ملتزم تجاه آليس.

وعلق قائلاً: "لابد أن يكون لدينا ضامن"، وكأنما يحدث نفسه، وقال: "حسنًا، قلت أخوك سيعود بعد شهر؟ حسنًا".

قضى الأمر. وخرجت آليس، شاعرة بغاية الامتنان.

كان عليها أن تحصل على بعض النقود. لابد. من أين؟

فى اتزان، اتجهت عائدة إلى البيت، وقالت لفيليب إن الغاز سوف يتم توصيله. لو استطاعوا أن يضعوا أيديهم على سخان مستعمل، هل يعرف كيف يصلحها؟

قبعا متقابلين فى الطابق الأعلى، على بسطة السلم، فى ضوء إبريل المشرق، الذى كان يأتى خافتًا قليلاً بسبب الأتربة من خلال النافذة المطلة

على السلم. كان يبتسم، مسرورًا بها، وبهذا البيت، بمكانه فيه؛ مستعدًا للاستمرار فى العمل. ولكنها كانت تعلم أن الأسى والحزن هناك، لكن فقط مكبوتان؛ وسرعان ما ينبغى أن تجد المزيد من النقود له. من أجل السخان. ومن أجل ألواح أرضية جديدة فى الصالة، فى الركن حيث تساقطت مياه الأمطار من ماسورة غير محكمة. من أجل... ومن أجل... ومن أجل...

قالت: "فيليب، أعلم أنك لو أخذت هذا العمل على أساس أنه شغل فسوف تطلب المئات. حسنًا، لا تقلق... لكن انتظر قليلا. سوف أدبر الأمر".

أومأ برأسه، وابتسم، واستمر فى عمله، جالسًا وسط كومة من الكابلات السوداء الجديدة التى تشبه نوعًا من الجن الخبيث وسط أساسات البيوت المدينية. فكرت آليس أنه هزيل، من الممكن أن تنفخه فيطير، وشعرت بقلبها يؤلمها من أجله.

وأين جاسبر؟ لم يؤخذ إلى المحكمة هذا الصباح؟ أو أنه ذهب، وكان سخيفًا، فقبضوا عليه مرة أخرى؟

قلق، قلق، قلق؛ شعرت بأن القلق يؤلمها بشدة.

جلست مكومة أمام مائدة المطبخ. وفكرت، وهى تنظر إلى الغرفة اللطيفة: إننى آخذ الأمور كشىء مسلم به فعلا!

أجبرت نفسها على العمل ساعة أو اثنتين فى الكومة الهائلة من الأشياء التى جمعت من المقالب والتى كانت موضوعة فى ركن الصالة؛ تعلق ستارة هنا، وتفرش سجادة هناك. كل شىء كان بحاجة إلى غسيل جيد! حسنًا، سوف تنزل كل الستائر عندما يكون لديها وقت وتأخذها إلى محل التنظيف، لكن فى الأثناء... وجدت مقعدًا صغيرًا جيدًا، ألقى به إلى المهملات فقط لأن إحدى أرجله كانت مخلخلة. وضعت به غراء وألصقتها مكانها، ووضعته فى ركن المطبخ، وذهبت إلى الحديقة إلى شجيرة الفرسيثية، وقطعت بعض الفروع المزهرة. كانت المرأة العجوز نائمة فى

مقعدها تحت الشجرة. وكانت جوان روبنز على بعد ياردة واحدة عبر السور. كانت مسرورة لرؤية آليس، وبدأت تتكلم بصوت ثقيل متعب عن أن العجوز كيف اضطرتها للجرى على السلالم طلوعًا ونزولاً، بل لقد اضطرتها للصعود إليها فى وسط الليل. ماذا عليها أن تفعل؟ كانت متعبة من الأمر.

كانت آليس تألف هذه الحالة من مكان ما فى ماضيها المفعم جيدًا، وكانت تعرف أنه لا فائدة تقريبًا من فعل أى شىء؛ والواقع أن الحال سوف يصبح أسوأ. سألت إن كانت مسز روبنز تعلم عن الخدمات المتاحة للعجائز. نعم، لكنها لا تحب فكرة أن يدخل ويخرج كل هؤلاء الناس طوال اليوم؛ من هم؟ لم تسأل عنهم قبلاً.

واستمرت فى حديثها، وهى تحفر بعنف فى التربة على حدود حديقتها. لسنوات كان البيت متحضرًا ومنظمًا؛ هى وزوجها فى الطابق الأسفل، والحديقة؛ ومسز جاكسون، أرملة، تغلق على نفسها فى شقتها بالطابق الأعلى. لكن الآن وكأنها تعيش مع مسز جاكسون! قد تظنين أنها ابنتها! من المؤكد أن العجوز يبدو عليها أنها تظن هذا.

آليس، التى كان لديها كل الوقت فى العالم ولا شىء أفضل لتفعله، وقفت وهى تحمل فروع الفرسيثية تلمع بلون زهورها الصفراء على ذراعيها، تسمع وتنصح. من المؤكد سيكون من الأفضل الحصول على بعض المساعدات المنزلية. إعداد الطعام، كل هذا، وأحد العمال الاجتماعيين للنصح وتحمل المسئولية، هذا أفضل من أن تفعلى كل شىء بنفسك؟

وافقت جوان روبنز على أنه ربما يكون كذلك، سوف تفكر.... بابتسامة لآليس تعبيرًا عن عرفان حقيقى، جيرة، قالت إنها سعيدة لأن آليس هنا، سعيدة أن أناسًا محترمين أخيرًا يسكنون فى البيت المسكين.. رقم ٤٣.

دخلت آليس، ووضعت الفرسيثية فى إناء على المقعد الصغير فى ركن المطبخ، وجلست.

أين جاسبر؟

كانت هذه هى الليلة التى استقرت النية على أن يقوموا فيها بالطلاء بالرش. كان الطلاء عندها ـ علبتان، لون أسود ولون قرمزى ـ جاهزًا فى ركن الصالة.

وعلى مائدة المطبخ، خططت بعض الشعارات فوق ظرف.

ما الرسالة التى يريدون نقلها للناس؟ الرسالة الكاملة، بالضبط ـ هذا هو حيث ينبغى أن تبدأ.

استخدام المخبرين المزروعين يفضح الطبيعة الحقيقية للديمقراطية البريطانية. قانون واحد لإنجلترا، قانون آخر لأيرلندا الشمالية... المستعمرة الإنجليزية.

هذا هو. من الممكن أن يجدوا مكانًا، جسرًا، أو جدارًا واطئًا طويلاً لوضع ذلك عليه.

لابد أن تحاول التفكير فى عبارة أقصر.

زراعة المخبرين تهدد الديمقراطية!

لا، شديدة التجريد.

زراعة المخبرين... ظلم!.

زراعة المخبرين لطخة عار على بريطانيا!.

زراعة المخبرين... عار علينا!.

جلست ساكنة، ووهج الفرسيثية فى عينيها. أغلقت عينيها، وومض اللون الأصفر ورقص على الأسود. كانت تبتسم، متذكرة آخر مرة هى وجاسبر خرجا معًا. منذ أسبوعين فقط. وكتبا باللونين القرمزى والأسود "ادعموا نساء معسكر جرينهام"(*) فوق الطلاء الكئيب الرمادى المخضر

(*) معسكر النساء فى جرينهام: فى ١٩٨١ أقامت حركة نسوية تسمى «نساء من أجل الحياة على الأرض» معسكرًا من أجل السلام، اعتراضًا على قرار الحكومة بالسماح بإقامة مركز للصواريخ النووية الموجهة فى جرينهام ـ مقاطعة بركشاير، إنجلترا (المترجمة).

لجسر يبعد مائتى ياردة عن مركز شرطة. كانت ترش الطلاء؛ وجاسبر يراقب، من الناحية الأخرى للمركز. كانت قد انتهت عندما سمعت إشارته، صيحة برع فيها لتبدو مثل ضجيج سيارة. ألقت الرشاشة فى كيس المشتروات الذى تحمله. ولم تنظر إلى الخلف، سارت بسرعة على الرصيف، معتقدة أن جاسبر يسير الهوينى أمام مركز الشرطة. وربما بينه وبينها رجلان من رجال الشرطة. لكن الخطوات التى جاءت إلى جوارها كانت خطوات جاسبر - خفيفًا ومتعجلاً. هذا يعنى أن رجلى الشرطة ذهبا فى الطريق الآخر - لكنها يمكن أن تراهما إذا التفتت. وقفت هى وجاسبر ينظر كل منهما إلى وجه الآخر، بحيوية وفرحة، يعلمان أن أى شخص ينظر إليهما سوف يخمن، فقط من موجات الطاقة التى ترقص منبعثة منهما. كانت عينا جاسبر تقولان، هيا...

أسرعت عائدة إلى الطلاء الأخضر الناعم الذى بدا منتظمًا تحت إضاءة أحد مصابيح الشارع، الذى يبعد عشر ياردات. تقدم برصانة أحد رجال الشرطة وامرأة مبتعدين عنهما. انتظر جاسبر حيث كان. أخرجت رشاشة الطلاء الأحمر، وفى حروف على ارتفاع قدم تقريبًا، بدأت: "نساء معسكر جرينهام...".

احتفظت بنصف انتباهها على ما تفعله، والنصف على جاسبر، الذى رفع ذراعيه فجأة. وبدون أن تنظر حولها، أسرعت ناحيته، وهى تسمع خطوات ثقيلة تجرى خلفها. والآن كانت تشتم: الوحوش الأقذار، الفاشيون، خنازير، خنازير، خنازير.... وصلت إلى جاسبر، الذى أمسك برسغها بقبضته القوية، وجريا معًا نحو نفق المترو. لكن قبل أن يبلغاه التفتا إلى شارع جانبى، ثم أسرعا بدخول شارع جانبى آخر، مع أمل أن يكون ذلك قبل وصول الشرطى إلى ذلك الشارع. كانا يعرفان شخصًا يسكن فى منزل هناك. لكن دمهما كان يغلى، لقد اشتعل فيهما الإلهام، ولم تشعر هى بالدهشة؛ لأن جاسبر كان يلهث، "هيا ننتهز الفرصة..."، نهبا

الطريق نهبًا ودخلا إلى الطريق الرئيسى الذى كان مزدحمًا بالناس ـ محلات رقائق بطاطس وسمك، "تيك آواى"، ديسكو، سوبر ماركت، كلها لاتزال مفتوحة. ومرة أخرى، كان يمكن أن يدخلا إلى السوبر ماركت، لكنهما فكرا أن الشرطى كان قد رآهما، فأسرعا بالاختلاط فى زحام الناس الذين لم يلاحظ أحد منهم شيئًا كما توقعا، وعبر الطريق، قبيل تغير إضاءة الإشارة، والسيارات تكاد تتحرك، صاحا.

ونزلا إلى نفق المترو. لم ينظرا ليريا إن كان الشرطيان قد جاءا إلى الطريق الرئيسى فى الوقت المناسب ليرياهما. ومرة أخرى، كانت عينا جاسبر تطلبان أن ينتهزا الفرصة؛ سارا بخفة خارجين من النفق على الجانب الآخر، ورأيا رجلى شرطة ـ آخرين ـ يأتيان فى اتجاههما. تجاهلاهما وسارا عبرهما ببرود، ثم نزلا مرة أخرى إلى النفق. وركبا محطتين إلى حيث كانت آليس قد رأت جسرًا طويلاً منخفضًا على شارع رئيسى فوق خطوط القطارات. وكانت الساعة قد بلغت العاشرة، وتمطر قليلا. هنا كان مركز الشرطة بعيدًا بما يكفى. ومن ناحية أخرى، كانت السيارات تمر بانتظام. على الجسر كان مكتوبًا بالفعل، بحروف بيضاء "النساء غاضبات".

وقفا ذراعًا فى ذراع، ظهريهما إلى المرور، وكأنهما ينظران من فوق الجسر إلى خطوط القطارات، وكتبت آليس وهى تمسك بعلبة الرش بالأسفل، "وكلنا كذلك..."، وهو كل ما استطاعته دون أن تضطر للحركة. وتقدما بضع خطوات، ووقفا معًا مرة أخرى، وكتبت، "غاضبون، غاضبون، بسبب..." وبعد حركة أخرى.. "أيرلندا. بسبب التفرقة بين الجنسين، بسبب...." وتحركا. ثم سمعا ـ كانت آذانهما منتبهة لأقل تغيير فى صوت المرور ـ سيارة تبطئ خلفهما تماما. اختطف كلاهما نظرة من فوق كتفه: ليست سيارة شرطة. لكن كان هناك رجلان جالسان فى المقعد الأمامى، يحدقان.

أكملت آليس: ".... التسلح النووى". وسارا، ببطء، متقاربين للغاية، وهما يعرفان أن السيارة تزحف خلفهما. الثمل الذى خلقه هذا الفخر والتيه: متعة. لا يماثلها شىء آخر!.

والآن، وآليس تتذكر، شعرت بالحنين والاشتياق. أوه، كانت تأمل كثيرًا فى ألا يتأخر جاسبر كثيرًا، وألا يكون متعبًا، وأن يكون راغبا فى الخروج. لقد وعد...

... كانا قد سارا، ربما حوالى ١٥٠ ياردة. يا للحظ! كان المرور فى الشارع وحيد الاتجاه! والسيارة بالطبع لم تتبعهما. وفى نهاية ذلك الشارع، عادا إلى محطة الأتوبيس، وإلى كيلبيرن، حيث كانا يعملان من قبل.

لا لصواريخ كروز! لا لغواصات ترايدنت!"

لم يلحظهما أحد تقريبًا هناك.

ولأنهما شعرا بالخذلان، بدأ الشعور بالفخر يتسرب منهما، وقررا الاستسلام، وأخذا سيارة أجرة للعودة إلى منزل أم آليس، حيث أعدت آليس قهوة وبيضًا مقليًا.

والآن، كانت الساعة السادسة والنصف.

جاءت مارى، وجلست لوقت قصير مع آليس، وقالت إنها هى وريجى سيذهبان إلى السينما. لقد تبادلت كلمة بخصوص تلك الفتاة، مونيكا؛ والواقع أنه ليس ثمة شىء، لا شىء على الإطلاق. وقد فعلت كل ما تستطيع، لابد أن تفهم آليس.

قالت آليس: "لا عليك، لقد فكرت فى شىء".

رأت مارى المظروف عليه الكتابة، ابتسمت، وقالت: "سوف نذهب أنا وريجى إلى مظاهرة السلام الأخضر غدًا".

قالت آليس: "هذا جيد لكما".

"لكن الأمر يصدمنى، إنه مرعب، نهب الريف..."

قالت آليس: "أعلم، لقد حضرت بعض مظاهراتهم".

شعرت مارى بالارتياح: "هكذا!"، رأت آليس هذا بوضوح، أنهما يتشاركان فى هذا؛ لكن ريجى ألقى تحية من الصالة، وبابتسامة، ذهبت مارى.

أين كانت روبرتا وفاى؟ ربما فى كوميونتهما النسائية. وأين فيليب؟ ربما طردته فتاته، لكنه كان لا يزال يذهب هناك بانتظام لتناول الطعام وأخذ الحمام، هكذا قال برت. جيم؟ الآن، كان هذا سؤالا مهمًا، أين هو؟ صاحب الوجه الباسم، والصوت المرح. ولكن ماذا يجرى، حقًا؟

فيما عدا أن بيته، مكانه، تم الاستيلاء عليه بهذه الطريقة.

القلق، القلق، جلست آليس فى قلق.

وجاء جاسبر، مبتسمًا، طروبًا، يخطو كراقص، ومرة واحدة قال: "أوه، جميل"، عند رؤيته للأزهار. ها هو: الناس يقولون هذا وذاك عنه، لكن لا أحد يعرف كم أنه شخص حساس، ولطيف. والآن مال ليقبل خدها؛ كانت قبلة خفيفة رسمية، لكنها فهمت هذا؛ فهمت أنه عندما ـ من النادر ـ كانت تضع ذراعيها حوله عندما تفور مشاعر الحب لديها، تتضاءل الغريزة، وكأنها تحتضن طيفًا، شيئًا باردًا وشكاء، طفلاً تائهًا. وكان هو يحاول أن يتحمل هذا، الانفجار المفاجئ لحبها؛ كان يمكن أن تشعر بقرار شجاع للاحتمال، وحتى نية الاستجابة. وهو الأمر الذى لم يكن يستطيعه، بالطبع، ليس الأمر العضوى؛ كانت تعرف أن ما تشعر به من تدفق العاطفة كان يشعر به كمطالبة بهذا "الأمر".

توقف بالقرب منها، مشعًا، يرقص بحماس، بدرجة زائدة من الفخر والسعادة.

"إذًا كان كل شىء على ما يرام".

"ثلاثون جنيهًا".

"كثير، أكيد؟"

قال مفتخرًا: "لقد عرفونى".

"كيف كانت الزنزانة؟"

"أوه، ليست سيئة. أطعمونا - ليست سيئة. لكنى كنت مع جاك - رغم أن الأمر غير معلوم، أنت تفهمين!".

"نعم، بالطبع. ما لا أعرفه..."

".... لن يضيرك". فرك يديه، وبدأ خطوات سريعة خفيفة رشيقة حول المطبخ: للزهور، التى لمسها برقة؛ ثم إلى النافذة؛ وعائدًا إليها. وضعت الغلاية، ووضعت قهوة فى فنجان، ووقفت بجوار الموقد، لكى تكون واقفة، لا جالسة، بينما كان هو يتحرك بحيوية ورشاقة فى المكان.

"برت لا يعلم، أيضًا. أين هو؟ برت؟"

"لكنه أخبرك، لقد ذهب لقضاء عطلة نهاية الأسبوع مع بات".

"أوه، نعم... عطلة نهاية الأسبوع - كم يومًا؟" كان الآن واقفًا ساكنًا، عابسًا، يشعر بأنه مهدد.

"حتى مساء الأحد".

قال: "لأننا ذاهبان فى رحلة، هو يعلم أننا ذاهبان، ولكن ليس قريبًا جدًا. جاك يقول...".

قالت آليس: "اسم أيرلندى لطيف".

ضحك، مستمتعًا بمزاحها معه. "حسنًا، هناك جاكات فى أيرلندا". واستمر: "وكيف عرفت... لكنك دائمًا تعرفين، أليس كذلك؟" قال هذا بطريقة لاذعة.

أعولت، مازحة، كما اعتادت أن تفعل عندما يدهش بما هو واضح بالنسبة لها: "ولكن أين أيضًا؟ أنت وبرت وجاك ذاهبون إلى أيرلندا لأن جاك فى ج.ج.أ؟"

"فى الاتصال. له علاقات. يمكنه أن يدبر مقابلة".

قالت آليس: "حسنًا، إذًا!"، وهى تناوله فنجانًا من القهوة السوداء، ثم جلست ثانية.

وقف صامتًا، ساكنًا لحظة. ثم قال: "آليس، لابد أن يكون معى بعض النقود".

فكرت آليس: "حسنًا، هذا هو". تعنى، نهاية هذه المودة المرحة. وأعدت نفسها لمشاجرة.

قالت: "لقد أعطيت برت النقود التى أعطاها لك لدفع الغرامة".

"لابد أن يكون معى ثمن الرحلة إلى دبلن".

"لكنك لا يمكن أن تكون قد أنفقت نقود الإعانة الخاصة بك!".

تردد قليلا. هل فعل؟ كيف؟ لم تستطع أبدًا أن تفهم أية كذبة فعل بها، أين ذهبت. لم يكن لديه وقت لكى... حياته تلك الأخرى، لقد كان مع برت، مع جاك!.

"قلت إننى سوف أدفع لرحلة جاك. فقد أفلس فى دفع نقود الغرامة".

"هل غرم ثلاثين جنيهًا أيضًا؟"

"لا، خمسة عشر".

قالت آليس: "لقد كنت أنفق وأنفق. لا أحد يساعد. إلا شذرات قليلة هنا وهناك". وفكرت: على الأقل مارى وريجى سوف يتحملان نفسيهما، على الأقل يمكن أن نقول هذا عن أشخاص من نوعهما... فقط حتى القيمة المناسبة بالضبط، لا أكثر، ولا أقل.

قال جاسبر: "لا يمكن أن تكونى قد أنفقت كل هذا". وبدا له وكأنها كانت تعاقبه عامدة. "لقد رأيتها، كانت مئات".

"ماذا تفترض أن تكون تكاليف كل هذا".

والآن - كما توقعت - التفت يده حول رسغها، بقوة وإيلام. وقال: "بينما أنت تلعبين لعبة البيت والحديقة، وتسكبين النقود هباء على القمامة، على القضية أن تعانى، وتستمر بدون نقود".

حدق فيها بعينيه الصغيرتين الزرقاوين الغائرتين وسط بشرة شديدة البياض، بدون أن ترمشا، واشتدت قبضته. لكن منذ وقت طويل كانت قد حصلت على حصانة من هذا الاتهام بالتحديد. دون مقاومة، تاركة رسغها رخوًا فى الدائرة العظمية ليده، وبادلته النظرة القاسية، وقالت: "لا أرى سببًا يجعل من الضرورى أن تدفع أجرة الرفيق جاك. أو نفقاته. إن لم يقابلك، ماذا كان سيفعل من أجل دفع أجرة المواصلات؟"

"لكنه يذهب فقط من أجلنا - لكى نتمكن من عمل اتصال".

أجبرت نفسها على محاربته: "لقد أخذت نقود ثلاثة أسابيع هذا الأسبوع. وكان معك مائة وعشرون جنيهًا فوقها. وأنا دفعت غرامتك. لا يمكن أن تكون قد أنفقت أكثر من عشرين جنيهًا على ركوب المترو وبعض الطعام العابر".

عندما فعلت هذا، جعلته يعرف أنها فعلت هذا التقدير الماهر الصامت لما أنفقه، وما لابد أنه يفعل، شعر بكراهية شديدة نحوها، وأظهر هذا. ابيض وجهه ممتلئًا بالكراهية. شفتاه الورديتان الرقيقتان، اللتان كانت فى العادة تحبهما لرقتهما وحساسيتهما، كانتا مشدودتين فى خط باهت، وبينهما ظهرت أسنانه الحادة الخالية من اللون. بدا مثل الفأر، وفكرت بثبات، عالمة أن حبها له لم يقل ذرة واحدة.

"لماذا لا تذهبين وتحضرين المزيد من أمك اللعينة، منها؟ أو من أبيك؟"

لم تكن قد أخبرته بالتحديد من أين جاءت بكل تلك النقود التى أنفقت بمنتهى الأريحية فى البيت، لكن بالطبع كان قد خمن.

قالت بثبات: "سوف أفعل عندما أشعر بأن ذلك ممكن. لكنى لا أستطيع الآن".

ترك رسغها ووقف.

والآن سوف يعاقبنى، سوف يأخذ أشياءه إلى غرفة أخرى لينام فيها.

صمت طويل، بينما كان يتململ مغمومًا.

وبحزن، اقترح: "هيا بنا نخرج لنأكل".

"نعم، هيا". ارتفعت معنوياتها مرة أخرى، رغم أنه لم يكن ثمة ذكر لألوان الرش، ورأى الشعارات المكتوبة على الظرف الموجود على المنضدة.

قال، بلطف: "إننى آسف لأننى لن أذهب لكتابة الشعارات الليلة يا آليس. لكن ما المغزى؟ لا أريد أن أجذب الانتباه لنفسى فى هذا الوقت وأنا مقبل على أمر مهم".

قالت: "عندك حق، بالطبع". وهى تفكر أنها فى سنوات من الكتابة بالألوان الرش، من الاندفاع والجرى بالقرب من الشرطة، والسخرية منهم بفعل ذلك بالقرب منهم، لم يكن يحدث أن يقبض عليهما إلا عندما يريدان هذا. كان هذا هو الواقع.

أراد جاسبر أن يتحدث عن اليومين اللذين قضاهما فى ملستيد، وعن الإضرابات، والإثارة فى كل هذا، الاعتقال، الليل فى الزنازين. وعن جاك. ذهبا إلى مطعم هندى، حيث تحدث وتحدث، وهى استمعت بحرص شديد، محاولة تجميع ما قاله مع تخيلاتها لكل هذا. دفعت حساب الوجبة. وذهبا إلى حانة وشرب هو مشروبه المعتاد، النبيذ الأبيض، وهى، عصير طماطم.

وعندما عادا إلى المنزل، انتظرت، متوترة، أن ترى إن كان سيأخذ أشياءه إلى غرفة أخرى، لكنه لم يقل شيئًا عن الأمر، وإنما تسلل إلى كيس نومه بتنهيدة جعلتها تهدأ؛ كانت تنهيدة طفل يجد مكانًا آمنًا.

لم يقل أى شىء آخر عن النقود، لكن الآن بدأ مرة أخرى. هذا هو السبب فى أنه لم يأخذ أشياءه إلى الخارج.

تجادلا، بثبات، فى الغرفة المظلمة، بينما كانت الأضواء تتواتر فوق السقف. فى النهاية وافقت على أن تعطيه النقود لأجرة جاك. كانت تعرف أنه لسبب ما كان من المهم لجاسبر أن يأخذها منها. أمر جوهرى. كان هناك دائمًا تلك اللحظات بينهما عندما كان عليها أن تستسلم، ضد المنطق، ضد العقل: هو ببساطة لابد أن يكون الفائز. عرفت أنه كان معه مائة جنيه، ربما أكثر. ربما حتى أكثر بكثير. عندما قال لها، فى حالة من القسوة الساخرة كانت تستولى عليه أحيانًا، أنه كان يدخر بهدوء طوال تلك السنوات نقودًا كافية "لأتخلص منك إلى الأبد".

لم تكن ترى ـ فى أىٍّ من هذا ـ شيئًا معقولاً، عندما فكرت فيه، لكنها شعرت بقوة الفكرة.

والدته، حسنًا، لم تكن آليس تنوى أن تتورط حتى فى التفكير فى كل تلك الحالات النفسية المحزنة، لكن لا عجب أن لديه مشاكل مع النساء.

***

فى الصباح، بعد قهوة الإفطار، وقف صامتًا وشاحبًا، بالقرب منها حتى أعطته نقود الرحلة إلى دبلن. ثم قال إنه سوف يلتقى بجاك ويتحدثان. ولو لم يرجع الليلة، فسوف يعود غدًا، وعليها أن تخبر برت أنهما ذاهبان إلى أيرلندا يوم الثلاثاء، فى الصباح الباكر.

وذهب. فكرت: هل هو بسبيله لشىء من أفعاله، إذًا ـ قضاء بعض الوقت فى كوخ، أو رحلة...؟ لم تكن تعتقد ذلك. لن يخاطر بهذا، ليس وروحه كلها مركزة على الرحلة إلى أيرلندا. هل "جاك" إذًا، مثله؟ لا، كانت متأكدة من ذلك. الحديث عن جاك، كان مثل حديثه عن برت، كيف كان يتحدث عن الرجال الذين له بهم تلك العلاقة المعينة: الإعجاب، الاعتماد، يمكنك أن تقول سلبية... لكن من كان يحدد المسيرة الآن، من الذى جعل برت يذهب إلى أيرلندا، وجعل جاك يأخذهما؟ لا، الأمر ليس بسيطًا بالمرة، هذا الأمر الخاص بالأخ الأصغر.

كان لديها اليوم كله، وحدها، كما يمكن أن نقول.

تسلق فيليب إلى العلوية. لابد أن تصعد وتساعده، تقف إلى جانبه، أو سوف يبدأ بالشعور بالمرض مرة أخرى. جيم. أين جيم. ما الخطأ؟ لم يعد إلى البيت منذ الأمس.

فاى وروبرتا؟ لقد سمعتهما تعودان فى وقت متأخر للغاية. قالت بات إنهما ذهبا إلى سينما منتصف الليل، ثم إلى حفلة. حياتهما الأخرى. النساء. عالم النساء المتقارب، الفاجر. كما ترى آليس. المتخم، المغلق. هذا ليس لها! لكنهن مرحب بهن فيه. دع ألف زهرة تتفتح، وكل هذا... العاشرة صباحًا، ومارى وريجى لا يزالان فى الفراش. نزلت مارى، وصنعت كوبين من القهوة، وأخذتهما إلى أعلى، ولابد أنهما يرقدان جنبًا إلى جنب فى ذلك السرير المزدوج الرائع، الذى كان له ظهر خشبى لائق خلف الرأس، ومنضدتان جانبيتان متصلتان به. حتى فكرة هذا السرير، الحياة التى يدل عليها ضمنيا هذا السرير، جعلت آليس تشعر بالتهديد. ملتصقين معًا طوال الحياة فى هذا السرير، يشربان أكوابًا من القهوة، ينظران على الناس الذين ليسوا مثلهما بتلك الطريقة الحذرة التى توحى بالإبعاد.

من أين سوف تأتى بنقود. من أين. لابد أن تأتى بها. لابد أن يكون معها نقود. لابد.

يوم الأحد.

ما أسوأ هذا، لا يزال يوم الأحد ستة أيام بعد أن غادرت هى وجاسبر بيت أمها. بعد أن غادرا البيت. لقد تمكنت من إنجاز كل هذا، فى مثل هذا الوقت القصير. مليئة بالطاقة، صعدت إلى العلوية وإلى فيليب، فى زيه الأبيض، رجل شجاع ذكى يتحرك تحت عوارض السقف المائل. كانت هناك رائحة عفونة بشعة.

قال: "هناك عارضتان ينبغى تغييرهما. متآكلتان من العفن الناخر. سوف ينهار البيت كله".

نقود. لابد أن يكون لديها نقود.

الوقت مبكر للغاية على سؤال مارى وريجى. عند نقطة معينة سوف تحدث مفاوضات. ويمكنها أن ترى المشاعر المكتوبة على وجهيهما بالفعل. تلك الوجوه اللعينة للطبقة المتوسطة، عندما يوضع موضوع النقود على الأجندة. يا إلهى، كم تكرههم، أبناء الطبقة الوسطى، بخلاء، يقترون بكسراتهم الضئيلة، وفى عقولهم دائمًا فكرة التوفير والتراكم، التوفير. فكرت آليس، وشعرت بمرارة فى فمها، وهى تقف تحدق فى عارضة على بعد قدم بدت رمادية ومشققة، وبها ألياف بيضاء تميل إلى الصفرة. العفن الناخر نفسه، الذى قد يمد أذرعه الزاحفة على كل الخشب، إذا أتيح له، ثم يزحف على الجدران، إلى الأرض تحته، وينتشر كالوباء.

فكرت: لقد كنت أعيش هكذا منذ سنوات. كم من السنوات؟ هل بلغت اثنى عشر، الآن؟ لا، أربعة عشر عامًا، لا، بل أكثر... العمل الذى قمت به من أجل أناس آخرين، جمع الأشياء معًا، جعل أشياء تحدث، إيواء من لا مأوى لهم، إطعامهم. وكما يحدث فى الغالب، لا يدفعون شيئًا. لنفترض أننى وفرت قليلا، حتى قليلاً جدًا، من تلك النقود، لنفسى، كم يكون لدى الآن؟ حتى لو كانت مجرد بضع مئات من الجنيهات، خمسمائة، ستمائة، لما كنت أقف هنا وقد أمرضنى القلق.

"كم يكلف تغيير هاتين العارضتين؟"

"الخشب حوالى خمسين، خشب سبق استعماله. رغم أننى من المحتمل أن أجد ما أريد فى أحد المقالب لو استطعنا أن نستعير السيارة ثانية".

ثم قال بضحكة صغيرة دفاعية: "أما بالنسبة للعمالة..."

قالت آليس: "لا تقلق". كانت تفكر: وسوف يحتاج مساعدة. لا يمكن أن يحمل عوارض ضخمة ويضعها فى مكانها، ويقف ليدعمها؛ لابد أن يحتاج سقالات أو شيئًا. وهذا يعنى نقودًا.

سوف تنزل وتسأل مارى وريجى.

على المنضدة وجدت مذكرة: "لقد ذهبنا إلى مظاهرة السلام الأخضر. مع حبنا، ريجى ومارى". خطه هو "مع حبنا!" جلست إلى المنضدة وحسبت كم من النقود بقيت لديها. كانت خمسة وثلاثين جنيهًا.

صعدت إلى الأعلى ثانية وأخذت تعمل مع فيليب، تزيل القمامة من العلوية. من أين جاء كل هذا، دائمًا قمامة وقمامة، جوالات منها مرة أخرى، ملابس قديمة، معظمها بالية، وسجادة قديمة، مناسبة للاستخدام، مزيدًا من الملابس القديمة. قمامة. قمامة؟ فى قاع صفيحة قديمة سوداء تحت كومة من الأحذية البالية، كانت طبقات من القماش الناعم الجيد، أثواب ملفوفة فى نسيج ورقى أسود. أثواب تصلح للمساء. ألقت بها إلى الأسفل من خلال الباب المسحور وقفزت وراءها لتنظر إليها جيدًا. حسنًا، انظر هذا! ثلاثة أثواب مسائية جميلة بالفعل، كل منها ملفوف بمفرده فى نسيج ورقى أسود. تعود إلى أوائل الثلاثينيات. أحدها من الدانتيلا بلون أصفر وأسود وبرتقالى، مع خيوط ذهبية. وله صدارى بسيط رقيق يصل إلى الردفين، ثم هناك اتساع تدريجى يبدأ من نقاط صغيرة كثيرة، مثل أوراق الزهور. وجعلتها الرائحة المعدنية للخيط الذهبى ترغب فى العطس.

وقفت آليس بعيدة عن الباب المسحور أعلى فى العلوية لكى تكون بعيدة عن رؤية فيليب، وخلعت قميصها. وأسدلت الثوب اللامع من رأسها. لم يكن لينزل عن ردفيها، وانحشر فى لفة كثيفة حول وسطها. لم تكن ثمة مرآة فى المنزل، فلا يمكنها أن ترى كيف يبدو ذراعاها وكتفاها، لكنها رأت يديها الثابتتين الكلفتين تتململان فى لفة القماش، وشعرت بأن الثوب كان يطالب بأن تعترف به، مثل محتال يطالب بالتعرف عليه. خلعته مرة أخرى غاضبة، وارتدت قميصها مرة أخرى، ومعه شعور بالملاءمة، بل حتى بالفضيلة، وكأنها كانت قد أغريت بفعل ممنوع للحظات. لم تحاول ارتداء الشيفون المشمشى، الذى كانت به رقع من الخرزات الفضية فى الخلف والأمام، بعضها بدا غير مثبت جيدًا، وبعضها اختفى وكأن حشرة تأكل

الخرز عملت عليه. أمسكت بالثوب الدانتيلا الأخضر من تنورته الواسعة تقيسه على جسمها. كان ضيقًا من الأعلى، والصدر على شكل حرف "فى" من اللون الوردى الباهت فى الناحية الأمامية، والخلف به قصة من أسفله عند العصعص، على شكل حرف "فى" أيضا. وأثواب مسائية، "النيو لوك"، لامعة وجيدة بالفعل. من وضعها هناك، غير قادر على التخلص منها؟ من نسيها وذهب تاركًا كل هذه الأشياء هناك؟ فرجت فيليب على الأثواب، الذى ضحك منها، لكن عندما قالت إنها قد تأتى بشىء مقابلها، مبلغ كبير، هز كتفيه، باحترام غير مقصود.

وضعت الأثواب فى حقيبة، وأخذت الأتوبيس إلى شارع بل، إلى محل كانت أمها، فى أزمة مالية، قد باعته بعض الأثواب. وقد حصلت على أكثر من مائة جنيه.

كان اليوم يوم السبت، والأسواق مزدحمة. المرأة فى الدكان الذى يبيع ملابس أثرية كانت مشغولة بالفعل مع زبونة معجبة بثوب من الكريب دى شان الأبيض يعود إلى العشرينيات، وكان به شغل بالترتر على شكل ورود كالقشور حول الردفين. دفعت تسعين جنيهًا من أجله. وكان به لطخة على الكتف، قالت إنها سوف تخفيها بوردة ذهبية.

دخلت آليس مباشرة بحقيبتها، ورأت عينى المرأة تضيقان جشعًا وهى تخرج ما كان فيها. كانت آليس قد قررت أن تحصل على كل بنس تستطيع الحصول عليه. وراحت تفاصل بدقة حول كل قطعة، وهى تلاحظ عينى المرأة، التى كشفت عنها. كانتا عينين ذكيتين، ضيقتين، تستخدمان فى فحص الغرز الصغيرة الدقيقة، مزق دقيق، مجموعة من التطريز. عندما أخرجت آليس الثوب الشيفون المشمشى ذى الخرزات الفضية، تنهدت، وتدلى لسانها، الذى كان كبيرًا وباهتًا، فوق شفتيها.

هذا أخذت آليس عنه ستين جنيهًا، رغم أن المرأة ظلت تقول إنه لابد من خياطة ماهرة لاستبدال الخرزات الناقصة، وأن ذلك سوف يكون مكلفًا

ـ لم يكن لدى آليس أى فكرة كم قد يكلف. ابتسمت آليس بأدب، وأومأت، ولم تتنازل.

عادت إلى البيت ومعها ٢٥٠ جنيهًا، وهى تعرف أن المرأة سوف تبيع هذه الثياب بأربعة أضعاف ذلك. لكنها كانت تشعر بالرضا.

لن تخبر جاسبر. وهذا يعنى أن الوفاء يمنعها من إخبار فيليب ـ الذى لن يصدقها على أية حال. أخبرته أنها حصلت على ١٥٠ جنيهًا، وأعطته مائة، وسمعته يتنهد قليلا؛ تنهيدة مختلفة عن تلك الزفرة التى خرجت من صدر المرأة فى المحل. مثل طفل ـ مثل جاسبر يدخل فى كيس نومه فى الليلة الماضية، العودة إلى البيت، إلى الأمان.

حسنًا، هذا سوف يجعل الأمور تسير، لكن ليس طويلا. أنفقت هى وفيليب ستين جنيهًا منها فى ذلك المساء لشراء سخان مستعمل يعمل بالغاز. وخمسة جنيهات لتوصيلها إلى البيت. وفى نهاية الأسبوع ستكون هناك مياه ساخنة. بل وتدفئة، إذا كانت هذه المدافئ التى لم تُسرق لا تزال تعمل ولم تتأثر بالإهمال.

ولم يكن الأمر أن آليس تهتم بالدفء، ولا حتى بعد أربع سنوات فى بيت أمها الدافئ. لقد أصبحت معتادة على التكيف على درجات حرارة مختلفة. قبل بيت أمها كانت قد مرت بشتاء فى أحد البيوت المهجورة لم يكن به أية تدفئة على الإطلاق. كانت فقط ترتدى ملابس كثيرة، وتتحرك باستمرار. وقد جأر جاسبر بالشكوى، وأصيب بتقرح فى قدميه من الرطوبة، لكن حتى هو تحمل الأمر؛ إلا أن ذلك كان أحد الأسباب التى جعلته يسر بالانتقال للمعيشة مع دفء أمها، بعد شتاء بارد.

قضت أمسية طويلة تعمل مع فيليب، كمساعدة له، تناوله الأدوات، تحمل بثبات بطارية ضوء قوية. وراقبت يديه الرشيقتين النحيلتين تحت الضوء، وعرفت أن هذا الشخص ربما كان، ينبغى أن يكون، حرفيًا ماهرًا، بارعًا، من نوع ما، ولا ينبغى أبدًا أن يظل يصارع مع المواسير وألواح

الأرضيات التى تبدو أثقل منه. هذا، التبديد فيه، ملأها بالسخط الذى جعلها تستمر فى العمل، ملأ عقلها بالأفكار التى تبرر كل شىء تفعله: فى يوم من الأيام، سوف يكون من المستحيل استغلال أناس رائعين مثل فيليب، وأن يظلوا ينظر إليهم من أعلى، يهانون بسبب الظروف؛ فى يوم من الأيام، وبفضلها هى، آليس، ورفاقها ـ سوف تكون الأمور مختلفة.

فى منتصف الليل، عرفت أن جاسبر لن يأتى. بدأ قلبها عويلاً خفيفًا خاصًا، جعلها تشعر بالخجل وتكبته. طبخت لحمًا وبيضًا لفيليب، وعندما صعد لينام، انتظرت، ليس فقط من أجل جاسبر، بل من أجل جيم أيضًا. مشكلة! كانت تشعر أن هناك مشكلة فى الطريق.

جاءت مارى وريجى، مبتسمين، ويلمعان بتلك النظرة الخاصة بحضور مظاهرة ناجحة. جلسا مع آليس، وبينما يشربان القهوة أخبرها كيف أن مئات ساروا ضد التلوث فى منطقة معينة على الشاطئ. وتركا آليس مع كومة صغيرة من الأوراق الإعلانية والبيانات، وعندما سمعا أن المياه الساخنة سوف تكون سريعًا من ضمن أسباب الراحة فى هذا المنزل، علق ريجى بأنهم ينبغى أن يتحدثوا عن التمويل. لكن الليلة كانا متعبين جدًا وعلى وشك الوقوع، ولابد أن يناما. وصعدا إلى أعلى، متقاربين للغاية. عرفت آليس أنهما سوف يمارسان الجنس. حسنًا، سوف تظل هنا بالأسفل فترة أطول، إذًا.

لكن مارى وريجى عادا إلى أسفل، ممتلئين بالابتسامات، يسألان عن الملابس، القمامة التى ملأت أرضية الطابق الأعلى. نسيت آليس أنها كانت تنوى أن ترتبها، قالت إنها سوف تفعل، غدًا. مزيدًا من الابتسامات، ومرة أخرى صعدا إلى أعلى.

وفكرت آليس، وماذا لو لم أزلها؟ بالطبع لن يفعلا! لن يخطر على بالهما! أنا صنعت الفوضى، وبذلك علىّ أن أزيلها. أوه، حسنًا، أنا أعرفهما، أنا أعرف هذين الاثنين، أنا أعرف الطبقة الوسطى... عليهم اللعنة جميعًا.

لكن وهى جالسة هناك، تفكر فى كل هذا الهراء، الذى ينبغى لفه وحمله إلى أسفل، ووضعه فى الحديقة، ثم جعل رجال القمامة يأخذونه، والذين ينبغى أن يتم الدفع لهم، خطرت فى بالها فكرة جديدة. عندما رأت تلك الأثواب المسائية البديعة كانت قد ألقت بها إلى أسفل من خلال الفتحة ونزلت خلفها. لكنها لم تنته فحص ما كان فى العلوية، لقد كانت هناك علب أخرى، صناديق، وحزم مربوطة. لماذا، ربما يكون هناك المزيد من الثياب القديمة الأثرية، وهذا يعنى نقودًا أكثر.

أسرعت إلى أعلى، ونسيت كل شىء عن مارى وريجى فى غرفتهما تحت جزء من العلوية، وصعدت على السلم الخشبى النقال الذى كان لايزال فى مكانه، لأن فيليب لم ينته بعد. وفتحت كشافه الضوئى القوى. والواقع، كانت معظم الصناديق قد فتحت، ولكن على أطراف العلوية، تحت الحواف الواطئة للسقف، كانت ثلاثة صناديق تبدو من طراز قديم، من النوع الذى كان الناس يأخذونه فى الرحلات البحرية، "للاستخدام فى الرحلة". كانت من نوع من القماش، ملونة، بلون جوزى لامع، لكنها الآن باهتة ومعتمة، وبها أشرطة من الخشب لإعطائها قوة. فتحتها، واحد، اثنان، ثلاثة، وقلبها يدق بقوة. فى الأول كانت صحف. صحف؟ ركعت بجوار الصندوق، تبعثر الصحف، لتصل أسفل وأسفل، وتبحث فى الأركان. أكوام صفراء من الصحف، وكان هذا كل شىء. لماذا؟ ما السبب؟ أى "جنون"...، الصندوق الثانى كانت به صحف تغطى كتبًا. ليست كتبًا خاصة، لا كنوز هنا، فقط المجموعة العادية لعائلة ما. كتب قديمة باهتة. التعويذة، كتاب غلافه بنى متآكل. درر صغيرة من الإنجيل، هنتى. أحبت وضاعت... كنز سييرا مادرى... الكروشيه... ومجموعة من أعمال دكنز.

قد تحصل على جنيه أو اثنين مقابل كل هذا. لكن كان هناك صندوق آخر. فتحته وهى تدعو، ورأت أنه كان خاليًا، فيما عدا نصف دستة من برطمانات المربى تتدحرج فيه.

ملأتها عاصفة من الغضب. قامت على قدميها، تركل الصناديق، ثم تلقى بالكتب والصحف والبرطمانات حولها فى العلوية، تشتم الناس الذين

تركوا هذه القمامة هناك. "أقذار، أوباش"، كانت تصرخ. "أقذار فاشيون. سوف أقتلكم، سوف أطحنكم... أنتم... إربًا..."

استمرت العاصفة، وسمعت اسمها يتردد من أسفل: "آليس، آليس، ما المشكلة؟"

"الأقذار الملاعين يكدسون قمامات الطبقة الوسطى" . وانهمرت الصحف، والبرطمانات، والأحذية، والأشياء المهلهلة من خلال الفتحة حول ماري وريجي.

"ما المشكلة، هل يمكن أن نساعد؟"

رأت الاثنين في حالة من القلق، وجهاهما يظهران الاهتمام، مواطنان مسئولان، ينظران لأعلى، متجاورين، وقد ألقى الكشاف المهتز المرتعش الضوء عليهما، وفجأة ضحكت. وقفت فوقهما، وراحت تترنح، ضاحكة.

صاحت ماري: "أوه، آليس..."، وزقزق ريجي: "أوه، آليس"، وبدا في صوتهما بعض اللوم، والعتاب، والتوبيخ، ووقعت آليس، تدحرجت على حافة الباب المسحور، وتعلقت في حافته بيديها القويتين، وتأرجحت وألقت نفسها لأسفل، لتنزل على قدميها بجوار ماري وريجي، ضاحكة وهي تشير إليهما: "لو استطعتما أن تريا أنفسكما، لو استطعتما فقط رؤية" .

وترنحت، ووقعت بين البالات المتكومة والأحذية الملقاة والملابس حول المكان. وزجاج مكسور متناثر.

نظر ماري وريجي كل إلى الآخر، ثم إليها، وذهبا مترددين إلى غرفتهما. وسمعت صوت الباب يغلق، بأدب وهدوء رغم كل شيء، مما جعل آليس تضحك مرة أخرى. وانهارت على الأرض، بين كل القمامة، مستهلكة نفسها في الضحك حتى الصمت. ونظرت إلى أعلى إلى الفتحة، لترى الكشاف مضيئًا هناك. وقد أظهر العوارض الخشبية المنحدرة للسقف، وظهرت العارضتان المتعفنتان، واللتان بدتا هنا من أسفل وفي هذا الضوء في حالة رديئة للغاية.

تسلقت إلى أعلى مرة أخرى، وبدون أن تنظر إلى العارضتين الخطيرتين، بدأت بتعقل تغلق الصناديق، وترتبها قليلا. هل كانت فعلاً تنوى أن تخرج كل شىء من هنا؟ لماذا؟ من أجل من؟

أطفأت الكشاف، تاركة إياه بالضبط فى مكانه السابق، لفيليب. وغادرت العلوية، على السلم هذه المرة، ثم ركلت كل القمامة لتصنع كومة هائلة بجوار الدرابزين. كانت تصنع ضوضاء مرعبة، لكن وماذا فى ذلك. كانت تفكر أن ذلك أفضل لهما، فى يوم من الأيام سوف يقولان، مارى وريجى، نعم، لقد حاولنا أن نعيش فى كوميون، حاولنا بصدق، لكننا نخشى.

كانت تهتز من الضحك مرة أخرى. نزلت إلى أسفل، صائحة، تنشج مرحًا. إن كان الأمر مرحًا: لقد سمعت تلك الصيحات الحزينة وفكرت، إننى أضحك بصوت مرتفع من الجانب الخطأ من فمى.

فى الثالثة صباحًا ذهبت بائسة إلى الفراش، وهى تعد نفسها بأنه فى الغد ستكون غرفة واحدة على الأقل قد طليت. هذه الغرفة، ربما. كانت تعرف أن جاسبر سوف يكون مسرورًا، حتى لو بدا ساخرًا. وعندما فكرت فى جاسبر، تساءلت ماذا كان يفعل، مع من، ونامت نومًا متقطعًا، واستيقظت قبل ساعات من استيقاظ أى أحد آخر، وأخلت الغرفة من القليل الذى كان فيها، وأحضرت منصة فيليب والألوان وأسطوانات التلوين، ونفضت السقف والجدران بمنفضة مربوطة على رأس مكنسة، ثم كنست الغرفة من الطبقة الرقيقة من التراب. كانت الساعة لا تزال السابعة.

جلست وحدها فى المطبخ بكوب من القهوة، ناظرة إلى زهور الفرسيثية الذهبية، كانت تتقد بالصحة والطاقة والإنجاز. لو كان جاسبر هنا، ما كانت تستطيع فعل هذا، لكانت مضطرة لتكييف إيقاعها على إيقاعه... أحيانًا، نادرًا جدًا، كانت الفكرة تأتى إلى رأسها: لو كنت وحدى، لو لم يكن هناك جاسبر لأقلق بشأنه... نادرًا، وكانت هذه إحدى تلك

المرات النادرة، كانت تعرف أنها مربوطة إليه بما يبدو خيطًا رفيعًا من التوق يتردد مهتزًا على نغمة احتياجاته، وليس احتياجاتها هى أبدًا؛ كانت تعرف كيف أنها مصابة به، وكيف أنه كان يثقل عليها. ولنفرض أنها تركته؟ (فهو لن يتركها أبدا!) لو وجدت مكانًا خاصًا بها، مع رفاق آخرين، بالطبع ـ لم لا، لقد انتقلت كثيرًا، لم يكن هذا شيئًا، وتستطيع فعل ذلك بسهولة. بدون جاسبر. جلست هادئة، يداها الفتيتان المنمشتان تطوقان الكوب البنى الكبير، وكأنه قد حط بينهما، عيناها متعلقتان بزهور الفرسيثية التى ملأت المطبخ كله بالطاقة، وبالسعادة. بدون جاسبر. بدأت تقوم بحركات صغيرة قلقة، متوترة، وأصبح تنفسها أسرع، ثم تباطأ ليخرج فى تنهيدة. كيف يمكن أن تعيش بدون جاسبر؟ صحيح، ما يقوله الناس: كانا أشبه بأخ وأخته. لكن نفترض... التفكير فى رجل آخر جعلها تهز رأسها بغير تصديق. والأمر ليس أن الكثيرين لم يقتربوا، ليسألوا، لماذا جاسبر، لماذا لا أكون أنا؟ قيل هذا، لكنه لا يعطيك شيئًا.

لكنه يعطيها؛ كان يفعل! كيف تستطيع أن تتركه؟

قامت ببطء من أمام المنضدة، غسلت الكوب، ووقفت لبعض الوقت ساكنة تمامًا، تحدق. فكرت: إننى أنسى دائمًا أن الوقت يمر. لقد تجاوزت الثلاثين. بكثير، فهى فى أواسط ثلاثينياتها... بل فى الواقع ستة وثلاثين. لو كانت تنوى أن تنجب طفلا، أبدًا... لا، لا؛ إن الثوريين المسئولين حقًا لا ينبغى أبدًا أن ينجبوا أطفالا. (لكنهم ينجبون!).

أزاحت تلك الأفكار المضطربة من رأسها وجرت بسرعة تصعد السلم وكأنه يوجد فى الغرفة يوجد بعض السرور أو المتعة بانتظارها، وليس المهمة الصعبة للطلاء.

عملت بهمة، حتى أنهت الطبقة الأولى من الطلاء. الجدران والسقف كلها أصبحت بيضاء رائقة؛ حيث كانت القذارة والصدأ. بعض الناس قد يتركون الأمر عند هذا الحد، لكن آليس لا: سوف تكون هناك طبقة ثانية. ألقت أوراق الجرائد على الأرض فى كل مكان، بعضها ذات تواريخ ترجع

إلى الثلاثينيات، حتى الحرب. "جبهة ثانية!" بالبنط الأسود الكبير اختفت تحت صفحة أخرى، و"أتلى يعد..." لم تكن مهتمة بما وعد به أتلى أو غيره. ومرة أخرى فى المطبخ، استراحت قليلا، وفكرت: سوف أنهى الغرفة عند منتصف اليوم، ويمكن أن أقوم بطلاء غرفة أخرى. حسنًا، سوف أحتاج مساعدة فى غرفة الجلوس. أسوأ الغرف غرفة البنات، فاى وروبرتا. سوف ألقى نظرة سريعة الآن.

كانت متأكدة من أنهما لم تعودا، لكنها دقت على الباب لتتأكد. صمت. فدخلت، ولأن عينيها كانتا على السقف والجدران، لم تكتشف فى الحال أنهما كانتا موجودتين، على أية حال، هناك، كومتين تحت الأغطية، والشيلان، وكل أنواع الأشياء الصغيرة والمتناثرة، وأغلبها مطبوع بالزهور. قلقت روبرتا، لكنها لم تعرف السبب، مددت ذراعيها لتتثاءب، ثم جلست، وثدياها الأنثويان يترجرجان، وحدقت بضيق فى آليس. التى قالت: "آسفة، كنت أظنكما بالخارج".

"حسنًا، لسنا بالخارج!" لكن نظرة الكراهية، التى كانت آليس تخشى أن تكون هى شعور روبرتا نحوها بالفعل، تبدلت بنظرة روبرتا الأكثر لطفًا، وجلست، تمد يدها لتأخذ سيجارة. ومن النظرة المتوترة تحت الكومة التى كانت فاى، عرفت آليس أنها كانت مستيقظة. شرحت أسبابها المعقولة: "إننى أطلى غرفتنا. وسوف أنتهى منها بعد ساعتين. فكرت أننى يمكن أن أطلى غرفتكما اليوم، إن أحببتما".

هنا جلست فاى، دفعت الغطاءات جانبًا، بحركة واحدة، مثل سباح يصعد إلى سطح المياه، وحملقت بغضب فى آليس، كما فعلت مونيكا المسكينة.

قالت، بصوت بارد، مميت: "لا، أنت لن تقومى بطلاء هذه الغرفة يا آليس. لن تفعلى. عليك أن تتركينا فى حالنا".

قالت روبرتا بهدوء: "فاى، هذا حسن".

قالت فاى صارخة: "لا، ليس حسنًا، اطلى غرفتك الملعونة يا آليس، لكن ابعدى يديك القذرتين عنا، هل تسمعين؟"

آليس، التى كانت معتادة تمامًا على مثل هذه الأحوال، كانت تقف ثابتة، ولم تشعر بإهانة أو جزع، أو أى من الأشياء التى كانت تعرف أن فاى تريدها أن تشعر بها. كانت تفكر: امتياز لروبرتا. تخيلى فقط، أنها ينبغى أن تتحمل فاى طوال الوقت.

قالت آليس: "لا مشكلة، يا فاى. حسنًا، بالطبع، لن أطلى الغرفة إن كنت لا تريدين. لكن الغرفة تجاوزت الحد، أليس كذلك؟" ونظرت باهتمام إلى الجدران فى ضوء الصباح القوى. حيث كانت الشمس على وشك أن تغادر أحد الجدران. وبدا أن تلك الجدران على وشك أن ينبثق منها الفطر.

جلستا هناك جنبًا إلى جنب، فاى وروبرتا، تحدقان فى آليس، على خلاف ما يحدث مع مارى وريجى حتى أن آليس تعجبت. داخليًا، بالطبع، لم تظهر ذلك. وشعر قلبها بالألم من أجل الفتاتين. مارى وريجى. هذان أصحاب بيت، كما فكرت آليس بازدراء فيهما. كانا يجلسان مستقيمين فى فراش الزوجية، يفحصان آليس، يعرفان أن لا شىء يمكنه أن يهددهما بالفعل. لكن روبرتا، بكل صمودها الأنيق القاتم، وأمومتها، وفاى، مثل فرخ دائخ أو طائر صغير يختبئ هناك خلف كتف روبرتا الكبير، كانتا ضعيفتين. كانتا تعرفان أن أى شىء، حتى آليس، يمكن أن يتقدم عليهما مثل البلدوزر، ويحطمهما إلى أشلاء.

قالت آليس برقة، بل بشفقة حقيقية: "لا مشكلة، لا تقلقى، أنا آسفة". وخرجت، وهى تسمع صوت فاى يتحشرج بعد أن أُغلق الباب، وكيف كان صوت روبرتا يواسى ويهدئ.

عادت آليس إلى الطبقة الثانية وعملها فى التوازن على المنصة، وفكرت لأول مرة: أنا سخيفة. إنهما يحبان ذلك. روبرتا، وفاى أيضًا

بالتأكيد، يحبان أن يعيشا فى القذارة. بدأت تتأمل هذه الفكرة لبعض الوقت، بثبات وهى تضع طبقة جديدة من الطلاء الأبيض لتقوية الأبيض من الطبقة الأولى، فوق رأسها، لمسة أخيرة للسقف لتثبيتها. إنهما يحبان ذلك. إنهما بحاجة إلى ذلك. لو لم تكونا تحبانه، لفعلتا شيئًا بخصوصه منذ وقت طويل. إنه لمن السهل تحويل المكان إلى شىء نظيف ومرتب، فإن لم تفعلا ذلك، فهما تريدان هذا.

سمحت لهذه الفكرة بالكثير من الوقت والتفكير. لكن جيم، لا، إنه لا يحب هذا: انظر كيف كان مسرورًا عندما بدأت عملية التنظيف. لم يكن يحب كل تلك الدلاء فى الأعلى هناك، إنه فقط لا يعرف كيف يتصرف... جيم، ليست لديه الخبرة الخاصة بالطبقة الوسطى (كثيرًا ما سمعت هذا التعبير فى بيت أمها)؛ فهو لا حول له، لا يعرف كيف يتم التصرف فى الأشياء. لكن فاى وروبرتا - حسنًا، إنهما ليستا طبقة وسطى، لكى نصف الأمر بدون مبالغة، لكن من المؤكد.. نعم، ربما تكونت لديهما معرفة الكيفية، الخبرة، ومن ثم إن كانتا لا تصححان الأوضاع، فالسبب أنهما لا تريدان.

تخيل أن يريد أحد المعيشة فى تلك الغرفة، تلك الغرفة البشعة، والجدران مثل أكوام الروث، ماذا حدث هناك، ما الذى تم فعله فى تلك الغرفة؟ حسنًا، ربما لم تكن روبرتا. إنها فاى: أى شىء خطأ، أى شىء مثير للشفقة ومتسم بالبشاعة، لابد أن تكون فاى، أما روبرتا فلا يمكن. من المحتمل عندما أصيبت فاى بإحدى نوباتها تلك... كل أنواع الأشياء البشعة تحدث، ثم روبرتا تطيب الخاطر: حبيبتى فاى، كل شىء على ما يرام؛ لا يا فاى؛ من فضلك، فاى؛ استرخى، حبيبتى.

أنهت آليس الطبقة الثانية عند منتصف اليوم، وغسلت أسطوانة الطلاء، وأغلقت أغطية علب الطلاء، وأخذتها إلى غرفة بالطابق العلى. بينما كان فيليب نائمًا، وبينما كانت مارى وريجى نائمين، وبينما كانت روبرتا وفاى نائمتين (فلم تخرجا من غرفتهما)، كانت قد أنهت طلاء غرفة

كاملة، وفعلت ذلك جيدًا، لا لطخات أو أركان متروكة، والأوراق طويت كلها استعدادًا للإلقاء فى صفيحة القمامة، التى سرعان ما سوف تصبح مليئة ثانية.

أنضجت آليس لنفسها بيضًا، وشربت شايًا، وغسلت نفسها بمياه باردة، وهى واقفة فى الحمام. وبعدئذ، نظيفة وممشطة الشعر، وفى بلوزة لطيفة عليها زهور وردية صغيرة وكول مستديرة، سارت خارجة من المنزل وذهبت إلى المنزل المجاور، إلى رقم ٤٥ وكأنها كانت قد خططت لفعل ذلك طوال اليوم.

كانت متأكدة من أن الرفيق أندرو لن يكون فى الفراش حتى الآن، مهما كان الآخرون.

وقد ذهب ثلثا أكياس القمامة، والقطعة التى رأتها وكأنها لم تكن أبدًا، تحت ركام من الأوراق الميتة، حيث كان زوجان من الطيور السوداء يلتقطان.

فُتح الباب لتظهر امرأة شابة كانت طويلة ونحيفة، وفى الوقت نفسه منتفشة وفضفاضة، لأنها كانت ترتدى رداء المعركة باللونين الكاكى والأخضر، يشبه الزى الذى كانت آليس قد رأته فى محل بيع ملابس الجيش منذ فترة غير بعيدة.

قالت: "أنا آليس"، وقالت الفتاة: "أنت آليس"، ثم قالت: "وأنا ميريل". وهى تبتسم بلطف، وقفت ميريل جانبًا لتدخل آليس الصالة؛ حيث لم يبق أثر للفائف الكتيبات المكدسة، أو أيا ما كانت. لم يكن لرقم ٤٥ سجادة على الأرضية؛ وفيما عدا ذلك كانت الصالتان متماثلتين. بل كانت أيضًا هناك مكنسة مستندة على الحائط فى أحد الأركان.

قالت آليس: "هل يمكن أن أرى الرفيق أندرو؟"، وأجابت ميريل، خائبة الرجاء: "أعتقد أنه نائم". وعند رؤية وجه آليس المتسائل، قالت بسرعة: "لكنه لم يعد إلا فى الثالثة هذا الصباح، وتلك القوارب فى القناة...". ثم،

وقد أفصحت عن تلك المعلومات التى شعرت آليس أمامها أنها ليست من حقها، قالت ميريل، بنظرة متوترة من الشعور بالذنب أمام وجه آليس المنتقد، أنها سوف تذهب وترى. وذهبت إلى باب الغرفة التى كانت آليس دخلتها من قبل، ورفعت يدها وكأنما سوف تدق. وخربشت برقة، لا نستطيع أن نقول بحميمية، بإصبعها السبابة. وشعرت آليس بذلك الألم البارد والمريع الذى لم تعترف أبدًا لنفسها بأنه الغيرة. كان يمكن أن يغشى عليها بسببه. من المؤكد أنها كانت تشعر بدوخة، وعندما استعادت نفسها، كانت ميريل لا تزال واقفة هناك، تبتسم بلطف، وتخربش بتلك الإصبع السبابة المرفوعة، مثل منقار طائر. نعم، لقد بدت مثل إوزة، أو الأفضل، مثل فرخ الإوز، مكتلة، خرقاء؛ مثل ألمانى ضخم، مع شىء ثديى محبوك متدلٍ فى الأمام، ووجه يخرج منه أنف وشفتان متدليتان. هذا الوجه كان الآن يرسل ابتسامة ودودة تجاه آليس: "يمكن أن أسمعه الآن، إنه يتحرك". متحدثة، وكأن حركة الرفيق أندرو فى حد ذاتها دليل على تفوقه، وهو الدليل الذى كانت مستعدة بكرم أن تسمح لآليس بالمشاركة فيه. فتح الباب، ووقف الرفيق أندرو هناك، بعينين حمراوين ناعستين. كان يرتدى بنطلونًا مجعدًا، وفانلة "تى شيرت" بيضاء بحاجة إلى أن تغسل. مرة أخرى شمت آليس رائحة المشروبات الروحية، وكبتت شعورها بالضيق: لابد أنه كان متعبا، حيث جاء متأخرًا هكذا. ابتسم لميريل بطريقة لم تشعر آليس بميل إلى تحليلها، ثم رأى آليس وأومأ لها بألفة، مشيرًا لها بالدخول.

دخلت إلى الغرفة، بينما أغلق الرجل الباب، مبتسمًا إلى ميريل، لكى يبقيها خارجًا.

كانت هذه الغرفة قد أخليت من كل اللفائف الكبيرة ما عدا اثنتين. وكان هناك سرير من النوع الذى يطوى إلى جوار أحد الجدران، عليه ملاءة حمراء. لم يكن مرتبًا، ولكن، لقد قام لتوه من الفراش ليرد على الخربشة. كانت عليه وسادة بدون كيس وسادة، وبدا القماش القديم ذو الطراز العارى ملوثًا. هذا المشهد الصغير للسرير كان مختلفًا عن شخصية باقى الغرفة، ويوحى بذكورة مطلقة، بل ووحشية.

كان يتثاءب، ولا يحاول إخفاء ذلك، جلس على مقعد خفيف قديم إلى جانب أحد أركان المدفأة الميتة. جلست أمامه فى مقعد آخر.

قال ببساطة: "كنت فى فرنسا، مجرد رحلة سريعة".

وجدت نفسها تنظر من تحت لتحت إلى السرير، الذى كان يوحى بجو يشى بأنه من بلد أجنبى. أو ربما من جو مختلف بشكل ما، مثل حرب، أو ثورة. رأى نظرتها المتفحصة للسرير. وكان لا يزال يحاول إيقاظ نفسه. فجأة نهض، وذهب إلى السرير، ورتب البطانية الحمراء لتصبح مستقيمة، وتخفى الوسادة القبيحة. وجلس مرة أخرى.

وعلق قائلا: "لقد تخلصت مما رأيته فى تلك الحفرة بالخارج هناك. لقد ذهب إلى حيث يمكن الاستفادة به".

قالت آليس بصوت محايد: "أوه، حسنًا". كانت المسألة هى أنه قد يكون أو لا يكون قد أرسل أو أخذ "الشىء"؛ ولكن ماذا فى ذلك؟ لم تكن تريد أن تعرف.

"لابد أنك تتساءلين ماذا كان. حسنًا، كل ما أستطيع قوله هو إنه شىء يمكن لكمية صغيرة جدًا منه أن تذهب مسافة طويلة جدًا".

كان ثمة ازدراء حقيقى يرتفع داخل آليس، بسبب حمقه. قالت بصرامة: "فى رأيى، كلما قل عدد من يعرفون مثل هذه الأشياء كلما كان ذلك أفضل". وكانت تعنى كلما كان ما تعرفه هى نفسها أقل.

ضاقت عيناه وبدتا جامدتين؛ ثم ابتسم ابتسامة جافة. "أنت على حق يا رفيقة، أظن أننى تجاوزت حدود الاحتراس. أنا رجل يحتاج أن ينام بما يكفى. سبع ساعات فى الأربع وعشرين ساعة، أو يكون عملى أقل مما ينبغى".

أومأت آليس، لكنها كانت تتفحصه منتقدة. كانت تجده غير مؤثر. رجل قصير وبدين. وكان شعره القصير مبطوطًا هنا وهناك، مثل فراء حيوان فى حالة توعك. وكان يخرج منه تنفس كريه الرائحة، ولم يكن هذا فقط لأنه قد شرب أكثر من اللازم. فلابد أن يراقب وزنه.

"إننى مسرور لقدومك، يا رفيقة آليس. لقد كنت أريد أن أتحدث فى أشياء معك". هنا قام وذهب إلى المكتب، ليبحث عن سجائر، ووقف وظهره إليها، وهو مشغول بوضع واحدة فى فمه وإشعالها. هذا الإجراء، الذى بدا أثناءه يستعيد نفسه، بسلسلة من الحركات السريعة، الكفء، الواثقة، كبت انتقادات آليس. فكرت: حسنًا، هذا كله يدل على أنه هو الشىء الحقيقى؛ وسمحت لنفسها أن تشعر بالثقة فيه.

ثم بدأ حديث يستحق الذكر، والذى استمر لبعض الوقت؛ كان الوقت يكاد يصل إلى الخامسة عندما غادرت. كانت تعرف أنه يحاول أن يكتشف منها ما يريد أن يعرف - يختبرها - وأنه لابد يعرف، مؤكد، أنها سمحت بذلك، وأنها كانت تفهم أن هذا يحدث. كانت فى حالة حالمة، مفكرة، سلبية ولكن منتبهة، تختزن كل أنواع التأثيرات والأفكار التى ينبغى أن تفحصها فيما بعد.

كان يريد منها أن تفصل نفسها عن "كل تلك المجموعة هناك؛ إنك من نوعية أفضل كثيرًا منهم"؛ وأن تستقر على عمل يتصف بـ.... الاحترام. عليها أن تتقدم لعمل فى مؤسسة معينة ذات أهمية قومية. وسوف تحصل على العمل لأنه هو، أندرو، سوف يعمل على أن تحصل عليه، من خلال العلاقات التى كانت موطدة هناك بالفعل. وأشار عدة مرات إلى "شبكتنا". كان على آليس أن تعمل على الكمبيوترات - هو، أندرو قد أعد لها أن تأخذ دورة تدريبية سريعة، ستكون أساسًا كافيًا تستطيع امرأة ذكية مثلها أن تبنى عليه. وفى الوقت ذاته، سوف تعيش فى شقة، وليس فى بيت من البيوت المهجورة، وتعيش حياة عادية، وتنتظر.

استمعت آليس بتواضع إلى كل هذا، وظلت جفونها منخفضة.

كانت تفكر: "ومَنْ هو؟ ولمن سوف أعمل؟ كانت لديها فكرة جيدة - ولكن ما أهمية ذلك؟ النقطة الأساسية كانت، هل كانت أو لم تكن تفكر أن كل ذلك البناء الفوقى الشبحى بكامله ينبغى هدمه والتخلص منه، جذورًا وفروعًا، مرة واحدة وإلى الأبد؟ نظافة كاملة، هذا هو المطلوب. ورأت

آليس منظرًا لأرض أصبحت مسطحة، خالية، ومكشوفة، ربما بها بعض البقايا من الرماد الذى لا تزال به جذوة فوقها. نعم. التخلص من كل البناء الفوقى العفن لفتح الطريق لما هو أفضل. من أجل الجديد. هل يهم كثيرًا من يقوم بعملية التنظيف، الهدم؟ روسيا، كوبا، الصين، والباقون جميعًا، مرحبًا بهم جميعًا فيما يختص برأيها فى الأمر برمته.

لكنها قالت، بعد قليل، فى وقفة كان عليها أن تملأها: "لا أستطيع، يا أندرو". وفجأة، صاعدة من أعماقها: "حياة برجوازية؟ أتريد منى أن أحيا حياة طبقة وسطى؟" وجلست هناك تضحك عليه - أو فى الواقع، تهزأ منه - مليئة بحيوية الاحتقار، الازدراء.

جلس يواجهها، لم يعد متعبًا الآن، أو فى حالة إجهاد النوم، يلاحظها عن قرب. وابتسم برقة.

"رفيقة آليس، ليس ثمة خطأ فى أن نحيا حياة مستريحة - الأمر يعتمد على ما هو الهدف. لن تظلى تعيشين بهذه الطريقة بسبب الراحة، أو الأمان" - وبدا أنه يبذل مجهودًا لإبداء الاحتقار لهذه الكلمات بقدر ما فعلت - "لكن بسبب هدفك. هدفنا".

وحدق كل منهما فى الآخر. عبر فجوة. ليست فجوة ايديولوجية، وإنما فجوة من الحساسية، من الخبرة. عرفت، فى الطريقة التى قال بها "ليس ثمة خطأ فى الحياة المستريحة"، أنه لا يشعر بشىء من الاشمئزاز الذى تشعر به. على العكس، فهو قد يفضل مثل تلك الحياة. عرفت هذا عنه؛ كيف؟ لم تكن تعرف كيف كانت تعرف ما تعرفه عن الناس. لكنها كانت تعرف. هذا الرجل قد يفجر مدينة دون ذرة من ندم أو وخز للضمير ـ ولم تكن تنتقده لهذا - لكنه قد يصر على أن يتناول ويسكى من نوع جيد، وأن يأكل فى مطعم جيد، ويحب أن يسافر فى الدرجة الأولى. فكرت أنه كان من الطبقة العاملة أصلا، وقد شعر بها قوية. وهذا هو السبب. لم يكن لها أن تنتقده.

قالت، محددة موقفها: "لا فائدة من ذلك، يا رفيق أندرو. لا يمكننى أن أفعل هذا. لا أعنى الانتظار - للأوامر - مهما طال الأمر".

أومأ قائلا: "أصدقك".

"لا أهتم بمدى الخطورة. لكنى لا أستطيع أن أعيش بهذه الطريقة. يمكن أن أجن".

أومأ، وجلس صامتًا لبرهة. ثم، بدا لأول مرة مداعبًا، بل ساخرًا، وهو يقول: "ولكن، يا رفيقة آليس، لقد كنت أحصل كل يوم، أحيانًا كل ساعة، على تقارير بالتحويلات التى تجرينها فى حظيرة الخنازير تلك". الكراهية التى وضعها فى الكلمة كانت فى مثل قوة ما كان يحمله والداها عند النطق بمثل ذلك. مال إلى الأمام، وتناول يدها، مبتسمًا بلطف، وقلبها ليصبح ظهرها لأعلى، فى يده القوية المربعة. انكمشت يد آليس قليلا، لكنها جعلتها ترقد بثبات. لم تكن تحب أن تلمس، أبدًا! إلا أن لمسته لم تكن سيئة جدًا. وما جعلها ممكنة - هو ما فيها من حزم. وكان على مفاصل يديها قشرة من الطلاء الأبيض.

أعاد يدها برقة على ركبتها، وقال: "ستحولين المكان إلى قصر فى وقت قصير جدًا".

"لكنك لا تفهم. إننا لن نعيش فى هذا البيت كما يفعلون. ولن نستهلك، وننفق، ونعيش بنعومة ونرقد يقظين قلقين على معاشاتنا. إننا لسنا مثلهم. إنهم مثيرون للغثيان". كاد صوتها يختنق ازدراء. والتوى وجهها كراهية.

ران صمت طويل، أثناءه قرر أن يترك هذا الموضوع الذى لا يبدو واعدًا. (ولكن، فكرت آليس أنه لن يتخلى عنه طويلا!). قدم لها بعض القهوة. كانت هناك غلاية كهربائية، وأكواب، وسكر ولبن على صينية على الأرض. وصنع القهوة بسرعة وكفاءة.

ثم بدأ يتحدث عن كل الناس الموجودين فى ٤٣ ولاحظت آليس أن تقييمه لهم كان نفس تقييمها. وهذا أسعدها وأشعرها بالفخر، حيث أكد

لها اعتقادها فى نفسها. تحدث جيدًا عن جيم، وعن فيليب؛ لكنه لم يتلكأ حول أسئلة. وبدا أنه يتجاهل برت. بات أراد أن يعرف المزيد عنها، أين كانت تعمل، تدريبها. قالت آليس إنها لا تعرف، ولم تسأل. وبخها بأرق طريقة: "لكن يا رفيقة آليس، هذا مهم. مهم جدًا".

"لماذا؟ أنا لم يكن لدى وظيفة منذ تركت الجامعة. وكل شىء يسير على ما يرام".

تسبب هذا فى حالة من الفحص، أو التحول المفاجئ فى تدفق الكلام بينهما؛ كان يكبت حاجة للمجادلة والاعتراض. وفكرت آليس إنه فيه كثير من البرجوازية، لكن انتقادها كان مخففًا بسبب الاحترام المؤكد الذى أصبحت تحمله له.

جاسبر. لكنه ببساطة لن يتحدث عن جاسبر. فكرت أن هذا بسبب علاقتها به. لم يكن عليها أن تسأل، مع ذلك: الرفيق أندرو ليس لديه الكثير من الوقت من أجل جاسبر. حسنًا، سوف يرى!.

روبرتا وفاى. سأل أسئلة كثيرة عنهما، لكن ما كان يهتم به هو سحاقيتهما. ليس نتيجة تلهف أو أى شىء قد تكرهه آليس: كان هناك عدم فهم تام. لم تكن لديه ببساطة أية فكرة عن ذلك. استنتجت آليس، لا خبرة، أبدا. كان يريد أن يعرف ما شكل الكوميونة النسائية التى تذهب إليها فاى وروبرتا. ما العلاقة بين السحاقيات والتشكيل الثورى للنساء السياسيات. آليس عرضت عليه نشرات وكتب، سوف تدبر الحصول عليها من أجله. أومأ، لكنه أكد قائلا: كيف ترى نساء مثل فاى وروبرتا العلاقات بين الرجال والنساء بعد الثورة؟ كبتت آليس رغبة فى أن تقول: إسالة كل الرجال. كانت تتذكر مجادلة طويلة وحارة مع مولى وهيلين فى ليفربول، أثناءها كانت هى قد قالت إن موقفهما يتصاعد إلى مستوى الازدراء للرجال بشكل كلى حتى أنهما فى الواقع تكبتان كل تفكير جاد عنهم.

وما قالته آليس هو: "هناك صيغ كثيرة مختلفة فى الحركة النسائية. يمكن أن أقول إن فاى وروبرتا تمثلان تطرفًا".

ثم كانت مارى وريجى؛ و... كما توقعت، رفض الرفيق أندرو أن يتجاهلهما كما أرادت هى. إن أكثر ما كرهته فيهما كان هو أكثر ما يثير اهتمامه: عرفت أنه يتساءل إذا ما كان يمكن حثهما على أن يصبحا مشاركين سريين فى الثورة، وهى عبارة كانت هى تستخدمها ووافق هو عليها بابتسامة جافة وإيماءة.

لم تعرف آليس، كانت تشك فى الأمر. كانا بشكل طبيعى مشاركين فى الخدمات. (ليس أنها تحمل أى شىء ضد السلام الأخضر. على العكس.) كانا، باختصار، برجوازيين. فى رأيها، أن أندرو ينبغى أن يناقش المسألة معهما. فهى لا تستطيع أن تقدم إجابة عنهما.

كانت تعرف أن هذا يقطع الطريق مباشرة إلى المقدمة المنطقية الكامنة للمحادثة: إنها كانت تعمل بإرادة كاملة لمساعدته فى تقييم مجندين محتملين. لشىء أو آخر. لم يصرح به، ولكنه مفهوم.

هل خططوا - رقم ٤٣. أخذ المزيد من الأعضاء فى بيتهم أو كوميونتهم؟

"لم لا؟ هناك مساحة كثيرة تكفى".

"أوافقك، كلما كان العدد أكبر كلما كان ذلك أفضل".

وهكذا استمر الحديث، متراجعًا أحيانًا لدقائق تتسم ببعض التوتر إلى طفولتها. لم يكن الرفيق أندرو مهتمًا فى الواقع بأم آليس، لكن بالنسبة لسيدريك ميلينجز، كان الأمر مختلفا. كم بلغ حجم العمل الذى يديره؟ كم عدد موظفيه؟ ما نوعياتهم؟

أخو آليس: آليس قررت ألا تقول إن همفرى يعمل فى شركة طيران كبرى. قالت: "أوه، لا تضيع وقتك عليه".

المزيد من أكواب القهوة، وبعض الكلام المرضى إلى حد ما حول الدولة البريطانية، العفنة كتفاحة خربة، والمستعدة لبلدوزرات التاريخ.

عندما قالت آليس إنها ينبغى أن تذهب، كانت تتوقع وصول جاسبر، ووقفت، وقف أندرو أيضًا وبدا مترددًا. ثم قال بسرعة، ولأول مرة بدا أخرق: "لقد قضيت مع جاسبر وقتًا طويلا، أليس كذلك؟"

"خمسة عشر عامًا". عالمة ما سوف يتلو، تعرفت عليه من لحظات كثيرة مماثلة فى الماضى، والتفتت لتذهب. كان بجوارها، وشعرت بذراعه تلتف برقة حول كتفيها.

قال: "رفيقة آليس، ليس من السهل فهم..... لماذا اخترت مثل.... هذه العلاقة".

كانت فى نفسها نفس الحصة المعتادة من التحدى، والاستياء، بل وحتى الغضب. لكن هذا هو الرفيق أندرو، وكانت قد قررت أن أيًا كان ما يأتى منه، فلابد أن يكون مختلفًا. قالت: "إنك لا تفهم. لا، أنت لا تفهم جاسبر".

كان ذراعه لا تزال فى مكانها، برقة شديدة حتى أنها لم تجده ضاغطًا بأى شكل. قال برقة: "ولكن، يا آليس، من المؤكد أنه يمكنك..."، كان يريد إن يقول أن تحصلى على ما هو أفضل.

التفتت لتواجهه، بابتسامة ثابتة، مشرقة.

قالت، كفتاة لا تزال فى المدرسة: "الأمر طيب، إننى أحبه، أنت تفهم."

الارتياب جعل ابتسامته ساخرة، صابرة.

"حسنًا، يا رفيقة آليس..."، أتاح للموضوع أن يفلت بعيدًا، بطريقة مداعبة. وقال: "تعالى فى أى وقت".

"لماذا لا تأتى أنت وترى قصرنا؟"

"أشكرك، سوف أفعل".

كانت ذاهبة لرؤية غرفتها حديثة الطلاء، وإبداء إعجابها بها، لكن شيئًا ما جذبها إلى باب غرفة جيم. دقت على الباب، ولم تسمع شيئًا، فدخلت. كان جيم راقدًا فوق كيس نومه، يواجهها، وعيناه مفتوحتان.

"هل أنت بخير يا جيم؟".

لم تسمع إجابة. كان يبدو فى حالة فظيعة.... ذهبت إليه، ومالت، وضعت يدها على يده. كانت جافة، وساخنة للغاية.

"جيم، ما الأمر؟"

"آه، جحيم، ما الهدف؟" خرجت من فمه هذه الكلمات فى تنهيدة مختنقة، ووضع ذراعه فوق وجهه.

وتحت الكم الواسع كان جرح أحمر، يمتد من الكوع حتى الرسغ. مفتوحًا، فظيعًا. وبدا مليئًا بشىء أحمر رجراج.

"جيم، ماذا حدث؟"

"دخلت فى خناقة". جاءت الكلمات مع تنهيدة أخرى مليئة بالإحباط والغيظ. "لا، اتركيه، سوف يندمل، سوف يكون بخير، إنه نظيف".

بدا أنه يتشاجر مع نفسه وهو راقد هناك، يخبط قبضته فى رأسه، ويكور ساقيه بعصبية، ثم يركلهما بقوة.

"لكن الشرطة لم تصل إليك".

"لا. لكن لابد أنهم عرفوا الآن أننى كنت هناك. هناك شخص سوف يخبرهم بالتأكيد! ما الفائدة؟ ليست هناك وسيلة يمكن بها الخروج من المشاكل، لا يمكنك الخروج، ما فائدة المحاولة".

"هل حاولت أن تحصل على عمل؟"

"نعم، ما الفائدة؟" واستدار ورقد على ظهره، ذراعاه ملقيتان إلى جانبه.

كانت آليس تعرف. هناك غضب معين يرافق العاطلين، والمثابرة، والإحباط، كان هذا يختلف عن مجرد أن يكون الإنسان عاطلاً.

"ما نوع العمل الذى تحاول أن تحصل عليه؟"

"مؤسسة طباعة فى الناحية الجنوبية. لكنى لا أعرف كل تلك التكنولوجيا الجديدة. لقد تعلمت الطريقة القديمة فى الطباعة. وقد حضرت كورسًا تعليميًا لمدة عام، كنت أظن أنه سيوصلنى إلى شىء ما".

"الطباعة! لم تخبرنى بذلك. لكن لابد أن تكون هناك مئات المؤسسات الصغيرة فى كل مكان من البلاد لا تزال تستخدم الطريقة القديمة لأعمال خاصة".

"إذًا لابد أننى تقدمت إلى نصف هذه المؤسسات فى السنوات الأربع الأخيرة".

"أبى لديه شركة طباعة. صغيرة. وهم يقومون بكل أنواع الطباعة. بيانات وإعلانات وكتالوجات".

"لن يستخدم الطريقة القديمة طويلاً".

"سأكتب له. لم لا؟ المفروض أنه اشتراكى لعين".

"ما الفائدة، أنا أسود".

"انتظر، أنا أفكر".

كان لا يزال متوترًا وساخنًا وتعيسًا، لكنها رأت أنه أصبح أفضل. ومثل راهبة، أو أخت له، جلست ممسكة بيده، مبتسمة برقة إليه.

قالت أخيرًا: "نعم، سوف أكتب إلى أبى. سوف أفعل هذا. أجعله يمارس ما يتشدق به. وكان يعمل لديه سود من قبل على أية حال".

رأت أنه كان، على الرغم من نفسه، قد بدأ يشعر بالأمل مرة أخرى.

قالت: "سأكتب هذا الآن".

فى حقيبة الظهر التى بدا أنها تحفظ فيها نصف حياتها، راحت تنقب، وخرجت بقلم ورقعة للكتابة.

أبى العزيز، هذا جيم

"ما اسمك يا جيم؟"

"ماكنزى"

"لى ابن عم تزوج بفتاة من عائلة ماكنزى".

"جدى كان ماكنزى. من ترينيداد".

"إذًا فقد تكون بيننا قرابة".

اندفعت منه ضحكة صغيرة لطيفة، وتركته باسمًا. تنهد، واسترخى، وهو يلتفت نحوها، ووضع يده تحت خده. سوف ينام سريعًا.

كتبت:

هذا جيم ماكنزى. وهو لا يستطيع أن يجد عملا. إنه يعمل بالطباعة. لماذا لا تعطيه عملا؟ أليس المفروض أنك تقدمين لعينًا؟ لقد ظل بلا عمل أربع سنين. باسم الثورة.

آليس

وطوت الرسالة بحرص، ووضعتها فى مظروف أزرق لطيف (اختارت الأزرق مفضلة إياه على اللون الكريمى، لسبب معين)، وكتبت فوقه الاسم.

كان جفنا جيم يسقطان.

"لم لا تأخذ هذا غدًا إليه. جرحك لن يظهر".

وشدت الكم برقة لتغطيه. لم يقاومها. لقد كان جرحًا سيئًا بالفعل، وسوف يترك أثرًا قويًا. إنه بحاجة إلى غرز. لا تأبهى.

وقال: "إننى أشعر بالمودة العميقة نحوك يا آليس. أنت شخصية مخلصة حقًا، هل تعرفين ما أعنى؟" ولم يضف "على عكس الآخرين".

كان يمكن أن تبكى، فهى تعرف أن ما قاله كان صادقًا، وأنه يشعر بالأمان والدعم. بقيت بالقرب منه حتى راح فى النوم، ثم خرجت إلى الصالة المظلمة، وفتحت النور فخورة مع علمها بما يعنيه هذا الفعل البسيط، كم كلف، وكم سوف يكلف: ضغطت زرًا صغيرًا على الجدار، وتدفقت الكهرباء مطيعة خلال الأسلاك، لأن المرأة فى هيئة الكهرباء أمرت بذلك.

النقود. من أين؟

واقفة هناك، تبحث الصالة بعينيها، تشعر بالرضا الآن (رغم أنها تعرف أنها حقًا ينبغى أن تحصل على صابون لتنظيف السجاجيد وتغسل السجادة، التى كانت ملقاة فى الأتربة فى المقلب). ورأت أن فيليب قد أصلح الدولاب الصغير الموجود تحت السلم الذى كان الشرطى قد ركله.

فى تلك اللحظة، سمعت دقة، وذهبت لتفتح الباب وداخلها هاجس، وعلى وجهها نظرة سلطوية بالفعل.

كانت الشرطية التى رأتها فى مركز الشرطة. عند البوابة وقف زميلها، شاب لم تره آليس من قبل.

قالت آليس: "مساء الخير، أى خدمة؟"

وقفت والباب مفتوح خلفها، حتى يظهر نظام الصالة بشكل لائق؛ ورأت أن الشرطية تلقى نظرة. ولم تدهش آليس، لأن الشرطى الشاب كان يحاول أن يحدد بعينيه المكان فى الحديقة الذى دفن فيه هؤلاء المجانين.

"هل يعيش جيم ماكنزى هنا؟"

قالت آليس فى الحال: "نعم، إنه يعيش هنا؟"

"هل يمكن أن أتحدث معه؟"

"نعم، لكنه ليس هنا الآن"

"متى سوف يعود؟"

"ربما لا يعود الليلة. فقد ذهب لزيارة أصدقاء فى هاى جيت".

"ألم يكن هنا فى عطلة نهاية الأسبوع إذًا؟"

"لقد كان هنا فى الليلة الماضية".

"كان هنا طوال الليلة الماضية؟"

قالت آليس: "نعم، لماذا؟"

"هل كان هنا طوال المساء؟"

"نعم، لقد تعشى هنا، ثم قضينا المساء نلعب الورق".

كان ثمة رعشة خفيفة فى صوت آليس؛ كانت على وشك أن تقول: "كلنا قضينا المساء"، لكنها تذكرت أن "الكل" قد لا يكونون مستعدين للمخاطرة من أجل جيم، وإذا كان "الكل" يمكن الوصول إليهم وتحذيرهم فى الوقت المناسب.

"أنت وهو كنتما هنا؟"

"وأحد أصدقائه. شاب أبيض. اسمه ويليام الفلانى، لا أذكر الاسم الآخر".

كانت آليس تعرف أن الارتعاشة الخفيفة فى الصوت قد وصلت إلى الشرطية، حتى ولو بدرجة خفيفة جدًا. لكن كان كل شىء على ما يرام، فكرت؛ إنها تستطيع أن تعرف ذلك من الحيرة التى ظهرت على المرأة.

تثاءبت آليس، ووضعت يدها على فمها، وقالت: "آسفة، لقد استيقظنا متأخرين...."، وتثاءبت مرة أخرى، مع تقديم الابتسامة المناسبة للشرطية. التى ابتسمت ابتسامة موجزة فى المقابل، وهى تنظر مرة أخرى إلى الصالة المثيرة للاطمئنان.

قالت: "أشكرك"، وذهبت إلى البوابة، حيث استعادت هى وزميلها مظهر العيون الحادة وهما يتمشيان فى الشوارع المذنبة.

نظرت آليس بهدوء إلى غرفة جيم. كان نائمًا.

ثم ذهبت إلى المطبخ، وكتبت رسالة إلى أمها، والتى ستكون جاهزة من أجل مونيكا ونترز، التى سوف تظهر بكل تأكيد هنا فى خلال يوم أو اثنين.

وبينما كانت تفعل ذلك، فى دقائق قليلة تفصل بين كل قادم والتالى، جاء جاسبر، ثم بات وبرت، ثم روبرتا وفاى. وجلس الستة حول المنضدة فى المطبخ، مع تشكيلة من الأطعمة المجلوبة، والتى أحضرها كل منهم منفصلا وسوف يأكلونها الآن معًا: بيتزا، وسمك ورقائق البطاطس، وفطائر. صنعت آليس قهوة، وأعدت الأكواب، وجلست على رأس المائدة. كانت سعادتها بسبب هذا المشهد قوية للغاية حتى أنها أغلقت عينيها؛ لكى لا تشعر بكثير من البهجة وتكشفها أمام صرامة الآخرين.

أراد برت أن يعرف أخبار جاك. وراح جاسبر يلقى تقريره. وعرفت آليس من النظرات المتبادلة بين فاى وروبرتا أن ثمة مشاكل فى الطريق.

وقد حدث. طلبت فاى، بطريقتها اللطيفة الرقيقة التى لم تكن ذات فائدة فى إخفاء الجدية، لماذا كل تلك الخطط التى صنعت دون أن يحدث لقاء للحصول على موافقة كل شخص؟ قالت بات أنها توافق: جاسبر لا حق له فى أن يأخذ على عاتقه.

عرفت آليس أن هذا كان موجهًا جزئيًا إلى برت، الذى كان متواطئًا مع جاسبر.

جاسبر، ثم برت، قال إنه لم يكن أحد ملتزمًا بأى شىء. كل ما تم التخطيط له كان رحلة سريعة استكشافية إلى أيرلندا، للقاء ممثل للجيش الجمهورى الأيرلندى، ولعرض التعاون مع جماعة هنا.

تساءلت فاى، وهى تظهر جمال أسنانها الصغيرة: "جماعة أى شىء؟"

قالت بات، رغم أن نغمتها كان بها بعض السخرية التى عرفت منها آليس أن كل شىء سيكون على ما يرام: "نعم، هل نحن لا نزال ملتزمين بكل الوسائل الكبيرة لاتحاد الوسط الشيوعى، أ. و. ش، أو نحن فقط ملتزمون بأنفسنا؟"

رأت آليس أن روبرتا كادت تضحك على ذلك، لولا أن مزاج فاى لم يكن يسمح بذلك.

برت، لأنه أراد أن يستعيد وضعه السابق مع بات، أخذ المبادرة، وبينما تظهر أسنانه البيضاء بين كثافة اللحية وهو يعرض ابتسامة ثابتة، مسئولة، قوية، قال: "يمكن أن أقدر تحفظات الرفاق. لكن بالنسبة لطبيعة الأشياء" ـ ولوى شفتيه الحمراوين ليضع علامة ومشاركة بهما على وجهة نظر عملياته ـ "هناك مقاربات معينة لابد أن تكون مؤقتة، بل وحتى خاصة. فعلى أية حال، المقابلة مع جاك كانت مصادفة. كانت فرصة، وأصبحت مثمرة، بفضل الرفيق جاسبر. فهو الذى قام بالمقاربات الأولى....". استطاعت آليس أن ترى أن الأمر لن يكون سهلاً لأى منهم أن يعترف بالفضل لجاسبر، حتى رغم أنه كان متجردًا بشكل سليم من أى مشاعر شخصية، جالسًا على أحد جوانب المشهد، منتظرًا تأييدهم، فى صورة كادر مسئول.

لكن فى تلك اللحظة فقط كان هناك صوت فى الصالة، انغلق الباب المؤدى إلى الخارج، وقفز جاسبر لينظر، وقال لهم إنه فيليب خارج إلى الشارع. كانت حقيقة عدم مجيئه إلى المطبخ تعنى أنه شعر بأنه غير مرغوب فيه، وهذا جعل فاى تقول: "وليس هناك مكان يمكن أن نتحدث فيه فى هذا البيت الآن. لقد حققت آليس هذا".

قالت بات بسرعة: "حسنًا، يمكن أن نذهب إلى البيت المجاور. لكن من المؤكد أنه لا غبار أن نتحدث لدقائق هنا".

وقالت فاى بنعومة: "ثم يأتى جيم، لم لا؟. 'أوه، جيم'؟ يمكن أن نقول، لقد كنا لتونا نتبادل مناقشة صغيرة حول ج.ج.أ".

قالت روبرتا: "أو مارى وريجى"، متخذة موقف الحليف مع فاى، نتيجة الحب. والواقع أنها ـ كما يعلم الجميع ـ كانت تتفق معهم، وليست بحاجة إلى الإدانة الغاضبة التى استخدمتها فاى كوقود للاستمرار.

قالت بات: "لماذا لا نتفق بسرعة الآن على واحد أو اثنين من المبادئ الأساسية، فلا يوجد الكثير لنناقشه الآن، أليس كذلك؟"

قالت فاى: "لا، أنا جادة فى هذا، إن لم يكن هناك أحد يعترض" وببعض الحركات الوقحة من شفتيها وعينيها، متحدية لهم؛ ثم مدت يدها وتناولت سيجارة، وأشعلتها، ونفثت دخانًا سميكًا فى توتر.

ودعما لموقفها، جاءت أصوات من الصالة: مارى وريجى، مليئان بالكلام والضحك، فتحا باب المطبخ، وسادهما الصمت. لا سبب يدعوهما لعدم الدخول - حيث إن روح البيت أن الناس يجلسون حول مائدة المطبخ يتحدثون - بدا أنهما يشعران بنوع من الاتحاد، لكى يعرفا أنهما غير مرغوبين. ابتسما بأدب، وقالا: "أوه، لقد كنا فقط...". وبالرغم من صيحات الترحيب وأنهما ينبغى أن يبقيا - من آليس، ومن بات - خرجا وصعدا السلم.

قالت فاى: "رائع".

قالت بات: "أنا أوافق، لم يكن هذا طيبًا. حسنًا، أقترح أن يذهب شخص إلى البيت المجاور ليرى إن كان من الممكن أن نقترض غرفة - أى، إن كان هناك شعور بأننا بحاجة حقًا لمناقشة أى شىء آخر".

قالت فاى: "أنا أريد أن أناقش الكثير".

ذهب جاسبر، وبدا أنه لم يغب سوى دقيقة، ثم عاد ليقول إنهم مرحب بهم هناك.

عاد إلى البيت المجاور فى الحال، ثم ذهبت آليس، وبرت وبات. ثم فاى وروبرتا.

أدخلتهم الفتاة - الإوزة، مشيرة إلى غرفة فى أعلى السلم - نفس الغرفة التى كان يحتلها جاسبر وآليس فى بيتهم. كانت غرفة أطفال، وكان بها مصابيح، وبط، وميكى ماوس، وديناصورات ضاحكة، وروبوتات لعبة، وساحرات على عصى المقشات، وكل الضرورات الأخرى لغرفة نوم طفل من الطبقة الوسطى.

قالت فاى بعنف: "يا إلهى، ما هذا العبث اللعين"، بل حتى رفعت يديها

الجميلتين مكورة أصابعها الطويلة لإظهار الأظافر النحيلة الملونة باللون الأحمر الفاقع، وكأنها سوف تخربش الصور من فوق الجدران، ولكنها ابتسمت، إن كان يمكن أن تسمى ذلك ابتسامة.

وظهر أنه، على أية حال، لم يكن هناك الكثير بحاجة لأن يقال.

ما كان ثابتًا هو أنهم جميعًا توقعوا أن يلحق بهم الرفيق أندرو، حتى آليس، التى كانت تعرف أنه لا يوافق. وساءلت نفسها الآن، على أى شىء بالضبط؟ على ج.ج.أ؟ لا، بالطبع لا. على العمل مع ج.ج.أ؟ كيف يمكنه هذا؟ ثم، لابد أنه لا يوافق عليهم، على هذه الجماعة، لابد أنه لا يوافق على اقترابهم من الرفاق الأيرلنديين بهذه الطريقة، أو تلك الجماعة. فترة.

ولكن ليس عليها، آليس. لقد كان يوافق عليها. وأبهجتها هذه الفكرة سريًا، والتى لم يكن باستطاعتها أن تشارك فيها أى أحد على الإطلاق، جلست آليس صموتة، تراقب "الاجتماع" يتطور، تنظر إلى وجهى جاسبر وبرت كيف كانا يتوقان إلى سماع خطوات، نقرة على الباب، سماع "هل يمكن أن ألحق بكم، يا رفاق؟"

لكن، لا شىء.

وتكرر القول بأن برت وجاسبر سيقومان بالرحلة فقط كنوع من الاستطلاع. فيمكنهما أن يكتشفا أى نوع من الدعم سيقبله الرفاق الأيرلنديون وقد وجد هذا نوعًا من الفتور، غير مرض وغير كافٍ بشكل ما، فتم إصلاح الصياغة وتعديلها، وأصبحت: أن برت وجاسبر أخذا تفويضًا من الحاضرين بعرض التأييد على الثوريين الأيرلنديين، وأن يطلبوا أن تسند إليهم مهام محددة.

ولم يتلكئوا. لم يكن أحد منهم يشعر بالارتياح فى هذه الحضانة السابقة، والتى كانت لا تزال تحتوى بقوة على أشباح الأطفال المتميزين. الأطفال المحبوبين؟

وبسرعة انتهوا، وغادروا، معظمهم عادوا إلى رقم ٤٣ روبرتا وفاى ذهبتا إلى السينما. كانتا تحبان أفلام العنف، بل وأفلام البورنوجرافى، وكان هناك واحد فى السينما المحلية. الأربعة الآخرون وجدوا مارى

وريجى فى المطبخ، يأكلان بطريقة لائقة من الأطباق. وكانت الفوضى المتخلفة من بقايا البيتزا ورقائق البطاطس التى لم تؤكل، وعلب البيرة، والأوراق، كلها قد تم إلقاؤها فى صفيحة الفضلات.

قالت مارى وريجى: "تعالوا اجلسوا وكلوا معنا"، ولكن لأن الستة ردوا بالرفض، فالآن بدا وكأن مارى وريجى محاطان بتيار خفى: ابقيا بعيدًا. حسنًا، فكرت آليس، من المحتمل أنهما لا يزالان متضايقين من الليلة الماضية. أظن أننى بالغت كثيرًا. حسنًا، فليتضايقا.

وبكثير من الابتسامات، وتحيات المساء، ذهب الأربعة إلى الأعلى، وحدث لقاء آخر فى الغرفة المطلية حديثًا، حيث جلسوا على الأرض وناقشوا المشكلة الجديدة التى مثلتها فاى وروبرتا، اللتان لم تحبا دور الرفيق أندرو فى شئونهم، وكان هذا هو السبب فى أنهما كانتا تأملان أن يأتى إلى الاجتماع فى البيت المجاور. كانوا يريدون أن يعرفوا: "من هو الرفيق أندرو؟". وعندما حان وقت شعر فيه الأربعة أن مناقشتهم الانتقادية للمرأتين قد انتهت، كانوا قد أصبحوا وحدة دافئة، متقاربة، رفقاء حتى الموت. لكن آليس ظلت تفكر أن بات، مهما كان يبدو من التزامها الآن، لم تكن تقف حقًا إلى جانب برت. فالفتاة الحيوية، الجذابة، اللطيفة والبسيطة مع برت بعد قضائهما عطلة الأسبوع بعيدًا معا، وحدهما كما هو مفترض، لم تقنع آليس. فالشفتان اللامعتان الحمراوان، والخدان المتوردان، يمكن أن يضغطا على شفتى برت الحمراوين الشهوانيتان، ثم بلا شك كل تلك الأسنان البيضاء سوف تتعارض وتقطع، كل ذلك الشعر الكثيف فى وجه برت..... لكن، رغم كل شىء، فكرت آليس، رغم كل شىء... ولم تكن بات تحب كثيرًا ذهاب برت مع جاسبر إلى أيرلندا. لم تكن تحب جاسبر. لم تكن هذه وحدة على الإطلاق، لكنها فقط بدت كذلك، وجلست آليس منفصلة داخليًا، تفكر أن بات ربما كانت تشعر بنفس الشىء.

كانت رائحة الطلاء قوية. سرعان ما قال جاسبر إنه لا يستطيع النوم فيها، وصعد إلى الطابق الأعلى. كانت لهجته بها إيحاءات بحيث لم تجرؤ

آليس على الذهاب معه. نزلت إلى غرفة الجلوس لقضاء الليلة.

***

نامت نومًا متقطعًا، غالبًا ما كانت تستيقظ لتنصت حتى لا يفوتها ذهابه فى الصباح. سمعت الرجلين وهما يهبطان الدرج ويذهبان إلى المطبخ. تبعتهما؛ شعرت بنفسها مستبعدة، غير مرغوب فيها. كانت الساعة لا تزال السادسة من صباح بارد، شمسه مشرقة فى أواخر فصل الربيع.

بدا لآليس أن جاسبر لم يكد يراها وهو يغادر، لوح لها من البوابة، حيث وقفت مثل أية ربة بيت تودع رجلها.

عادت إلى كيس النوم الخاص بها، وقد تملكها شعور بأنه سيمر الكثير من الوقت قبل عودة جاسبر إليها فى البيت.

ولكن الأيام مرت على نحو سار. كانت بات مرتاحة بشكل غير محدود لآليس، تساعد فى الطلاء والتنظيف، وفيما بينهما أنجزت المرأتان معجزات، كهوف قذرة تحولت الواحد تلو الآخر إلى حجرات أنيقة ومفعمة بالحياة. كانت بات مضحكة ولطيفة وانيسة ومسلية. شعرت آليس بالتفاؤل والانطلاق من داخلها فى هذا الجو الطبيعى، وهذه الطمأنينة، وفكرت مرة أخرى كم أضاعت من وقتها فى توتر نفسى وتوقع كئيب. لقمع آخر من جانب جاسبر. ولكن، رغم أنها كانت تستمتع بكل شىء، وتشعر بالمودة نحو بات، وأنها لم تكن أبدًا بهذه السعادة من قبل. كانت تفكر، نعم، ولكن تلك هى الطريقة التى يتصرف بها الناس عندما يكونون قد قرروا الابتعاد: فقد تركته بالفعل، بمعنى ما.

تمكن فيليب - مؤيدًا بعطف وحنان المرأتين - من تشغيل شبكة المياه الساخنة. وحصل الجميع على حمامات احتفالية. حتى فاى أخذت حمامًا بتشجيع من روبرتا. وعاد فيليب إلى السطح وأنهى تركيب القرميد. واستبدل الأرضيات، وأصلح الجص المتساقط من الجدران، وأصلح ماكينة طرد المياه بالمرحاض. واستعار السيارة من البيت المجاور ليجلب مجموعة

من المواسير الجديدة لاستبدال القديمة. وعثر على لوحة تسخين مركزى أو لوحتين ملقاة بعيدًا، وأصبحت هناك تدفئة حقيقية. ووجد عارضتين كبيرتين من الخشب الجيد فى أحد مقالب المهملات على بعد نصف ميل، ولكنه لم يستطع رفعهما، فكان عليهم انتظار برت وجاسبر لمعاونته.

فى أثناء ذلك عقدت آليس ومارى وريجى جلسة المحاسبة التى قد تجلب مساهمة منتظمة للبيت. وكانت مارى - التى كانت تعلم تمامًا بالطبع ما الذى يجب دفعه - قد قامت بحساب حصتها وحصة ريجى، كانت حصة صغيرة جدًا. "كهرباء، غاز؟ مع وجود عشرة فى المنزل، كم يمكن أن يبلغ ذلك؟ حدث تقييم. مياه؟ هيئة المياه لم تطلع على موضوعهم بعد. بدا أن هذا كان كل ما توصل إليه تفكير الثنائى؛ وكأن هذا سوف يكون كل شىء. قالت آليس بطريقة جافة إن هذا وهذا وهذا قد تم إحضاره.

قالت مارى بحدة، مبدية ما ينم عن أنها لم تغفل عن ملاحظة ما يتم إحضاره: "نعم، ولكن من مقالب المخلفات".

حدث ذلك على مائدة المطبخ. ريجى ومارى كل منهما متقابلان بود شديد وثقة بالنفس؛ وآليس جالسة على رأس تلك المائدة منتظرة ما سوف يأتى فى طريقها. كانت تعلم بالفعل. استطاعت أن ترى فى عينى مارى ومضة تعنى أنها كانت تحسب، ليس ما قد تكون مدينة به إلى آليس، ولكن ما كانت تجمعه، بالطبع فى تلك اللحظة فى خيالها فقط، من أجل شراء شقتهما أو منزلهما.

قالت آليس: "لقد دفعنا لغلاية الغاز، ولكثير من الأسلاك، ولأدوات، وخشب وزجاج".

لم تكن تتوقع الكثير، وكانت على حق. طارت النظرات جيئة وذهابا بين ريجى ومارى، وتم عرض إجمالى عشرين جنيهًا، وقُبلت.

لم يُذكر عمل فيليب. توقعت آليس بشكل إيجابى أن تسمع الفكرة: ولكن بالطبع ما كان ليفعله لو لم يكن سيقيم هنا.

وقبلت آليس وهى تبتسم برزانة تامة الشاى الذى عرضت مارى إعداده - بسبب الشعور بالذنب، بالطبع - ونظرت إلى الآخرين، وفكرت: يا إلهى، كم أكرهكم أيها الناس. كم أكره أنانيتكم وشحكم وانتهازيتكم وبطونكم الجشعة، ولأنها كانت تعلم فقد ملأها الغيظ وامتقع وجهها، وفى محاولة للسيطرة على نظراتها، ابتسمت بدرجة أكبر ثم دعتهما لبدء التحدث عن خططهما بشأن بيتهما المستقبلى، وقد انطلقا فى ذلك فى الحال، وتوقفا عن ملاحظة وجودها.

أخذ جيم الرسالة إلى سيدريك ميلينجز، وعاد يترنح ويبكى فى سعادة غامرة. يستطيع أن يبدأ العمل غدًا. بالمصادفة شخص ما سيترك العمل. بالمصادفة. وسوف يكون جيم الشخص المناسب تمامًا للعمل عند سيدريك ميلينجز. يستطيع جيم أن يتطلع، أيضًا، إلى التدريب على ألغاز التقنية الحديثة.

قالت آليس بحدة: "ضميره يؤلمه. كل شىء بالنسبة لهم هو الشعور بالذنب".

قال جيم: "إنه لطيف جدًا، يا آليس. كان لطيفًا جدًا معى". كانوا فى المطبخ. جلس جيم، أو جثم على مقعده، فلم يكن يستطيع الاستقرار، ولكنه وقف، وراح يتعثر حوله، ضاحكًا بشكل بائس، أو كان يجلس ويضع رأسه على المنضدة ويضحك، بصوت يشبه البكاء. ثم فى فرط السعادة والعرفان بالجميل، راح يضرب بقبضتيه الاثنتين على جانبى رأسه، ضربات تحولت إلى إيقاع مبتهج حاد قليلاً. بعد ذلك جلس منتصبًا وفتح ذراعيه على أقصى مداهما، وراحت عيناه تدوران. وابتسم وجهه الأسود بشدة مظهرًا أسنانه البيضاء.

آليس، كان لديها ألف شىء فظيع يمكن أن تقوله عن أبيها، لكنها تراجعت، لأنها كانت تحب جيم، أحبت عجزه وضعفه، والجزء الخاص بها فى تضميد جراحه؛ لأنها كانت تعرف أن هذا الرجل، أو الفتى - كان يبلغ الثانية والعشرين - كان لطيفًا بالفعل، يمتلئ بدفء حلو رقيق؛ وكانت تعلم أن تعويذة للسعادة، للنجاح، سوف تبدله. يمكنها أن تتخيل كيف سيكون

عندما يكسب المال، ويصبح صاحب القرار فى حياته. يمكنها أن تراه بوضوح: جيم، كما هو الآن، ولكن يمتلئ بالثقة والمهارات الجديدة. ولذلك، لم تقل كلمة واحدة أخرى عن أبيها الكريه، لكنها استمعت فقط، مشاركة فيما تعلم أنها لحظة فى حياته لن يستطيع نسيانها أبدًا.

ثم أخذته إلى الخارج لتناول العشاء احتفالا، وشاركهما فيليب وبات، وأصبحت الأمسية إحدى تلك الأمسيات التى لابد أن يتوقف المشاركون فيها ليقولوا لأنفسهم: نعم هذا أنا، أنا حقًا، ... جلست السعادة معهم على المائدة، فى مطعم "سمك وبطاطس محارة البحر"؛ لم يستطيعوا التوقف عن الابتسام، ولم يستطع جيم أن يتوقف عن الضحك والتنهد. وعندما قال: "لا أستطيع أن أصدق أن هذا أنا، يا ناس"، نظر كل منهم إلى الآخر، غير قادرين على تحمل ما لا يستطيعون التعبير عنه من مشاعر تجاهه. ولكنهم استطاعوا الضحك، و... وكانت بات هى التى جلست بجواره. تضربه، أو تلكزه، أو تعانقه. الجالسون الآخرون فى المطعم - الذين ربما فى أوقات أخرى كانت لديهم أفكار صارمة عن العنصرية أو عن معانقة نساء بيض علانية لرجال سود (أو على الأقل ليس مع مثل ذلك الافتقار التام للوعى الذاتى) - كانوا خاضعين أيضًا لمقتضى المناسبة، والذى كان استسلامًا كليًا غير منتقد للسعادة، وكان يمكن رؤية ذلك من وجوههم التى أظهرت أيضًا الميل للضحك بلا سبب.

عاد الأربعة إلى رقم ٤٣ مجموعة رقيقة متقاربة، جيم كالملك، كمنتصر، ولأنهم لم يرغبوا فى أن تنتهى الأمسية، جلسوا حول مائدة المطبخ تحرسهم زهور الفرسيتية الصفراء لا يستطيعون أن يتحملوا الافتراق.

كانت آليس تفكر بالفعل: نعم، الليلة قد تعتقد أننا سنكون جميعًا أصدقاء مدى الحياة، ولا يمكن أبدًا أن يؤذى أى منا الآخر، ولكن ربما يتغير كل شىء، هكذا فقط! أوه، علمت أنها رأت ذلك كله. كان يمكن أن يتألم قلبها، قد يجرها إلى الخلف، ولكنها لن تستسلم له، كانت تحافظ على تلك الكتلة من القلب مربوطًا بسلسلة قاسية قصيرة مثل كلب خطر.

وصلت بطاقة سياحية من جاسبر عليها صورة جبل ويكلو مع رسالة: "أتمنى لو كنتِ هنا!". كانت تعلم تمامًا المزاج العجيب الذى كان يشعر به، وعلت وجهها تلك الابتسامة التى غالبًا ما كان يستدعيها التفكير فى جاسبر: متواضعة، كئيبة، ومعجبة، وكأن أهواء عبقريته ستظل وراءها إلى الأبد. احتفظت بالبطاقة لنفسها لأنها كانت تعلم أن الآخرين لن يفهموا. وكانت قد رأتها وهى تنزل السلم مبكرًا، قبل الآخرين بوقت طويل، ملقاة على الأرضية داخل المنزل.

غادر جيم فى يومه الأول للعمل ينتابه مزاج من الشك الرقيق، وكان لايزال غير قادر على وقف الابتسامة.

وبدلا من مشاركة آليس فى عمليات التنظيف والتلوين، غادرت بات لمقابلة "صديق"، وعادت قائلة أن برت بعث برسالة هاتفية. كل شىء على ما يرام، وسيعودون سريعًا.

ماذا يفعلون للحصول على المال؟ كان ذلك تفكير آليس، واحتفظت به لنفسها. وفكرت أيضًا: عندما يعود برت لن تكون بات هنا. استطاعت أن تقرأ هذا فى وجه بات، ولكنها احتفظت بذلك لنفسها أيضًا.

فى ذلك المساء سمعت آليس طرقة. خاطفة وسريعة، كانت تعرف صاحبتها. فخرجت لتجد مونيكا على الممر الخارجى بالقرب من البوابة، وليس أمام الباب. فقد كانت الفتاة خائفة أن تقوم فاى بفتح الباب.

ولكن لدى رؤية آليس اقتربت بسرعة، وعيناها الجائعتان مركزتان على وجه آليس.

كانت فاى فى المطبخ مع روبرتا. لذلك أغلقت آليس الباب بهدوء خلفها، وذهبت مع مونيكا إلى الخارج، وسارتا بطول الشارع إلى حيث تواريهما الشجيرات فى حديقة جوان روبنز.

سألت مونيكا: "هل سمعت عن أى شىء؟" شاعرة بالكآبة واليأس، حيث ظهر بوضوح على وجه آليس عدم وجود أنباء. وبدت لاهثة وشاحبة. وبدا شعرها دهنيا شاردًا. وفاحت منها رائحة الهزيمة التى كان على آليس أن تجبر نفسها على مواجهتها.

قالت آليس: "ليس هناك ما يمكن أن نأمله من المجلس"، ولدى رؤية تعبير عن السخط قالت: "بالطبع لا!" أصرت آليس قائلة: "ولكنى فكرت فى شىء آخر". طلبت من مونيكا الانتظار فى مكانها. وتسللت عائدة إلى البيت، كما لو كانت تشعر بالذنب تجاه شىء ما. وخرجت ثانية ومعها رسالة كتبتها إلى أمها، كانت مونيكا قد تحركت إلى منتصف المسافة نحو الشارع الرئيسى متوقعة فيما يبدو ألا تظهر آليس من جديد.

"هل اعتقدت أننى لن أعود؟" قالت ذلك ساخرة، ثم أضافت: "حقًا، إذا كنت ستتوقعين الأسوأ، فلن تجنى سواه".

ابتسامة ضعيفة متعمدة.

"خذى هذه إلى هذا العنوان. وخذى طفلك معك".

"ولكن الوقت متأخر جدًا. يعلم الله أنه من الصعوبة جدًا أن أجعله ينام فى ذلك المكان، وهو نائم الآن".

"اذهبى غدًا، إنها أمى. هى تحب الأطفال. وتحب أن تعتنى بالناس".

لم يكن الشك البادى على وجه مونيكا لينتقص بأية حال من الثقة الكاملة التى شعرت بها آليس. انظر ماذا حققت مع جيم! لا، لقد كانت على قمة المهارة والحظ، ولم يكن من الممكن أن تقع فى أى أخطاء. شعرت أن أمها ستتعامل بشكل حسن مع مونيكا المسكينة. قالت بصورة سريعة وحاسمة: "ستكون الأمور على ما يرام يا مونيكا. حسنًا، الأمر يستحق المحاولة، أليس كذلك؟"

رحلت مونيكا، وهى تحدق بارتياب فى الظرف، إلى محطة الأتوبيس الواقعة على الطريق الرئيسى، وذهبت آليس لمشاركة الآخرين حول المائدة. كانت قد أعدت وعاء كبيرًا، أو حساء غليظًا، الذى تجيد إعداده، وبلغت به إلى حد الإتقان خلال سنوات من الحياة الجماعية، وكم كان كثيرون يمزحون قائلين إن آليس تستطيع أن تطعم حشودًا منه، مثل أرغفة التوراة والسمكتين.

وكثيرًا ما كان يأتى شخص إلى هذا المكان أو ذاك ليسأل: "هل تبقى شىء من حسائك يا آليس؟" ثم يجلس يقطع الخبز فيه، ثم يطلب المزيد.

كان من يعيشون على حسائها يحظون بحماية من سوء التغذية. وأحيانًا عندما تكون النقود قليلة جدًا، كانت هى وجاسبر يعيشان على هذا الحساء لشهور.

عادت آليس للجلوس فى مكانها، وإجابة عن نظراتهم المتسائلة إن كانت هناك أى طوارئ قالت: "كل شىء على ما يرام، لم يكن شيئًا".

جلست روبرتا وفاى، مارى وريجى، فيليب وجيم، بات وآليس، حول المائدة طوال المساء، مرغمين على أن يكونوا عائلة بسحر ذلك الحساء، والنبيذ الأحمر الذى سهم به ريجى، والخبز الجيد، الصحى المصنوع من القمح الكامل، والأبيض التافه الذى أصرت فاى عليه.

كان هذا مساء آخر من البهجة، وكان جيم مليئًا بالحكايات عن والد آليس والآخرين الذين يعملون معه، كانوا اثنى عشر أو أكثر، وكم كانت آليس محظوظة؛ لأن لديها مثل هذا الأب ـ فيما ابتسمت آليس ولم تنبس ببنت شفة.

فى الصباح التالى كانت آليس بمفردها فى المنزل عندما سمعت طرقًا شديدًا على الباب وصوتًا يصرخ: "اخرجى، أنت... اخرجى من هناك، اخرجى".

خرجت آليس لتجد مونيكا، وقد حولها الغضب إلى امرأة على استعداد للقتل. وكان الطفل فى عربته شيئًا صغيرًا قبيحًا مثيرًا للشفقة، مرقط البشرة أبدًا.

"لماذا فعلت ذلك؟ لماذا أرسلتنى إلى هناك؟ ماذا فعلت لك؟" وبدأت مونيكا فى رفس قدمى آليس وضربها بذراعيها.

"ما الأمر؟ ماذا حدث؟ ألم تدخلك؟"

صرخت مونيكا: "لم يكن أحد هناك. لماذا أرسلتنى هناك؟"

"حسنًا، هى فقط بالخارج تتسوق، أليس كذلك؟ سوف تعود؟"

توقفت مونيكا عن الصراخ، توقفت أطرافها عن الضرب، ووقفت تحدق إلى آليس وهى مذعورة. قالت: "إنه منزل خالٍ، لا يوجد أحد هناك، معلقة عليه لافتة (للبيع)".

"لقد أخطأت المنزل"، قالت آليس ذلك بصورة مبهمة. والواقع أن شيئًا ما خطر لها، فكرة، أو ذكرى: صناديق على مائدة المطبخ، مليئة بالآنية الملفوفة فى أوراق الصحف. حملقت فى مونيكا التى كانت تحملق فيها.

قالت آليس بأنفاس متقطعة، وقد علاها شحوب مثل مونيكا: "هناك خطأ.... شىء ما خطأ".

قالت مونيكا بضحكة قبيحة مفاجئة: "الخطأ هو أنت". كانت لا تزال تحدق فى آليس وكأنها غير قادرة على تصديق ما تراه. "لماذا فعلت بى هذا؟ لأى شىء؟ لقد حققت هدفًا معينًا من ورائه، أعتقد ذلك، إنك شيطانة". ثم قالت بصورة قاطعة: "كلكم شياطين ومجانين فى هذا المنزل". وانفجرت فى عويل، ثم جرت خارجة، دافعة فى طريقها عربة الطفل، فأخذ الطفل يعول هو الآخر. ذهب الاثنان بهذه الضوضاء إلى محطة الأتوبيس، تاركين آليس على درجة الباب، فى حالة ذهول، تحدق، دون أن ترى الرسالة التى كتبتها إلى أمها، والتى ألقتها مونيكا فى يدها قبل أن تذهب.

أمى العزيزة

هذه مونيكا. تعيش مع طفلها بأحد تلك الفنادق الفظيعة كما تعلمين. حسنًا، ما لم تكونى تعرفين، فينبغى أن تعرفى. لماذا لا تأخذينها معك؟ إنه أقل شىء يمكن أن تفعليه. لديك ثلاث غرف خالية الآن. مونيكا وطفلها يمكن أن يعيشا بإحدى تلك الغرف اللعينة، وبلا مكان، يمكنها أن تطبخ أو تفعل أى شىء.

ابنتك آليس.

ملحوظة: وهناك زوج أيضًا.

دخلت وجلست على الدرجة السفلية من الدرج. ومضى وقت طويل وهى جالسة هناك فى حالة صمت مطبق، غير قادرة على التفكير، ثم بدأت حركة غريبة، تحك وجهها بيدها وكأنها تشعر بشىء أو تريد شيئًا ما. كانت حركة قاسية بالفعل، تجرف بها لحم وجهها هنا وهناك، واستمرت على ذلك لفترة من الوقت، ربما عشر دقائق. مهمة كان لابد أن تؤديها، شىء ضرورى، من الممكن أن يعتقد أى مراقب لهذا الموقف أن

لديها أوامر بأن تفعل ذلك، أن تجلس فوق تلك الدرجة من السلم وأصابعها تدفع لحم وجهها هكذا.

ثم جمعت حقيبتها بشكل منظم، وتوجهت إلى محطة مترو الأنفاق، ثم سارت تقطع الشوارع إلى بيت أمها، ووقفت أمامه تنظر إلى لوحة "للبيع"، لم تستطع أن تستوعبها. وباستخدام مفتاحها أدخلت نفسها بسرعة. ولكن بالداخل بدا وكأن شيئًا امتص الأثاث، تاركًا روح البيت سليمة. كان البوتاجاز فى المطبخ، لكن الثلاجة قد ذهبت. الستائر معلقة بشكل حسن فوق النوافذ، وبدا لها أنها لو أدارت رأسها بعيدًا، ثم أعادتها فإن المنضدة التى كانت تجلس أمها عليها حيث تقدم لها الحساء، وأحيانًا إلى ضيوف أمها، ربما تظهر من جديد. كانت بقية البيت على الهيئة نفسها، فى البدروم، الستائر التى كانت تعرفها طوال حياتها، وبقيت السجاجيد الملائمة أيضًا، ولكن الأسرَّة، والدواليب اختفت. صعدت آليس إلى حجرتها، وجلست القرفصاء فى الركن حيث كان سريرها، الفراش الأبيض الضيق، الذى كانت تنام عليه منذ كانت فى العاشرة من عمرها. وعلى النافذة كان هناك طاووس أزرق وأحمر كانت قد طبعته هناك بطريقة الاستنسل خلال إحدى الأمسيات الممطرة عندما كانت الحديقة مغطاة تمامًا بمياه المطار الرمادية. كانت نتيجة عام ١٩٨٠ معلقة على الحائط؛ لقد احتفظت بها لأنها كانت تحب الصورة: لوحة مانيه:(*) بار فى الفولى برجير، كانت تشعر بأنها هى تلك الفتاة التى كانت تحدق بالخارج، محاطة بالزجاجات واليوسفى والمرايا والطاولة وحائط من البشر ذوى الوجوه القبيحة.

فى الحديقة كان هناك شعاع الشمس، وقطط فوق خضرة تحتاج إلى التهذيب.

نزلت السلم وكأنها تسير نائمة، ثم فى نوبة من الجنون، استيقظت، وهى تستشيط غضبًا، تشعر بالخيانة، نزعت الستائر من غرفة تلو الأخرى، وصرتها وخرجت من المنزل مترنحة، ناسية أن تغلق الباب بالمفتاح، وبالكاد استطاعت السير تحت وطأة الحمل. رأت امرأة تنظر من إحدى النوافذ وفكرت: وماذا فى ذلك، إنها ملكى، أليست كذلك؟ ونجحت

(*) إدوار مانيه Edouard manet (١٨٣٢ ـ ١٨٨٣) رسام فرنسى وهو أحد رواد المدرسة الانطباعية.

فى الوصول إلى الناصية وهى تترنح. وأوقفت سيارة تاكسى، وعادت بها إلى البيت، وجعلته ينتظر بينما أسرعت إلى الداخل لسحب أية ستائر أخرى باقية، ثم عادت إلى البيت؛ حيث قضت هناك الأمسية كلها تعلق ستائرها على النوافذ الخالية من الستائر، أو تضع ستائر بدلا من تلك التى لا تشعر نحوها بشىء. على أية حال، كانت تلك الستائر أفضل ألف مرة من التى جاءت من المقالب: جميلة، مبهجة، كتان أو حرير حقيقى أو قطيفة سميكة مخططة ومبطنة، ذات أهداب وشراشيب.

كيف تجسر أمها على التخلص من هذه الستائر دون حتى أن تسألها، آليس؟

عندما ذهبت إلى المطبخ، كان فيليب هناك، وعرفت من سلوكه أن لديه شيئًا ما يريد أن يقوله.

أخبرها أنه قام بطبع ورقة إعلان وكان يأخذها إلى الفنادق والمطاعم والمحلات معلنًا عن شركته، فيليب فاولر، للبناء والديكور؛ وأنه يتعين عليه الحصول على عمل حقيقى، بأسرع ما يمكن؛ وأنه يعتقد أنه سهم بأكثر من نصيبه فى هذا البيت، الذى أصبح الآن فى حالة مناسبة. وإذا كانوا "هم" يريدون منه أن يعمل المزيد، إذًا فهو يصر على أن يدفعوا مقابل ذلك. ليس بالطبع ما يوازى ما يستحقه، ولكن ما يكفى لجعل العمل يستحق.

كانت الأشياء التى لا يزال مطلوبًا إنجازها هى: استبدال مواسير الصرف. وأيضًا جزء من ماسورة الصرف الخارجى (نصح أن يتم عمل ذلك فورًا، لأن الحائط قد تشرب بالمياه بصورة سيئة، ومن الممكن أن يصاب بالعفن الناخر. كان خزان المياه الباردة الواقع فى الغرفة العلوية يتخلل الصدأ معظمه. ومن وجهة نظره يمكن أن ينفجر، ويغرق البيت فى أية لحظة. وكانت عتبات النوافذ والأبواب فى الطابق الأعلى مصابة بالعفن، مما يؤدى إلى تسرب مياه المطر إلى المنزل. وبالطبع كانت هناك مشكلة العارضتين المتعفنتين فى الغرفة العلوية.

وضع أمام آليس قائمة بتلك الضروريات ورتبها بحسب الأكثر إلحاحًا، كان خزان المياه على رأس القائمة.

النقود. لابد وأن تحصل على بعض النقود.

جلست وقتًا طويلاً مع نفسها، تنظر إلى زهور الفرسيتية. كانت ذابلة، والبتلات الصفراء الرائعة متناثرة على الأرضية. ذهبت إلى الخارج، وقطعت المزيد من الأفرع، ورمت الأوراق الذابلة بعيدًا، وجلست خلال فترة بعد الظهيرة تفكر.

أولا، أين كانت أمها؟ هل تخيلت أنها تستطيع الفرار من آليس، بهذه البساطة؟ هل كانت مجنونة؟ حسنًا، لابد وأنها كذلك، فلم تخبر آليس وجاسبر... هنا فى مكان عميق من عقلها بدأت فكرة تضايقها وتصارعها، أن أمها كانت قد أخبرتها. حسنًا، إذا كان الأمر كذلك، فقد كان ذلك بطريقة لا يمكن لآليس أن تستوعب بها.

هل يمكن أن تحصل على بعض المال من أمها؟ ليس إذا كانت قد انتقلت لتوها إلى مسكن جديد. مع كل تلك النفقات. بالإضافة إلى احتمال أنها لم تكن قد تغلبت بعد على غضبها، فهى بحاجة إلى وقت لكى تهدأ.

ماذا عن تريزا وأنطونى؟

فكرت آليس طويلاً وبتركيز فى ذلك، تريزا قد تضع بين يديها خمسين جنيهًا أخرى، ولكن ذلك لا يكفى. ماذا تفيد خمسين جنيهًا؟ كانت قد حصلت على أربعين أخرى هذا الأسبوع من الضمان الاجتماعى، وقد تلاشت على أشياء احتاجها فيليب. فكرت فى أنها لو ذهبت هناك، بينما الخادمة تقوم بالتنظيف، وتريزا وأنطونى فى العمل، تستطيع أن تلتقط أحزمة الكيمونو الصغيرة المشغولة إذا كانت سريعة وحاذقة، ولن تلاحظ الخادمة. ولكن هذه الفكرة لم تبق معها، أبعدتها العاطفة. كانت تريزا طيبة جدًا معها دائمًا، لن تستطيع أن تفعل ذلك لتريزا. أنطونى أمر آخر، إن كان الأمر يتعلق بأنطونى وحده فهى تستطيع أخذ أى شىء يمكن أن تحصل عليه منه.

زوى دفلين؟ ولكن لسبب ما لم تستمر آليس فى هذه الفكرة. شعرت أنها مريضة، وكأن زوى تشاجرت معها بصورة فظيعة جدًا، كما تشاجرت مع أمها.

ربما تستطيع بالفعل أن تختار منزلاً مناسبًا وتسرقه؟ لم تكن بلا مواهب فى هذا الاتجاه. كانت واثقة أنها يمكن أن تنجح.

ولكن أن تصبح لصة، لصة حقيقية - تلك كانت خطوة بعيدة عن طبيعتها. كيف يمكن أن تصف نفسها كثورية، شخصية جادة، إذا كانت لصة؟ بالإضافة إلى أنه إذا ما قبض عليها فسيكون ذلك شيئًا ضارًا بالنسبة للقضية. لا. بالإضافة إلى ذلك، لقد كانت دائمًا شريفة، لم تسرق أبدًا أى شىء، ولا حتى وهى طفلة. لم تمر بتلك المرحلة التى تختلس فيها أشياء من حقيبة يد أمها، وجيوب أبيها، بالطريقة التى كانت تحدث مع بعض الأطفال. أبدًا.

تستطيع أن تتخيل نفسها وهى تختار البيت المحتمل، وتراقب قاطنيه حتى يخرجوا، ثم تتسلل إلى داخله، وتضع يدها على الأشياء الثمينة - ومع ذلك، كانت تعلم ما هو الشىء الثمين وما ليس كذلك. لم تكن واحدة من هؤلاء الأطفال المحرومين الفقراء الذين يتسللون من نافذة مفتوحة أو باب مغلق بصورة غير كافية، ثم لا يعرفون أفضل من سرقة تليفزيون أو فيديو. لكنها لا تستطيع حقًا أن ترى نفسها مع أى شىء يمكن أن تجده: سواء كان فازة أو بساطًا أو عقدًا وهى تحاول بيعه.

لا، هذا الأمر مستحيل.

لابد أن تحصل على نقود. انظر إلى كل هؤلاء البشر، يأخذون ويأخذون... ومع ذلك قال جيم بفخر الليلة الماضية إنه الآن سوف يسهم كما يجب، سوف يدفع نصيبه، وعلى آليس أن تكون واثقة من ذلك.

المكان الوحيد الذى تستطيع التفكير فيه هو الخاص بأبيها. ليس منزله: كان من المبكر جدًا أن تحاول ذلك مرة ثانية. ولكن الشركة. جلست، مغلقة العينين، تتخيل ما تحتويه دار إس. ميلينجز للمطبوعات والأدوات المكتبية. الخزينة فى مكتب أبيها بالدور السفلى تحتوى داخلها على شيكات مصرفية، ولكنها لا تريد شيكات. الدور السفلى فى المكتبة

الصغيرة فى الخلف ـ التى بدأ بها أبوها شركته على مستوى صغير، كمحاولة، والتى أصبحت ناجحة جدًا لدرجة أنه يمزح أحيانًا بأنها تموِّل كل شىء آخر ـ كان بها خزينة مليئة بالنقود. ولكن فقط أثناء النهار، عندما يكون المحل مليئًا بالزبائن. كل ليلة يتم حمل النقود إلى خزينة أخرى بالدور العلوى. وفى الصباح تؤخذ إلى البنك. ماذا تفعل للحصول على ذلك المال؟ لم تكن تعرف الرقم السرى لفتح الخزينة، ولم تكن تعتزم التحول إلى الاحتراف باستخدام المتفجرات، أو أيًا ما كانوا يستخدمون.

لا، هى تحتاج شيئًا آخر، تحتاج إلى وقاحة. كان يوم جمعة. والذى تنشط فيه التجارة بالمحل عن أى يوم آخر. المحل يُغلق فى الخامسة، ثم تؤخذ النقود مباشرة إلى الدور العلوى لإحصائها. وتبقى فى الخزينة حتى صباح يوم الإثنين. وفى مساء الجمعة يعود والدها غالبًا فى وقت مبكر إلى المنزل، لأنه وجين والأطفال يحبون الذهاب إلى كنت بالسيارة، فلهم هناك أصدقاء. فى الواقع ترتيبات برجوازية نموذجية: يقيم سيدرك وجين فى عطلات نهاية الأسبوع مع عائلة بولت. ويستخدم آل بولت منزل سيدريك وجين فى رحلاتهم إلى لندن. لم يحدث مثل ذلك أبدًا أثناء إقامة سيدريك مع دوروثى! بالطبع لا. كانت أمها مليئة تمامًا بهذا يخصنى وهذا يخصك. لا يمكن أن تشارك عائلة أخرى فى منزلها. ولسبب ما، كان موضوع نهاية الأسبوع هذا، زيارة آل بولت، دائمًا ما يجعل آليس تشعر بالضعف الممزوج بالغضب.

ولكن، مع الحظ، يمكن أن يغادر أبوها المحل فى الثالثة.

لتصل إلى متجر أبيها يجب أن تذهب لمسافة محطتين بمترو الأنفاق أبعد من منزله، أو منزل أمها، حسنًا، حيث كانت تقيم أمها. مشت بترو، لا تفكر كثيرًا، إلى المكتبة، حيث يتم الترحيب بها هناك باعتبارها ابنة المدير. توجهت إلى الداخل قائلة إنها تريد أن ترى أباها، ثم صعدت الدرج إلى طابق المكتب. كان الموظفون يرتبون مكاتبهم استعدادًا لعطلة نهاية الأسبوع. قالت هالو، وكيف أنتم، وتوجهت إلى مكتب أبيها، حيث كانت السكرتيرة،

جيل، تجلس فى مقعد أبيها تحصى النقود من درج النقود الخاص بالدور السفلى.

قالت آليس: "أوه، لقد ذهب إذًا"، ثم جلست. ابتسمت جيل وهى تعد من خلال رزم فئة عشرة جنيهات، وأومأت برأسها. محركة فمها بما يدل على أنها لا تستطيع التوقف. ابتسمت آليس وأومأت برأسها. ونهضت لتقف عند النافذة. تنظر إلى الخارج. اتكأت ابنة المؤسسة، صاحبة الامتياز، على عتبة النافذة تراقب الحركة فى الشارع، وتنصت إلى أصوات انزلاق الأوراق المالية فوق بعضها.

هل تقول أن أباها وافق على إعطائها بعض المال؟ إذا فعلت ذلك فلن ترفض جيل؛ وعندئذ، عندما يتم إخبار أبيها يوم الإثنين، فلن يفضحها، لن يقول: ابنتى لصة. كانت على وشك أن تقول: لقد قال إننى أستطيع أن آخذ خمسمائة جنيه. ولكنه حدث، ما لا يُصدق، الحظ الرائع الذى كانت تتوقعه توًا، حيث كان يحدث بسهولة تامة وفى أحيان كثيرة، رن جرس التليفون فى الحجرة المجاورة. استمرت جيل فى العد. استمر التليفون يرن ويرن. غمغمت جيل بأناقة: "أوه، فليتوقف"، حيث كانت ذلك النوع المخلص من الفتيات، والتى يفضلها والدها كسكرتيرة، ثم جرت إلى الباب التالى لترد على التليفون. رأت آليس أن هناك فوق المكتب حقيبة من القماش الأبيض رصت داخلها رُزم النقود. فمدت يدها وأخرجت رزمة سميكة، ثم أخرجت واحدة أخرى، ووضعتهما داخل الجاكيت الذى ترتديه، ثم اتكأت مرة أخرى على النافذة وظهرها للغرفة. عادت جيل، قائلة إنها كانت السيدة ميلينجز، تريد التحدث إلى والدها، واستغرقت آليس لحظات لتدرك أنها لابد أن تكون أمها، وليست السيدة ميلينجز الجديدة، التى فى هذه اللحظة لابد أن تكون بالفعل فى طريقها إلى مباهج الإجازة الأسبوعية فى كنت.

لم ترد أن تسأل، هل تعرفين عنوانها؟ فبهذه الطريقة سوف تكشف نفسها؛ ولكنها سألت بلا مبالاة: "من أين تتصل؟" ولكن جيل لم ترد مرة

أخرى، إذ كانت تعد النقود، ولكنها فى النهاية قالت: "من المنزل... حسنًا، أعتقد ذلك".

لم تلاحظ أى شىء. انتظرت آليس حتى وقفت جيل ومعها ثلاث حقائب من القماش الأبيض تحمل الأوراق المالية والشيكات والعملات المعدنية، كل على حدة، ووضعتها فى الخزينة.

قالت آليس: "أوه، حسنًا، سوف أذهب".

قالت جيل: "سوف أخبر والدك أنك كنت هنا".

عندما وصلت آليس إلى المنزل أحصت ما معها، ووجدت أنه ألف جنيه. فكرت فورًا، كنت أستطيع أخذ ألفين، أو ثلاثة ـ فالنتيجة واحدة. على أية حال، عندما يعلمون بفقد النقود، وعندما يتذكرون أنى كنت هناك، سيعرفون إنه أنا. لماذا يكون العقاب لسرقة خروف مساويًا لسرقة حمل صغير.

حسنًا، ينبغى أن تكون كافية.

فكرت آليس لبعض الوقت أين تضع المال. هى لن تخبر جاسبر. فى النهاية، فتحت كيس نومها، ووضعت النقود داخله. وفكرت أن الحظ العاثر وحده يمكن أن يجعل أى شخص يلمسها، ليعرف ماذا تملك.

مساء يوم الجمعة. ذهب جاسبر وبرت لعشرة أيام. قالا إنهما سوف يعودان فى عطلة نهاية الأسبوع.

فكرت فى بات، أين بات؟ نزلت إلى المطبخ، ووجدت بات، كانت مرتدية الجاكيت، والوشاح، وحقيبتها القماش القرمزية اللامعة. كانت تكتب ملحوظة فى عجالة، ولكن توقفت عندما رأت آليس، وبابتسامة متجهمة وباهتة معًا، تقول الملحوظة لآليس: "إن بات لم ترد أن تواجه مهمة الوداع، وسوف تعجل الآن".

قالت بسرعة: "أنا ذاهبة يا آليس"، ولم تسمح لعينيها بمواجهة عينى آليس.

"هل ستقطعين علاقتك مع برت؟"

ملأت الدموع عينى بات، واستدارت إلى ناحية أخرى: "فى يوم ما لابد أن أقطعها، لابد.."

علقت آليس: "حسنًا، ليس لأى غريب أن يتدخل..."، كان قلبها حزينًا للفقدان، مما أدهشها. بدا أنها أصبحت مغرمة ببات.

"لابد أن أفعل يا آليس، حاولى أن تفهمى من فضلك، إنه ليس برت، أعنى أنا أحبه. ولكنها السياسة".

"تعنين أنك لا توافقين على اتجاهنا فيما يتعلق بالجيش الجمهورى الأيرلندى؟"

"لا، لا، ليس ذلك. ليس لدى أية ثقة فى برت".

على الأقل، لم تقل أيضًا: "ولا فى جاسبر".

قالت: "هذا عنوانى، أنا لن أتلاشى. أعنى أننى لا أريد أن أقطع علاقتى بشكل دراماتيكى، أو أى شىء من هذا النوع. سوف أعمل بطريقتى الخاصة. نفس النوعية، ولكن ما أراه أكثر.... جدية".

قالت آليس: "جدية؟"

قالت بإصرار: "نعم، جدية يا آليس. أنا لا أرى تلك الرحلات إلى أيرلندا، بناء على كلمة من شخص ما يدعى جاك"، بدا صوتها مشمئزًا وضجرًا، وصدرت كلمة "جاك" مثل شىء تافه. "الأمر برمته عمل هواة ملعون، لا أسايره".

"لقد فكرت أنك سوف ترحلين".

استدارت بات بسرعة، كانت تبكى.

"لقد كنا معًا منذ وقت طويل...."، أصبح صوتها غليظًا متقطعًا.

قالت آليس بحزن: "لا يهمك".

"إننى مهتمة، ويؤسفنى أن أتركك يا آليس".

تعانقت المرأتان وهما تبكيان.

قالت بات: "سوف أعود، كنت تتحدثين عن مؤتمر أ.و.ش، سوف أعود من أجل هذا. ومن أجل كل من أعرفهم، لن أكون قادرة على قطع علاقتى مع برت، لقد حاولت ذلك مرة من قبل".

خرجت، تجرى، لتدع عواطفها خلفها.

***

عاد الرجلان يوم الأحد ليلا. علمت آليس فورًا أنهما قد فشلا. بدا جاسبر منهكًا، وكان برت مكتئبًا حتى قبل أن يقرأ الرسالة التى تركتها بات له.

أعدت عشاء لجاسبر، الذى صعد على الفور إلى كيس نومه فى الطابق العلوى. قال برت إنه كان متعبًا، ولكنها تبعته، ووجدته واقفًا بمفرده فى الغرفة التى كانت تشاركه فيها بات. دخلت، و... رغم أنه لم يكن يفكر فى أيرلندا، قالت: "أريد أن أسأل بعض الأسئلة. جاسبر يكون مضحكًا أحيانًا عندما يصاب بالإحباط".

قال برت: "كذلك أنا"، ولكنه لان، وقال وهو واقف فى مكانه ويداه متدليتان: "لم نصل إلى أى شىء".

"نعم، ولكن لماذا؟"

كانت تفكر أن الرفض قد أظهر الأفضل فى برت. فبدون بشاشته البسيطة، والوميض الثابت لأسنانه البيضاء بين شفتين حمراوين ولحية داكنة، بدا رزينًا ومسئولاً.

هز رأسه، وقال: "كيف أعرف؟ قيل لنا ببساطة 'لا'."

لم تكن لديها نية المغادرة قبل أن يقص عليها كل شىء. وفى النهاية واصل حديثه، بينما كانت هى تنصت باهتمام، لكى تتكون لديها صورة تستطيع الاعتماد عليها.

كان جاك فى دبلن يذهب إلى الحانات وأماكن الاجتماعات، يجمع المعلومات، يقابل هذا الرجل ثم ذاك، ثم يعود لإخبار برت وجاسبر أن الأمور تسير كما يجب. ثم قام برت وجاسبر ـ وليس جاك، وهى حقيقة ينبغى أن تمنحها فرصة للتفكير ـ بمقابلة رفيق معين فى منزل خاص بإحدى الضواحى. وهناك تم استجوابهما لوقت طويل، بطريقة ـ فهمت آليس هذا من ملاحظة وجه برت وهو يحكى القصة ـ لم تكن فقط مؤثرة، ولكنها جعلت الاثنين يفيقان. رأت آليس أن تلك الطريقة فى الواقع أفزعتهما، وسرها ذلك، لأنها كانت تشعر أن جاسبر كان أحيانًا يتصرف ببعض الإهمال.

قرب نهاية هذا اللقاء أو المقابلة، جاء رجل آخر، جلس دون أن يتكلم، وراح يستمع. قال برت مع ضحكة قصيرة وهزة من رأسه: "كان شخصية ـ إلى حد ما ـ من ذلك النوع الذى لا يحب أن تعرفى دخائله".

فى النهاية قال الرجل الذى أجرى كل المقابلة إنه كان متحدثًا باسم ج.ج.أ، يشعر بالامتنان للتأييد المعروض، وأنهما ـ برت وجاسبر ـ لابد أن يدركا أن ج.ج.أ ليس منظمة سياسية عادية، ويتم التجنيد بعناية شديدة، وطبقًا لمتطلبات محددة.

قاطعه جاسبر ليقول إنه بالطبع فهم هذا: "كل شخص يفهم هذا".

ثم كرر الرفيق، كلمة بكلمة، ما قاله للتو. واستمر ليقول إنه كان من المفيد للقضية الجمهورية أن يكون لها حلفاء ومؤيدون داخل الدولة المضطهدة ذاتها، وأن جاسبر وبرت و"أصدقاءهما" يمكن أن يلعبوا دورًا مفيدًا فى تغيير الرأى العام، وتوفير معلومات. ويمكن تزويدهم ـ على سبيل المثال ـ بالكتيبات وأوراق الإعلانات.

أصبح جاسبر مستثارًا ومعترضًا بشكل واضح، وتحدث طويلاً عن الإمبريالية الفاشستية. وأنصت الرجلان ـ المتحدث والصامت ـ إلى هذه الخطبة دون تعليق وبلا تعبير.

ثم سار الرجل الصامت ببساطة إلى خارج الغرفة، مع إيماءة وابتسامة. وقد تركت الابتسامة أثرًا واضحًا فى برت وجاسبر. كرر برت "لقد ابتسم فى النهاية"، بتلك النغمة الكئيبة التى روى بها حكايته. ويمكن القول حتى أن برت كان محرجًا. من نفسه ومن جاسبر؟ من جاسبر؟ رغم ذلك، أملت آليس ألا يكون ذلك نيابة عن جاسبر، فمن الواضح أن الذكاء خانه حين ألقى هذه الخطبة العاطفية.

كانت آليس تود أن تستمر، ولكن برت قال: "انظرى، لقد نلت ما يكفى اليوم. هذا الموضوع مع بات..."

قالت آليس: "إنى آسفة، أعرف هذا".

"شكرًا"، قال ذلك بطريقة جافة: "أوه، شكرًا"، وبدأ يخلع سترته الصوفية، وكأنها قد ذهبت بالفعل.

قررت آليس أن تنام فى غرفة الجلوس مرة أخرى، لأنها لكى تختار لنفسها غرفة فسوف يعنى ذلك انفصالا نهائيًا. وبمجرد ما بدأت تتهيأ للنوم، ظهر جيم، لقد قضى عطلة نهاية الأسبوع مبتهجًا مع الأصدقاء. كان هؤلاء الأصدقاء لم يظهروا منذ وقت طويل، وقاموا بالزيارة فى هذا الوقت لوجود شىء يحتفلون به. رأت أنه بالفعل بعد ثلاثة أيام فقط كان جيم يشتعل بالنشاط والكفاءة: فقد كان بليدًا وبطيئًا بسبب البطالة. حسنًا، بالطبع! كل شخص يعرف ذلك، ولكن ظهور النتائج بهذه السرعة.

رقدت آليس وهى تشعر بالابتهاج من أجل جيم، والقلق بشأن جاسبر، وظلت مستيقظة لوقت طويل بالغرفة الصامتة. فى هذا الجانب من المنزل لا يمكن سماع ضوضاء المرور فى الشارع الرئيسى.

كانت تعلم أن جاسبر وبرت لن يستيقظ أيهما فى وقت مبكر، ولكنها أيقظت نفسها فى الوقت المناسب لمشاركة جيم فى تناول الشاى ورقائق الذرة، كانت تعتقد أنها إلى حد ما مثل الأم، التى تتأكد من أن طفلها قد

تناول الطعام قبل أن يذهب إلى المدرسة، ولم تتردد فى أن تقول: "هل أنت متأكد أنك تناولت ما يكفى؟ لا يوجد هناك كانتين، كما تعلم. الأفضل أن تأخذ معك بعض السندويتشات". وقال وكأنه ابن يشبع رغبات الأم: "لا تقلقى يا آليس، إننى بخير". بعد ذلك جاء فيليب، وجرت مناقشة مشكلة خزان المياه الجديد. الأفضل جلب خزان آخر مستعمل فى حالة جيدة. هل كان لدى آليس أية فكرة عن تكلفة الخزان الجديد؟ لا، ولكنها يمكن أن تخمن. وسوف يذهب فيليب هذا الصباح إلى مصدره الخاص لجلب مثل تلك الأشياء، ثم تساءل إذا وجد واحدًا، فهل تريده فى هذه الحالة أن يشتريه، هل لديها المال اللازم؟ شجعته للحصول على الخزان، والجزء التالف من ماسورة الصرف، البالوعة. وبسرعة دخلت وخرجت من حجرة الجلوس، سحبت ثلاثمائة جنيه من كيس نومها، لأنها لا تريد أن يعرف فيليب كم من المال هناك. ولكن أيضًا لأنها لا تريد أى شخص أن يعرف ذلك. واستولى عليها ارتباك، بل وشعور بالخجل. فقد فكرت أنه عندما يتم شراء هذه القائمة الأخيرة من الضروريات، فينبغى أن تضع بعض المال فى مكتب البريد، لنفسها. ولا يجب أن يعرف أحد عن هذه النقود شيئًا. لابد أن يكون لديها، بالتأكيد، بعض المدخرات الصغيرة؟ نعم، سوف تفتح حسابًا جديدًا بمكتب البريد، ولن تخبر جاسبر.

كان فيليب وجيم بالخارج، روبرتا وفاى إما نائمتان، أو فى كوميونتهما النسائية. ومارى وريجى ذهبا بعيدًا لإجازة طويلة فى نهاية الأسبوع. ولن يعودا حتى المساء. برت وجاسبر نائمان، أو كانا صامتين تمامًا. كل منهما فى غرفته. جلست آليس فى نهاية المنضدة، بالمطبخ الهادئ. ظهر القط - الذى كان غائبًا منذ أيام - من جديد على حافة النافذة، تركته يدخل، قبل القط رقائق الذرة واللبن، ولعق بعناية كل بقايا الطعام القليلة من الطبق، وأصدر مواء، ثم ذهب مرة أخرى.

كانت آليس تشعر بالكرب يملؤها. هذا الأمر الخاص بـ ج.ج.أ كان قوة دافعة لجاسبر لشهور. قبل فترة طويلة من الخروج الدراماتيكى من عند

أمهـا، كـان ج.ج.أ... ج.ج.أ... كل يـوم. لم تـكن فى الـبـدايـة تـأخـذ الأمـر بـجـديـة. ولـكن فـيـمـا بـعـد كـان لابـد أن تـفـعل. الآن انـهـار كل ذلك. تـوزيع الكتيبات والأوراق، لم يكن ليرضى جاسبر. وكانت متأكدة أنها لا ترضى بـرت أيضًـا، الـذى رأته أمس لأول مـرة رفيـقًـا يمـكن أن يـكون مـسـئولاً. لم يـحدث أبدًا ولو مـرة واحـدة أن خـطـر على بـال جـاسـبـر أو بـرت أنه قد يتم رفضهما. أن يتم اعتبارهما غير مناسبين. هل ج.ج.أ لم يأخذهما بجدية؟ راحت تـدرس هـذه الـفـكـرة، بـأنـاة ودقـة، وتـديـرهـا فى عـقـلـهـا، تـسـتعيد من جديد المشهد الذى استطاعت أن تراه مفعمًا بالحيوية لجاسبر وبرت مع رجلى ج.ج.أ، لابـد أن تـعـتـرف بـأن جـاسـبـر وبـرت أعـطـيـا انـطـبـاعًـا سـيـئًـا. حسنًا، ذلك من الممكن أن يحدث! لقد كان يحدث مع جاسبر طوال الوقت.

وهـنـاك احـتـمـال آخـر، هـو أن جـاسـبـر وبـرت والآخـريـن - بـمـا فـى ذلـك هـى نـفـسـهـا - سـوف يـكـونـون مـوضـع اخـتـبـار. نـعـم، ربـمـا يـكـون هـذا هـو الأمـر. سـتكون هـنـاك عـين تـراقـبـهـم، بـدون عـلـمـهـم. (وهـنـا ظـهـرت صـورة الـرفـيـق أنـدرو بـقـوة أمـام آلـيـس، وابـتـسـمـت لـهـذه الـفـكـرة). ولـكـن جـاسـبـر وبـرت بـالـتـأكـيـد لم يـفـكـرا فى ذلك؛ والـرفـاق الأيـرلـنـديـون لم يـعـطـوهـمـا أى شـىء محدد ليفعلوه.

كان هذا يعنى - وقد واجهت آليس ذلك - عدة أيام سيئة مع جاسبر. لن تـراه كـثـيـرًا. سـوف يـذهـب من هـنـا. ربـمـا يـعـود سـريـعًـا فـى الـلـيـل لـلـحـصـول على بعض الطعام، ثم يذهب مرة أخرى. ذات مرة، فى ظرف صعب للغاية، استمر جاسبر "هكذا" لأسابيع، أكثر من شهر، وعاشت فى رعب خشية أن تطرق الشرطة عليهم الباب. وكانت تفزعها الأخبار عن جاسبر منذ قابلته أول مرة. عندما كان "هكذا"، لا يهتم بأشياء كثيرة.

الأمل الوحيد كـان ارتـبـاطه مع بـرت. الاسـتـقـرار. قد يـنـقـذ بـرت الـوضـع بدون أن يعرف أبدا أن هناك وضعًا من أى نوع.

مـرت سـاعـات، وهـى تـزداد اكـتـئـابًـا، ثـم جـاء فـيـلـيب، مـسـرورًا، لـيـقـول إن رفـيـقـه فـى الـفـنـاء، ولـديه اتـصـالات حـيـث تـجـرى أعـمـال الـهـدم، لـديـه كـل مـا

يحتاجه ٤٣ وهى فى شاحنة بالخارج. ولكن فيليب أنفق الثلاثمائة جنيه ويحتاج نقودًا لدفع أجرة التوصيل. وبينما كان يقول كل ذلك، وبينما كان هو وهى يعبران الصالة، ظهر جاسبر، يركض برشاقة نازلا الدرج. وقفت آليس ثابتة تراقبه، وقلبها يخفق بشدة. كانت دائمًا تنسى، عندما يغيب عنها لبعض الوقت، كيف كان يؤثر فيها. رشاقته تلك - كل خطوة وكأنه يشرع فى الطيران! وفوق ذلك، كيف وقف هناك، أسفل الدرج، مستقيم الجسد ونحيلا؛ قد تعتقد أنه كان من عالم آخر، كان شاحبًا وأنيقًا، بشعره القصير المتلألئ... ولكنه كان عابسًا على نحو مرعب. وتحت نظرته المحدقة كان لابد أن تذهب إلى غرفة الجلوس حيث نامت، بينما هو يعلم لماذا ذهبت وركعت أمام كيس النوم، الذى كان بعيدًا عن خط رؤيته المباشر. كانت تخاطر بأنه ربما يدخل، ولديها ذلك الإحساس اللاهث بعدم التماسك الخارج عن السيطرة الذى كان قدرًا محتومًا مع جاسبر. سوف يدرك أنها جاءت هنا لإحضار المال. ماذا كان عليها أن تفعل؟ أخذت بسرعة ما تبقى من إحدى الرزمتين مع الرزمة الأخرى السميكة، تحت قميصها، حيث كانت ظاهرة. ثم ارتدت الجاكيت، رغم أنه سوف يعرف لماذا ارتدت الجاكيت، وخرجت تحت نظرته الباردة والمتفحصة والمتميزة غيظًا. ظهر برت على الدرج، يبدو متعبًا ومشوشًا، يا له من تباين، جاسبر وبرت: أحدهما مثل ملاك ثائر - خطرت الفكرة بقوة فى عقلها - والآخر فى حالة كئيبة للغاية، وضعيف.

قال فيليب بمرح للرجلين: "هل من الممكن أن تساعدانى؟" لم يتحرك جاسبر، ولم يتحرك برت.

قالت وقد شعرت بالخجل من أجلهما: "سآتى أنا"، وأسرعت إلى الخارج مع فيليب. كافحت هى والسائق وفيليب مع الخزان. كان ثقيلاً وضخمًا - قالت مازحة "إنه فى حجم دلو صغير" - ولكنهم أخرجوه من السيارة، وحملوه فوق الممر إلى داخل المنزل. وهناك قال السائق إن مسئوليته قد انتهت. أسرع فيليب لجلب البالوعة والماسورة وعاد ثانية إلى

الداخل. كان برت وجاسبر فى المطبخ، وكان الباب مغلقًا أمامها. سارت رأسًا إلى الداخل وقالت لهما: "ألا يمكنكما مساعدتنا فى نقل الأشياء إلى أعلى؟"

كانا يتبادلان التعبير عن الرفض والغضب خلف ذلك الباب المغلق. لكن جاسبر قال: "آليس، لقد جننت، هل تعلمين ذلك؟ ماذا تظنين أنك فاعلة؟ ما كل هذا الهراء؟" وقفت أمامه وقالت: "خزان المياه الموجود متعفن، يملؤه الصدأ، هل تريد أن يتدفق علينا... الله أعلم كم جالونًا من المياه؟"

قال: "لا يهمنى ذلك، وإذا حدث فسوف ننتقل إلى مكان آخر كما نفعل دائما".

شعرت بهذا الرد الغادر القاسى البارد فى أحشائها، وأظلمت الدنيا أمام عينيها. ولما استردت عافيتها، كانت ممسكة بحافة المنضدة لحفظ توازنها. نظرت إليه متجاهلة برت، الذى كان يضع البراد ويقطع الخبز. "أنت تعلم أنك تحب مكانًا لائقًا، جميلاً. بالطبع أنت....".

قال مقاطعًا: "أوه، كلام فارغ". جاء ذلك بشكل ميلودرامى؛ لأنها كانت تدمر الصورة التى يريد أن يقدمها عن نفسه أمام برت. "حسنًا، أنا لا أملك فعل أى شىء بالنسبة لذلك، وماذا يتكلف ذلك؟ وكم أنفقنا هذه المرة؟ كانت عيناه الزرقاوان الصغيرتان اللامعتان، القاسيتان والمستديرتان ـ واللتان بدتا هذا الصباح وكأنهما بارزتان من البحيرات البيضاء المحيطة بهما ـ كانتا مليئتين بالكراهية نحوها. كانت تعلم ماذا سيحدث فى اللحظة التى ينفردان فيها.

ناشدت برت: "أرجو المساعدة، فيليب وأنا لا نستطيع أن نتصرف، أعنى، أنظر إلى فيليب!".

وببطء، وبلا تغيير فى التعبير عن مشاعره، أخذ برت فى وضع الزبد فوق الخبز، ثم جلس، وعندما رفع عينيه ونظر إلى وجهها، فجأة نهض،

بحركة سريعة ومليئة بالحيوية، كما لو لم يكن خاملا لتوه (ولكنها كانت الطاقة التى يولدها الغضب)، وخرج معها إلى الصالة، حيث فيليب الذى كان واقفًا ضعيفًا كالورقة، بجوار خزان المياه الضخم ذى اللون الرمادى القاتم. ودون أية كلمة، انحنى برت ورفع، تاركًا لآليس وفيليب حرية اختيار طريقة المشاركة، ومع خبط وقرع الخزان لأنه كان غاضبًا جدًا، ظهرت أسنانه البيضاء من بين شفتيه الحمراوين المطوطتين معبرة عن الجهد المبذول، تم نقل الخزان بسرعة إلى الدور العلوى، مع حدوث تلفيات للدرابزين. وفى الدور العلوى ألقى برت الخزان ببساطة، ونزل مسرعًا مرة أخرى. وسمعت هى وفيليب باب المطبخ يُغلق بعنف من جديد لإقصائهما كليهما. نظرت إلى فيليب معتذرة. لم يكن ينظر إليها. كان الخزان لابد أن يصل إلى نهاية البسطة الصغيرة. وكان الخزان القديم فى العلوية. ولم يكن الباب المسحور بالسقف يسمح بوصول هذا الخزان إلى العلوية. لغز! كيف لم يفكر البناءون الأوائل فى احتمال تركيب خزان جديد وإدخاله إلى السطح عبر هذه الفتحة الصغيرة عندما يتلف الخزان الأصلى، الذى من المفترض أنهم وضعوه قبل تركيب السقف؟ ربما كانوا فقط يعتقدون أن الخزانات تعيش إلى الأبد.

ولكن المسافة من حيث يوجد الخزان حاليًا ـ يسد الطريق على رأس السلم ـ وحتى المكان الذى لابد أن يوضع فيه طويلة جدًا بالنسبة لقدرتهما على نقله.

رأت آليس فيليب يبدو عليه الكرب والخجل، والشعور بأنه مهدد.

قالت: "انتظر"، مشت إلى أسفل الدرج، ورأت جاسبر خارجًا من غرفة الجلوس، حيث، بالطبع، كان يبحث عن المال. ودون سابق قصد منها، وجدت نفسها تقول له وهى واقفة على أول درجة من السلم: "لدى ما يكفى يا جاسبر. إذا لم تكن تستطيع أن تساعد فى شىء صغير كهذا، بينما أقوم أنا بعمل الكثير جدًا، إذًا فأنا سوف أتخلى عن كل شىء". وكأنه لم يكن سيتجاوزها متجهًا إلى المطبخ، اندفع أمامها مغيرًا وجهته وهو يضرب

بقدميه درجات السلم بعنف. وعندما وصلت هى إلى أعلى كان يحرك الخزان مع فيليب إلى حيث يجب أن يُنقل. هنا كان جاسبر الآخر: السريع، الذكى، واسع الحيلة. اقترح فيليب أن توضع لوحة أو أوراق سميكة أو شىء ما تحت الخزان لرفعه، بسبب بعض المواسير البارزة من أسفل؛ رأى جاسبر أكوام ورق الصحف التى أنزلت من العلوية، فجمعها بسرعة شديدة ووضعها فوق بعضها وهو منحن بجانبها حتى بلغ ارتفاعها نحو ثمانى عشرة بوصة. استطاعت آليس أن ترى أنه على الرغم من أنه كان يرص الأوراق فى المكان بسرعة شديدة، كان يتعامل معها من جانب واحد مثل لعبة الورق، أوراق صحف بعناوين تثير الاهتمام: "متظاهرو جاروو..."، "هتلر يغزو...."، "معركة العلمين...".

فكرت آليس، لو كان بإمكان الرفاق الأيرلنديين أن يروه الآن، وهى تراقب هذا العمل الذى يجرى إنجازه بمهارة ورشاقة؛ ثم كيف قام هو وفيليب وهى برفع الخزان، الخزان الكبير، وكأنه لا وزن له، فوق الصحف.

لم يكن ينظر إليها. كانت شبه غائبة عن الوعى مع خفقان شديد لقلبها. أوه، كان تصرفًا خطيرًا أن تهدد جاسبر. فلنفترض أنه تركها؟ أوه، لا، لن يفعل ذلك، تعلم ذلك تمامًا، لا يمكنه أن يتركها.

نزل السلم مسرعًا، دون ابتسامة أو نظرة، ثم وجدت نفسها من جديد مع فيليب الذى كان مكروبًا. بسبب الجو الذى كان فيه والذى كانت تعرف أنه سم محض.

كانت تعرف أنه يفكر، لو لم أورط نفسى بشدة فى هذا المنزل ربما سوف أرحل. بالإضافة إلى أنه كان يشعر بالإحباط لرحيل بات.

تركت فيليب لعمله، معتقدة أنها فى هذه المرة أعطته المال اللازم للمواد الخام، ولكن لا شىء مقابل عمله. كادت تصعد من جديد إلى أعلى السلم كى تعطيه... نزلت عدة درجات على السلم... ثم كادت تعود للصعود مرة أخرى، مترددة، ثم - كان الحظ فى جانبها - فعلتها. أعطته ما تبقى من

الرزمة الناقصة ـ ليست مائتى جنيه بالضبط، صحيح، ولا شىء مثلما يجب أن يكون ـ وعادت إلى المطبخ بالدور السفلى، حيث فتحت الباب بشكل جرىء، غير عابئة بأنه أغلق دونها عن قصد.

ذهب برت.

وكان جاسبر ينتظرها.

"من أين حصلت على ذلك المال؟"

قالت: "ليس مالك، فاسكت".

قال: "إنك تصيبيننا جميعًا بالغثيان. نحن جميعًا نعتقد أنك فسدت. كل ما يعنيك هو رفاهيتك".

قالت وهى تجلس: "سيئ جدا". بدا فى ضوء منتصف النهار الساطع، وهو واقف هناك، شيئًا مألوفًا، بل وحتى قبيحًا ـ هكذا فكرت آليس، التى كانت منذ دقائق قليلة تذوب فى نشوة الإعجاب به.

كان يحدق فى بطنها، وكان الجاكيت الذى ارتدته بعجلة مفتوحًا. وفى الصدر، تحت القميص القطنى السميك، ظهر البروز المستوى لرزمة النقود.

خشيت للحظة أن يخطو ببساطة خطوة ينتزع معصمها ويخرج النقود. لكنه لم يفعل، بل ذهب ليقف عند النافذة ينظر إلى الخارج.

قال: "لا تظنى أننى سوف أستسلم، أو أننى سوف أكتفى بما قالوه!".

استغرق الأمر لحظة حتى تفهم ما يعنى: كان يتحدث عن رفضه من جانب الرفاق الأيرلنديين.

قالت بشكل ينم عن حسن العشرة: "لا، بالطبع".

اعتقدت، وهو ما بعث الابتهاج والطمأنينة فى قلبها المسكين، أنه الآن يمكن أن تبدأ مناقشة حقيقية مسئولة أحبت كثيرًا أن تجريها مع جاسبر.

ولكن الباب فُتح، فرفعت رأسها لترى جيم. الذى اعتقدت فى البداية أنه ليس جيم. كانت البشرة البنية اللامعة رمادية وخشنة، وعيناه تحدقان.

"ماذا حدث؟ ماذا حدث؟" وذهبت إليه.

تخلص منها قائلا: "لقد طردونى".

قالت فى الحال: "أوه لا ...، أوه لا، لا يمكن أن يفعل ذلك".

وقف يلهث بعنف، يتنفس بصوت عالٍ موجع. "قالوا إننى سرقت نقودًا".

قالت آليس: "أوه، لا"، ثم كررت، مرة أخرى، ولكن بإيقاع مختلف: "أوه، لا".

بينما وقف جاسبر ليستوعب كل ذلك.

سأل جيم، متوجهًا إلى السماء وليس إليها: "ما الهدف؟"، قالها بصورة مسرحية، ولكن الأمر لم يكن كذلك، لأن حياته كلها كانت وراء هذا السؤال. ثم وجه نظره إلى آليس، وقال: "حسنًا، أشكرك يا آليس، أعلم أنك حاولت، ولكن ليس هناك أمل"، ثم ذهب يجر قدميه إلى الخارج وهو يبكى.

ذهبت خلفه: "انتظر، انتظر. أنا ذاهبة الآن هناك. سوف أسوى الأمر، سوف ترى".

هز رأسه، وذهب إلى غرفته، أغلق الباب.

ظلت آليس بالخارج، تفكر. ظهر جاسبر آتيًا من المطبخ. كان يبتسم استهزاء، متواطئًا، بل ومهنئًا. لم يكن بالطبع قد فهم الحقيقة الكاملة أو تصورها، لأنه من كان يمكنه بأية حال أن يتخيل ذلك الحظ الذى يلازمها، والذى جعل التليفون يرن فى اللحظة المناسبة تمامًا. ولكنه أدرك، وبمنتهى السرعة، الحقيقة فى هيكلها الأساسى.

قالت: "أنا ذاهبة فورًا إلى أبى".

قال: "الأفضل ألا تذهبى فورًا وهذا عليك"، قال ذلك وهو ينظر إلى وسطها. كان يتكلم بشكل لطيف، مثل رفيق فى لحظة حرجة.. بدون تفكير، كأنه لم يكن هناك شىء آخر يمكن أن تفعله، دست يدها تحت قميصها السميك، علقت رزمة النقود بحزام الجاكيت فوقفت تتحسسها. انزلقت أصابعها فوق بشرتها الناعمة الدافئة وفى ومضة حميمية حلوة من رسالة تذكير، أو من تحذير، استفاق جسدها (جسدها الحى السرى، الذى تجاهلته تقريبًا طوال الوقت، فى محاولة لنسيانه) وتحدث إليها. كانت أصابعها تستشعر وخزًا خفيفًا مع النعومة الدافئة، ووقفت هناك تنظر متحيرة أو مترددة، ورزمة النقود فى يدها... بدت كأنها تحاول أن تتذكر شيئًا ما. أخذ جاسبر منها بشكل أنيق، رزمة النقود، التى اختفت داخل الجيب الداخلى لسترته العسكرية.

قالت مرة ثانية: "أنا ذاهبة إلى أبى". ثم غادرت ببطء وهى لا تزال حائرة بشأن تلك الرسالة الآتية من نفسها المغمورة، والتى بعثت بأغنية دغدغت أطراف أصابعها ووصلت إلى ذراعها.

سارت ببطء على الممر نحو البوابة، ثم تحولت إلى الشارع الرئيسى متجهة إلى مترو الأنفاق، لا تزال تحلم وهى سائرة، مأخوذة فى نسيج من الحميمية، رسائل التذكير والتنبيه. حتى أنها وضعت أصابعها المغوية على أنفها وشمتها، وبدا أنها تستشعر المزيد من الحيرة والخوف. لقد فهمت، كانت واقفة على الرصيف مع أناس يمرون، والمرور يسرع جيئة وذهابًا. كانت تقف هناك، فى سكون تام، إلى متى؟ لم تستطع أن تمنع نفسها من النظر إلى الخلف نحو رقم ٤٣ فى حالة ما إذا كان جاسبر يتجسس عليها. وقد كان. فقد استطاعت أن تلمح خياله فى نافذة الحمام بالطابق الأول، ولكنه اختفى فى الحال.

عادت إليها طاقتها باندفاع، مع التفكير فى أنه الآن مع امتلاك كل ذلك المال سيكون جاسبر بعيدًا فى مكان ما، وإذا أرادت الإمساك به، فلابد أن تسرع.

فى محلات ميلينجز للأدوات المكتبية والمطبوعات، اتجهت مباشرة داخل المحل وصعدت الدرج وإلى حجرة أبيها. كان يجلس خلف مكتبه الكبير. وجيل السكرتيرة تجلس على منضدتها أمامه فى الجانب الآخر من الغرفة. وقفت آليس أمام أبيها وقالت: "لماذا طردت جيم؟ لماذا فعلت ذلك؟ هذا تصرف دكتاتورى حقير وبغيض. والسبب فقط لأنه أسود اللون، هذا كل شىء".

احمر وجه سيدريك ميلينجز لدى رؤية ابنته، وأصبح شاحبًا. اعتدل، مستندًا بذراعيه على المكتب، متشابك الأصابع.

سأل: "ماذا تفعلين هنا؟"

"ماذا؟ لأنك طردت جيم، كيف تجرؤ على فعل ذلك؟ لقد كان ظلمًا!" ورفست آليس مقدمة المكتب، بشدة، عدة مرات.

"لقد أعطيت جيم ماكنزى وظيفة، لأن سياستنا كانت دائمًا تقوم على توظيف السود، والهنود، وأى شخص. نحن دائمًا ننتهج سياسة غير عنصرية هنا. كما تعلمين جيدًا. ولكننى كان يجب أن أكون أكثر ذكاء من أن أقبل أى شخص أوصيت أنت به".

كان صوته منخفضًا، ومحملاً بالمرارة، وبدا مريضًا: "فقط اذهبى يا آليس، فقط اخرجى، كفانى ما نالنى منك".

صرخت: "اسمعنى جيدًا، جيم لم يأخذ ذلك المال. أنا أخذته. كيف يمكن أن تكونى غبية إلى هذه الدرجة؟" وجهت هذه الجملة الأخيرة إلى جيل: "كنت فى هذا المكتب، أليس كذلك؟ هل أنت عمياء أو غبية أو ماذا؟"

وقفت جيل، وتطايرت الأوراق والأقلام الجافة، وحملقت وهى شاحبة مثل مستخدمها، ولم تنطق.

قال سيدرك ميلينجز: "لا تتكلمى مع جيل هكذا، كيف تجروئين على المجىء إلى هنا و... ماذا تعنين، أنك أخذت النقود، كيف استطعت...."، هنا وضع رأسه بين يديه وتأوه.

أصدرت جيل جلبة تعبر عن الغثيان، وخرجت إلى التواليت.

جلست آليس على الكرسى المواجه لمكتب أبيها وانتظرت أن يستعيد نفسه.

سأل أخيرًا: "هل أخذت ذلك المال؟"

"حسنًا، بالطبع أخذته. كنت هنا، أليس كذلك؟ ألم تخبرك جيل؟"

"لم يخطر على بالى، ولا على بالها. ولماذا نشك فيك؟"

استند إلى ظهر المقعد، وأغلق عينيه، محاولا أن يلم شتات نفسه. كانت يداه ترتعشان وهى ملقاة فوق المكتب.

شعرت آليس أمام ذلك بنوع من الانتصار، ثم شعرت بالرثاء. كانت مسرورة؛ لأن الفرصة سنحت لها أن تنظر إليه خلسة.

كانت دائمًا ترى والدها شخصًا جذابًا، بل ووسيمًا، رغم أنها كانت تعرف أنه ليس كذلك فى أعين الجميع. أمها ـ على سبيل المثال ـ كانت تميل إلى مناداته بـ "ساندمان" (رجل الرمال الأسطورى)، عندما كانت فى حالة انتقادية.

كان سيدرك ذا جسم صلب، يميل إلى السمنة، شاحب البشرة، بوجه قليل من النمش، ذا شعر أشقر قصير يبدو ضاربًا إلى الحمرة فى بعض أنواع الإضاءة. كانت عيناه زرقاوين، وكانت آليس فى الواقع فخورة إلى حد ما بتاريخه ومهنته.

كان سيدريك ميلينجز الأصغر وسط عدة أطفال. جاءت العائلة من نيوكاسل. وكانت لها علاقات إسكتلندية، وكان جد سيدريك قسيسًا. وكان أبوه يعمل صحفيًا وبعيدًا جدًا عن الثراء. فكان لابد أن يعمل جميع الأطفال بجد حتى ينالوا حظًا من التعليم وينطلقوا فى الحياة. كان سيدريك صغيرًا جدًا لا يستطيع أن يستوعب الحرب، ولذلك لم يتسامح أبدًا مع قدره.

وعلى خلاف إخوته، لم يكن قادرًا على لم شتات نفسه؛ أضاع وقته فى الجامعة، وتزوج صغيرًا جدًا، وجاء إلى لندن وعمل فى هذه الوظيفة وتلك، كتب كتابًا لفت النظر، ولكنه لم يحقق كسبًا ماديًا. ثم آخر، حكاية لطيفة وغير جديرة بالاحترام لمهنة الصحفى فى الأقاليم. كان هذا الكتاب يعتمد على حياة أبيه. وكان كافيًا لأن يكسب خمسة آلاف جنيه، وهو مبلغ كبير فى أواسط الخمسينيات.

ورأى أن هذا المبلغ فرصة قد لا تتكرر، وكانت دوروثى تنصحه وتؤيده. فاشترى شركة طباعة صغيرة كانت قد أفلست، وعن طريق اتصالات بحزب العمل وبمختلف ألوان الجماعات السياسية اليسارية، سرعان ما استوعب القواعد الأساسية للعمل فى طباعة الكتيبات والكراسات والأدلة وأوراق الدعاية، ثم اثنتين من الصحف الصغيرة. وازدهرت الشركة وشهدت أوقاتًا طيبة فى الستينيات، وبدأ سيدريك العمل فى تجارة الأدوات المكتبية كنوع من المضاربة، وأسفر ذلك عن نتيجة جيدة على الفور. وتركت العائلة، شاكرة، الشقة الصغيرة المتواضعة فى ستوكويل، واشترت بيتًا مريحًا فى هامبستيد. كانت أيامًا طيبة، هذا ما يذكره الجميع فيما يتعلق بالستينيات، العصر الذهبى عندما كان كل شىء يأتى بسهولة. أوقات الصداقة السهلة، وكذلك الوظائف، والفرص، والمال؛ الناس يحلون على المنزل جيئة وذهابًا، وجبات عائلية ممتدة حول منضدة ضخمة فى المطبخ الكبير. إنجازات فى المدرسة، حفلات، إجازات فى مختلف أنحاء القارة.

ومر سيدريك ميلينجز بعلاقة غرامية أو اثنتين، ثم، فعلت دوروثى ميلينجز نفس الشىء. صدمات، عواصف، ثورات، اتهامات؛ مناقشات عائلية طويلة، كثيرًا ما يتورط فيها الأطفال، ويتم ترقيع الأشياء، وتهدئتها، وتتحد العائلة. ولكن فى ذلك الوقت كان الأطفال ينمون ويكبرون، كبروا، ثم رحلوا - ذهبت آليس إلى الشمال حيث عادت إلى مقاطعة أبيها، رغم أنها فى البداية لم تكن ترى ذلك.

وأصبح سيدريك ميلينجز ودوروثى ميلينجز بمفردهما فى منزل كبير جدًا. والذى لم يتوقف عن امتلائه بزائرين، يجيئون ويذهبون، يأكلون ويشربون. وقع سيدريك فى الحب مع جين. وذهب ليعيش معها، وبقيت دوروثى فى المنزل الكبير.

الكل ذهب، تفرق، وذهبت، الأوقات الحلوة، والوظائف السهلة، وحتى فيما يبدو الإنجاز، والأصدقاء، والحب، والمال.

كان سيدريك ودوروثى يبدوان مركزًا، بل ومركزًا أساسيًا؛ كثير من الشخصيات المعروفة كانوا يدخلون ويخرجون بسياساتهم وكتبهم وقضاياهم ومسيراتهم، من أجل هذا أو ذاك، وتظاهراتهم. بدا كما لو كان هناك شعاع أو بريق مسلط على سيدريك ودوروثى. هالة أو جو مميز من النجاح والثقة يحيط بهما. ولكن.... ماذا حدث لكل ذلك؟ سيدريك وجين كانا موضوعًا مختلفًا تمامًا! بسبب شىء واحد، منزل أصغر كثيرًا، لأنه بعد كل شىء كان على مؤسسة ميلينجز للأدوات المكتبية والمطبوعات أن تدعم مؤسستين. لم يتميز منزل سيدريك وجين بذلك الجو المراوغ والذى لا تخطئه العين من راحة البال، والنجاح. تركت دوروثى فى البيت الكبير، بمفردها، لفترة من الوقت، وفيما بعد مع آليس وجاسبر، وبدا أن لها أصدقاء أقل. ومن المؤكد أن أولئك الذين كانوا يأتون من أجل وجبة مع دوروثى ميلينجز - بينما كانت آليس هناك، مع جاسبر - كانوا يميلون إلى المجىء فرادى أو اثنين، غالبيتهم من النساء، ربما كانوا بحاجة إلى نصيحة دوروثى، أو حتى اقتراض نقود؛ أصدقاء مطلقون، كثيرون من الثنائيات التى كانت تذهب إلى بيت ميلينجز السابق فى الأيام الخوالى قد انفصلوا. أو ثنائى يتحدثان كثيرًا عن كيف كانت الأمور من قبل وكيف اختلفت الأحوال. إذا أقامت دوروثى حفلاً، حتى لو مجرد حفل صغير، فكان ذلك يمثل مشقة، وتبدو هى منهكة كلية من كل شىء، وكما لو كانت نسيت كيف كانت الحفلات تقام فى الستينيات وأوائل السبعينيات. عندما كان المنزل يجتذب الناس من كل مكان، والهواتف ترن، والدعوات دون الشعور بالهم، وطلبات من محال النبيذ والبقالة.

ورغم أن سيدريك ميلينجز، لفترة من الوقت، كان بالنسبة للعائلة هو البطة الصغيرة القبيحة التى تحولت إلى البجعة الجميلة ـ فمن من أولاده عاش تلك الحياة الساحرة المتألقة؟ فقد عاد الآن ليكون البطة القبيحة مرة أخرى. على أية حال، ماذا كانت حصيلة كل ذلك؟ تساءلت آليس بازدراء، متفحصة بابتهاج ذلك الوجه المتلهف والمتوتر والشاحب جدًا مع قطرات العرق على الجبهة: طباعة نفايات وضيعة لهذه العصبة اللعينة أو تلك فى حزب العمل الفاشستى اللعين، طباعة صحف غسل الأطباق لمحررين حقراء ليبراليين أو مراجعين، يتملقون سياسيين أنذالاً لا يهتمون إلا بالكسب، وكلها تفاهة برجوازية على أية حال، ومصيرها حتمًا أن تلقى داخل صندوق قمامة التاريخ.

كانت الحصيلة كلها نفايات، كلها. ما لم تستطع آليس أن تسامح نفسها بسببه هو أنها كانت مخدوعة بكل ذلك... حسنًا، لقد كان لديها الحساسية التى دفعتها للخروج فى الوقت المناسب، وتلتقى بالأشخاص الذين استطاعوا إرشادها إلى الطريق الصحيح.

فى النهاية تنهد سيدريك ميلينجز، فتح عينيه، وبعد أن تفكر فى موقفه، اتكأ إلى الأمام، وبدون أن ينظر إلى آليس، بل ظل مطرقًا بعينيه إلى أسفل، قال: "حسنًا جدًا، أنت أخذت المال، ما دمت تقولين هذا. إنى آسف بشأن ذلك الشاب، أخبريه أن يعود و.... أنا متأكد أننا نستطيع أن نعيد الأمور إلى نصابها. أما بالنسبة لك، يا آليس، أفترض أنه سيكون مفاجأة لك، أنت تعيشين فى عالم من الأوهام، ولكن مبلغ الألف جنيه هذا لا تستطيع الشركة أن تتحمله. نحن نعانى من الركود، أيضًا، كما تعلمين. لقد حدث الأمر ومضى ـ لابد أن نطويه. شركة الطباعة، وليس الأدوات المكتبية". وأطلق تلك الضحكة الصغيرة التى عادة ما تصدر منه عندما يتحدث عن شركة الأدوات المكتبية: "كروت تهنئة، ذلك هو الشىء، وبالطبع الحلوى والشيكولاتة، وكل تلك النفايات".

ثم وجه عينيه إلى آليس، وكان قادرًا على أن يؤدى هذه النظرة ببراعة، رغم أنها كانت مصطنعة بوضوح، مبقيًا عينيه فى عينى ابنته، لم يكن، ببساطة، يفهم ما يراه.

"أفترض أنه ليس من المفيد أن أطلب منك إعادة المال؟" قال ذلك بأسلوب يشبه الالتماس.

وهنا ضحكت آليس، ضحكة دلت، حتى ولو بإعجاب، على تعرفها على نوع ما من العوز لم يستطع سيدريك، الغبى المسكين، أن يفهمه. ومع ذلك، أومأ برأسه وكأنه قد فهم. وقال: "أفترض أن جاسبر خاصتك هذا قد استولى على المال بالفعل. حسنًا، أعلم أنه لا فائدة أن أقول لك شيئًا عنه. إن لديك نقطة عمياء من نوع ما. ولكنك لابد أن تفهمى هذا: إنك لن تحصلى على أى نقود أخرى منى. لا أرى سببًا يدعونى لدعم ذلك ال..... حسنًا، دعك من هذا. أنا فى ضائقة مالية شديدة، يا آليس - هل تفهمين هذا؟ ولم يقتصر الأمر على هذه الألف، منذ عدة أيام دخل بعض المتسكعين إلى غرفة النوم، بالمنزل الذى أقطن به مع جين - وسرقوا...". وفجأة، وكأن الفكرة خطرت له فجأة، ارتجف مستندًا إلى الوراء فى مقعده وكأنه أصيب بشحنة كهربائية صغيرة وحدق فى آليس. وقد سقط فكه لأسفل فى ذهول. فحتى هذه اللحظة، لم تكن تلك السرقة لها أية علاقة بآليس. ابتسمت فحسب، غير معترفة بشىء، ولكنها كانت تعلم أنها لا تحتاج لأن تزعج نفسها بالإنكار.

ومرة أخرى، حدثت له صدمة عنيفة، ولم يستطع الكلام، جلس يجاهد لترتيب أفكاره. كان يتنفس بشكل سطحى، فى لهاث سريع، ثم تحسس بحثًا عن سيجارة، وأشعلها بارتباط. وجلس يستنشق الدخان وكأنه مخدر.

فى النهاية قال: "آليس، أنا لا أعرف... هل أنت الآن لصة؟ هل الأمر هكذا؟ هل هذا هو الأسلوب الذى تعيشين به؟ أنا لا أفهم"، ثم وضع السيجارة مرة أخرى، كما لو كان يستأصل آليس من الوجود، وقال: "كنت أعتقد أنه كان بعض المتسكعين، هؤلاء الأولاد الذين يقتحمون بيتًا فى نزوة..." عند هذه النقطة ضربته الفكرة التالية، وجلس يحدق من جديد، ثم سأل بذهول: "أكان ذلك أنت؟ ... هل ألقيت ذلك الحجر؟" لقد عرف، ولم يكن هذا سؤالاً.

قال: "لقد أخطأ ذلك الحجر ديبورا الصغيرة بنحو ست بوصات. كان هناك زجاج فى كل مكان ـ أصيبت جين بشظية فى ساقها...".

هز رأسه، مثل كلب به ألم فى أذنيه. وكأنه كان ينفض رأسه من آليس إلى الأبد.

وقال مستطردًا: "إنك بالطبع دقيقة تمامًا فى حساباتك. لقد خططت الأمر كله بنجاح. كنت واثقة أننى لن أذهب إلى البوليس، لأنك ابنتى. ولن أفعل هذه المرة. ولكن المرة القادمة سأفعل. وبقدر ما يخصنى، أصبحت أراك نوعًا من الحيوان المتوحش. لقد تجاوزت التقديرات العادية".

وقفت آليس. لم تشعر بألم نتيجة هذا النبذ؛ كانت تشعر أنها منبوذة ومهجورة منذ زمن طويل.

قالت: "ما عنوان أمى؟"

أخذ هذا الاستفهام بعض الوقت ليصل إلى سيدريك. كان لابد أن يعطى نفسه وقتًا ليمعن التفكير. قال: "هل فقدت عنوانها إذًا؟"

"لم أعرفه أبدًا. فقد غادرت المكان دون أن أعرف، ألم تفعل ذلك؟ فقط غادرت منزلنا، فقط هجرته". كان صوت آليس يحمل نبرة من الاتهام الساخط.

"عم تتحدثين؟ لقد كانت تستعد لترك المنزل منذ شهور".

صرخت قائلة: "لأنك لم تقم بإعالتها".

"لأننى لن أعول متشردين مثلك أنت وجاسبر".

"حسنًا، ما عنوانها؟"

"ابحثى عنه بعيدًا بنفسك. الشىء الثانى، أتصور أنك سوف تسرقين من دوروثى المسكينة وتلقين الأحجار على نوافذها".

ولكن هذه الجملة خرجت فى صوت متلعثم وكئيب؛ كان لا يزال يجد صعوبة فى تصديق الأمر كله.

خرجت آليس من مكتبه، وسارت عبر الممر إلى المكتب العام فى النهاية. إلى الفتاة المسئولة عن الملفات، وقالت: "ما عنوان أمى، دوروثى ميلينجز، ما عنوانها؟" هذه الفتاة بالطبع لم تكن تعلم شيئًا عن فضيحة ابنة المدير، فذهبت عن طيب خاطر إلى الدولاب الطويل، وعثرت على الكارت، وقرأته لآليس التى حفظته، وغادرت المكان. مرت على جيل، التى كانت تحدق فيها تقريبًا بشكل ينطوى على احتجاج، كما لو كانت آليس قاتلة، أو سفاحة تستطيع مهاجمتها.

جرت آليس خلال محل المكتبيات، حيث كان هناك بلهاء يشترون مجلات عن الحياة المرفهة، وروايات رومانسية أو قصص المغامرات، وبطاقات جميلة مكتوب عليها "لصديق حميم"، أو "الحب فى يوم مولدك"، أو "إننى أفكر فيك"، أو صناديق من ورق الرسائل المزين بزهور النرجس أو الورود أو... مجرد هراء ونفايات.

ذهبت آليس إلى مقهى فى شارع فينتشيلى، وجلست هناك فى هدوء مع نفسها لوقت طويل تحتسى القهوة المركزة. كانت بحاجة إلى التفكير.

قررت أن الارتباط مع برت ليس من المحتمل أن يكبح جاسبر عن واحدة من حفلاته: إنها لابد أن تمتنع عن المشاركة؛ لأن برت كان من المؤكد ـ تقريبًا ـ أن يذهب خلف بات؛ وأن أفضل شىء يمكنها أن تفعله أن تنظم مؤتمرًا لـ أ. و. ش بأسرع ما يمكن. العمل من أجل هذا سيثير فى البيت المشاعر والأجواء الطيبة، حتى نتخلص من الغثيان الذى سببه اليوم الأخير. هى بالكاد أنقذت الوضع بالنسبة لجيم، ولكن فيليب رقيق بل وخجول، سوف يبتعد ما لم يفعلوا شيئًا.

عندما عادت إلى البيت كان باب حجرة جيم مفتوحًا، وكل متعلقاته قد ذهبت.

صدمها ذلك بشدة. وقفت هناك تندب، تنظر إلى الحجرة الخالية من كل شىء يخصه. لا آلاته الموسيقية - الطبول، الجيتار، الأكورديون - ولا

كيس نومه أو ملابسه أو جهاز التسجيل الخاص به... لا شىء. تبخر جيم من غرفته وكأنه لم يكن أبدًا.

لم يكن لديها أى عناوين لأصدقاء أو عائلة.

وقفت أمام الباب المفتوح واضعة يديها على جانبى رأسها تضربها بعنف وتندب: "لا، لا، لا، أوه لا..."

أقدام تجرى على السلم، وقفت فاى هناك ساخطة، غاضبة، صاحت: "ماذا حدث أيًا كان الأمر؟"

"جيم - لقد ذهب، لقد ذهب".

قالت فاى وهى تضحك بدهاء: "ذهاب حميد، لم نكن نريده على أية حال".

رفعت آليس رأسها، فرأت خلف فاى، فيليب، والذى يشير وجهه إلى أنه سمع ذلك كما أرادت له فاى ذلك، بلا شك. ولكنها أيضًا رأت روبرتا، التى جاءت سريعًا إلى فاى، وأمسكت ذراعيها وجذبتها بعيدًا عن المنظر. كان وجه روبرتا مأخوذًا ومصدومًا بشدة بسبب فاى.

صوت روبرتا القلق الخفيض، وضحكة فاى المجلجلة، ثم أغلق الباب بعنف، ثم عادت روبرتا جريًا إلى أسفل، وعانقت آليس، وأخذت تهز الفتاة المتشنجة: "هيا، أفيقى، هيا..."

قالت آليس بتشنج: "إنها غلطتى... أنا التى فعلتها، إنها بسببى".

"هيا، اهدئى، لا يهم".

أخذت آليس إلى غرفة الجلوس وجعلتها تدخل كيس نومها. وجلبت لها قدحًا من الويسكى، ودعتها إلى احتسائه، والنوم، ونسيان ما حدث.

آليس المصابة بالهستيريا، مثل فاى الهستيرية دائمًا، هدأت، وسكنت تمامًا.

***

نامت حتى المساء، ثم وجدت فى المطبخ روبرتا وفاى ومارى وريجى، لم يكن جاسبر هناك. وذهب برت ليرى إن كان يستطيع إقناع بات بالعودة إليه.

قالت آليس وهى تجلس: "أعتقد أننا ينبغى أن ننظم مؤتمرًا لاتحاد الوسط الشيوعى".

قالت فاى وهى تضحك: "قرار ديمقراطى آخر؟"

قالت آليس: "إننى أقترح ذلك، وأضع الاقتراح أمامكم".

قالت روبرتا: "وأنا أؤيده، هناك مختلف أنواع الأعضاء الذين لم نقابلهم أبدًا، فرع جديد، ومجموعات جديدة. لابد أن نلتقى بهم".

"إنها تبدو فكرة جيدة " قال ريجى ذلك بأسلوب مهذب، أسلوب الشخص الذى يرحب دائمًا بالمؤتمرات، والمناقشات، وبأى تجليات للعملية الديمقراطية.

قالت مارى: "نعم، وأنا أوافق. لقد كنت أفكر أنه لابد أن يكون نفس نوع الحزب السياسى الذى أتطلع إليه. ليس لدى وقت أضيعه مع الأحزاب البيروقراطية الكبيرة على أية حال".

قالت فاى: "متى؟"

قالت آليس: "قريبًا، خير البر عاجله. لقد نما الحزب بسرعة كبيرة. نحن الآن بحاجة لأن نتماسك ونضع صياغة لسياسات الحزب".

موافقة عامة، رغم أن فاى وافقت فقط لأن روبرتا فعلت ذلك.

تلا ذلك مرور خمسة أيام وخمس ليال، بدون جاسبر. عاد برت خائبًا، وقد بدا كالحًا مريرًا، الأمر الذى جعل آليس تشعر باستمرار أنه نوع من التحسن. سأل برت أين جاسبر؛ وقالت آليس كعادتها فى التغطية أنه قرر أن يقوم بزيارة أخيه. كان برت قد قضى قسطًا وافرًا من الوقت مع جاسبر، فشعر بالدهشة؛ لأن هذا الأخ لم يذكر من قبل. قالت آليس إن

جاسبر كان يزور أخاه بالفعل، والذى كان قريبه الوحيد المحتمل دوامه. هذه الجملة جعلت برت ينظر إليها بغرابة، ولكنها قالت إن لديه عائلة كريهة، وأن الأخ هو الشخص الوحيد المحترم فيها. (كانت زيارات جاسبر لأخيه تحدث فى الواقع، وإن كانت نادرة).

كانت آليس مسرورة لرؤية برت مفتقدًا جاسبر، وكان برت يبدو غير مشغول بأى شىء يفعله. ولكنهم كانوا فى مرحلة نشاط مكثف، لأن المؤتمر كان من المقرر عقده خلال نهاية الأسبوع بعد القادم فى هذا البيت، رقم ٤٣ واستمرت كتابة الرسائل وإرسالها، وكانوا دائمًا ما يركضون إلى أكشاك الهاتف فى المحطة.

أخذت آليس على عاتقها معظم هذا العمل، ولكن برت زار الفرع فى جنوب لندن ليتأكد من عزم كل شخص على الحضور. اسأل رقم ٤٥ إذا كانوا يرغبون فى الحضور، وإذا لم يكن كأعضاء أو أعضاء محتملين، فليكن حضورهم كمندوبين أو كمراقبين. بالنسبة للمراقبين، كانت آليس تعلم أنهم سيكونون موجودين بالتأكيد. ولم تندهش عندما قالت موريبل، الفتاة الإوزة، أنها ستحضر. وقال الرفيق أندرو إنه كان يحب أن يكون موجودًا، ولكنه سيكون على سفر.

ومن الممكن استخدام كلا البيتين كأماكن للنوم، إذا لم يكف رقم ٤٣ لذلك.

تعهدت آليس بتوفير طعام كافٍ، ولكن رخيص الثمن. هذه المرة تأكدت من إضافة بعض المساهمات إلى مواردها المالية، حيث ستكون الوفود مسئولة عن دفع مبلغ صغير لطعامهم وإقامتهم. وبعد المناقشة، تم تحديد جنيهين للفرد لنهاية الأسبوع.

قالت آليس أيضًا إنه سيكون شيئًا طيبًا إذا تم التخلص من كل النفايات الباقية فى رقم ٤٥؛ لأنها تعطى انطباعًا سيئًا، ولأنه لم يحدث شىء فى هذا الصدد، استعارت السيارة وقامت بعدة رحلات إلى مقالب النفايات، يعاونها فيليب.

هواجس فيليب، والألم الذى شعر به بسبب جيم، سيخففه المؤتمر والجو المرح الذى يمهد له.

كان برت يزور رقم ٤٥ بصورة متكررة خلال تلك الأيام الخمسة. كان يرى الرفيق أندرو، كما عرفت آليس عندما زارت هى أيضًا الرفيق أندرو، الذى بدا أنه يريد التحدث عن برت، مفصحًا عن خطته التى وضعها بشأنه، والتى دارت حول ضرورة أن يسلك سبيل وظيفة، وشقة، وأمان وحياة محترمة. ولم يحدد "تدريبًا خاصًا"، ولكنه مفهوم. تعجبت آليس إلى حد ما من اختياره لبرت؛ لماذا غير أندرو رأيه عنه؟ هى نفسها قد لا تعتمد عليه كثيرًا. فهو شخصية يسهل قيادها، على سبيل المثال! فهل هناك شىء آخر ناقشه برت مع أندرو؟ كانت آليس تواقة لأن تعرف، فإذا كان ج.ج.أ لن يأخذ برت وجاسبر (بالإضافة إلى بقيتهم، بما يشمل آليس)، فإن شيئًا آخر من هذا النوع سوف يظهر بالتأكيد. لقد كانوا جميعًا يريدون أن يكونوا مفيدين، أن يخدموا! فكرت آليس بإمعان فى أندرو، إما أنه لا يفشى سرًا، أو كان جاهلا بالأفكار البديلة لدى برت وجاسبر. وفكرت آليس بإمعان فى برت، ولكن بدا أنه كان ينتظر من جاسبر "صياغة التزام ملائم لمواردنا". ومرة أخرى كانت آليس تفكر "كثيرًا جدًا بالنسبة للانطباعات السهلة! - الانطباع فى هذه الحالة، كانت تعلم أن كثيرًا من الناس يفكرون بهذه الطريقة، يفكرون أن جاسبر كان ملازمًا لبرت، وتلميذه.

ذكر جاسبر موربيل عدة مرات، وكان هذا يمكن أن يعطى آليس حلا، إن لم يكن كرهها لموربيل يتزايد داخلها باستمرار، ويمنعها من الاستماع لما كان يجب فعله. قال جاسبر إن موربيل كانت تترك البيت ٤٥ . كانت فى طريقها لبدء عمل. "عمل حقيقى"، أكد ذلك بفخر، ولكن بابتسامة متحفظة، داعيًا آليس بعينيه وطريقته إلى محاولة فهمه. ولكن ما كانت بحاجة لأن تسمعه منه، هو أنه وجد موربيل منفّرة مثلما فعلت: هو بالتأكيد لا يحبها، كانت آليس تعلم ذلك. "لقد اتخذ الرفيق أندرو كل

الترتيبات، كما تعلمين، التدريب وكل شىء." احترامه لأندرو جعل مشاعره نحو موربيل قليلة الشأن.

بل إن آليس حاولت أن تستشف من موربيل ما يمكن أن يكون جاسبر قد خططه، ولكن ما أن سمعت موربيل اسم جاسبر حتى قالت بحدة إنها ترى أن أندرو كان فى الأساس "كادرًا عاقلاً ومفيدًا". وبدا ذلك لآليس بعيدًا عن الموضوع برمته. تساءلت فى نفسها، هل قيل ذلك، بسبب شكوكها - أى آليس - العرضية حول أندرو؟

هذه الشكوك، التى كان من الصعب ظهورها، لأن المنطق كان يفندها كلها، كانت ناتجة عن حقيقة أن الرفيق أندرو غالبًا ما تفوح منه رائحة الخمر؛ ولم تستطع أن تضع نفسها فى موضع نقد له بسبب محاباته للفتاة الإوزة؛ لأنها تعلمت منذ زمن بعيد وبشكل كلى أن تغلق الموضوع عند هذه المنطقة. كان لابد أن يحصل الناس على كل هذا الجنس، كانت تعرف هذا؛ لابد أن يمارسوه مع أناس مثيرين للدهشة، وفى بعض الأحيان بأساليب مثيرة للدهشة. فقط لأن الرفيق أندرو كان..... ماذا كان، هل هذا يعنى أنه أخذ على نفسه عهدًا بالعزوبية؟ لا ! على أية حال.... زجاجات الويسكى والفودكا الموجودة فوق رف الموقد فى حجرته، كانت تستبدل بغيرها باستمرار.

كانت هناك فتاة أخرى، كارولين، التى ظهر أنها مقيمة فى ٤٥ رغم أنها لم تكن تُرى كثيرًا. كانت آليس تحب أن تتحدث معها، لأنها شعرت أنها منجذبة إليها بنوع من الإحساس بالقرابة؛ ولكن كارولين لم تشعر بذلك، فيما يبدو. وعلى أية حال، فقد ظلت متحفظة. كانت قصيرة، وبالأحرى امرأة مكتنزة الجسم - أو فتاة، لأنها كانت فى بداية العشرينيات - سمراء، لا تخلو من الجاذبية، وتعطى انطباعًا بأنها تبتسم كثيرًا. ربما كانت سهولة الابتسام هى ما جذب آليس، رغم أن عينيها الحذرتين دائمًا كانتا تبدوان أشبه بزرين صغيرين متصلبين بلونهما البنى. إلا أن الانطباع العام كان أنها ذات طبيعة طيبة، ترغب فى الإرضاء. قالت الفتاة الإوزة

بحدة أن كارولين لم تكن مستعدة لاتباع تعليمات الرفيق أندرو من أجل أن تصبح كادرًا حقيقيًا مفيدًا، ولكن كان لديها نزعة مثالية ليبرالية (كان هذا رأى موربيل، وبناء عليه لابد أن يكون رأى أندرو).

كان لكارولين صديقة تدعى جوسلين تزور رقم ٤٥، والتى بدا أنها ربما تقرر الإقامة هناك. وكانت، على خلاف كارولين، شخصية منفّرة. كانت قصيرة وممتلئة الجسم، بل وثقيلة، ذات شعر أشقر ناعم، مفروق من منتصفه وغير مهندم، كانت تسير بخطى حازمة وثابتة، لا تنظر كثيرًا إلى أى شخص، لا تبتسم بسهولة مثل كارولين، فقط تومئ بلا مبالاة عندما تلمحها آليس من خلال الباب أو تقابلها مصادفة فى الصالة.

كان هناك أيضًا شابان يعيشان فى ٤٥ واللذان لم تكن آليس قد رأتهما. قالت الفتاة الإوزة إن أندرو كان "يعمل على تجنيدهما" ـ فيما يبدو بنجاح. وهما من الطبقة العاملة فى شمال إنجلترا، عاطلين ـ ولكن، فيما يُعتقد أن ذلك كان فقط بصورة مؤقتة. رفض هؤلاء الأربعة ـ كارولين، وجوسلين، وبول وإدوارد ـ حضور مؤتمر اتحاد الوسط الشيوعى، ولكنهم سيأتون فيما بعد إلى الحفل مساء السبت. وباختصار، سيكون هناك عدد وافر من المراقبين فى تلك العطلة؛ وكانت آليس من ناحيتها ترى أنه، ولم لا؟

***

جاء جاسبر فى مساء الأحد. وبدا مريضًا ـ كما هو الحال دائمًا ـ بعد تلك الرحلات، فقد وزنًا، وكان نحيفًا أكثر من المعتاد. كانت بشرته تبدو باهتة ومبقعة، وعيناه محتقنتين، وبدا مظهره الخارجى متهالكًا وضعيفًا كما لو كانت نفسه الأصلية هوجمت أو استنفدت. عثر على آليس فى التو، وأطعمته من حسائها، وخبزًا جيدًا، وكوبًا بعد كوب من الحليب البارد: الحليب الذى كانت تتأكد من وجوده بالثلاجة من أجله. لم يذكر شيئًا عن النقود.

وعندما أخبرته عن المؤتمر، كان فى البداية غير مبال، وسرعان ما سأل عن برت، والذى داعب حول ظهوره، وقال إن أخاه ولابد لم يقدم له أى طعام. فرد جاسبر مازحًا بأن أخاه لم يكن طباخًا مثل آليس. ورغم أنه كان ينبغى بكل وضوح أن يلزم الفراش، أصر على الذهاب مع برت إلى سطح البيت للتحدث. كانت هناك خطة أو قرار ينضج داخله، حتى بينما كان يتابع مباهج مشهد الشذوذ الجنسى. وكان لابد أن يتحدث عنها فى الحال.

وعندما قرر أن يذهب إلى الفراش، عاد إلى الحجرة الواقعة فى الدور العلوى، كما توقعت آليس.

أما بالنسبة لها، فقد عادت إلى النوم فى الحجرة التى كانت قد تقاسمتها مع جاسبر، وهى المجاورة لغرفة برت. من أجل شىء واحد، كانت تعلم أنه إذا عادت بات، فسوف يعود جاسبر، أيضًا.

فى ذلك اليوم من أيام الإثنين، قال فيليب إنه تلقى عرضًا واحدًا جادًا على كل إعلاناته. ولكنه كان يريد المساعدة. كانت المشكلة أنه فى كل مرة يذهب ليعرض خدماته، كان الناس يلقون عليه نظرة واحدة، وسرعان ما يتراجعون، معتذرين. ومع ذلك فهو يستطيع أن يمارس العمل جيدًا وبكفاءة ـ كما يمكن أن يشهد كل من يقطن رقم ٤٣ . وكان يريد أن يذهب برت معه باعتباره زميله. ومن الممكن أن يظل صامتًا إذا أراد؛ فقط فى المقابلة الأولى. وبمجرد أن يتم الاتفاق على العمل، لن يكون من السهل بالنسبة للزبائن رده، فيليب، حتى رغم ذهابه للعمل بدون برت. تسببت هذه الخطة فى إضفاء جو طيب من الدعابة حول مائدة العشاء. وافق برت، ونجحت الخطة. كان العمل فى رقم ٤٣ يعتبر منتهيًا، رغم أنه فى الغرفة العلوية كانت هناك عارضتان خشبيتان متعفنتان، ينتشر منهما العفن إلى باقى أنحاء المنزل. قال فيليب إنه سيلتفت إليهما عندما ينتهى من هذه المهمة، التى سيدفع له فيها أجر لائق. ورفض أن يبدأ العمل بدون مقدم مناسب، ولن يكمل العمل ما لم يتم الدفع خطوة بخطوة. كان ذلك بأحد مطاعم الوجبات الجاهزة على بعد نصف ميل.

وصلت الوفود الأولى فى منتصف الأسبوع، مولى وهيلين من فرع ليفربول. كانتا مناضلتين فى الحركة النسوية. وكانتا قد كتبتا تقولان إنهما ستعدان لتنظيم دار للحضانة. فإذا لم تكن هناك حضانة، فإن الأمهات اللائى معهن أطفال لن يستطعن الحضور؛ كانت مسألة مبدأ. ولابد أن يكون مفهومًا، مع ذلك، أنهما سوف تقدمان الطعام للبنات فقط من الأطفال؛ وذلك، أيضًا، مبدأهما، ويبدو أن ذلك قد تم تطبيقه بنجاح فى كل الحضانات التى تعهداها.

كانت آليس قد تصورت بصورة ما أنه من الممكن أن يحضر أطفال مع بعض الآباء، ولكنها الآن وقد ذكرتها مولى وهيلين بأشواك وعراقيل أدغال المبدأ، وأيضًا بردود الفعل المحتملة لفاى، قامت بإرسال مجموعة ثانية من الرسائل والإخطارات فى جميع الاتجاهات تقول فيها إن الأطفال لا يمكنهم الحضور. كان لدى مولى وهيلين الكثير الذى تقولانه حول هذا الموضوع عندما وصلتا؛ وشعرت آليس بالارتياح عندما قررتا جعل معظم إقامتهما فى العاصمة، حيث وسائل الراحة متاحة، وغادرتا فى الحال لقضاء يوم المضربين فى ميلستيد. وقضتا يومًا آخر فى زيارة كوميونة نساء فاى و روبرتا، وتبعتا ذلك بليلة لمشاهدة فيلم إباحى حتى ساعة متأخرة مع فاى وروبرتا، ومن هناك عدن ضاحكات، تتفجر منهن الحيوية - الأفضل كثيرًا ألا نسأل أى نوع من الحيوية - وجائعات للغاية. وبعد أن قدمت كل منهن الجنيهين المطلوبين، قالتا إنهما لن تذهبا غدًا مع آليس للتسوق، لأنهما بحاجة لشراء ملابس، ولكنهما سوف تساعدانها فى الطبخ فيما بعد.

فى تلك الأثناء، وصل أربعة رفاق من برمنجهام: رجلان وسيدتان، وبالطبع قضوا يومًا مع المضربين، وليلة فى السجن. ولأن كل بنس أحضروه معهم ذهب فى دفع الغرامات، كانوا غير قادرين على المساهمة فى نفقات نهاية الأسبوع. وسيأتى رفيقان آخران ليلة الجمعة من ليفربول - يعملان بوظائف ولن يستطيعا الوصول قبل ذلك. وهناك ستة آخرون من

برمنجهام، سيأتون أيضًا يوم الجمعة، يعملون أيضًا. وأربعة من هاليفاكس يفكرون فى إنشاء فرع، سيحضرون يوم الجمعة.

وسيصل كل أعضاء لندن الثلاثين الباقين صباح يوم السبت، وسوف ينامون فى أى مكان، إما فى ٤٣ أو فى ٤٥ .

كانت آليس تضع خطة طهى حسائها. غير أنها بحاجة لوعاء كبير جدًا، ولم تكن ترغب فى شرائه، أمها لديها مثل هذا الوعاء. تركت مساعديها يقطعون الخضراوات وينقعون العدس، وأخذت مترو الأنفاق، ثم سارت حتى وجدت نفسها واقفة أمام لافتة "للبيع". لقد نسيت أن أمها قد انتقلت إلى مسكن آخر. جعلها ذلك نافدة الصبر وغاضبة، كانت مرة أخرى غاضبة من أمها. وكان العنوان الجديد محفورًا تمامًا فى ذاكرتها. وجلب معه إحساسًا بالخجل، بالأسف. فهو لا يقع فى منطقة جميلة جدًا؛ وافترضت آليس أن أى شخص يمكن بأريحية أن يطلق عليه فقط هامبستيد. وسرعان ما كانت واقفة أمام مبنى سكنى مكون من أربعة طوابق، أمامه حديقة صغيرة قذرة. هل من المعقول أن أمها مقيمة هنا؟ نعم، كان اسمها مكتوبًا على قصاصة من الورق أمام رقم ٨ ميلينجز. هناك هاتف "إنتركوم". كانت آليس تحت سيطرة هلع غير قابل للتفسير، جعلها غير قادرة على دق الجرس. غير أن امرأة كانت واقفة بجوارها تضع مفتاحًا فى الباب. قالت آليس بشكل مرتجل: ""لو سمحت، أبحث عن السيدة فورستر. رقم اثنين."

لن تعثرى على السيدة فورستر فى رقم اثنين، أنا رقم اثنين. وأنا السيدة وود."

قالت آليس: "هذا مضحك،" بإشراق وقدرة على تبادل الحديث، حلم أى جدة: "هل لديك علم إن كان بهذا المبنى سيدة تدعى فورستر؟"

"لا، إنى متأكدة، لا يوجد أحد بهذا الاسم فى هذا المبنى!" وضحكت الفتاة الكبيرة على دعابتها. وضحكت آليس. ثم، فعلت ما كانت آليس

تتمناه، قالت، "سوف أضع البراد على الموقد. أتحبين أن تتناولى معى كوبًا من الشاى؟" أوه نعم، ألا تفعل؟ ودخلت آليس، تدفع أمامها عربة التسوق، تفتح الباب إلى رقم ٢ وتدخل إلى المطبخ الصغير للمساعدة فى نقل المشتريات. كان جزء من عقلها يوبخ بشدة: ماذا تظنين أنك فاعلة، تتركين أى شخص يدخل؟ لماذا، ربما أكون لصة. وجزء آخر من عقلها يصرخ: لا يمكن أن تكون أمى مقيمة هنا، لا يمكنها. وما زال جزء ثالث يقول: سوف أفجر هذا المكان، سوف أفعل، لا يجب السماح بذلك.

كانت شقة السيدة وود، وبالطبع شقة دوروثى ميلينجز كما هو مفترض، تحتوى على غرفتين متوسطتى المساحة، ومطبخ يتسع بما يكفى لمنضدة صغيرة، حيث جلست السيدة وود مع آليس، متجاورتين، تحدقان فى حائط أصفر قذر، وتشربان الشاى وتأكل كل منهما قطعتين من البسكويت. كانت السيدة وود على المعاش. من الطبقة العاملة. وكان لها ابن فى بارنت يزورها فى أيام الآحاد. ولم تكن تحب زوجة ابنها، سامحها الله. ولها حفيد. يبلغ خمس سنوات.

لم يكن لدوروثى ميلينجز عائلة تزورها فى العطلات الأسبوعية؛ مر هذا التفكير على خاطر آليس، ولكنها رفضته بانفعال عاطفى: إذا كانت أمها قد قررت أن تعيش فى مكان كهذا، إذًا فلابد أنها قد جنت!.

عندما غادرت آليس، كانت تعلم طبقًا لمساحة دولاب المطبخ الصغيرة ماذا يمكن أن تأخذ أمها معها إلى شقتها بالطابق الثالث؛ وبالتأكيد لن يكون هناك مكان للقدور الألمونيوم الضخمة.

قضت آليس ساعة أو أكثر، وغادرت مع وعود بالعودة. ثم ذهبت إلى محل الأدوات المنزلية واشترت القدر الضرورية، وهى تفكر أنه بعد كل ذلك ستكون هناك مؤتمرات واجتماعات أكثر فى ٤٣، وإذا اضطرت أن تنتقل إلى بيت آخر فستأخذ القدر معها.

ولكنها واجهت كارثة، خفق قلبها بشدة وآلمها، فهى لا تملك بيتًا حقيقيًا الآن. لا يوجد مكان يعرفها، أو يمكن أن يتعرف عليها ويدخلها.

فجأة هاجمها جيش كامل من الذكريات.

كانت آليس واقفة فى منتصف الرصيف، فى ساعة الذروة، تعانق قدر ألمونيوم ضخمًا بما يكفى لطهى شجيرة صغيرة، تحدق وتبدو فى حالة صدمة.

كانت تتذكر حفلات أمها. التى استمرت طوال مرحلة الطفولة والمراهقة. وبعد أن التحقت آليس بالجامعة، وكانت نادرًا ما تعود إلى البيت، كانت تلك الحفلات لا تزال مستمرة؛ كانت تسمع عن تلك الحفلات من شخص ما، ربما تريزا. "تعلمين أن حفلة أمك كانت مبهرة." كانت جميعها تحدث بنفس الطريقة. تقول أمها، مع نظرة تعبر عن القلق والانزعاج: "لقد حان الوقت لإقامة حفلة؛ أوه لا، لا أستطيع أن أواجهها." ثم تبدأ، بسؤال هذا الشخص وذاك، ويتقرر موعد إقامتها بعد شهر. ثم يتلاشى نفورها من الحفلة، وتبدأ تشع بالطاقة. تسأل زملاء سيدريك السياسيين، وكل من يعمل فى شركة سيدريك للمطبوعات والأدوات المكتبية، وعددًا لا حصر له من معارفهما، والذين كان يبدو أنهم دائمو التردد دخولاً وخروجًا من البيت. كانت تعرف كل شخص فى الشارع، وكانوا جميعًا مدعوين. دعت المرأة التى التقت بها عند البقال والتى أجرت معها حوارًا، والرجل الذى جاء ليصلح السقف، مربية جديدة من فنلندا (قابلتها فى الأتوبيس) والتى لابد أنها تشعر بالوحدة. وفى يوم الحفل، التى كانت تبدأ فى منتصف النهار، كان نحو مائة شخص يحتشدون داخل المنزل، ونصف هؤلاء من المحتمل أن يظلوا هناك حتى منتصف الليل، حيث يتم إطعامهم من قدر دوروثى هائلة الحجم. كانت حفلات رائعة. هكذا يقول الجميع. وهكذا قالت آليس. كانت تصيح: "أوه، حسنًا، هل نحن بصدد إقامة حفل آخر،" وفى الحال تبدأ فى المساعدة. وعندما أصبحت أكبر سنًا، بعد العاشرة تقريبًا، كان يمكن أن تقول إنها كانت مفيدة، ولكن

كطفلة صغيرة كانت أمها تتسامح معها (كانت تعلم هذا) فقط فى وسط هذه الموجة من الكفاءة وهى تقوم بالإعداد لحفلة. ومع ذلك، كانت تصر على ترتيب الفاكهة فى الطبق، أو إفراغ منافض السجائر فى أرجاء البيت، بينما كانت أمها تحاول التباطؤ لتكون على قدر سرعة آليس. على الأقل لم تشعر آليس أثناء المساعدة كما لو كانت مخلوقًا صغيرًا جدًا فوق قمة موجة هائلة، تلوح باهتياج شديد ويأس لأمها، الواقفة على الشاطئ غير عابئة، لا تلاحظها.

كانت هناك حفلات، وعندما يكون الناس فى المنزل، يبدو وكأن آليس أصبحت غير مرئية لامها، وليس لها مكان فى بيتها الخاص.

عادة يبقى المدعوون ليلا بعد الحفلات: المخمورون، أو هؤلاء الذين لم يكونوا يريدون الشرب و القيادة فى الوقت نفسه، أو البعض الذين جاءوا من مدن أخرى. ثم تقول دوروثى لآليس، بشكل عرضى، فى صوت رنان ملىء بالثقة والذى ينسجم مع النجاح المبهر فى التحكم فى هذا الجمع الغفير من البشر الذى جعل البيت بأكمله - فضلا عن الشارع - يدوى بالضوضاء والموسيقى لساعات وساعات: "آليس، لابد أن تتخلى فورًا عن غرفتك. هل يمكنك الذهاب إلى آخر الشارع والنوم مع آن؟" (أعز أصدقاء آليس خلال معظم مرحلة طفولتها)."لا، ولم لا؟ أوه، اذهبى يا آليس، لا تكونى عنيدة. إذًا، من الأفضل أن تحضرى كيس نومك إلى غرفتنا."

كانت آليس دائمًا ما تحتج، وتشكو، وتعبس، وتصنع مشهدًا - وكلها مظاهر نادرًا ما لفتت الانتباه، وكانت أشياء أخرى كثيرة تحدث فى تلك المرحلة من الحفلة: النساء من الضيوف فى المطبخ، يغسلن، محادثات حميمة بين ثنائيات أعلى السلم وأسفله، ويدور آخر الراقصين وهم يترنحون من السكر حول البهو. مَنْ مِنْ المحتمل أن يكون لديه الوقت ليهتم بأن آليس عابسة مرة أخرى؟ النوم فى حجرة نوم أبويها يصيبها بانفعالات صارخة، لا تستطيع التغلب عليها.

فى الرابعة صباحًا، كانت فى كيس نومها فوق مرتبة من المطاط الإسفنجى بجوار الجدار، تحت النافذة. وسيدريك ميلينجز فى بيجامته الأنيقة، ذات اللون الأحمر القاتم، أو الأزرق القاتم، مخمور؛ وممدد على أية حال. كان يعشق حفلات زوجته وكان فخورًا بها. كان دائمًا يعد المشروبات، ويستأجر الكئوس - ويكافح للتغلب على كل المشكلات. وكانت دوروثى ميلينجز ترتدى أحد أشيائها الجميلة التى تستخدمها للنوم. "رداء فضفاضًا" ربما، أو كيمونو، أو كانجا من كينيا تلفه حولها بإحدى الطرق التى لا حصر لها. كانت ثملة، ليس كثيرًا، ولكن ليس بالضرورة، فهى فى حالة انتشاء، وابتهاج، فى حالة ارتفاع، وكأنها تطير. لا تستطيع التوقف عن الابتسام وهى تنزلق إلى الفراش بجوار سيدريك وترقد هناك تتأوه بشكل مسرحى: "يا إلهى، قدمى."

وعندما كان يضع ذراعه حولها، تدنو منه توددًا - نظرة، رسالة تذكير سريعة من أحدهما بأن آليس فى الغرفة - ثم بعض القبلات الفاترة، ثم يستسلمان إلى النوم. ولكن آليس لم تكن نائمة. كانت ترقد هناك متوترة. فى البيت الصامت، أخيرًا، فى تلك الغرفة التى كانت بعيدة عن الصمت لأنها... كانت تعج بالضوضاء التى يحدثها شخصان نائمان! لم يكن مجرد تنفس عميق لا يمكن التنبؤ به، ولكنه يحدث على نحو منتظم، ثم يتغير فجأة فى بلعة أو غطيط. كان سيدريك ينزع إلى الغطيط، ولكن، فيما يبدو يدرك هذا، حيث يتقلب على جانبه، وبعد ذلك ينام على نحو أكثر ملاءمة. ومع ذلك، ليس فى صمت.

ومع استمرار ذلك التنفس فى الظلام، لم تكن تستطيع أن تتوقف عن الاستماع، لأنه يبدو أن شيئًا ما قد قيل، وعليها أن تفهمه، ولكنها لا تستطيع أن تناله، أو تدركه. التنفسان المختلفان، شهيق وزفير، شهيق وزفير، يستمر ويستمر، لابد أن يستمر - مع ذلك يمكن أن يتوقفا بشكل غير متوقع لما يبدو وكأنه دقائق، وبرغم ذلك كانت آليس تعلم أن ذلك غير صحيح، كان ذلك فقط لأنها كانت تفتح أذنيها بمثل هذا التركيز العنيف

حتى بدا الوقت متباطئًا. وبينما كان أحدهما، دوروثى أو سيدريك، فى فترة من التنفس الهادئ، كان الآخر يستمر فى التنفس، شهيقًا وزفيرًا، محافظًا على استمرار الحياة، ثم يأخذ الصامت نفسًا، ويعود إلى الحوار الذى يبدو أنه دائر بينهما. محادثة، هكذا كانت تبدو للطفلة التى تستمع هناك، وكأن والديها لا يزالان يتحدث كل منهما إلى الآخر، ليس بالكلمات المعروفة الآن، ولكن بلغة لم تكن آليس تعرفها. شهيق وزفير، شهيق وزفير، مع كثير من التوقف والتردد، وتغيرات فى طبقة الصوت، لابد وأنهما كانا يتجادلان كل مع الآخر. ثم (وكانت آليس تنتظر هذا) المرحلة التى يصبح فيها التنفس منتظمًا، عميقًا ومتباعدًا، ويتباعد أكثر كل دقيقة.

هذان الشخصان هناك، الاثنان الأعظم سلطة فى ذلك الفراش الضخم الذى كان المركز الآخر للمنزل (كانت المائدة الكبيرة فى المطبخ هى الأول). يا للعجب، كان ذلك يشبه النوم فى غرفة واحدة مع مخلوقين يبدوان بالنسبة لآليس الطفلة بالكاد آدميين، غريبين جدًا، غريبين تمامًا عنها، وخطرين بشكل خفى، ثم عندما أصبحت أكبر، فى الحادية عشرة أو فى الثانية عشرة، وحتى بعد ذلك، فى الخامسة عشرة أو نحو ذلك، تغيرت، شبت، أو على الأقل أصبحت أكبر، ولكن بدا أنهما لم يكبرا. لم يتغير شىء. دائمًا ما يحدث الشىء نفسه، ذلك المشهد بعد الحفلة، وكلاهما، الأبوان، ينزلقان إلى فراشهما ذاك، كل منهما يلف ذراعه حول الآخر، ثم ينصرفان تلقائيًا إلى النوم الذى يأخذهما بعيدًا جدًا عن آليس التى كانت دائمًا ترفع نفسها مستندة إلى مرفقها، لتحدق بعينيها فى ظلام الغرفة نحو الكومتين الطويلتين، والثقيلتين، اللتين كانتا والديها. ولكنهما ليسا كذلك الآن، أصبحا مجهولين، ذهبا بعيدًا عنها. لم يكن فى الإمكان إدراكهما. ما لم تزحف خارج كيس نومها وتذهب لتلمس أحدهما لتوقظه. وعند ذلك فإن سيدريك، أو دوروثى، كان يستيقظ بالفعل، يعود إلى نفسه، أو نفسها، كما لو أن دجالين شريرين ومرعبين وغامضين، قد سكنا هذين الجسمين النائمين، ولكن لمسة آليس طردتهما. ولكن عندئذ، كانت دوروثى،

أو سيدريك يقول، وهو ناعس وقد أجفل: "ما الأمر يا آليس؟ نامى." ثم يكونان قد استدارا بالفعل بعيدًا عنها، ذهبا برشاقة إلى تلك البلد الأخرى - وعاد الدجالان، ليست دوروثى، وليس سيدريك. عندئذ ترقد آليس مستيقظة، تستمع إلى التنفس والغطيط، وغمغمات غليظة مكتومة تأتى من ذلك النوم الذى كان يجثم فوقها، على صفحة الفراش؛ مستمعة إلى خفقان قلبها وحفيف دمها فى أنحاء جسدها، وهى تفكر فى كيفية دوران جالونات من الدم فى هذين الجسدين... لم تكن تستطيع النوم؛ أو كانت تنام، وتستيقظ فى قلق، وفى اللحظة التى يظهر فيها أى ضوء وراء الستائر الساكنة المنصتة، تلك المعلقة هناك طوال الليل، تشهد معها غياب دوروثى وسيدريك من فراشهما، وحجرتهما وبيتهما، وأطفالهما، كانت آليس تزحف إلى خارج الحجرة. البيت، بالطبع، ما زال فى حالة فوضى. فى كل مكان ما زال هناك نائمون، ولهذا ما كانت تجرؤ على فتح باب خشية ما سوف تراه. ولكن فى المطبخ كانت آمنة، وهناك كانت تقضى الوقت فى العمل. كانت تحب بعض المساعدة - من أخيها، همفرى، على سبيل المثال. ولكنه كان يرحب جدًا بدعوة والديه للعثور على سقف آخر لينام تحته، ونادرًا ما كان موجودًا.

بعد سن الثانية عشرة تقريبًا، كان وجود همفرى فى المنزل يقل بالتدريج، وأصبح لا يقضى فقط ليلة بالشارع، ولكن أيضًا مع أصدقاء فى أنحاء البلاد، أحيانًا لأسابيع كاملة. وبدا لآليس أن الحفلات كانت البداية لهذه العملية. وأنه يشعر بنفس مشاعرها، (رغم أنهما لم يتحدثا عن ذلك أبدًا، ولكنها فقط كانت تعرف)، مثل مخلوق بحرى صغير يتعلق بصخرة من أجل الحياة ولكنه بعد ذلك يتعرض لهجوم الأمواج الهائلة وضرباتها العنيفة، فيفلت، وينجرف بعيدًا. كما حدث معها، فيما بعد. ولكن بشكل منفصل؛ كانا نادرًا ما يرى أحدهما الآخر. وعندما كانت آليس تسأل إذا كان لها إخوة أو أخوات، كان عليها أن تذكر نفسها أن لديها أخًا.

لم تكن تفكر فى هذا لسنوات؛ كانت وقفتها بذراعيها الممتدتين تطوقان القدر الفضى الذى أحضرته معها هى ما أعاد ذلك كله إلى

ذاكرتها. كان يمكن أن تستمر واقفة هناك، ولكن شخصًا ما لمسها فى كتفها: رجل، عامل، كان يرتدى أفرولاً أبيض ويحمل حقيبة أدوات. نعم، كان المحل الذى تقف خارجه قد انتهى العمل به. وقال "هل أنت على ما يرام يا عزيزتى؟"

"نعم." قالت آليس "نعم" وكأنها تقول "ولماذا تعتقد أنى لست كذلك؟"

قال: "كنا قد بدأنا نتعجب من وقفتك تلك، لقد وقفت فى مكانك متسمرة، هكذا بدا لنا!" وضحك، آملا أن تضحك هى الأخرى؛ وكان وجهه الودود - الذى يوحى بوجه أب، فضلا عن وجه زوج - يبدو قلقًا عليها. وضحكت، وذهبت إلى رقم ٤٣ وهى تحمل القدر، حيث لاقت استحسانًا، بسبب روعتها وبعد نظرها وجهدها، وابتسمت وهى تقف فى المطبخ تعد حساءها بينما الرفاق يدخلون ويخرجون ليتذوقوه، أو ليصنعوا سندويتشات، أو يجلسون لتناول وجبات جاهزة. كانت ببساطة غارقة فى الأسى بسبب فقدانها بيتها الخاص، الحقيقى، وبسبب ما كانت تتذكره وهى واقفة هناك فوق الرصيف. يا إلهى، كانت تفكر وهى واقفة فى المطبخ تبتسم بلا انقطاع (آليس التى هى للجميع، التى يُعتمد عليها، المسئولة، المضيافة) كيف يمكنهم أن يفعلوا هذا بى؟ أخذوا حجرتى منى، هكذا، وكأنها لم تكن حجرتى على الإطلاق، كأنهم كانوا قد أقرضونى إياها "آليس، عليك أن تتخلى عن غرفتك مرة أخرى." استمر هذا لسنوات. ما هذا الهراء الذى كانوا يعتقدون أنهم يفعلونه؟ لماذا، فى كل مرة كانت تشعر أنه لم يكن فى الحقيقة بيتها على الإطلاق، وليس لها حق فى مكان به، وفى أية لحظة سوف يلقيها أبواها ببساطة خارجه... ولكن هذا كله سخف، كانت آليس تفكر، وهى تقطع إلى شرائح، وتخلط، وتبتسم. معظم البشر فى العالم لا يملكون نصف ما أملك، أما بالنسبة لغرفهم الخاصة.

لا يهم، المؤتمر سوف يتطلب عملا مضنيًا، لابد أن تتوقف عن التفكير فى هذا كله، شكرًا لله.

فى مساء يوم الجمعة، عندما وصل الجميع، وكان أربعة وعشرون شخصًا يحتشدون هناك، أطعمتهم جميعًا حلة الحساء المدهش، وتم ملئها مرة أخرى، فى الواحدة صباحًا، عندما ذهب الجميع إلى الفراش، استعدادًا لليوم التالى.

وعندما حلت الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم التالى كان كل رفاق لندن قد وصلوا. قاموا بالتجول فى أنحاء المنزل، وهم يصيحون بكل قوتهم، على حجمه، ورفاهيته، ووسائل راحته. أكثر من شخص، من المرابض ذات الإمكانات الأقل، أخذوا حمامًا فى الحال. استنفدت على الفور أكوام الخبز التى كانت فى المطبخ، وأسرعت آليس تجرى إلى الخارج للحصول على المزيد. هذا التجمع سوف يكون مكلفًا.... لم ترغب فى التفكير فى ذلك.

أثنى الجميع - أيضًا - على الديكور فى غرفة الجلوس.

كان فوق رف الموقد علم أحمر ضخم، يحمل رمز اتحاد الوسط الشيوعى، أ. و. ش، فى أحد أركانه، تم تطريزه فى الليلة الماضية، على يد فتاتين من برمنجهام. وفى أحد أركان الأحمر القانى الناعم كان هناك منجل ومطرقة باللون الذهبى، وفى ركن آخر ديك ووردة، باللون الأخضر.

وعلقت صورة لينين على الجدار المقابل للعلم. وبجوار لينين، وبأضعاف حجمه، كان هناك ملصق لحوت: "أنقذوا الحيتان!" وعلى الجدران الأخرى علقت ملصقات تقول: "أنقذوا بريطانيا من التلوث" و"أنقذوا ريفنا!،" و"لا تنس نساء معسكر جرينهام!،" وملصق الجيش الجمهورى الأيرلندى مع صورة لجندى بريطانى يضرب صبيًا صغيرًا موثق الذراعين. وعلى منضدة فى الصالة وضعت كتيبات: الجيش الجمهورى الأيرلندى، وجميع كتيبات السلام الأخضر، وكتب متعددة عن لينين، وقصيدة طويلة من الشعر الحر عن معسكر النساء فى جرينهام، وتشكيلة ضخمة من الكتيبات عن الحركة النسوية، والمعارضين لتشريح الكائنات الحية لأغراض علمية، والنباتيين، واستخدام الكيماويات فى المواد

الغذائية، وصواريخ كروز، والتسلح النووى، ودفن النفايات المشعة فى البحر، والمعاملة السيئة للعجول والدجاج، والأوضاع داخل السجون البريطانية.

فى هذا الجو المألوف، المتهور، ولكن المريح، يحضر افتتاح مثل هذه الأحداث، نحو أربعين شخصًا يحتشدون فى غرفة الجلوس، يجلسون أنفسهم حيثما يجدون من الأماكن، على الأرض، أو على عتبات النوافذ. فى الخارج كان الجو مشمسًا بشكل متقطع. وفى الداخل، كانت التدفئة الجديدة شديدة بالنسبة للبعض، وكان لابد من فتح النوافذ.

كان الجميع تقريبًا تحت الثلاثين. وكانت آليس ـ فى تصورها ـ هى الأكبر سنًا حتى الآن. فيما عدا روبرتا، التى ضحكت عندما سئلت عن سنها.

كان الجميع ينظرون إلى برت وجاسبر، رغم أنه كان المتفق من قبل أنه إذا حضرت بات حقًا، فسوف تلقى خطاب الافتتاح.

كان برت يستمع وينتظر وصولها منذ عدة أيام، كما كان يعلم جميع المقيمين فى رقم ٤٣.

وقف برت الآن فى هدوء بجوار المدفأة، حيث كان هناك وعاء من زهور النرجس، مستندًا بمرفقه على رف المدفأة كنوع من إظهار الألفة، وقال: "هذا هو المؤتمر القومى الأول لاتحاد الوسط الشيوعى. من الحبوب الصغيرة تنمو الأشجار الكبيرة." تصفيق حاد، ابتسامات، ضحك بابتهاج. كانت مارى ويليامز وريجى يصفقان، بصورة رزينة ولكن لافتة للنظر. كانت موريل فى الركن، على الأرض. وذكّرت آليس نفسها بأنها موجودة هنا كجاسوسة.

لم يضحك برت. أو يبتسم. مشكلته مع بات جعلته فى مزاج متدن، وبدت عليه مظاهر المعاناة التى تمت السيطرة عليها بالتفكير. فقد أنسه المعهود. وأومأ بإيجاز للتصفيق، وواصل حديثه قائلاً إن أ. و. ش يقدم

نفسه كحزب غير طائفى، آخذًا أفضل سمات الأحزاب الاشتراكية الموجودة، متعلمًا من أخطائها وإخفاقاتها. وقد تقرر أن يتم تأسيسه على التقاليد العظيمة للطبقة العاملة البريطانية، وأن يعمل على إحداث تغيير اجتماعى جذرى يتجه إلى الثورة "إذا كانت هناك حاجة. وكل يوم يمر نتعلم منه أن الطبقة التى تحكم بلدنا هذا، لن تتخلى عن السلطة إلا بالقوة...". تصفيق، وضحك، وتعليقات ساخرة. ثورة سوف تتعلم من تجربة الثورة الروسية، والثورة الصينية، وإذا دعت الضرورة، من الثورة الفرنسية، لأنه ليس من المبالغ فيه أن نقول إن دروس الثورة الفرنسية لم تستنزف تمامًا. وقد تمت الدعوة إلى المؤتمر فى هذا الوقت ليس بهدف صياغة سياسة مفصلة، حيث لا يزال هناك الكثير من العمل؛ وإنما من أجل وضع قواعد أساسية عريضة. والآن سوف يتوقف، برت بارنس، ويترك الكلمة للرفيق ويليس، الأكثر خبرة وبراعة، والثورى المحنك.

أخذ جاسبر مكان برت. لم يتكئ على رف المدفأة، ولكنه وقف مثل السهم، ذراعاه بجانبيه، ويتوهج شعره الذهبى. الضارب إلى الحمرة، وعيناه مركزتان على صورة لينين. بدأ حديثه بصوت أعلى من صوته المعتاد، والذى كان يبدو لآليس متكلفًا إلى حد ما. ولكنها كانت قد اعتادت على أسلوبه الخطابى، وقيَّمته بمعيار آخر: على سبيل المثال، علمت أنه تقريبًا لم ينم الليلة الماضية، فقد كان منهمكًا فى نقاش انفعالى وملتف، والاستمرار بدون نوم لم يكن يناسبه.

كان أسلوبه أن يستخدم العبارات المألوفة للمعجم الاشتراكى، ولكن كأنه قد اكتشفها فقط فى هذه اللحظة، ولهذا عندما بدأ، كانت هناك بين الحين والآخر لحظة يظهر فيها الحاضرون نزعة إلى الضحك. توقف ذلك فى الحال، بسبب جديته البالغة، بل والأقرب إلى روح التصوف.

"أيها الرفاق، مرحبًا بكم جميعًا ـ أيها الرفاق ـ هذه اللحظة تاريخية بالنسبة لنا جميعًا. عدد قليل جدًا منا هو الموجود اليوم فى هذه الغرفة، ولكننا القلة المصطفاة. مصطفاة نتيجة الزمن الذى نعيش فيه، اصطفانا

التاريخ نفسه! ـ ولا يوجد شىء لا نستطيع تحقيقه إذا منحنا أنفسنا لتحقيقه." هنا، لو كان برت أو أى شخص آخر هو الذى يتحدث، فسيكون هناك تصفيق. كان هناك صمت مشوب بالتوتر. والحق أن الرفاق لم يتوقعوا هذه الملحوظة بتلك الجدية، أو على الأقل، ليس فى هذا الوقت المبكر.

"نحن جميعًا نعلم الوضع الإجرامى، البغيض لبريطانيا. نحن جميعًا نعلم أنه لابد من الإطاحة بالقوة بهذه الحكومة الفاشستية الإمبريالية! ليس هناك سبيل آخر أمامنا! إن القوات التى سوف تحررنا جميعًا فى طور التشكيل بالفعل. ونحن فى طليعة هذه القوات، ومسئولية تحقيق مستقبل مجيد تقع على عاتقنا، وفى أيدينا."

استمر هكذا لنحو عشرين دقيقة. واستمعت آليس لكل كلمة، بابتسامة حلوة، مفعمة بالثقة، بل وجميلة؛ كان هذا هو جاسبر الذى أحبته، وكان مدهشًا بالنسبة لها أن ترى كم يستجيب له الآخرون. حتى أولئك الذين كانت تعلم أنهم ينتقدونه، كانوا فى مثل هذه اللحظات معجبين به. أو، على أية حال، كانوا يدركون أن هنا شيئًا غير عادى، ومع ذلك فهو ليس ظاهرة نادرة تمامًا، متحدث بالفطرة، خطيب. لا، بل كان هنا قائد. هذا هو الشىء الحقيقى.

وقفت آليس بجوار الباب، متأهبة للانطلاق بسرعة عندما يحين الوقت لبدء إعداد الشاى. كانت تستمع، وكانت تراقب الوجوه: كيف كانت استجاباتهم، كم كان جاسبر قادرًا على رفع مستويات انتباههم. هذا الشىء غالبًا ما يحدث عندما يبدأ فى الحديث ـ عصبية، وحتى نزعة إلى الضحك، أو ربما ملاحظة تهكمية فارغة بشكل غير نظامى؛ لأن أسلوبه لم يكن الأسلوب البريطانى الشائع أو المبتذل، بسيط إلى حد ما، هزلى غالبًا، مباشر تمامًا. وبالطبع، ستكون آليس كالعادة أول من يعجب بهذه "البريطانية". إنه أسلوبنا القومى! والخصائص القومية غالية، ولكن جاسبر كان حالة خاصة. كان لابد أن يفرض شعوره الخاص عليهم من

البداية؛ واليوم لم تكن هناك ضحكات يكبحها ـ على الفور ـ آخرون فى مستوى أعلى، وأنبل. لم تكن التعبيرات المكبوحة التى رأتها نابعة من انتقاد، بل على العكس؛ فى الواقع، لم تكن لديهم ثقة فى أنفسهم لكى يصدقوا تلك الرسالة أو الهدية الجميلة التى كان جاسبر يقدمها لهم، لم يشعروا بأنهم يستحقون. لقد تعلمت منذ زمن بعيد أنه عندما كان جاسبر يتحدث لم يكن الناس يصفقون أو يصيحون مؤيدين. بل يظلون صامتين تمامًا، بعد اللحظات الأولى الحرجة؛ وعندما كان ينتهى من حديثه، يكون هناك صمت يستمر ربما نحو خمس عشرة ثانية، أو أكثر، ثم يكون هناك تصفيق، مفاجئ، وحار، بل وعنيف؛ يقف الحاضرون ويصيحون ويهتفون. ويستمر التصفيق، ثم يتوقف فجأة.

وهذا هو ما حدث اليوم. كان التصفيق النهائى وكأن شيئًا ما قد تحرر داخلهم. كانت بعض النساء دامعات. بدا أن كل شخص قد اهتز من أعماقه. (ليس كل شخص؛ فقد لاحظت آليس أن الإوزة جلست وكأنها جزء من مجموعة أخرى من الجمهور، ليست هذه المجموعة، ولم تصفق على الإطلاق. التقت عيناها بعينى آليس ولكنها تحركت فورًا، وكأنها لم ترها، لم ترد أن تحاسب على هذه الزلة فى المشاعر الحقيقية، ناهيك عن حسن السلوك العادى)، ثم وقف الجميع، هؤلاء الذين لم يكونوا واقفين أصلا، ولديهم رغبة شديدة فى التصفيق بحماس أكثر، وقد بعث فيهم جاسبر الإلهام والاتقاد والحماس، هذا المبعوث القادم من "المستقبل، مستقبلنا المشرق."، كما كان هو نفسه يناجيه. لم يستطيعوا، فى الواقع، أن يتحملوا الجلوس مرة أخرى، وعلى الرغم من أن الاستراحة المخصصة لتناول الشاى لم تكن منظورة قبل ساعة أخرى، فقد بدأ توزيع الشاى فى التو واللحظة.

استغرقت الاستراحة وقتًا طويلاً؛ لأن الكثيرين انهمكوا فى المحادثات، التى لم تكن فى الحقيقة، عن اتحاد الوسط الشيوعى، أو فى الواقع، عن أى شىء قاله جاسبر؛ بل إن كلمته الافتتاحية لم تكد تذكر.

وعندما أوشكت الاستراحة على الانتهاء، اضطر الرفاق آليس وروبرتا وبرت للصياح بصوت أعلى من الجلبة بكل أنواع التهديدات المنذرة بالوعيد، الهزلى بالطبع، لإعادة الحاضرين إلى غرفة الجلوس. وظهرت بات. بصراحة شديدة، بدت فى حالة مريعة. مثل برت تمامًا، فى الواقع. كانت شاحبة ونحيفة، وقد فقدت نظرتها البكر البراقة. وبسرعة تعانقت هى وبرت، بطريقة تشنجية وحتى مصحوبة بالشعور بالذنب؛ ولكنها لم تكن تنظر إليه، ومن ذلك فهمت آليس أنها لن تمكث طويلاً.

كان وضع بات وليس جاسبر - لإلقاء الكلمة الافتتاحية - قرارًا صائبًا. فقد كان أسلوبها مختلفًا تمامًا عن جاسبر، يعتمد على الصوت الخفيض، والدعابة، والثقافة. لم تكن بالطبع تعلم شيئًا عن كلمة جاسبر الملهمة. تحدثت عن نشأة اتحاد الوسط الشيوعى وبروزه إلى الوجود - ليس بطريقة تناشد العاطفة، ولكنها قالت إنه بسبب ارتفاع السخط من الأحزاب الاشتراكية الموجودة، والتى بعد ذلك قامت بتحليلها. فى الحقيقة، كانت تعطى تحليلاً قصيرًا، ولكنه وافٍ عن الوضع الاقتصادى الموجود فى بريطانيا. كان الحاضرون يستمعون إليها بانتباه، رغم أنه لم يكن مطلقًا مثلما فعلوا مع جاسبر. كانوا يسهمون أحيانًا بتقديم بعض الحقائق والأرقام، ويضحكون بتهكم خاصة عند نقاط معينة. وكانت هناك موجات صغيرة من التصفيق. كانت آليس تعرف أنه من المؤسف أن بات لم تصل فى الوقت المناسب لإلقاء الكلمة الافتتاحية، بحيث يلقى جاسبر كلمته، كما كان مخططًا لها، فى الختام - وطبقًا لما حدث - كانت كلمة جاسبر تقريبًا كأنها لم تكن على الإطلاق؛ لقد ضاعت كلها؛ وبدا أنه لا شىء قد تمخض عنها.

عندما توقف المؤتمر مبكرًا لتناول الحساء والسندويتشات وأى أطعمة أخرى كان الرفاق القادمون من لندن قد أحضروها معهم، كانت المحادثات خلال الاستراحة الطويلة، وعندما كانت تدور حول السياسة، كانت تتبل باقتباسات من كلمة بات، ولكن الواقع أن معظم المناقشات لم تكن حول

السياسة على الإطلاق. فقد كان هناك الذين لم يلتقوا معًا منذ فترة، ربما منذ سنوات. وكان المتشابهون فى الرأى يتقابلون وجهًا لوجه لأول مرة فى بداية صداقات أو علاقات غرامية. كانت الأخبار مطلوبة عن الرفاق الذين لا يزالون فى برمنجهام، وليفربول، وهاليفاكس، والذين لم يستطيعوا الحضور. كما كان يلتقى أيضًا أحباء سابقون: لم تكن العلاقة المقطوعة بين بات وبرت هى الوحيدة. كانت هناك ثلاث حالات أخرى. ومرة ثانية، قام برت، وروبرتا، وبات هذه المرة بالصياح هنا وهناك أعلى وأسفل المنزل لقطع المحادثات الدائرة، حتى يمكن أن يتواصل المؤتمر.

لم تحضر الإوزة جلسة بعد الظهيرة - والواقع أنها اختفت قبل الغداء. كان من الواضح أنها وافقت على كلمة بات بقدر ما استهجنت كلمة جاسبر، واكتأبت آليس سرًا بسبب ذلك. كانت آليس على يقين من أن موربيل كان يمكن أن تغير رأيها لو فقط سمعت جاسبر يلقى كلمته فى الترتيب المناسب، فى الختام، حيث يمكن أن يكون مثلا يحتذى، وينتزع عاطفة كل شخص فى المؤتمر.

بعد تناول الغداء (رغم أنها كانت تقريبًا ساعة الشاى)، نوقشت النقطة الأولى من جدول الأعمال: ما التوجهات على الساحة البريطانية فى الوقت الحالى التى توضح الطريق إلى المستقبل؟ كانت التوجهات التى تم اختيارها هى: الأولى، مشكلة البطالة، "التى لابد أن يتم استثمارها"؛ الثانية، "كراهية الشعب البريطانى عامة من سياسة الحكومة حول التسلح النووى"؛ والثالثة: "رفض الشعب البريطانى الناشئ، والذى لا يزال غير معبر عنه، لسياسة حزب المحافظين فى شمال أيرلندا."

بعد تناول الشاى، الذى لم يبدأ قبل الخامسة، نوقشت السبل التى يمكن بها تأكيد واستثمار هذه التوجهات. ولكنهم لم يصلوا إلى قرار قبل أن يحضر المزيد من المشاركين من مختلف مناطق لندن، الذين سمعوا عن المؤتمر وحاز اهتمامهم - وسمعوا أيضًا عن الحزب فيما بعد. وصل رفاق من ليفربول وبرمنجهام والذين لسبب أو لآخر لم يستطيعوا الحضور

مبكرًا عن ذلك. ووصلت مجموعة من رقم ٤٥ (ولكن، ليس منهم الرفيق أندرو). وفجأة كان فى الحجرة ستون شخصًا، وكان ذلك غير مريح. تراجع البعض إلى الصالة، حيث جلسوا يتحدثون، بكثير من الضحك والضوضاء. وانتهى المؤتمر فى وقت مبكر، قبل السابعة، ولم يتوصلوا إلى اتفاق بشأن النقطة الثانية فى جدول الأعمال. كانت النقطة الثانية: "مستقبل بريطانيا: اشتراكية كاملة."

***

بدأت حفلة المساء. مثل انفجار. كان الضجيج مذهلاً، حتى قبل غروب ضوء النهار. وصل قارعو البوابة، وأصبح من المستحيل إجراء مناقشات سياسية جادة. وانهمكت آليس وجاسبر وبات وبرت فى رحلات سريعة لإحضار المزيد من الطعام والشراب. وأسهم ريجى ومارى بجالون من عصير التفاح. وصلت الشرطة فى الحادية عشرة، ولم يجدوا دليلاً على ارتكاب أى فعل خارج على القانون، وتعاملت آليس معهم بكفاءة وهدوء؛ وكانت بينهم الشرطية، والتى بدت فى ذلك الوقت وكأنها صديق قديم. قرع بعض الجيران الباب فى الساعة الواحدة صباحًا وشكوا من عدم استطاعتهم النوم. قالت آليس إنهم يأسفون لذلك، ولكن كان هناك سبعون شخصًا فى المنزل، ووجود مثل هذا العدد الكبير لابد أن يحدث ضوضاء. ربما يحبون أن يحضروا ويشاركوا فى الحفلة؟

لم يكن قبل الرابعة صباحًا أن زحف الرفاق المنهكون إلى أكياس نومهم فى مختلف أنحاء المنزلين، ولم يستيقظ أحد قبل أن ينتصف النهار، حيث كان الوقت بالنسبة للبعض على الأقل قد حان للمغادرة متوجهين إلى الشمال. لم يستيقظ أحد، ذلك، فيما عدا آليس التى كانت تقوم بالترتيب.

انشغلت آليس بتقديم الحساء والسندوتشات والشاى والقهوة طوال فترة بعد الظهيرة والمساء. وقد بقى قليل من المعربدين ليلة الأحد وغادروا مبكرًا فى صباح الإثنين.

غادرت بات حينئذ، أيضًا. كانت تبكى. وكذلك برت.

قالت آليس بانفعال: "أوه، اللعنة، لماذا فقط لا تستسلمان للأمر الواقع،" ثم شعرت أن عليها أن تعتذر. ولكنها لم تقبل بات عندما غادرت؛ قالت: "أوه، يا إلهى لقد مللت تمامًا من كل شىء !" وانفجرت باكية. تركت غسيل الصحون ليقوم به آخرون وذهبت إلى الفراش، غير مبالية إن كان جاسبر قريبًا أو لا.

ولكنه كان هناك عندما استيقظت، جالسًا برفق بجوارها، وكوب من القهوة فى يده. كان مبتهجًا مثل صبى يشعر أنه يتصرف بشكل حسن.

" أوه، ما الأمر يا جاسبر؟"

قال برقة: "إنك بارعة يا آليس، كان ما فعلت رائعًا."

ولكنها رقدت مستقيمة فى كيس نومها، وقد أرخت ذراعيها إلى جانبيها، ومدت قدميها. لم تكن تفكر فى جاسبر، أو فى المؤتمر، أو فى لهو وألعاب نهاية الأسبوع. كانت تشعر بفراغ فى داخلها، حفرة، مقبرة؛ كانت تحلم بالبيت. ذلك البيت المعلقة عليه حاليًا لوحة "للبيع" من الخارج. وكانت تعرف أنها لابد أن تتجمل فى جميع الأحوال بسياج، يحميها من ذرف الدموع.

قال جاسبر: "آليس، أريد أن أخبرك بشىء."

قالت متجهمة، وفى صرامة: "إنى أستمع،" ورأته مترددًا، ومجفلاً. كان يشعر أنه يعامل بازدراء. وكان ينبغى أن تهتم، ولكنها لم تستطع.

"برت وأنا - سوف نذهب إلى الاتحاد السوفيتى."

بعد أن استوعبت ذلك، قالت: "الرفاق الأيرلنديون رفضوكما، والرفاق السوفييت سيقبلونكما؟" لم يكن ذلك بلهجة ساخرة - كان مجرد تصريح بالوضع - ولكنها نالت نظرة بغض. كان واقفًا على قدميه، يحوم فوقها، ملاك غاضب، متأهب لإلقاء سهام الانتقام.

" أنظرى، لا أريد منك أى مواقف سلبية وهدامة يا آليس."

لحظة صمت. لم تتحرك أو تتكلم.

جلس القرفصاء مرة أخرى وهو متردد، محاولا أن يكسبها.

"كيف تذهبان بهذه السرعة؟ لا يمكنكما الذهاب بهذه البساطة إلى الاتحاد السوفيتى."

"مساء يوم السبت قال أحد الرفاق من مانشستر إنه يعرف مجموعة من السائحين ذاهبين إلى موسكو هذا الأسبوع. وهناك بعض الأماكن الخالية، لأن بعض المسافرين تخلفوا، لإصابتهم بالإنفلونزا. ولكننا نستطيع الحصول على تأشيرات دخول عن طريق منظم الرحلة. وقد أرسلنا جوازات سفرنا، وسوف نتسلمها عند المغادرة."

"طيب!"

فترة صمت.

"آليس،" بدأ مترددًا، ثم توقف. كان على وشك أن يطلب منها نقودًا، ولكنه شعر الآن بعدم جدوى ذلك.

قالت: "لقد أخذت منى بالفعل كل بنس ملعون. وقد أنفقت إعانة الأسبوع الماضى على الحفلة. لا فائدة من محاولة الحصول على أى نقود منى." ثم قالت بدون اكتراث، وهى ترى وجهه قد بدأ يكتسى بنظرة طمع جشعة، "ومن المستحيل بالنسبة لى أن أحصل على نقود من دوروثى، أو من أبى."

ظل هناك ـ جالسًا القرفصاء ـ مستندًا برفق بإحدى يديه على ألواح الأرضية، يتفحص وجهها. ثم نهض بخفة، وذهب إلى الباب. وبينما كان يغادر قالت:" إذا عادت بات قبل أن تذهبا فلن يذهب برت معك." أغلق الباب خلفه بعنف؛ لم تدر رأسها لتراقبه وهو ذاهب، ولكنها ظلت ساكنة، مثل حجر أو جثة، لا حياة فيها، تنظر إلى النافذة، التى علقت عليها الآن

ستائر مطرزة جميلة، خضراء وذهبية، والتى كانت معلقة فى حجرة جلوس بيت أمها.

***

نامت. واستيقظت فى وقت متأخر من بعد الظهر فى البيت الخالى، اغتسلت، وارتدت تنورة كانت تخص أمها، من الصوف الناعم، ذات زهور كبيرة وردية اللون فوق خلفية بنية رقيقة، وسويتر من الصوف الوردى، كانت بات قد أعطتها لها.

ثم خرجت رأسًا من المنزل واتجهت مباشرة إلى رقم ٤٥؛ حيث دخلت دون أن تطرق الباب: كانت عطلة نهاية الأسبوع قد جعلت البيتين واحدًا. ومن المطبخ ـ الذى كان عبارة عن تجويف كئيب، ليس جميلاً ومشرقًا ومزينًا بالزهور، مثل ٤٣ ـ خرجت موريل الإوزة، والتى ابتسمت باقتضاب، ابتسامة ما بعد الحفل.

" إذا كان أندرو هنا، فإننى أريد أن أراه."

ولمنع المزيد من الخربشة الخجولة على الباب، ذهبت آليس إليه مع موريل، وطرقته.

سمعت آليس "ادخل،" فدخلت، وأغلقت الباب أمام موريل.

كان الرفيق أندرو راقدًا، متمددًا مثل جندى، كما كانت آليس تفعل منذ لحظات، فوق سريره المنخفض، ولكن ذراعيه كانتا معقودتين فوق صدره.

أرجح قدميه إلى أعلى وأسفل، فجلس، مفسحًا مكانًا لآليس لتجلس بجواره.

فعلت ذلك على مسافة مناسبة، ثم أعلنت: "أريد أن أعرف بعض الأشياء،"

"حسنًا جدًا."

ولكنها جلست هناك، خافضة الرأس، فاترة الهمة، ولم تستأنف الكلام.

تفحصها للحظة، بشكل صريح، وبلا مواراة، ثم رقد ثانية، ولكن أبعد قليلا فوق الفراش الضيق، إلى جوار الحائط. جذبها من ذراعها؛ وبدون مقاومة تمددت إلى جواره. كانت هناك ست بوصات على الأقل بينهما. ولم يلمسها.

"هل تعلم أن برت وجاسبر ذاهبان إلى موسكو؟"

"نعم."

لحظة صمت. كانت تفكر. كما كانت تفعل دائما: تدير فى رأسها ببطء وحذر الإمكانات الكامنة فى كل شىء.

"ولكنك لم تقترح ذلك."

"لا، بالتأكيد لم أفعل."

" لا."

امتد الصمت للحظات. حتى أنه احتار فيما إذا كانت قد أخذها النوم ـ كانت تبدو شاحبة ومنهكة. تفحصها، مديرًا رأسه قليلا، ثم أمسك معصم يدها اليمنى برفق بيده اليسرى. توترت، ثم استرخت: كان هذا مختلفًا تمامًا عن القبضة العنيفة التى يستخدمها جاسبر.

"آليس، حقيقة لابد أن تتحررى من هؤلاء الرعاع."

"رعاع!" قالت ذلك معترضة بقدر ما تبقى لها من طاقة: "إنهم بشر."

قال متعمدًا: "رعاع."

سحبت نفسًا عميقًا؛ لكنها أخرجته بهدوء.

"ماذا قالت لك موربيل، إذًا؟"

"ماذا تفترضين أنها قالت لى؟ إنك لست غبية يا آليس."

شعرت بنفسها تنتفخ. انسابت الدموع على وجنتيها، كما توقعت.

"وماذا عن الحفلة،" تنهدت قليلا: "إنك لم تحضر."

ظل صامتًا.

ثم، برفق، وضع ذراعه تحت عنقها، ويده اليسرى أعلى ذراعها الأيسر، فى الجانب الآخر البعيد عنه. بدا فى الوقت نفسه، أنه يؤيدها برقة. ممسكًا بها وكأنه يضمن بذلك أنها لن تفلت بعيدًا عنه.

" آليس، لابد أن تفصلى نفسك عنهم."

" تعنى، عن جاسبر."

"عن جاسبر، وبرت، والباقين. إنهم فقط يلعبون ألعابًا صغيرة."

" إنهم لا يعتقدون ذلك."

" لا، ولكنك تفعلين، أعتقد ذلك."

لحظة صمت أخرى. الآن، أخيرًا، كانت مستريحة فى قبضته، وقد وصل بيده اليمنى لتستقر على خصرها تحت صدرها، ولكنها لن تفعل، لم تستطع أن تقبل هذا، فدفعته عنها متوترة.

" إنهم يلعبون، يا آليس، مثل أطفال صغار بالمتفجرات. إنهم أناس شديدو الخطورة. خطرين على أنفسهم، وعلى الآخرين."

" وأنت لست خطرًا."

" لا."

ضحكت ضحكة صغيرة، ساخرة، ولكن يشوبها الإعجاب.

" لا، يا آليس. إذا أنت فعلت الأشياء كما ينبغى وبحذر، لن يصاب بالأذى إلا من ينبغى أن يصاب بالأذى."

فكرت فى ذلك وقتًا طويلاً، ولم يقاطعها. قالت: "من أين تأخذ أوامرك؟"

" أنا آخذ أوامر. وأعطيها."

فكرت.

"هل تلقيت تدريبك فى الاتحاد السوفيتى؟"

"نعم."

قالت فى صيغة تصريحية: "أنت روسى."

" نصف روسى: كان أبى أيرلنديًا. و.. لا، لن أضجرك بتاريخى المشوق."

والآن مر وقت طويل، نحو عشر دقائق. من الممكن ببساطة أن تكون نائمة، فقد كانت تتنفس ببطء وبعمق، ولكن عينيها كانتا مفتوحتين.

استدار نحوها قليلاً، ولكنها تحركت مبتعدة، رغم أنها كانت لا تزال بين ذراعه.

قال الرفيق أندرو برقة: "إنك امرأة طيبة، ونقية جدًا، أحب ذلك فيك."

وبدا أنها بحاجة لتأمل هذا لفترة أطول حتى من ملاحظاته السابقة. وكان ما رآه فى وجهها نظرة مرتبكة شاردة بسبب الإنهاك، ولكن كان هناك احتشام، أيضا، وهو ما حثه على بذل محاولات إضافية، تقريبًا، لكن شيئًا ما أوقفه، ربما حقيقة أن الاحتشام كان يحجب وراءه رد فعل عنيفًا جدًا على كلمة "نقية." هل هى، آليس، نقية؟ هل كانت هكذا كل هذا الوقت دون أن تعرف ذلك؟ حسنًا، ربما ينبغى أن تفكر فى هذا؛ فإذا كان النقاء هو صفتها، فلابد إذًا أن تعيش به! لقد كانت الكلمة! فلا يمكن استخدام كلمة "نقى" بهذه البساطة فى بريطانيا الآن، لم تكن ببساطة مستخدمة، كانت مجرد كلمة سخيفة. وإذا لم يكن يعرف ذلك، إذًا... كيف كانوا يتدربون، أشخاصًا مثل أندرو؟ ربما لم يكن من المهم أنه كان أجنبيًا، ومختلفًا جدًا، فبريطانيا على أية حال مليئة بالأجانب، هل لذلك أهمية هنا، فى ٤٣ و٤٥

حسنًا، هذا يعتمد على ما يريد أن يحققه. إن مواصلة الكفاح على مثال لينين ليست مزعجة لأحد (فيما عدا فاى وروبرتا)، ولكن آليس لا تعرف إلا جزءًا من الصورة. فما الذى يعتزمه بالإضافة إلى ذلك؟

أخيرًا، قطع الصمت قائلاً: "آليس، أعتقد أنك يجب أن تأخذى عطلة."

أذهلها هذا بشدة، فحاولت أن تجلس، وجذبها إلى أسفل.

الآن ترقد قريبة بجانبه، وقد بدأ جسده القوى الحار فى إرسال موجات من الإحساس لتتخللها مباشرة. كانت مفتونة ومشمئزة. ظلت عيناها تنظران نحو السقف، لأنها كانت تعلم ماذا كانت سوف ترى إذا نظرت إلى أسفل نحو جسده. وكانت عازمة على عدم التورط فى ذلك، سواء كان "نقيًا"، أم لم يكن!.

قالت: "أنا لا أفهم لماذا تريد منى دائمًا أن أفعل مثل هذه الأشياء التى هى من سمات الطبقة المتوسطة."

"ما علاقة العطلة بالطبقة المتوسطة؟ كل شخص يجب أن يحصل على عطلات. الحياة العصرية سيئة جدًا بالنسبة للجميع". اعتقدت أنه كان يشاكسها، ولكن بلمحة سريعة عرفت أنه جاد.

"على أية حال، أين أستطيع أن أذهب؟ أنت تحتقر كل من أعرفهم."

" أنا لم أقل كلهم. بالطبع لا."

" أنك لا تعنى بات، يبدو أننى تذكرت. هل تعلم أنها تركت برت؛ لأنها لا تعتقد أنه جاد، أيضًا؟"

"نعم، أعرف. إنها شخص جاد. مثلك، يا آليس."

"حسنًا، أنت نفسك كنت تريد أن يفعل برت شيئًا ما."

قال بصرامة: "غيرت رأيى عنه، كان ذلك خطأ فى الحكم من جانبى."

قالت أخيرًا، بحزن: "حسنًا، لا أعرف،" وبدأت تتنشق بطريقة طفولية.

"أعرف. أنت متعبة، أيتها الرفيقة آليس. إنك تعملين وتعملين، ومعظم هؤلاء البشر لا يستحقون ذلك الجهد."

عندئذ، انفلت منها عويل حقيقى، واستدارت نحوه، وراح يواسيها ويربت عليها، مثل طفلة. وانفجرت باكية.

قال أخيرًا: "مسكينة يا آليس، ولكن البكاء لن يفيد. ينبغى أن تتخذى قرارًا. انظرى، هذان الشخصان الأشبه بشخصية إيرول فلين(*) - ذاهبان إلى موسكو. لماذا لا تغادرين قبل أن يعودا؟"

"إيرول فلين!"

"ألا تحبين إيرول فلين؟ أنا أستمتع دائمًا بأفلامه."

"هناك اختلاف كبير فى ثقافتينا،" قالت ذلك على نحو حالم، وهى تتحدث إلى صدره. كانا يرقدان بحيث ابتعد عنها بجسده الثائر، ولم تهتم هى بذلك.

"هذا واقعى جدًا. ولكن هل من المؤكد أن الناس يحبون إيرول فلين؟ ولم لا، أليس نجمًا مشهورًا؟"

قالت: "حسنًا، سوف أقوم بالتفكير فى كل هذا."

"نعم، لابد أن تفعلى."

"ومتى سوف تعود؟"

"وكيف عرفت أننى مسافر؟"

" أوه، أنا فقط اعتقدت أنك قد تسافر."

تردد. "إنك محقة، بالمناسبة. سوف أكون بعيدًا، ربما لعدة أسابيع..."

(*) ليزلى إيرول فلين (١٩٠٩ - ١٩٥٩) من أشهر نجوم هوليود فى أربعينيات القرن العشرين، كان مشهورًا أيضًا بعلاقته المريبة مع النازية.

شعر أنها فيما يبدو قد انقبضت، فقال: "أو ربما فقط لأسبوع أو اثنين." فترة صمت أخرى.

ثم قال: "ويا آليس، لابد، لابد أن تفصلى نفسك. صدقينى، يا آليس، أنا لست بلا تجارب... مع هذا النوع من البشر. فحيثما كانوا، توجد دائمًا مشاكل."

بعد عدة دقائق، نهضت، واضعة يده إلى جانبه بشكل أنيق، بطريقة ربة المنزل.

قالت: "شكرًا لك، أيها الرفيق أندرو. سوف أفكر بعناية فى كل شىء قلته."

"وشكرًا لك أيضًا أيتها الرفيقة آليس. أنا متأكد أنك سوف تفعلين."

ومن الباب، استدارت وألقت إليه ابتسامة مرتبكة، وخرجت متعجلة، حتى لا تضطر للتحدث مع موربيل، التى، رغم أنها شخصية جادة، لم تكن آليس على استعداد لأن تحبها، حتى مع توصية من الرفيق أندرو.

كانت الأيام القليلة التالية أسعد أيام عرفتها.

عادة، عندما كان جاسبر مشدودًا إلى شخص كالأخ، مثل برت، لم تكن تراه إلا قليلاً. ولكنهما كانا يطلبان منها أن تصحبهما فى كل شىء يقومان به. السينما، أكثر من مرة، المسرح القومى. قال برت إن روايات شكسبير تتضمن دروسًا كثيرة فى النضال، ولابد أن يتعلموا استخدام كل سلاح تقدمه لهم الحياة، لكى لا يتحولوا إلى مجرد ماركسيين هواة. وقضوا إحدى الأمسيات فى حانة كانت آليس تعلم أن جاسبر اختارها بعناية، لكى لا يريها حتى ولو مجرد شعرة من حياته الأخرى تلك. ولكى لا يراها برت، أيضًا.

ولكن أفضل ما فى الموضوع، رغم أنهم لم يذهبوا لكتابة الشعارات التى كانت النشاط المفضل عند آليس، أن جاسبر اقترح قضاء يوم فى

المظاهرات. كانت تعلم أنه فعل ذلك، ليرضيها، وتعويضًا عن ابتعاده عنها.

كانت المناقشات حول أين وضد من سوف يتظاهرون... لطيفة، مثلها مثل الحملة نفسها. وبالطبع، فى هذه المرحلة الفاشستية من تاريخ بريطانيا، ليس ثمة صعوبة فى العثور على شىء يمكن الاحتجاج عليه؛ ولكن تصادف أن كانت عطلة نهاية الأسبوع القادم غنية بالموضوعات التى يمكن الاختيار من بينها. كان وزير الدفاع يتحدث فى ليفربول، ورئيس الوزراء فى ميلشستر، وأستاذ جامعى أمريكى فاشستى فى لندن تقوم أبحاثه على فكرة أن الاختلافات بين الكائنات البشرية هى اختلافات جينية، ولا تقوم على الثقافة. وتسببت أفكاره ـ كما هو متوقع ـ فى استثارة الحركة النسوية، وأصيبت فاى بالهستيريا عند ذكر اسمه. وفى مساء الجمعة، جلسوا مجتمعين، بعد عشاء طيب من حساء آليس وبيتزا، وتحدثوا عن اليوم التالى.

كان المطبخ مبهجًا، ومفعمًا بالحيوية. واحتوى الإبريق الموضوع فوق المقعد الصغير على زهور التيوليب والليلك. وتبرع ريجى وماري بزجاجتين من النبيذ الأحمر، الذى تحدث ريجى عنه ـ طبعًا ـ بخبرة ودراية.

ورغم أن شهر مايو كان يبدأ فى الغد، فقد بدا أن أمطارًا باردة مستمرة تحيط بهم، وجعل ذلك هذا المشهد، وهذه الصحبة، أكثر متعة وإبهاجًا. وهكذا فكرت آليس، بابتسام وامتنان، رغم أن قلبها كان موجعًا. بدا قلبها المسكين يعيش حياة خاصة به هذه الأيام، رافضًا أن يميل إلى ما كانت تعتقد، ولكن البقاء هناك طوال المساء، مع أصدقاء طيبين، كان أمرًا لطيفًا. فمنذ جعلهم الحزب كيانًا واحدًا، بدا أن كثيرًا من الضغوط قد انتهت.

حتى فيليب، الذى كان سوف يعمل طوال عطلة الأسبوع، ولن يستطيع التظاهر معهم، أسهم بأفكار مفيدة ـ على سبيل المثال ـ كان يمكن أن يختار مظاهرة السلام الأخضر: فبسبب جهود السلام الأخضر وحدها أجبرت الحكومة على الاعتراف بحجم التلوث الإشعاعى. ولولاها

لاستمرت فى الكذب بهذا الشأن. وكان ريجى ومارى، مرتبطين للذهاب إلى كومبرلاند فى الغد، لكن أعجبهما ذلك: وأعربا عن مشاعرهما. ذلك أنهما لا يمكنهما أن يحولا دون ظهور ما يشعران به ـ كانا يعتقدان أن التظاهر فى قضايا معينة مثل تلف الشريط الساحلى هو أكثر تأثيرًا من احتجاج عام مثل "الصياح والصراخ على ماجى تاتشر."

وبالتالى فان إظهار ما يشعر الناس به نحو كثير من سياساتهم، أو على الأقل أساليبهم، جعل ريجى يثبط من روح الفكاهة السائدة، والتى كانت من القوة بحيث جعلتهم يشاكسون الزوجين المنضمين إلى السلام الأخضر فى عاصفة نشطة من الـ "أوووه" والهمهمات.

قالت مارى: "هذا صحيح،" وهى تضع يدها فى يد ريجى مؤيدة: "إنكم لن تغيروا أفكارها بقليل من هتافات الاستهجان. ولكن الحقائق سوف تزعزعهم."

قال فيليب: "أنا أوافق". كانت محاولة منه ليفعل ذلك ـ أن يتحدى أصحاب السلطة الحقيقية للكوميون (كما كانوا يدعون البيت الآن). ولكنه فعلها. لقد بدا أضعف وأصغر مما كان قبل أن يبدأ هذا العمل الجديد. أصبح يبدو شديد النحافة والهزال. كانت عيناه حمراوين، ولكن فيهما نظرة غاضبة وقاسية؛ حيث كان يمر بظروف صعبة فى عمله، واليونانى الذى استخدمه يقول إن العمل يمضى بطيئًا جدًا.

أوه نعم، كل هذا الحب والانسجام كان مزعزعًا وغير قائم على أساس وطيد، كانت آليس تفكر فى ذلك وهى جالسة تبتسم؛ مجرد شىء صغير. نفحة هواء ـ وينتهى كل شىء. فى غضون ذلك أحاطت كوب القهوة بيديها، تستشعر الدفء يسرى منه إليها، وفكرت: كأننا عائلة، فعلاً.

قالت فاى، بحماسها البارد المميز: "بووز! صرخات! سوف أقتله! ليس من حقه أن يأتى إلى هنا بكل سمومه القذرة عن النساء. لدينا ما يكفى من الرجعيين!".

قالت روبرتا: "الكل يزحفون خارجين من جحورهم الصغيرة وتظهر ألوانهم الحقيقية. هل ستأتى معنا يا جاسبر؟ وأنت يا برت؟ لإظهار التضامن مع المرأة؟"

لحظة صمت. كانت آليس تتوق للذهاب إلى ميلشستر. إلى مسز تاتشر. ولكن كان هنا حماس للذهاب إلى ليفربول، وكان ذلك لن يكلف شيئا. كان جاسبر يعلم أنها تريد ميلشستر. و كان برت يعلم ذلك. كانت قد قالت إنه ليس لديها نقود. وكان هذا صحيحًا؛ فقط نقود البطالة. كانت مستعدة للذهاب إلى ليفربول. فهى تكره وزير الدفاع، ليس فقط بسبب سياساته - كان هناك شىء فى ذلك الوجه الخبيث، الشرير، المحافظ.....

أما بالنسبة للبروفسور الأمريكى الفاشستى. فلم تستطع أن تدرك ماذا يثير روبرتا وفاى وكل الآخرين بشأن ذلك. لم تكن قادرة أبدًا أن تعرف لماذا تثير كلمة مثل "الجينات الوراثية" مثل كل هذا الغضب. كانت تعتقد أنهم سذج، بل وطائشون. وإذا كانت هذه هى طبيعة الأشياء، - إذًا فهى كذلك. ويجب أن يبنى المرء حكمه على ذلك.

ذات مرة، منذ زمن بعيد، أثناء أيام دراستها، قالت - بشكل جدى وفضولى (فى محاولة أصيلة للانسجام على أساس وجهات نظر مشتركة) أن النساء لهن أثداء "وما إلى ذلك من أشياء"، فى حين أن الرجال "مجهزون بطريقة مختلفة"، ومن المؤكد أن ذلك لابد وأن يكون مسألة خاصة بالجينات. وإذا كان الأمر كذلك، فلابد أن الغدد والهرمونات مختلفة كذلك من الناحية الجينية؟ وقد أدى هذا الرأى إلى عاصفة من الاستياء استغرق الكوميون أيامًا لمعالجتها. فكرت أن كل تلك المسائل الخاصة بالجنس هى هكذا! أى شىء له علاقة بالجنس! فهو يجعل الناس غير متوازنين. على غير سجيتهم. ولابد أن يتعلم المرء أن يظل هادئًا ويدعهم جميعًا يواصلون الأمر! شريطة أن يتركوها خارجه...

منذ عشرين عامًا أو أكثر، أخبرتها أمها - بطريقتها المتسرعة، الودودة، وصوتها المرتفع، وأسلوبها الأمومى المباشر - أنها قريبًا سوف

تحيض، ولكنها كانت متأكدة أنها تعرف كل شىء عن ذلك على أية حال. بالطبع كانت آليس تعرف من المدرسة، ولكن قول أمها جعلها تضعه على جدول أعمالها، إذا جاز القول، تجعله حقيقة. كانت غاضبة، ليس من الطبيعة، ولكن من أمها. ومنذ ذلك الحين، كان موقفها تجاه "اللعنة" - أصرت أمها على استخدام هذه الكلمة المازحة، قائلة إنها كانت تعبيرًا دقيقًا - نوعًا من الاكتفاء الذاتى. لم تكن لتدع شيئًا مثيرًا للضجر هكذا يقف فى طريق الحياة.

عندما كان الناس يتساءلون عن مواقفها من الحركة النسوية، والسياسات الجنسية، كانت دائمًا هذه البداية (كما رأتها) هى التى تعود إليها بتفكيرها. كانت تقول: "بالطبع يجب أن تكون هناك مساواة بين الناس،" ويبدأ توتر خفيف يظهر عليها. "هذا أمر مفروغ منه." باختصار، كانت دائمًا تجد نفسها فى وضع مفتعل.

والآن جلست صامتة، تحتضن قهوتها التى تبرد سريعًا، تبتسم ابتسامة شاردة، وتنتظر موضوع البروفيسور الفاشستى أن يمر.

وقد مر، وعلق برت: "كنت دائمًا أحب ميلشستر."

بدا هذا لكثير من الناس خارج الموضوع تمامًا. هل كان مخمورًا؟ ربما..! كان بالتأكيد يشرب أكثر من حصته. وكان الجميع يلاطفونه فى تلك الأيام، بسبب بات. ربما دون وعى منهم. كان مظهره وحالته العامة يتطلبان ذلك منهم. كان هزيلاً، وكئيبًا، بل وتائه الفكر؛ وكأن أفكارًا أخرى تدور فى خاطره بالتوازى مع تلك التى يعبر عنها.

قال مسترسلاً: "لقد كانت دائمًا مدينة عسكرية."

صدرت صيحات تعجب. قالت فاى: "يا إلهى، إنك مجنون، هل أنت كذلك؟ حرب؟ جنود؟".

قال برت: "ولكنه شىء ممتع. لماذا تستمر المدن - كما هى - قرونًا بعد قرون. كانت ميلشستر حامية عسكرية تحت الحكم الرومانى."

صمت. فقدوا توازنهم بهذه الملحوظة المختلفة جدًا عن ملحوظاتهم المعتادة، تذكروا أنه درس التاريخ فى الجامعة.

وقال برت: "هناك بلدان، تستمر بهذه الطريقة...، بريطانيا تستمر على الحال نفسه، وروسيا مستمرة على الحال نفسه، وألمانيا ...."

قالت فاى غاضبة: "فى أية لحظة الآن، سيكون لدينا خصائص وطنية مثل الموت الجينى،"

هذه اللهجة أعادت إلى برت انتباهه، هز كتفيه بلا مبالاة، وجلس صامتًا.

قال جاسبر: "سوف نذهب إلى ميلشستر،" والتقت عيناه بعينى آليس، فابتسم، ثم غمز بعينه. كان فخورًا لكونه ودودًا معها. وكان ذلك يعنى أنه سيدفع لها أجرة القطار. والعودة فى نهاية الأسبوع... أحد عشر جنيهًا. أى ثلاثة وثلاثون جنيهًا لثلاثتهم. بهذا المبلغ يستطيعون شراء.... ولكن هذا سخف؛ لابد أن يحصل الناس على راحة. وإجازات. الرفيق أندرو قال ذلك.

ابتسمت بشكل حميمى إلى جاسبر، ودموع العرفان تبدو وشيكة. ولكن عينيه ابتعدتا لتخفيف الضغط على عواطفها.

قالت فاى بانفعال لروبرتا: "يبدو أننا، أنا وأنت، سنكون وحدنا !".

"من الصعب أن نكون وحدنا، ياعزيزتى. سوف يكون هناك تجمع جيد. أنا متأكدة من ذلك."

ضحكت فاى، وهى تنظر باتهام نحو رفاقها، ثم قالت: "حسنًا، أنا ذاهبة إلى الفراش." وخرجت دون أن تقول ليلة طيبة. ابتسمت روبرتا لهم جميعًا، طالبة منهم التسامح مع فاى، وذهبت خلفها.

وتناهى إلى أسماعهم فاى وهى على السلم تقول إنهم جميعًا فاشستيون ومتحيزون جنسيًا. وتبادلوا الابتسامات.

ثم قال ريجى ومارى إنهما سوف يستيقظان فى الخامسة صباحًا، حيث سيأتى من يأخذهما لتوصيلهما إلى كومبرلاند فى الوقت المناسب من أجل الإضراب، ويرغبان فى النوم مبكرًا.

وذهب فيليب أيضًا؛ حيث كان سيبدأ عمله فى الثامنة صباحًا.

جلس جاسبر، وبرت، وآليس يتناقشون بشأن الغد، ورأت آليس أن جاسبر لم يكن يرغب أن تقوم هى بإلقاء بيض أو ثمار على مسز تاتشر. لم يقل ذلك، ولكنه كان واضحًا. وذلك يعنى أنه يريدها هنا معه، وليس فى السجن. وجعلها هذا تشعر بسعادة غامرة وامتنان. استمرت النبضات الحنونة فى مهاجمة ذراعيها؛ اشتياقًا لمعانقته. وسكنت القبلات الأخوية ابتساماتها. شعر بهذا، ورغم أنه كان يشرح الخطط لها، فقد كان يوجه الكلام لبرت. لم يكن ليدع نفسه يعتقل، لأنه سرعان ما سوف يسافر مع برت إلى الاتحاد السوفيتى. قد تأتى التأشيرات فى أى يوم، ولكن إذا لم تأت فى وقت مناسب لهذه الرحلة، فهناك رحلة أخرى بها أماكن خالية فى غضون أسبوع.

شعرت آليس بالإحباط لأنها لابد أن تبقى فى جزء منظم من الزحام، ولكن لا يهم، فى مرة أخرى.

قال برت إنه ذاهب إلى الفراش. وفى الحال نهض جاسبر وقال إنه ذاهب، أيضًا. فهمت آليس أنه لا يرغب فى أن يكون وحده معها، رغم أنها كانت تعلم أنه كان سعيدًا بما يكفى لوجودها أثناء وجود برت. صعدت إلى الغرفة التى كانت تتقاسمها معه، والتى بجوار غرفة برت. كان برت بالتأكيد أقل إحداثًا للضجيج بدون بات، ولكنه كان لا ينام على نحو مريح، كما استطاعت أن تسمع. وفى الليل. حتى مع غلق الباب بإحكام، استطاعت أن تسمع فاى وقد أصيبت بإحدى نوباتها.

سوف تقول روبرتا: "أصيبت فاى بإحدى نوباتها الليلة الماضية،" متناسية أن العبارة القديمة الطراز. فيكتورى؟. استخدمت ذات مرة

بدعابة من قبل فاى ("وكنت أعانى من إحدى نوباتى ياعزيزتى") . كان المقصود أن تكون دعابة، لذلك أصبحت كلامًا عاديًا . وعندما كانت روبرتا تستخدمها، كانت تتطلب شُغلا، نظرة عتيقة، مثل خادمة أو شخص من الطبقة الدنيا من لعبة على الصندوق. مسرحية. عندما تكون فاى وروبرتا على سجيتهما؟ فقط عندما كانتا تتلقيان ضربة، هزيمة، على يد شخص ما أو حالة ما، فتعودان إلى أصليهما، تستخدمان تلك اللهجة العمالية الخرقاء ثقيلة الصوت، والتى تجعلهما تبدوان، وكأنهما وقعتا تحت سيطرة غرباء مشفقين، لا يمكن أن يكونوا على معرفة بفاى، أو روبرتا .

***

نامت آليس نومًا سيئًا . واستيقظت لتسمع صوت مارى و ريجى يهبطان السلم؛ كانت أصواتهما المبتهجة عالية، وكأنهما وحدهما فى المنزل، وأنه ملك لهما . كما سمعت روبرتا وفاى تهبطان، فى هدوء، لا تتحدثان. كانت الساعة التاسعة قبل أن يستيقظ برت فى الحجرة المجاورة؛ كان يشعل سيجارة بعد أخرى. فكرت، ربما لا نستطيع الوصول إلى كلبة الملكة المدعوة تاتشر اليوم. وقررت وهى تهبط إلى المطبخ الخالى، ألا تظهر الإحباط، ثم جاء برت. وفى الحال ذهب ليوقظ جاسبر، الذى، استطاعت أن تستشف، أنه ببساطة سوف يدعو إلى إلغاء الأمر برمته. حيث كانت تمطر بالخارج بشكل متواصل.

ولكنهم خرجوا من المنزل ثم إلى القطار؛ وراقبت مشاهد لندن تتناقص لتحل مناظر الريف مكانها من خلال نوافذ القطار القذرة وستار رمادى من مياه الأمطار. كان برت صامتًا، غارقًا فى أفكاره، التى كانت آليس تظن أنه قد يتقاسمها مع جاسبر عندما لا تكون هى موجودة. كان جاسبر مهذبًا معها .

ولدى وصولهم المحطة استقلوا الباص إلى الجامعة. كانت المبانى الضخمة الفاترة المجنونة تلوح لهم من خلال الأمطار الغزيرة، وشعرت

آليس بالتوحش يملأ قلبها. كانت تعرف معظم الجامعات الجديدة؛ زارتها وتظاهرت خارجها. عندما كانت ترى إحداها تشعر بأنها تواجه تجسيدًا مرئيًا للشر، شىء يرغب فى أن يسحقها ويحط من قيمتها. العدو. لو استطعت أن أضع قنبلة تحت ذلك المبنى، كانت تفكر، لو استطعت.....حسنًا، فى يوم من الأيام...

كانوا قد تأخروا. حيث احتشد خارج المدخل الرئيسى ستون متظاهرًا تقريبًا تحت أغطية بلاستيكية ومظلات، يحيط بهم ثمانون من رجال الشرطة. وعند رؤية هذا، استفاق جاسبر، وجرى إلى الأمام، وصاح ساخرًا: "خنازير فاشيون، خنازير، خنازير، جبناء! كم منكم تحتاجون لكل متظاهر؟" جرت آليس لتلحق به، حتى تكون بجانبه، وجاهزة لتهدئته. وجاء برت وراءهم متباطئًا، يمشى، ولا يجرى.

جاءت السيارات الرسمية تشق الزحام، وقبل أن تتمكن آليس، وجاسبر، وبرت من الوصول إلى الحشد، خرجت مسز تاتشر من السيارة، وتم اصطحابها بسرعة إلى الداخل. وألقيت الثمار والبيض. كما كانت آليس تأمل - مندفعة فى الهواء، منفجرة بصوت مكتوم. وكانت مسز تاتشر قد دخلت.

وبدأ المتظاهرون فى الهتاف بثبات "لا للتسلح النووى، لا، لا، لا. لا للتسلح النووى، لا، لا، لا."

وواصلوا الهتاف فى شجاعة. وكان من المقرر أن تظل مسز تاتشر بالداخل نحو ساعتين، على الأقل.

كان رجال الشرطة متبرمين وممتعضين، مرغمين على الوقوف هناك فى المطر؛ كانوا مؤهلين تمامًا للاستفزاز. التقطت فتاة بالقرب من آليس برتقالة كبيرة من الأرض ورمتها على رجل شرطة. فأطاحت بخوذته. جاء إليها رجلا شرطة مبتهجين. راوغت فى الز[illegible] قليلاً ثم أمسكا بها، ومشت معهما تعرج، وجرّاها إلى شاحنة الشرطة، وتهدل شعرها البنى

الطويل المبلل. عاد الشرطيان إلى هتافات الاستهجان والسخرية. شعرت آليس بجاسبر بجوارها ينبض باهتياج محبط. كان تواقًا لصراع حقيقى. وكذلك كانت هى. وكذلك كان رجال الشرطة، الذين كشروا عن أنيابهم فى تحدٍّ للمتظاهرين. قالت آليس لجاسبر وهى تتذكر دورها: "انتبه، لذلك الشرطى الواقف هناك، إنه وحش، يتحفز للانقضاض عليك." وحيث بدا جاسبر على وشك الانفجار فى الفعل، قالت: "تذكّر، إنه يوم السبت. ولا نريد أن نقضى العطلة فى السجن. وعلى أية حال، لا تنس الرحلة التى تنويها."

كان آخرون وقد أرهقهم الحدث، يرمون الفاكهة والبيض على الشرطة، وكان بعضهم يُساق بين الفينة والأخرى إلى سيارات الشرطة.

صاح جاسبر: "دولة الشرطة الداعرة"، كادت الإثارة أن تخرجه عن السيطرة. وكان يراوغ فى الزحام، وكأنه مطارد.

ردد الحشد هذا الهتاف بصوت عالٍ: "دولة الشرطة، دولة الشرطة." رأت آليس إشارة بالأعين تمر بين رجال الشرطة؛ كانت تعلم أنه من الممكن اعتقالهم جميعًا لأقل سبب. كانت تتوق لذلك، للحظة التى ستشعر فيها بأيدى رجال الشرطة القاسية العنيفة فوق كتفيها، سوف تحاول عدم تحريك قدميها، وتُسحب إلى السيارة.... ولكنها قالت لجاسبر: "تعال، اجر،" وشدته بيدها وجريا. تراجع برت، الذى كان واقفًا وحده تقريبًا عند حافة الزحام، إلى الخلف فى الوقت الذى بدأ فيه الاعتقال. وقف يراقب. ولكنه، أيضًا، يمكن أن يعتقل فى لحظة واحدة. اندفعت آليس، ودماؤها تحترق، ووجهها يستشيط انفعالا، كالسهم وسط رجال الشرطة، وهى معجبة بمهارتها فى القيام بذلك، انتزعت برت، وقالت: "تعال." انتبه برت، قال: "أوه نعم. نعم، يا آليس، أنت على حق." وتبعها.

"امسكوا بهم،" صاح رجل شرطة، فى الوقت الذى اندفع ثلاثتهم يجرون.

وانطلق وراءهم خمسة أو ستة من رجال الشرطة، ولكن أحدهم زلت قدمه فى بركة صغيرة، وتدحرج، وانزلق فى الوحل، وعندما حاول أن ينهض، انزلق مرة أخرى. وبدا أنه قد أصيب. وتجمع الآخرون حوله. فى هذه الأثناء سار الثلاثة، وهم يشعرون بالإحباط؛ لأن المطاردة كانت قصيرة هكذا، واتجهوا إلى محطة الباص. كانت الأمطار تهطل بغزارة، مياه باردة ثقيلة.

انخفضت معنوياتهم، وقد انتزع منهم الآن ذلك التحدى للشرطة. لم يشعروا بالإشباع التام. كانوا ثلاثتهم يفكرون أنهم أنفقوا الكثير من المال مقابل شىء يسير جدًا.

ذهبوا إلى مقهى، حيث أكل الرجلان المقانق ورقائق البطاطس؛ وتناولت آليس حساء الخضراوات الصحى.

تناقشوا هل يعودون إلى الجامعة من أجل خروج مسز تاتشر إلى السيارات. كانت آليس مؤيدة لذلك، رغم أنها كانت خائفة من تأثير ذلك الوجه المحافظى، الأبيض الوردى، الصفيق، المعجب بنفسه، على جاسبر. فلو قبض عليهم حتى نهاية الأسبوع، فإن تذكرة العودة سوف تكون لاغية، وسيكون ثمن العودة يوم الإثنين مضاعفًا.

ولكنها لم تشعر أنها نالت ما يكافئ ما أنفقته، واتفقوا على العودة، لإظهار التضامن مع الآخرين - إذا كان لا يزال هناك متظاهرون، ولكن الأمطار بدأت فى الهطول بغزارة، طوفان حقيقى من الأمطار الاستوائية، إذا كان من الممكن إطلاق كلمة "استوائية" على مثل هذه الأمطار الباردة.

عادوا إلى المحطة، ثم إلى لندن وهم مكتئبون. وهناك ذهبوا إلى السينما، ثم، وجدوا فاى وروبرتا فى المطبخ، وتبادلوا جميعًا الملاحظات. وكان من الواضح أن جاسبر وآليس وبرت كان يمكن أن ينجزوا ما هو أفضل كثيرًا لو ذهبوا إلى المظاهرة المضادة للبروفيسور، والتى حققت نجاحًا عظيمًا. قالت فاى إنهم كانوا حوالى ألف شخص - صححت آليس

هذا بشكل تلقائى إلى "ستمائة" - معظمهم من النساء، ولكن كان منهم رجال كثيرون. قد أثاروا البروفيسور إلى أبعد حد، وقد أذلوه، تقريبًا، وأزعجوه إزعاجًا فعليًا. "حسنًا، لابد أن يدفعه ذلك إلى التوقف للتفكير، على الأقل،" قالت روبرتا ذلك بابتهاج، وهى تتذكر كيف صرخت بأنه حثالة التحيز الجنسى وفى خدمة الفاشستيين.

وحتى مظاهرة تاتشر بدت مؤثرة، عند استعادة أحداثها. فعلى أية حال، لم يعتقل إلا قليلون للغاية. كان لدى ريجى ومارى - بالطبع - تليفزيون فى حجرتهما. صعدوا جميعًا، واكتظوا داخل الغرفة، متبادلين النكات حول الفراش الكبير، والأثاث المرتب، والسجاجيد. جلسوا على الفراش يشاهدون الأخبار. لم يُذكر أى شىء عن البروفيسور الفاشستى، ولكن كان هناك مشهد مختصر عن صراع المتظاهرين مع الشرطة فى الجامعة. وقد خاب رجاء الثلاثة لعدم ظهورهم على الشاشة. قال مذيع النشرة إنه فى لحظة ما كانت الشرطة خائفة من أن تكون هناك قنبلة قد ألقيت على رجالها. صرخت آليس،" لقد كانت برتقالة،" وضحكوا جميعًا، وسخروا من الموقف، ثم نزلوا إلى المطبخ لمزيد من الحديث، ومعهم أربع زجاجات من النبيذ من صندوق للنبيذ كان ريجى ومارى يحتفظان به تحت التسريحة.

قالت فاى وهى تضحك: "لن يهتما،" غير أن ذلك قيل بطريقة بيّنت للجميع أنهما سوف يهتمان كثيرًا جدًا.

جاء فيليب، ولكنه كان متعبًا وذهب إلى الفراش.

جلس الخمسة يحتسون ويتحدثون حتى وقت متأخر.

بدت المظاهرات أفضل وأفضل كلما تقدم الليل. احتسوا الخمر فى صحة الرفاق فى زنازين الشرطة. كانت آليس حزينة لعدم وجودها هناك - والواقع أنها لم تُعتقل منذ فترة؛ بدأت تشعر أنها لا تلقى بثقلها فى الكفاح. ولكن أيضًا سارت الأمور بشكل طيب؛ فى يوم الإثنين أُبلغ جاسبر وبرت أن التأشيرات قد وضعت على جوازات السفر؛ والرحلة مهيأة. وغادرا بعد ظهر ذلك اليوم.

قالت آليس، وهم يغادران: "أراكما فى غضون عشرة أيام."

رأتهما يتبادلان نظرة مختلسة ـ مرة أخرى النظرة المشتركة "السرية" المهينة والساخرة التى يستخدمها الناس طوال الوقت. واستشفت منها ما أذهلها، أنهما لا يتوقعان العودة خلال عشرة أيام.

فكرت فى ذلك كله بدقة، ونامت وهى تفكر فيه، ثم كتبت إلى عنوان بات الذى لديها.

كتبت تقول: سافر برت وجاسبر، لماذا لا تأتين ليوم أو يومين؟ أو، إذا لم تستطيعى المجىء، من فضلك اكتبى لى. هل تعلمين أى شىء عن هذه الرحلة؟ هل قال برت أى شىء عن عدم العودة خلال عشرة أيام؟

وصلت بطاقة ردًا على الرسالة: "اتصلى بى فى التاسعة يوم الخميس أو الجمعة. كثير من الحب، بات." تألمت آليس من عبارة "كثير من الحب" وبكت قليلاً.

وعندما سمعت آليس صوت بات اللطيف، القوى المشرق، ناشدتها قائلة: "تعالى يا بات، تعالى."

"ولكننى ليس معى نقود."

"سوف أدفع لك ثمن التذكرة. تعالى."

قالت بات إنها ستحضر، وفهمت آليس من الارتفاع فى روحها المعنوية، كيف كانت تشعر بعدم الارتياح فى المنزل مع فاى وروبرتا، وكم كانت تشعر بالغربة مع المحترمين ريجى ومارى.

جاءت بات فى اليوم التالى، وصادرت المرأتان الشابتان حجرة الجلوس وجلستا هناك، وانهمكتا فى النميمة، وتبادل الأخبار. قابلت بات أشخاصًا كانت آليس تعرفهم، فى الكوميون الذى تعيش فيه الآن. كان لابد أن تخبرها آليس عن المظاهرات المعادية لتاتشر. وأشارت أيضًا بخفة إلى البروفيسور الفاشستى، كانت تأمل فى بعض التأييد من بات لأفكارها

الخاصة. ولكن بدت على وجه بات نظرة الامتعاض اليائسة التى كانت آليس إلى حد ما تتوقعها، وتناولت بات سيجارة وبدأت فى التدخين وهى تتميز غيظًا.

قالت: "إنك لا تتصورين أنها مجرد مصادفة أن يحدث الآن كل هذا الترويج لنشر هذا اللغو حول الاختلافات الجينية!".

سألت آليس، بخجل ولكن بإصرار: "لماذا؟ ... هل تقصدين أنه تم الدفع له ليفعل ذلك؟ من؟ السى آى إيه؟"

رفعت بات رأسها بغضب، وهى تنفث زفيرًا مريرًا، وقالت بشكل مبهم: "حسنًا، لم لا؟"

قررت آليس أن تدع الأمر؛ لا فائدة من الاستمرار فيه. بدلا من ذلك سألت بات لماذا هى - أى آليس - كان لديها هذا الانطباع أن برت وجاسبر لا يخططان لعودة سريعة إلى الوطن. تنهدت بات، ونظرت إلى صديقتها برثاء واضح.

قالت برقة: "سوف يعودان إلى الوطن يا آليس، فى اليوم المحدد. ولكنهما يظنان غير ذلك، هل تفهمين؟"

فهمت آليس. والواقع أنها كانت تتذكر اللحظة التى أشار جاسبر فيها للأمر أول مرة، ولكنها فيما بعد كانت قد حجبتها فى عقلها، لأن كل شىء كان مثيرًا للسخرية بدرجة مؤلمة.

"أنظرى، إنها أيرلندا من أول وجديد. لقد دبرا كل شىء. سيقولان لمرشد السياحة الداخلية: "أيها الرفاق، نريد أن نتحدث إلى شخص له علاقة بالسلطة".

غمغمت آليس، وقد غمرها شعور بالخزى: "أوه، يا إلهى، ... أوه، لا!"

"أوه، نعم! نعم، نعم! سوف يقول المرشد السياحى بالطبع فى الحال، 'من الذى ترغبان فى رؤيته، أيها الرفيقان؟ الرفيق أندروبوف؟ 'سيقول

جاسبر وبرت بتواضع: "أوه لا، ليس تمامًا، شخص ما أقل أهمية سوف يكفى بالنسبة لنا."

كانت بات تضحك، ولكن ليس بسعادة، فقد كانت تسخر من برت؛ وكانت آليس تعانى من أجل جاسبر.

"وسوف يظهر رفيق على درجة كبيرة من الأهمية فى الحال، ويقول، الرفيق ويليس، الرفيق بارنس؟ فى خدمتكما! سوف يشرح جاسبر وبرت أنهما قررا أن يتدربا كجواسيس، والأفضل أن يتم ذلك فى تشيكوسلوفاكيا أو فى ليتوانيا، حيث هناك أفضل مدارس للجاسوسية. سوف يقول الروسى: "بالطبع، فكرة رائعة ! ولكن سوف يستغرق ذلك ساعة أو ساعتين للترتيب. فقط انتظرا عودتى أيها الرفيقان."

ضحكت آليس ضحكة مترددة، ثم توقفت عن الضحك، وقالت: "حسنًا، لا بأس. ولكن ماذا عن الرفيق أندرو؟"

" ماذا عن الرفيق أندرو؟"

" الأمر عادى جدًا معه، ألا تعتقدين؟ أقصد، أنه يقول حتى لأى شخص يميل إليه، ما رأيك فى مكان للتدريب."

"إنه لم يتصرف بشكل سيئ جدًا، من كان اختياره؟"

" برت؟"

" قال برت لا. ولكن فقط تخيلى برت عمليًا تحت التدريب فى أى مكان. فى نوع ما من الأوضاع البنائية. إنه يتمتع بمزايا كثيرة، برت."

استفسرت آليس، بتردد: "أنا؟ ... هل ستقولين إننى أحتاج وضعًا بنائيًا؟"

لا لم أقل ذلك بالتأكيد. إن ما تحتاجينه هو..."

"أوه، نعم، أعلم. أن أتحرر من جاسبر."

قالت بات برقة: "مسكينة يا آليس."

" إذًا مسكينة يا بات !".

"وهذا صحيح، أيضًا!".

أحنت آليس رأسها حتى استند ذراع مقعدها، ذهبت كل الطاقة عنها، كما كان يحدث فى تلك الأوقات عندما كانت ترى جاسبر بوضوح.

بقيت المرأتان جالستين فى صمت لعدة دقائق. لم تتحرك آليس؛ وكانت بات تدخن بلا هوادة.

قالت آليس،" هناك شىء آخر، إن من يعرفون كثيرون جدًا، ماذا يمكن أن يمنع الناس من الإدلاء بالمعلومات؟"

" تقصدين، إلى الشرطة؟"

" نعم."

" حسنًا. من منا يمكن أن يفعل هذا؟"

استعرضت آليس فى مخيلتها وجوه هؤلاء الذين تعرفهم. وجلست معتدلة، مغمضة العينين، تنظر إلى تلك الوجوه فى ذهنها. فاى. روبرتا. برت. جاسبر. بات. هى نفسها. موريل. كارولين؟ جوسلين؟

قالت: "لا أظن." ولكنها بقيت حيث كانت، ثابتة، تنظر. الآن كان المشهد الذى تراه فى ذهنها هى نفسها مع أندرو بعد أن رأت الـ... أيًا ما كان فى قاع الحفرة الواقعة بحديقة المنزل ٤٥ لم تكن بات تعرف عن ذلك. فقط هى، آليس، التى علمت.... فقد كانت شخصية يُعتمد عليها، فقط هى، آليس، علمت لأنه لم يقل لها أحد، ولن تخبر أبدًا أى شخص آخر. كانت واثقة من ذلك. ولأن هذا كان حقيقة، ولأنها تثق فى قدرتها المطلقة على كتمان السر، شعرت بالثقة فى الرفيق أندرو.

قالت: "نعم، أعتقد أنى أتفق معك." كانت تتكلم بشكل متواضع، مع بعض التكتم، والحكمة. ابتسمت بات، وبتعاطف، لأن هذه كانت آليس

نفسها؛ وقالت متعمدة تغيير الموضوع، والحالة المزاجية "والآن، نحن بسبيلنا لقضاء وقت طيب. وهذا هو ما جئت من أجله !".

ثم اقترحت بات مختلف ألوان المتع الصغيرة التى لم تكن آليس نفسها قد فكرت فيها أبدًا. ذهبتا لتناول الشاى فى السافوى، كبداية. استضافت بات آليس. كانت بات ترتدى رداء فى غاية الأناقة من الصوف الأسود المطرز بوبر لامع، كانت قد اشترته من سوق خيرية، وبدت لافتة للنظر وعلى درجة من الأناقة أكثر من أية امرأة أخرى فى السافوى الرومانسى المذهب ذى الأعمدة الهائلة. وكانت آليس ترتدى تنورة، وبخلاف ذلك كانت كالمعتاد. أكلتا كثيرًا، وكانت بات شديدة العناية بتفاصيل الشاى الخاص بها. وخرجتا مثل مغامرتين ناجحتين.

ثم قضتا صباحًا فى هارودز، تبتاعان بأعينهما. أو بالأحرى كانت بات هى التى تفعل ذلك، فلم تكن آليس تهتم بوسائل الترف، ولكنها استمتعت باستمتاع بات. مرة أخرى ارتدت بات أفضل أرديتها، هذا الرداء الصوفى الأسود الدراماتيكى، والذى جعلها تبدو بألوانها الزاهية المفعمة بالحيوية غريبة، غير إنجليزية. ثم، فى اليوم التالى، هدأت الأمطار، فذهبتا إلى حديقة ريجنت وسارتا فى أنحائها بين البرك الموحلة وزهور الليلك وأشجار الكرز المزهرة.

ثم قالت بات إنها لابد أن تعود إلى البيت. قالت: "البيت،" ولاحظت آليس ذلك.

قالت لبات: "هل ستأتين مرة أخرى؟ قريبًا؟"

بدت بات واعية بذاتها، ضحكت، وقالت: "آليس، لا أعتقد أننا سوف نرى بعضنا مرة أخرى. حسنًا، ربما. ومن ناحية ثانية، ربما لا ..." كانت تريد تحويل الأمر إلى ممازحة، بطريقتها، ولكن عينيها أرسلتا رسائل تنم عن الأسف.

سألت آليس: " لماذا؟ ... ولكن لماذا، لماذا، لماذا؟"

استفاقت بات، وقالت: "آليس، ما زلت أقول لك، إننى جادة، على خلاف هذين المجنونين الملعونين اللذين نرتبط بهما."

ثم قبلت آليس، والدموع فى عينيها، وذهبت، تجرى، نحو نفق السكة الحديد. وفهمت آليس أنها تجرى خارجة من نطاق حياتها.

***

نامت آليس وهى تفكر فى هذا أيضًا، ولكنها لم تشعر بأنها استوعبت عندما استيقظت فى الصباح. ربما لم تكن ترغب فى أن تستوعب.

بدا أنها فقدت قوة الدفع، لم تكن تشعر بالرغبة فى عمل أى شىء. كانت جوان روبنز فى حديقتها. وقفت آليس تتحدث إليها بعض الوقت. وعرفت، وسط أشياء أخرى، أن المنزلين كانا خاليين لمدة ست سنوات. قالت جوان روبنز، بارتباك: "حسنًا لم يكونا خاليين تمامًا،" ثم استمرت تتحدث عن الذين عاشوا هناك من قبل أن يصادر المجلس المنزلين، عائلات بها أطفال، وأجداد، وزائرون كثيرون. كانوا ماهرين فى أعمال الحدائق؛ وكانت الحديقتان رائعتين.

سرعان ما وصل بعض موظفى الخدمات الاجتماعية، وأحضروا السيدة العجوز لتجلس فى الحديقة. تحدثت آليس معها، أيضًا. وكما كان يحدث دائمًا عندما تخطو خارج حياتها الخاصة، إلى عالم الناس العاديين، كانت تشعر بأنها منقسمة على نفسها، ومشوشة. هكذا كانت تشعر طوال الوقت الذى عاشت فيه مع جاسبر فى منزل أمها؛ وهذا هو سبب عدم رغبتها فى البقاء هناك، كانت دائمًا تضغط على جاسبر ليغادرا البيت. والآن، بعد أسابيع مع رفاق من نوعها، رفاق من نوع أو آخر، قوى اعتقادها أن هذا النوع من الحياة هو النوع الوحيد، (بالنسبة لها الآن، وللجميع فيما بعد.) بدت لها جوان روبنز مثيرة للرثاء، وهى تصنع ضجة وطنينًا حول زهورها بمضادات البكتريا ورشاشات المياه؛ كما كانت المرأة العجوز نصف معتوهة، وتسوق جوان روبنز إلى الجنون بطلباتها المستمرة. عادت آليس إلى ٤٣ وهى تفكر بحزم: "لا ينبغى أن تكون الحياة هكذا

وحسب!"، وهناك على عتبة الباب الخارجى كانت تقف كارولين التى تقطن البيت المجاور. كنت تحمل مغلفًا لآليس. سلمته لها، وقالت إنها لن تستطيع الدخول، وذهبت إلى محطة الباص. نظرت آليس إلى المغلف. كان يحتوى على نقود. وداخل الصالة قامت بعدها بسرعة. خمسمائة. مع ملحوظة من موريل، تقول: " قال الرفيق أندرو إن هذا لك."

دست آليس المغلف فى كيس نومها، وذهبت إلى رقم ٤٥ . وعندما وصلت، كانت موريل خارجة وفى يدها حقيبة. ولكن فى البداية لم تتعرف آليس عليها.

ثم لاحظت أن موريل لم تكن سعيدة برؤيتها، ومن المحتمل أنها كانت تنوى الذهاب قبل أن تصل آليس إلى هناك.

قالت آليس: "لابد أن أتحدث إليك."

قالت موريل: "لا أعتقد أن لدى أى شىء أقوله."

ثم ذهبتا سريعًا إلى الحجرة التى يستخدمها الرفيق أندرو، والتى أصبحت حجرة نوم، لأنه كان هناك أربعة أكياس نوم، متراصة بجوار الحائط.

وقفت موريل فى منتصف الحجرة، تنتظر آليس أن تدخلها. وكانت الحقيبة بجوارها.

لم تكن موريل ترتدى زيًا عسكريًا اليوم، أو أى شىء يشبهه، ولكن بذلة كتان زرقاء فى غاية الأناقة. من محلات هارودز. كانت آليس قد رأتها هناك أول أمس.

كما صففت موريل شعرها على هيئة قصة كلب الراعى للأميرة ديانا.

كانت آليس تعلم أن موريل كانت فتاة من الطبقة العليا، وكان ذلك سبب أنها لم تكن تحبها كثيرًا. فهى، مثل كل من هم من نوعها، لديها هذا السلوك الحاسم القمعى،الذى تتضمنه كل كلمة ونظرة.

كانت آليس - أثناء وجودها بمدرستها التقدمية الديمقراطية - التى كانت مليئة بمثل هذه النوعية من الفتيات، قد قررت فى أول أسبوع لها أنها مشمئزة منهن وستكون دائمًا كذلك.

كانت الفكرة الأخرى التى طافت برأسها هى أن الرفيق أندرو كان على علاقة بموربيل بسبب الجاذبية، التى تتمتع بها مثل هذه الفتيات بالنسبة لأفراد الطبقة العاملة الذين يتظاهرون باحتقارهن.

"لماذا ترك الرفيق أندرو هذه النقود لى؟"

"هذا أمر لا علاقة لى به. ولا أعرف عنه شيئًا على الإطلاق،" جاء قولها حادًا وحاسمًا، كما توقعت آليس.

"لابد أن يكون قد قال شيئًا."

كانت المرأتان الشابتان واقفتين، تواجه كل منهما الأخرى فى الغرفة الكبيرة المليئة بالضوء، وكذلك بضوضاء المرور القادمة من الشارع الرئيسى.

قالت موربيل: "اللعنة على هذا المرور الذى لا يرحم،" وذهبت إلى النوافذ، واحد، اثنين، ثلاثة، تغلق كل منها بعنف.

ثم استدارت لتقف فى مواجهة آليس، بعد أن منحت نفسها فسحة من الوقت (كانت السبب الأساسى لذهابها إلى النوافذ) لترتب فى عقلها ماذا سوف تقول.

ولكن آليس سبقتها قائلة: "ما المفترض أن أفعل فى المقابل؟"

عندئذ أظهرت الرفيقة موربيل نوعًا من التوتر المحكوم.

" ذلك ما يجب أن تناقشيه مع الرفيق أندرو، أليس كذلك؟"

"ولكنه ليس هنا. متى يعود؟"

"لا أعلم. إذا لم يأت، فسيكون هناك شخص آخر." ولأن آليس ظلت فى مواجهتها بعناد، فقد حددت الوضع كما تراه: "آليس، إنك إما معنا أو ضدنا."

"سأكون معكم، مع الرفيق أندرو، بدون هذه النقود، ألست كذلك؟"

"أو أنك تريدين ببساطة أن تستمرى فى كونك واحدة من الحمقى النافعين؟"

لم تستجب آليس لذلك، ظلت على وضعها من الصبر التام، والاستفهام العنيد.

قالت موربيل: "لينين، ... أحمق نافع: حماس غامض وغير مثقف ومتعصب للشيوعية. وللاتحاد السوفيتى. رفاق السفر. كما تعلمين."

لم تكن آليس فى الحقيقة قد قرأت لينين. كانت تشعر تجاهه بنوع من الاحترام النابع من ذاتها الكلية، كالانحناء أمام إنسان مثالى؛ لأن مثل هذا العملاق كان موجودًا وحيًا! كان هذا شعورها، وكان يكفى. وإذا كان الأمر كذلك، فهى لم تقرأ من ماركس سوى البيان الشيوعى. كانت دائمًا تقول لنفسها: "حسنًا، إننى لست مثقفة!" - مع شعور بالتفوق.

الآن شعرت أن الفتاة الإوزة خرجت عن الموضوع، وأنها أيضًا تثير الاستياء.

قالت آليس: "أنا لا أعتقد أن الرفيق لينين يستخف بالشعب الذى أعجب بإخلاص بإنجازات الطبقة العاملة فى الدول الشيوعية،" نطقت كل كلمة من هذه الكلمات بصورة حازمة و قاطعة، مثل الرفيقة موربيل. التى كانت صامتة، تحملق فى آليس بعيون زرقاء، وشىء من الفضول.

ثم علقت: "الرفيق أندرو يرى أن شخصيتك تحمل الكثير."

ومضة البهجة التى سرت فى أوصال آليس، جعلتها فى حصن منيع ضد أى شىء قد تفكر فيه موربيل. قالت بتواضع: "إننى مسرورة."

قالت موربيل: "حسنًا، هذا كل شىء، على ما أظن،" ثم التقطت حقيبتها.

إنك ذاهبة لتبدئى مهنتك فى الجريمة، إذًا؟" قالت آليس ذلك، وضحكت من قلبها على ما قالت. وابتسمت مورييل بأدب، ولكنها كانت تكاد تجن غضبًا.

قالت آليس وهى مستغرقة فى التفكير: "أتوقع أن تكون هيئة الإذاعة البريطانية،" وأضافت بسرعة "أو شىء من هذا القبيل."

عند هذا، وقفت مورييل للحظة، وحقيبتها فى يدها، ثم وضعتها على الأرض، واقتربت من آليس، وقالت بإصرار: "آليس، لا تسألى مثل هذه الأسئلة. لا - تسألى - مثل - هذه - الأسئلة. هل تفهمين؟"

شعرت آليس أنها تحت سيطرة حالة المعرفة الغامضة التى كانت موضع ثقتها فى كل حياتها. وقالت: "ولكنى أفترض أولا أنك ستذهبين أولا إلى إحدى مدارس الجاسوسية تلك فى تشيكوسلوفاكيا أو ليتوانيا."

شهقت مورييل، وأحمر وجهها. "من أخبرك بذلك؟"

"لم يخبرنى أحد. إذا كنت ذاهبة إلى مكان ما، بهذا المظهر، إذًا فأنا أفترض... أفترض أن يكون هذا هو..." أنهت كلامها بشكل مبتور، متعجبة من نفسها.

كانت مورييل تنظر إليها بحذر بالغ، وعيناها ينبعث منهما الشرر.

"إذا كان لديك مثل هذه الإلهامات الرائعة. فعليك أن تحتفظى بها لنفسك."

"لا أعرف ما الذى يجعلك تحتجين هكذا؛ كل شخص يعلم أين توجد مدارس الجاسوسية السوفيتية."

"نعم، ولكن..." بدت الإوزة فى غضب وسخط شديدين. كانت تنظر إلى آليس بتلك التى كانت آليس كثيرًا ما ترى الآخرين ينظرون إليها بها. وكأنما هى - ببساطة شديدة - شىء لا يمكن تصديقه، شىء مستحيل! وكما تقول لجاسبر فى مثل تلك اللحظات، قالت بعناد: "لا أرى ذلك. من

الواضح أن هناك أمرًا ما، عندما أقول شيئًا، إذا به يؤدِّى إلى إثارة الانزعاج. أعتقد أن ذلك تصرف صبيانى." قالت آليس هذا بإصرار.

قالت مورييل مستنتجة: "إذًا أفترض أن أندرو أخبرك، ... ما كان ينبغى أن يفعل هذا." ووقفت تفكر للحظة، ثم قالت: "أنا مرتاحة تمامًا للابتعاد عن عالمه. سأكون أسعد حالا مع شخص ما فى مستوى أعلى."

"آليس هو فى مستوى عالٍ؟"

قالت موريل، بعاطفة شديدة الرقة، مفاجئة، وغير متوقعة: "إذا كان كذلك، لما كان له أن يتعامل مع أشخاص مثلنا".

ضحكت آليس فى دهشة من أن موريل يمكن أن تعترف، حتى فى لحظة عاطفة جياشة، بأنها كانت فى مستوى أدنى من أى شخص على الإطلاق.

قالت موريل: "لا، لقد رحل من أجل مزيد من التدريب، أيضًا. ومن وجهة نظرى فهو قادر على التعامل مع هذا الأمر. ولكن أحيانًا تكون تقديراته خاطئة إلى حد كبير."

وبهذا، أمسكت حقيبتها مرة أخرى، رفعتها، وذهبت إلى الباب، قائلة: "حسنًا، وداعًا. لا أظن أننا سوف نتقابل مرة أخرى. ما لم تقررى الذهاب إلى التدريب أنت أيضًا. الرفيق أندرو سوف يقترح ذلك." وأفصحت نبرة صوتها بوضوح تام عن رأيها فى خطة الرفيق أندرو.

ولكن آليس فهمت فجأة شيئًا آخر. قالت بحماس بالغ: "يا إلهى، الآن فهمت - بات ذاهبة، أيضًا، نعم بالفعل، أليس كذلك؟"

قالت موريل: "إذا كانت قالت لك ذلك، كان ينبغى ألا تفعل."

"لا، لم تفعل، لم تفعل. إننى فقط الآن..."

قالت موريل: "لقد تأخرت." وسارت بإصرار مبتعدة عن آليس، وقد ظهر عليها قدر من الارتياح جعل آليس تفكر، حسنًا، إنها ستحتاج الكثير من التدريب، كى لا يظهر على وجهها كل شىء صغير يمر بعقلها.

سارت ببطء عائدة إلى رقم ٤٣، وجلست وحدها فى المطبخ، إلى المائدة، تفكر.

كانت الفكرة القوية، التى كانت أقرب إلى أن تكون إحساسًا، أو اكتئابًا، أن جاسبر لم يخبرها أنه يعتقد أنه قد يغيب لشهور. نعم، لقد كان "لطيفًا" فى تعويضها عن هذا الغياب. ولكنه لم يخبرها! وهو لم يخدعها أبدًا من قبل. نعم، بالطبع، كان هناك دائمًا جزء من حياته لا تعرف عنه شيئًا؛ وكانت تقبل ذلك. ولكن فى السياسة ... كل شىء كانت تجرى مناقشته.

لقد أصبح قادرًا على الابتعاد لستة أشهر، سنة، دون أن يقول كلمة. برت؟ أكان ذلك تأثير برت؟

نعم بالطبع، كانت هناك مشكلة الأمن، تستطيع أن ترى ذلك، ولكن ذلك لم يغير من شعورها.

هناك شىء قد انقطع بينه وبينها؛ لقد فصل نفسه عنها.

كانت بسبيلها لأن تفعل شيئًا فى هذا الشأن. تغادر، تذهب إلى كوميون آخر، تهجره (ولكن عند ذلك شعرت ببرودة وحزن فى جسدها كله)، تقول له إن.... تقول شيئًا ما، ولكنها لن تستمر هكذا. الناس على حق، لقد استغلها.

عند ذلك، أخذت رزمة نقود الرفيق أندرو من مكانها فى كيس نومها وذهبت إلى مكتب البريد.

ثم عادت إلى منضدة المطبخ، وجلست فى وقت متأخر من بعد الظهر، تراقب ضوء النهار، وهو يخفت فى السماء، وتشعر أن البيت يظلم من حولها. لم تكن ترغب فى التحدث إلى أى أحد، لذلك عندما سمعت ريجى ومارى، ذهبت تتجول فى الشوارع وحدها. وقفت لبعض الوقت خارج الشقق السكنية التى كانت أمها تقطن إحداها. كانت الأضواء التى تراها أعلى واجهة المبنى ليس من بينها الضوء الخاص بأمها، لأن الشقة كانت

فى الخلف. ذهبت تحدق فى الضوء الخافت الذى يظهر اسم ميلينجز مكتوبًا على بطاقة. سارت عائدة إلى البيت، وهى تأمل أن يكون المطبخ خاليًا. كانت الساعة الحادية عشرة.

لم يكن هناك أحد. لابد أن تنام جيدًا، وتقرر ما سوف تفعله فى الصباح. من المحتمل أن تزور أحد الكوميونات أو المرابض التى بها أصدقاء لها. أو ربما تذهب إلى المهرجان الماركسى الصيفى فى هولندا. من المحتمل أن تلتقى بأشخاص تعرفهم هناك؛ وإذا لم يحدث، فسوف تصنع صداقات جديدة.

شىء واحد كانت قد قررته بالفعل: إنها لن تكون هنا عندما يعود جاسبر وبرت خلال عشرة أيام - لا، أقل من أسبوع واحد الآن.

كانت تتمنى أن تغرق فى نوم عميق على الفور وتهرب من التفكير، ولكن لا أحد استطاع أن ينام كثيرًا فى ٤٣ تلك الليلة، لأن فاى كانت تصيح وتصرخ وتدق على الحوائط.

فكرت آليس - لأول مرة - أن سبب وجود فاى هنا، وليس فى الكوميون النسائى حيث تقضى الاثنتان أكثر أيامهما، هو أنها لم تلق ترحيبًا هناك - بل وقد طردت من هناك، فى الواقع. فهن لن يتحملن كثيرًا تلك المجنونة. وقد نِلْن ما يكفى منها. واضح، عندما تفكر فى الأمر: يمكنها أن تقضى اليوم هناك، ولكن ليس الليل، تزعج الآخرين فى نومهم. ولكن روبرتا المسكينة ! كان صوتها الحنون، المُلِحّ، والخفيض، فى شغل مستمر طوال الليل، تقريبًا، يهدئ ويعاتب.

وكالمعتاد، فكرت آليس، وهى ترقد مستيقظة، تستمع إلى مواجع فاى، وتعاستها، أنه فى يوم قريب، لن يكون هناك أشخاص مثل فاى. وسوف يرجع فضل ذلك إلى أشخاص مثل آليس. وحتى موربيل. لن يكون هناك المزيد ممن دمرتهم الحياة.

كانت تفكر، أيضًا - بثبات، تاركة عقلها ينفتح على منظور تلو الآخر - فى معانى ما تعلمته منذ جاءت إلى هنا. إنها ببساطة لم يكن لديها أية

فكرة قبل ذلك! عن وجود هؤلاء البشر، فى كل أنحاء البلاد - الشبكات، حسب تعبير الرفيق أندرو. أناس مهرة، يراقبون وينتظرون، وعندما يرون أناسًا (مثلها ومثل بات) قد نضجوا، ويمكن أن يكونوا نافعين حقًا. لا يرتاب فيهم البرجوازيون الصغار، الذين تستعبدهم البنية العقلية العليا لبريطانيا الفاشستية الإمبريالية، العبيد المساكين للدعاية، هؤلاء الملاحظون، المراقبون، هم الأشخاص الذين يمسكون كل الخيوط فى أيديهم. فى المصانع، فى صناعات كبرى (حيث كان الرفيق أندرو يريدها، آليس، أن تعمل)؛ فى الخدمة المدنية (وذلك هو المكان المناسب جدًا للرفيقة موريبل!)؛ فى الـ بى. بى. سى، وفى الصحف الكبرى - والواقع أن هذه الشبكة كانت فى كل مكان، وحتى فى الأماكن قليلة الأهمية مثل هذين البيتين، رقم ٤٣ و٤٥ مجرد مرابض وكوميونات عادية. لم يكن هناك شىء أصغر من أن يكون تحت الملاحظة، كل شخص بأى نوع من الإمكانات كان ملحوظًا، ومراقبًا، ومدخرًا.... أعطاها ذلك شعورًا بالأمان والارتياح.

***

أخيرًا، نامت آليس، عندما أصبحت فاى صامتة، وكان يمكن أن تستمر فى النوم أثناء الصباح، ولكن روبرتا طرقت بابها، ثم صاحت من الخارج أن هناك شيئًا مهمًا لابد أن تقوله.

نهضت آليس فورًا، وهى تتأهب لسماع أخبار سيئة.

بدت روبرتا فى حالة سيئة، وهو أمر طبيعى تمامًا. كانت عيناها حمراوين، ووجهها يكسوه الإنهاك الشديد، إضافة إلى أنها كانت منهارة، أو تراجعت إلى روبرتا الأخرى. كانت تبدو فى مظهر امرأة فاسقة، مثل امرأة داعرة من أحد أفلام سنوات ١٩٣٠، وخاصة عندما وضعت سيجارة فى فمها وتركتها معلقة بين شفتيها، وهى تتكلم، رابضة إلى جانب كيس نوم آليس. كانت ترتدى ثوب نوم قذرًا.

"آليس، لدى أخبار سيئة. أمى فى المستشفى فى برادفورد. أنا مضطرة إلى الذهاب. أترين؟ مضطرة."

رأت آليس أن روبرتا كانت لا تزال تتحجج بفاى فى عقلها، وسألت: "ماذا حدث لها؟"

قالت روبرتا، باكتئاب: "سرطان. إنها مريضة منذ وقت طويل. كان ينبغى أن أذهب قبل ذلك."

كان صوتها أيضًا منكفئًا: لهجات المناطق الشمالية واضحة بقوة. هل جاءت من أحد الأحياء المفرطة فى الفقر بإحدى المدن الصناعية الشمالية؟

كانت آليس ترى بالفعل كل شىء. إنها على وشك أن تطلب منها أن "تعتنى" بفاى، التى لا يمكن تركها فى الكوميون النسائى؛ فبدون روبرتا لن يقبلوا فاى حتى أثناء النهار. ولابد لها هى، آليس، ولعدد غير محدَّد من الأيام، أن...

قالت: "فى واقع الأمر، لقد قررت للتو أن أرحل." وبدا صوتها مختنقًا، مريرًا، مثل صوت روبرتا.

ولكن عندئذ بدأت روبرتا تبكى بصوت مرتفع. وأمسكت يد آليس بقوة، وهى تنظر إلى عينيها، قائلة: "أوه، يا آليس، أرجوك، أرجوك، أرجوك، أنا لا أستطيع ترك فاى بمفردها، كيف أفعل هذا؟"

كانت روبرتا ترتعش. وشعرت آليس بما هى فيه من إنهاك ينتقل إليها من خلال يدها المتشبثة بها.

قالت آليس: "ثم أنك لا تعلمين كم من الوقت سوف تغيبين، أو أى شىء."

تركت روبرتا يد آليس، وجلست تحدق من فوق ركبتيها المثنيتين، تتدلى السيجارة من شفتيها، وعيناها خاويتان. الحيلة الأخيرة.

قالت آليس: "يا إلهى، أفترض أنى يجب أن أفعل ذلك. ولكنى لست أنت، يا روبرتا. ولن أعامل فاى كالأطفال كما تفعلين....".

أطرقت روبرتا فجأة. ثم وضعت رأسها فوق ركبتيها، فاصطدمت السيجارة بكيس النوم. فنفضتها آليس بخفة، وجلست تراقب روبرتا وهى جاثمة، ذراعاها حول ركبتيها، فى وضع جنينى.

وسمعتها تقول: "آليس، ... إنك لا تعلمين ماذا يعنى ذلك بالنسبة لى. لا يمكنك....".

قالت آليس: "بالطبع يمكننى، ولكن بدونك، لا يمكن أن تنجح فاى على الإطلاق. سوف تكون فى مستشفى المجانين. لقد أنفقت وقتك كله لكى تضمنى أنها لن نقع فى أيديهم."

اعتدلت روبرتا، وجلست، والدموع تنهمر فى كل مكان، وقالت فى رجاء: "آليس...".

قالت آليس: "ولكن الموضوع له جانب آخر، أيضًا. فهى تتعامل معك على نحو أسوأ من أى شخص آخر. أنت تتيحين ذلك لها. "

وبينما بدا على روبرتا الاعتراض، استمرت آليس فى الحديث بعقلانية: "أوه لا، أنا لم أقل إنها ليست مخبولة. فهى بالفعل مخبولة. ولكنى لاحظت من قبل أنه أحيانًا يتصرف شخص مثلها بشكل طبيعى تمامًا مع الجميع، ويدبر أمره جيدًا، بحيث إنك لا تتصورين أبدًا أنه مخبول، ولكن هناك شخصًا واحدًا فقط، ومع ذلك الشخص، يكون خارج السيطرة. وهو أمر يدعو إلى التعجب."

كانت روبرتا تراقبها عن كثب، وقد أشعلت سيجارة أخرى، ولكن عينيها لم تفارقان وجه آليس، أثناء هذا الحوار. رأت آليس أن روبرتا البيت رقم ٤٣ قد عادت مرة أخرى، بينما انطوت واختفت شخصية روبرتا المسكينة ذات الماضى البغيض.

قالت روبرتا بدون أن يبدو عليها أى ضيق: "نعم، لقد فكرت فى ذلك بنفسى. إنه غريب، أليس كذلك؟ فاى طبيعية مع أى شخص آخر. حسنًا، بشكل دائم تقريبًا.. " هنا شجعت آليس، بابتسامة كئيبة، على تذكر ما

حدث عندما جرت فاى، وهى تصرخ إلى أسفل السلم لتطرد مونيكا. وأشياء أخرى. "أظن أنها معك ستكون على ما يرام."

"ما لم تحاول الانتحار."

نظرة حادة، مُنْكِرَة. مع هزة رأس سريعة، وعرفت آليس أنها تعنى: أنا لست مستعدة حتى للتفكير فى ذلك.

"حسنًا لابد أن نفكر فى ذلك."

"انظرى يا آليس، لابد أن أرتدى ملابسى وأذهب. أمامى ساعة واحدة كى ألحق بالقطار."

خرجت روبرتا سريعًا، ثم عادت، كما كانت آليس تتوقع، ومعها قنينتان بهما أقراص دوائية.

"إذا كان فى وسعك، تأكدى أنها تناولت هذه فى الصباح، وهذه قبل أن تذهب إلى الفراش."

أخذت آليس القنينتين وعلى عينيها نظرة تقول: إنك تعلمين تمامًا أننى لا أستطيع أن أجبرها على فعل أى شىء.

قالت روبرتا: "لا فائدة من أن أقول شكرًا لك. فما فائدة الشكر. ولكن إذا كان فى وسعى أن أساعدك فى أى وقت..."

ثم ذهبت، وبعد خمس دقائق سمعت آليس خطواتها وهى تهبط الدرجات، جريًا، ثم إلى خارج البيت.

لن تستيقظ فاى حتى منتصف النهار، أو بعد ذلك.

أخذت آليس وقتها فى الاستحمام وارتداء ملابسها، وكانت فى المطبخ تشرب القهوة عندما دخلت كارولين.

كانت من قبل ترغب فى أن تكون صديقة لكارولين، ولكنها الآن تشعر أن تلك من المؤكد ستكون القشة الأخيرة.

قالت كارولين، وهى تتجه إلى البراد وبرطمان القهوة، وكأنها تعيش هناك بالفعل: "آليس، جئت لأسأل إن كان من المقبول أن أنتقل للإقامة هنا."

هزت آليس كتفيها بلا مبالاة، لكنها مدت كوبها لكارولين لتملأه.

كارولين، بعد نظرة سريعة متفحصة لآليس من عينيها الحادتين، ملأت الكوبين وجلست على الجانب الآخر من المنضدة.

"ماذا حدث؟"

أخبرتها آليس.

قالت كارولين: "مشكلة قصيرة الأمد،" وبذلك أنهت الموضوع.

ضحكت آليس. "حسنًا جدًا، إذًا، ..... فماذا حدث فى البيت المجاور؟"

جلست كارولين برشاقة تقلب السكر فى كوبها، وكانت تلك فى حد ذاتها إشارة تدل على حرية الإرادة فى هذه الأيام، التى يعترف فيها الناس أن السكر يمثل مشكلة تمامًا كما كانوا يفعلون أمام مشكلة شرب الخمر. واحدة، اثنتان، ثلاث ملاعق شاى كبيرة وضعتها كارولين فى الكوب، ثم رفعته لتشرب، فى استمتاع صريح وشره.

ضحكت آليس ثانية، بصورة مختلفة. كانت على حق: كانت هى وكارولين فى بداية تلك العملية الغامضة المعروفة بـ "الانسجام".

"أغارت علينا الشرطة ثانية الليلة الماضية."

"ألم ترتبوا الأمر بعد مع المجلس؟"

"كنا دائمًا على وشك أن نفعل ذلك، ولكننا لم نفعل بعد. على أية حال، هذا لن يصنع أى فرق."

"إذًا، عم كانوا يبحثون؟"

"كانوا بالتأكيد يبحثون عن شىء ما. لقد فتشوا المكان جزءًا جزءًا."

"ولكن لم يكن هناك شىء؟"

"لا شىء."

كانت كارولين تنتظر الأسئلة التى تصوغها آليس فى عقلها.

"إذًا لم تكن هناك وشاية من أحد؟"

"لا نظن ذلك. فى الواقع، أعتقد أنهم كانوا يبحثون عن مخدرات."

"ولكن لا أحد يستخدمها، أليس كذلك؟"

"خضراء، بالطبع. ليس هيروين. لا، أعتقد أنهم كانوا يعتقدون أن ٤٥ كان مخبأ للمؤن. كما تعلمين، بالة أو اثنتين من أجود أنواع الهيروين مخبأة تحت الأرضية."

كانت آليس تفكر، بإمعان. كان وجهها مقطبًا، مثل وجه كلب قلق.

قالت كارولين: "هاى، اهدئى، لم يحدث ضرر."

"منذ متى تأتى أشياء وتختفى فى البيت الثانى؟"

"ليس منذ زمن بعيد. عدة أسابيع. وعادة لمدة يوم تقريبًا. وأحيانًا لمدة ساعة أو اثنتين."

"دائمًا للرفيق أندرو؟"

"حسنًا، إنه نظم الأمر كله."

"كيف وصل الرفيق أندرو إلى المنزل الثانى فى المقام الأول؟"

"لقد تقابل مع موريبل فى مكان ما. إنه حقيقة مغرم بموريبل."

"إنك تقولين إنه اختار ٤٥ ليقيم فيه لأن موريبل كانت هناك؟"

"لم يكن يقطن هناك بصفة منتظمة. إنه يأتى ويذهب. لا أظن أنه أقام أكثر من يومين أو ثلاثة فى كل مرة."

"والرفيقة موربيل مغرمة بأندرو."

"فى واقع الأمر، أعتقد أنها هى الجانب الأضعف، التى تدير الخدا". . . .

"أوه حسنًا، أنا لا أهتم بذلك كله،" قالت آليس بأسى واشمئزاز، كالعادة. "على أية حال، يبدو الأمر برمته مزعجًا جدًا وغير مفهوم. "

"لماذا؟ البرهان فى الحلوى. جاءت الشرطة بالفعل فى المرات الثلاث التى كنتُ فيها هنا. ولم يجدوا شيئًا أبدًا. ذات مرة كانت نصف أكياس القمامة فقط كافية لتغطية ما كان حقًا بداخلها."

"وماذا كان بداخلها؟"

كانت كارولين تغرف بالملعقة كتلة سميكة من السكر الأصفر المبتل من قاع كوبها، وتلعقه ببطء بلسان قرنفلى اللون ممتلئًا، وقالت بابتهاج: "أشياء، كما تعرفين."

كانت آليس صامتة، تستوعب كل ما يمكنها من هذا المخلوق الصحى الصريح، الذى جلس هناك ينضح بالاستمتاع الطبيعى. كانت تحاول أن تفهم السر. ولكن، لاحظت آليس، رغم أنها تبدو مثل فقمة معسولة اللسان، تبتسم بلا تحفظ، وتتحدث - كما هو مفترض - عن المتفجرات. إلا أن عينيها ظلتا ضيقتين لا تلينان، تمنحانها نظرة ماكرة، بل وباردة، ارتاحت آليس لرؤيتها. وشعرت أن كارولين يمكن أن يعتمد عليها.

علقت بصورة حيادية: "حسنًا، أنا أعتقد أنها متفجرات، هذا ما تصوَّرته من البداية، حقًا."

"حسنًا، هذا الشىء. ولكنى قلت للرفيق أندرو، قلت: "هل سُئل أىٌّ منا فى الواقع عما يدخل ويخرج؟ لا يبدو أنى أتذكر أن تصويتًا جرى حول هذا الموضوع؟"

"هل كُنْتِ هناك قبله؟"

"بفترة طويلة. انتقلت إليه قبل عام. وكنت هناك بمفردى لأسابيع، ثم جاءت موربيل. ثم، فجأة، جاء أندرو. لم نعلم أبدًا كيف سمعت موربيل عنه

. يمكننى أن أقول إن الرفيقة موريبل ليست إحدى النزلاء الطبيعيين للأماكن المهجورة والمرابض. "

"لا. "

"ولكنها استولت على المكان. وبعد ذلك كان بول وإدوارد . الآن، أعتقد أنها طلبت منهما المجىء للإقامة لأن أندرو طلب منها أن تفعل ذلك، ثم طلبت أنا من بعض أصدقائى، ثلاث بنات، يقمن فى بيت مهجور حالته سيئة فى كامبرويل. ولكن موريبل سرعان ما تخلصت منهن."

"كيف؟"

قالت كارولين بحكمة، مبتسمة نتيجة المتعة التى كانت تستمدها من التحدث، ولأن هناك من يفهمها: "ليس بسبب شىء فعلته، ولكن بسببها هى..."، وانتظرت أن تضحك آليس. ضحكت آليس. استطردت كارولين: "إنهن ببساطة لم تعجبهن الطريقة التى فرضت بها موريبل سيطرتها، ثم عندما جاء أندرو، غادرن."

جلست آليس تفكر. كانت تعلم، من طريقة كارولين فى النظر إليها، أن ما يفترض منها أن تفعله هو....

قالت آليس فى النهاية: "حسنًا جدًا، إذًا فأنت لا تحبين الرفيق أندرو. "

تساءلت كارولين: "من هو الرفيق أندرو؟ من هو حتى يصدر أوامر ويقول ما يجب وما لا يجب أن يحدث؟"

"لسنا مرغمين على أن نفعل ما يقول. ومن حقنا أن نقول لا أو نعم. "

ولكن من الصعب أن نقول لا عندما تصل ببساطة عربة تحمل خمس حقائب من الكتيبات. أو ما شابه ذلك."

مزيد من القهوة. مزيد من السكر. لم تستطع آليس أن تمنع نفسها من التفكير: ولكن أسنانك...

وأعلنت كارولين، وهى تبتسم، مذعنة، بمودة، ولكن عينيها الصغيرتين البنيتين كانتا تعكسان نظرة محكمة وعنيدة: "أتعلمين؟ أنا لا أعبأ بالاتحاد السوفيتى اللعين. أو بالـ كيه. جى. بى. اللعينة. أو بأى شىء من ذلك."

صُدمت آليس بشدة لاستخدام كلمة كيه. جى. بى. بهذا الشكل؛ فهى لم تكن تقول لنفسها فى الواقع، إننى متورطة مع المخابرات السوفيتية. إلى جانب أن، الكلمات قيلت بأسلوب قاسٍ من الصعب أن يُقرن بالرفيق أندرو. ظلت صامتة لحظات، ثم قالت: "ولكن الحصول على التدريب أمر طيب. أعنى بالنسبة لبعض الأشخاص."

"بالنسبة لبعض الأشخاص. وإذا كانوا يريدون هذا النوع من التدريب."

قالت آليس بضيق فى النهاية: "هناك شىء غير لائق فى الموضوع برمته." كان من الصعب أن تنتقد الرفيق أندرو. جهارًا على الأقل؛ ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من ذلك فى عقلها.

"تمامًا. وهل تعلمين ما هو؟ الغريب أننى كنت أعطى المسألة أعظم الاهتمام."

ضحكت آليس، كما هو متوقَع منها.

"نعم. من تجربتى، التى ليست واسعة، ولكن كافية، كل شىء يتبدل ليكون نوعًا من الخليط غير المفهوم. أنك تتخيلين مؤامرات مذهلة تُحاك بذكاء فى الخفاء، مُحكَمة بكفاءة تامة حتى آخر تفاصيلها الخيالية، ولكن الأمر ليس كذلك، عندما تكتشفين الحقيقة حول أى شىء، ناهيك عن مؤامرات المخابرات السوفيتية، فهى دائمًا ما تكون عبثًا ساذجًا غبيًا."

هنا كانت آليس تشعر بالانزعاج حقًا. بسبب أن أمها كانت قد قالت ذلك الشىء نفسه. كانت تقوله مؤخرًا كجزء من هذه المرحلة المزعجة الجديدة التى كانت تعيشها. مرارًا وتكرارًا فى السنوات الأربع الأخيرة، كم من المرات لم تنصت آليس لاعتراضات دوروثى ميلينجز، وبتلذذ فى فضح

الأمر كله مما جعل آليس تجن، "مجرد تشوش لعين آخر، هذا كل شىء. لقد أفسدوا كل شىء. أوه، لا تضيعى وقتك وأنت تجلسين هناك تحاولين حل كل المشاكل! إنها مجرد لخبطة أخرى صغيرة." عادة تقول ذلك لزوى دفلين. التى تحاول أن تجادلها ـ تجادل دوروثى. بنفس الطريقة التى كانت تفعلها مؤخرًا مع أمها، بصبر ودأب، عندما كانت تتحدث بهذه الطريقة. "دوروثى، لا يمكن أن يكون كل شىء مشوشًا، ماذا جرى لك، يا دوروثى؟ يبدو وكأنك لا تستطيعين التفكير بحكمة مرة أخرى؟" وتقول دوروثى ميلينجز لزوى دفلين: "لا أستطيع التفكير؟ أعتقد أنها أنت. أنت تعيشين فى عالم من الأحلام الوردية، أنت تعتقدين أن كل شىء يسير بلا توقف، كل شىء معقول وناتج عن قرارات ناضجة! حسنًا، هذا لا يحدث! إنها مجرد فوضى لعينة كبيرة جدًا."

كان الإنصات إلى كلمات أمها تنساب بشكل ودى جدًا من وجه كارولين المبتسم الصريح بمثابة ضربة لآليس، فبهذه الطريقة أصبح العالمان اللذان تعيش بينهما فى حالة تداخل مشوش، حتى فاتها قدر كبير مما كانت كارولين تقوله. وعندما أنصتت ثانية سمعت: "أعتقد أن رفيقنا أندرو لم يكن على قدر مسئولية موقعه. أعتقد أن الغرب تسلل إلى رأسه. حياة الترف، كما تعلمين."

قالت آليس باشمئزاز: "إذًا، فليكن الله فى عونه."

"هو كذلك، إلى حد بعيد. وكانت مورييل أكثر مما يستحق، فتاة من المقاطعات الغنية، حى رويدين وكل ذلك."

"رويدين، أهى كذلك؟"

"مدرسة رويدين الداخلية لبنات الطبقة الراقية، وتعلم الأطعمة الراقية. آليس من العجيب أن تتجه الطبقات العليا إلى الشيوعية. هل تعتقدين أن الرفيق ماركس قد استطاع استبصار مثل هذا المستقبل فى كرته البلورية؟"

"من التى تقول ذلك؟" قالت آليس ذلك، للتعبير عن أنه ليس من الصواب التحدث عن ماركس هكذا.

"أنا؟ أنا لست من الطبقة الراقية. مجرد طبقة متوسطة قديمة مضجرة، مثلك."

"أنا من جيل يبعد جيلاً واحدًا عن الطبقة العاملة. من جانب أمى."

قالت الرفيقة كارولين وهى تضحك: "تهنئتى الخالصة".

قالت آليس: "من أجل كل هذا، أنا متأكدة أن الرفيقة مورييل ستكون جيدة جدًا. "

"من قال إنها لن تكون؟ لقد ولدت لذلك. أستطيع أن أرى المانشيتات الرئيسية الآن: 'تم الإمساك بالخلد الأحمر متلبسًا بجريمة فى ال... 'أين فى اعتقادك؟"

قالت آليس غير قادرة على منع نفسها: "الـ بى. بى. سى".

"صحيح. أو التايمز. الجارديان، ألا تظنين؟"

"لا، التايمز، هذا النمط لا يناسب الجارديان. ولكن من المحتمل مع الوقت والتدريب... إنها شديدة الذكاء، أنا على يقين أنها كذلك."

"وكذلك أنا، ولكن الرفيق أندرو لم يغرم بالرفيقة مورييل بسبب أن لديها إمكانية جاسوسية. فقد كانا نادرًا ما يبتعدان عن الفراش. أو، بتعبير أكثر دِقَّة، عن أرضية الغرفة."

أدارت آليس مفتاح الكهرباء. وقالت بشكل مبهم: "أوه حسنًا، أنا لا أهتم بكل ذلك. وهكذا. ذهبت موريل. وذهب أندرو. وأنت تريدين أن تأتى هنا. لم يبق هناك إلا..."

"وجوسلين تريد المجىء إلى هنا، أيضًا."

"إذًا لن يبقى سوى بول وإدوارد بالبيت الثانى؟"

"سينتقلان إلى شقة هذا الأسبوع. لقد عثرا على عمل. وبالأحرى، عثر أندرو لهما على عمل. فى مكان استراتيجى جدًا. قال ذلك ناف."

"إذًا سرعان ما سوف تكون هناك مجموعة مختلفة من سكان المرابض فى البيت الآخر."

"شريطة ألا أكون هناك. لا ماء ساخن. برد مثل سيبيريا. ليس مثل هذا البيت."

كانت هناك غرفة خالية فى الطابق العلوى، وأخرى بجوار حجرة روبرتا وفاى.

قالت آليس: "لا أفهم لماذا لا يحدث ذلك."

"لا أستطيع الانتظار حتى أحضر. وبالإضافة إلى كل ما هنالك، حفرت الشرطة تلك الحفرة فى الحديقة، وكل النفايات التى دفناها متناثرة فى كل مكان."

لسبب ما بدا هذا لآليس القشة الأخيرة التى كانت تتوقعها. صرخت: "أوه لا، أوه، يا إلهى، لا."

"أوه نعم. عدنا إلى المربع صفر. عندما حفروا كل شىء، قلنا لهم ألن تعيدوا كل تلك النفايات إلى مكانها؟ فقالوا 'اذهبوا إلى الجحيم. 'إنه 'أولد بيل 'الساحر. حسنًا سأحضر أشيائى."

ذهبت آليس إلى البيت الثانى معها ووقفت عند البوابة تنظر إلى الداخل. النفايات فى كل مكان، ورياح ربيعية خفيفة تهب عليها. كانت الحفرة حيث رأتها ـ ولكن ماذا؟ ـ كان خندقًا قبيحًا وأكوام التراب الباهت متناثرة فى كل مكان.

ولكنها لا تستطيع ترك فاى وحدها هكذا، ومن ثَمَّ عادت أدراجها.

***

لم تنزل فاى حتى المساء، وبدت شاحبة وحزينة ومستعدة للبكاء، ولكنها كانت تسيطر على نفسها وترغب فى المشاركة فى وجبة المساء المشتركة، مع كارولين وجوسلين ومارى وريجى وفيليب وآليس.

كان الأمر يسير على ما يرام عندما، وفى نحو التاسعة، كان هناك طرق عنيف على الباب.

قالت كارولين: "أوه لا، ليس مرة أخرى"، بينما كانت آليس بالفعل أمام الباب، تفتحه وعلى وجهها ابتسامة.

شرطيان، أحدهما ذلك الشاب ذو الوجه الشرير. كانا فى مزاج سيئ، وقد أرسلا لمهمة ليس لديهما الرغبة فى القيام بها.

قال الشاب القبيح: "وردت إلينا معلومات أنكم تخفون شيئًا فى حديقتكم، سوف نقوم بالحفر."

قالت آليس: "تعلمون ما فى الحديقة. لقد أخبرناكم،" وهى تحافظ على وجه لا أثر للضحك فيه. كانت تعلم أن أى استفزاز سوف يجعل هذين الاثنين يشرعان فى تحطيم المكان رأسًا على عقب.

قال الشرطى الآخر الذى لم تكن آليس قد رأته من قبل: "نعلم ما أخبرتونا به".

قالت آليس: "سوف أحضر لكما مجرافنا."

"لدينا المجراف الخاص بنا، شكرًا لك."

صحبتهما آليس إلى حيث الحفرة التى كانت قد حُفرت. كان ضوء المطبخ يسقط على المكان.

قال الشاب الشرير موجهًا حديثه إلى الآخر: "هذا هو المكان الذى حفرت فيه الأرض".

انسحبت آليس بسرعة إلى المنزل. قالت للآخرين، الذين كانوا على وشك الانفجار فى الضحك: "لا، لا، إياكم أن تضحكوا، وإلا سوف ينتقمون منا بسبب ذلك." ثم قالت لفاى التى كانت تكتم الضحك وهى على حافة

حالة هستيرية لا سبيل إلى كبحها: "فاى، لا تفعلى." كانت آليس تعلم أنه إذا حدث استفزاز لذلك الشرطى المريض نفسيًا الموجود بالخارج نتيجة عدم سيطرة فاى على نفسها، فمن الممكن أن يفعل أى شىء. "نستطيع أن نضحك فيما بعد، ليس الآن."

قالت كارولين: "إنها على حق." وجلسوا صامتين متبلدى الوجوه، يعانون من محاولة احتواء الضحك.

بالخارج، فى الضوء المتدفق من النافذة، حفر الرجلان، عدة دقائق لا أكثر، ثم استويا واقفين وهما يستندان على مجرافيهما، ثم اختفيا.

كانت آليس حريصة على ترك الباب الأمامى مفتوحًا، حيث يمكن رؤيتهم بوضوح وهم جالسون لتناول عشائهم حول المائدة: فى مطبخ مريح، وزهور وطعام.

توجهت إلى الباب الأمامى، تنظر بأدب ورغبة فى المساعدة.

كان الشرير على استعداد للانفجار بسبب حدة المزاج.

صاح: "أنتم أيها الناس، لابد من محاكمتكم." وهو يمر ببصره عبر آليس إلى المنظر فى المطبخ.

قالت آليس: "لقد أخبرناكم بكل شىء كما فعلناه تمامًا. ... وقد جئت بنفسى، لأملأ تقريرًا." كانت تعلم أن تلك الجملة، "املأ تقريرًا"، هى الصحيحة.

وقف يكز على أسنانه أمام آليس، متأهبًا ومشحونًا للهجوم والتدمير. ولكنها كانت حريصة على إبقاء عينيها بعيدتين عنه، وأن تبدو سلبية ومعتدلة تمامًا.

كان الرجل الآخر قد عاد بالفعل إلى سيارة الشرطة.

وخلال دقيقة كانا قد رحلا. وأخذت آليس مجرافهم الخاص وقامت بسرعة بردم ما حفروه. ليس سيئًا جدًا؛ كانت الطبيعة ـ كما هو متوقع ـ تقوم بعملها بشكل رائع.

عادت إلى المطبخ، فكان ظهورها إشارة إلى بدء احتفال الضحك والسخرية. وبدا أنهم لا يستطيعون التوقف عن الضحك، وعلى وجه الخصوص كارولين وجوسلين، اللتان كانت الحكاية بأكملها جديدة بالنسبة لهما. ولم تشعر آليس كثيرًا برغبة فى الضحك. كانت تعلم أنها ليست النهاية؛ وأن زائرَيْها سوف يعودان.

كانت تعلم، أيضًا ـ وهى تنظر إلى فاى، أن احتمال النوم ليس كثيرًا تلك الليلة. وبالفعل، كانت الساعة قد تعدت الثالثة عندما صعدت فاى إلى الدور العلوى. وقبلت تناول قرصين من "مجادونين" من آليس، وقالت على نحو جميل، تصبحون على خير.

ومع ذلك، سرعان ما بدأت فى البكاء. ليس ذلك البكاء الغاضب المفعم بالضجيج الذى تعودت عليه أثناء وجود روبرتا، ولكن نشيج الأطفال اليائس المتقطع. دخلت آليس غرفتها، وجلست معها، ممسكة بيدها. ولم تنم فاى حتى السابعة صباحًا، ونامت آليس وهى جالسة هناك بجوارها.

مرت عدة أيام. كانت فاى تحاول بصعوبة تجاوز الأزمة، كانوا جميعًا يعلمون ذلك، ويساندونها. كانت عندما تسمع أشخاصًا فى المطبخ، تنزل إلى هناك وتجلس معهم، وتتحدث فى كل شىء بشكل مسلٍ بقدر ما تستطيع، بلهجتها البسيطة الشعبية، ولكنها كانت فجأة تنزع إلى الصمت، والتحديق؛ وعندئذ يحاول أحدهم تنبيهها برفق وإعادتها إلى طبيعتها معهم ثانية.

عرضت أن تُرِى آليس طريقة إعداد طعام اقتصادى من الخضراوات، وكان شهيًا جدًا، واستمتعوا جميعًا به. تساءلت آليس كيف يمكنها أن تتحمل - إذا كانت واعية بذلك - طريقة المعاملة التى يبدو بها كل شخص متأهبًا لمد يد المساعدة لها فى حالة الانفجار والانهيار. ولكن لم يحدث أن انهارت، أو بكت. وبدت طبيعية تمامًا، بل وعادية، حتى أن كارولين وجوسلين قالتا إنهما لا تعرفان لماذا استرسل الناس فى الحديث عن فاى. فهى لطيفة جدًا، وذكية جدًا، وما أكثر ما تعرفه عن السياسة. ظهر أن

فاى قرأت مقدارًا كبيرًا، أكثر من أىٍّ منهم، وعلى وجه الخصوص قرأت أعمال الفيلسوف الماركسى ألتوسير، وكتبت جزءًا من رسالة حول ألتوسير فى الجامعة، رغم أنها لم تقض فى الجامعة سوى دورتين دراسيتين فقط، قبل إصابتها بانهيار عقلى.

لم تذهب فاى إلى الفراش حتى ساعة متأخرة جدًا، وعندما كانت ذاهبة، قالت لآليس إنها ستكون على ما يرام ولا تحتاج مساعدة.

كانت آليس تستيقظ كثيرًا أثناء الليل، للإنصات من خارج غرفة فاى. كانت تعتقد أن فاى لا تنام تقريبًا؛ فكثيرًا ما كانت تبكى بهدوء، حتى لا تزعج الآخرين. وأحيانًا كانت آليس تسمع حركتها فى الغرفة، تشعل السجائر، وأيضًا تغنى قليلا لنفسها.

كتبت روبرتا؛ لديهم عنوان المستشفى. أمها تحتضر ببطء؛ وسوف تعود بأسرع ما يمكنها.

مر أسبوع. لابد أن يعود جاسبر وبرت الآن، ثم وصلت بطاقة بريدية من جاسبر، موقعة من الاثنين، من أمستردام، تقول: "كنا نأمل أن تكونى هنا. سنعود سريعًا."

قضت كارولين وآليس الكثير من الوقت معًا. كانت آليس مستنزفة، ومتعبة، وتحتاج إلى حيوية كارولين الطبيعية، وروحها الطيبة. أعجبت كارولين بآليس، ولم تستطع التوقف عن الحديث حول كيف تمكنت آليس من تغيير هذا المنزل.

كانت جوسلين فى حجرتها معظم الوقت. كانت الحجرة فى أعلى البيت. وبدا أنها ليس لديها الكثير مما يمكن أن تقوله لهم، أو، فى الحقيقة، الكثير مما يمكن أن تقوله لأى شخص. كانت فتاة صامتة، تراقب ـ فكرت آليس فى ذلك بخوف. ماذا كانت تفعل فى حجرتها؟ قالت كارولين: إنها كانت تدرس كتيبات حول كيف تكون إرهابيًا جيدًا. قالت ذلك بأسلوبها المازح.

ثم اقتربت نهاية الأسبوع.

فى يوم الجمعة، غادر ريجى ومارى إلى كومبرلاند بعد انتهاء مارى من عملها، للمشاركة فى يوم سبت آخر من المظاهرات. ورحلت جوسلين، قائلة فقط: "أراكم يوم الإثنين."

وقالت كارولين إنها ذاهبة لقضاء نهاية الأسبوع مع فتاها السابق، والذى كان قد تزوج من أخرى، ولكنهما منفصلان حاليًا، وهو لا يزال راغبًا فى الزواج من كارولين. أحيانًا كانت تفكر أنها سوف تتزوجه؛ وفى الغالب كانت تستبعد الفكرة. لكنها لا تزال تحب أن تكون معه؛ قالت إنهما يقضيان معًا وقتًا طيبًا. دعت آليس أيضًا للحضور. وكانت آليس ترغب فى ذلك، ولكن كانت هناك فاى. شعرت بالمرارة، وهى تجلس وحدها إلى منضدة المطبخ، ذهبت فاى إلى فراشها، وكان فيليب أيضًا بالدور العلوى.

لو كانت كل الأمور تسير بشكل ملائم - أىّ، لولا فاى - لكانت قد ذهبت دون أن تترك عنوانًا لجاسبر؛ لا يهم إلى أين. فهى فى الحقيقة لابد أن تضع قدمها على الأرض، وأن تقول إنها قد اكتفت. وحتى قد تتركه.

رددت لنفسها كم سيكون من الأفضل حالاً أن تكون وحدها، شعرت كيف تسللت البرودة والحزن إلى قلبها؛ وتوقفت، قائلة مرة أخرى: "أنا فقط سوف أريه، هذا كل شىء."

ولكن كيف يمكنها أن تريه أى شىء، إذا كانت تنتظر مذعنة هنا لحين عودته؟ والتى ستكون بلا ريب فى غضون يوم أو اثنين.

لا، لقد كان موضوع أُمّ روبرتا نكبة، بالنسبة لها بقدر ما هو بالنسبة لروبرتا وبالنسبة لفاى.

لذلك فقد جلست فى سكينة، تشرب القهوة، ثم المزيد من القهوة، وهى جالسة بمفردها.

لم تكن الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة عندما صعدت إلى أعلى. ووقفت خارج باب فاى منصتة: لا صوت. لم يكن هذا معتادًا. ففاى لا تنام أبدًا قبل الثانية أو الثالثة.

رأت آليس نفسها، واقفة هناك، وأذنها على لوح الباب فى الظلام، وشعرت بالغضب من نفسها ومن الجميع ومن حالة رثاء الذات. ذهبت إلى حجرتها وقررت أن تنام فى الحال. ولكنها لم تفعل. فعندما كانت آمنة فى غرفتها ترتدى قميص نومها الفيكتورى قرمزى اللون، ذهبت إلى النافذة ووقفت تراقب الاندفاع المرورى فى الطريق. كانت قلقة ولا تشعر بالارتياح على نحو غريب. وخارج باب فاى مرة أخرى، قالت لنفسها: هذا يكفى، اذهبى إلى الفراش وتوقفى عن ذلك! ولكنها لم تفعل أىّ شىء من ذلك. فتحت الباب برفق ووقفت هناك مثل شبح، تتوقع أن تسمع فاى تصرخ فيها أن تذهب بعيدًا، وتتركها بمفردها، وتتوقف عن التطفل... كان الضوء مطفأ، والغرفة مظلمة. كان يمكن بالكاد رؤية فاى، مكوَّمة فى الركن. هناك رائحة شديدة، استطاعت آليس أن تتعرف على أنها رائحة دماء، فتحت المصباح الكهربائى وصرخت. كانت فاى راقدة على ظهرها، ومستندة بعض الشىء على مساند مطرزة ومزركشة، وفمها مفتوح قليلاً، ورسغها المقطوع فوق فخذيها. والدم يغطى كل شىء.

وقفت آليس تصرخ.

كانت قد تنبأت بهذا، وفزعت منه، وتوقعت إلى حد ما أنه سيحدث. وكانت تعلم دائمًا أنها لا تستطيع أن تتحمل الدم، وأنها سوف تنهار إذا وجدت نفسها فى هذا الموقف. لذلك فهى ببساطة لم تجد فى يدها سوى أن تقف وتصرخ.

وصل فيليب. وصل صياحه إليها، مكتومًا وحذرًا: "آليس، آليس، ماذا حدث؟"

توقفت عن الصراخ. كانت فى ثياب نومها القرمزية الفضفاضة مثل أنثى فى ميلودراما فكتورية. أشارت بإصبعها إلى المشهد المروع، وهى ترتعد.

قال فيليب: "لقد قطعت رسغها."

ثم وضع ذراعه حول آليس، التى كانت أطول كثيرًا وأضخم منه، مما جعله يترنح. ومعًا، فقدا توازنهما، واستعاداه متشبثين بإطار الباب.

استعادت آليس إحساسها العام، ورباطة جأشها.

وأسرعت بجوار فاى. وكان الدم لا يزال يتدفق إلى الخارج فى موجات حمراء.

"قالت: "لابد أن نوقف الدم." وأخذت تبحث حولها عن أى شىء يمكن ربطه، عثرت على وشاح ملقى على كرسى، فربطته حول معصم فاى، مثل الأصفاد. فتوقف النزيف.

قال فيليب وقد استعاد سيطرته على نفسه: " سوف أتصل بالإسعاف."

صرخت آليس: "لا، لا، لا، ينبغى ألا تفعل ذلك."

"لماذا لا أفعل؟ إنها سوف تموت."

"لا، لا، لا، لن تموت، ألا ترى؟ يجب ألا تذهب إلى المستشفى."

"ولماذا."

"لن تسامحنا روبرتا أبدًا، فهى لا تريد ذلك. الشرطة، ألا تعلم؟ الشرطة..."

كان فيليب يحدق فى آليس، وكأنه ينظر إلى امرأة مجنونة.

"هل لدينا أى بلاستر فى هذا المكان؟"

قال مكروبًا: "ولماذا يكون لدينا بلاستر؟"

"أعلم. شريطك العازل. الشريط الذى تستخدمه ضمن أدواتك الكهربائية."

ذهب بالفعل ليحضره. وركعت آليس بجوار فاى، التى بدا أنها أصبحت شاحبة وجوفاء مثل ورقة شجر ميتة. تساءلت آليس، وهى تبحث هنا وهناك على نحو مسعور، كيف يمكن قياس نبض امرأة رسغاها مقطوعان؟ فى أى مكان آخر من الجسم يمكن تحسس هذا النبض؟ قرَّبت

خدها من فتحتى أنف فاى وشعرت بتنفس ضعيف. لم تكن قد ماتت. ولكنها فقدت دمًا كثيرًا، كثيرًا جدًا... كل شىء غارق فى الدم. كانت فاى ترقد فى بحيرة حمراء لزجة.

دخل فيليب يجرى، ومعه لفافة من الشريط الأسود. أحكمت آليس يدها حول رسغ فاى، مثل السوار، لوقف تدفق الدم. بينما ألصق فيليب الشريط على الجرح، ثم أمسكت بالرسغ الآخر، وقاما بقطع الوشاح.

قالت آليس: "لقد فقدت دمًا كثيرًا جدًا."

قال فيليب بعناد: "لابد أن يتم نقل دم إليها". كان وجهه مليئًا بالانتقاد لآليس.

"لابد أن ننقل سوائل لها. لا، انتظر....

جرت آليس إلى المطبخ فى الدور السفلى. وأعدت محلولاً من ماء دافئ وملحًا وسكرًا، لم يكن الجلوكوز متوفرًا. ثم صعدت تجرى به.

قال فيليب: "ما زالت فاقدة الوعى يا آليس،" تلك النظرة المشوبة بالغيظ والعداء لا تزال مرتسمة على وجهه. "كيف يمكنها أن تشرب إذا كانت فاقدة الوعى؟"

ركعت آليس، وأدخلت ذراعها تحت رأس فاى المتدلية، لكى تسندها جيدًا إلى أعلى، وبدأت تحاول سكب السائل فى فمها.

قال فيليب: "سوف يذهب إلى رئتيها،.إنك تغرقينها.

ثم، وفيما يشبه المعجزة، ابتلعت فاى.

قالت آليس بصيغة آمرة: "فاى، فاى، اشربى، لابد أن تشربى.

بدا أن فاى تريد أن تهز رأسها، ولكنها ابتلعت. ذلك لأنها كانت معتادة على تلقى الأوامر، أوامر روبرتا. كانت آليس تعلم ذلك، ولهذا تحدثت إليها بصوت ناعم ملىء بالحب مثل صوت روبرتا وقالت: "اشربى، لابد أن تشربى."

ببطء، على مدى ما يزيد على عشرين دقيقة، استطاعت آليس أن تضع حوالى نصف لتر من هذا المزيج داخل جوف فاى.

ثم اتكأت، والعرق يتصبب منها. كان العرق من الرعب، وكانت تعلم ذلك.

ركع فيليب عند قدمى فاى. ولم تتغير نظرته المعبرة عن عدم الموافقة، وأيضًا عن الفزع. كانت آليس هى التى روعته، وكانت تعلم ذلك ولكنها لم تهتم.

قالت، بصوت عالٍ: "لن تموت،" رفعت صوتها لإفادة فاى، وأيضًا فيليب.

وقالت: "ابق هنا. اجعلها تشرب المزيد، ما أمكنك. لابد أنها قامت بهذا قبل أن ندخل بدقيقة واحدة. سأذهب للاتصال بروبرتا."

أخذ فيليب مكانها، ذراعه ˉ ت رأس فاى. وتناول الإبريق المليء بالمحلول.

فكرت آليس، وهى تراهما هكذا - فاى البيضاء الضعيفة وفيليب الشاحب الضعيف - إنهما كانا من نوع واحد، الضحايا، وُلِدا ليُداسا ويُقتلعا. كان هذا التفكير يشوبه لمحةِ من الانتقام، فيما يختص بفيليب، لأنها كانت تعلم أنه لا يزال حاقدًا عليها.

جرت إلى المنزل المجاور الذى تقطنه جوان روبنز. كان البيت مظلمًا، وضعت آليس إصبعها على الجرس وأبقته عليه. وسمعتِ رنينه صاخبًا. فُتحت نافذة فوق رأسها، وسمعت صوت جوان روبنز، حادًا: "ماذا هناك؟ مَنْ بالباب؟"

صرخت آليس: "دعينى أدخل، دعينى أذخل"، وصوتها مثل صوت طفل، أو مثل صوت فاى: "أننى آليس،" وبكت، لأن جوان روبنز لم تترك النافذة فورًا. "آليس من البيت المجاور."

أضىء النور فى الصالة، ووقفت جوان روبنز هناك فى قميص نوم مشجّر وخفين من لون أحمر فاقع، كانت تبدو غاضبة، ومرتبكة، وخائفة.

تمتمت: "لابد أن أتصل بشخص. لابد. هناك شخص مريض،" وتنحت جوان روبنز جانبًا.

وعند الهاتف، أخذت تتلفت بحثًا عن الدفتر، الذى أخرجته جوان من غطائه البلاستيكى وأعطته لها.

عثرت على "دليل الاستعلامات،" وحصلت على الرقم، وأجرت اتصالاً بالمستشفى فى برادفورد، وتركت رسالة لروبرتا: "أبلغها أن صديقتها مريضة، لابد أن تأتى فورًا."

ثم بدأت تقلب الصفحات، بحثًا عن رقم آخر، ولم تتوقف حتى رأت كلمة "السامريون"، وعرفت ما كانت تريد أن تعرفه.

سألت جوان روبنز بفضول: "ألا تريدين ٩٩٩ " (*) "هزت آليس رأسها ووقفت، مقفلة العينين، تتنفس بشكل غير منتظم، وكأنها على وشك الإغماء، ابتعدت جوان إلى المطبخ لتعد لها كوبًا من الشاى.

اتصلت آليس بالجمعية الخيرية المسماة بـ "السامريين". جاءها صوت واثق ودمث. لم تسمع آليس الكلمات، ولكن فقط اللهجة. وقفت صامتة، تستمع. كانت عليها أن تقول شيئًا، وإلا فإن هذا الصوت سوف يتوقف، ويذهب بعيدًا.

قالت: "أريد نصيحتك، هذا كل شىء، نصيحتك."

"ما المشكلة؟"

لم تقل شيئًا، ولكن وقفت تستمع إلى الصوت العاقل، المساند. الذى استمر قائلاً إن آليس لابد ألا تغلق السماعة، وأن أحدًا لن يضع ضغوطًا

(*) رقم تليفون الإسعاف فى إنجلترا.

عليها أو أى شخص آخر، ولن يبلغ أحد عن آليس، مهما كان ما فعلته أو ما فعله أى شخص آخر.

لم تتحدث آليس حتى سمعت جوان روبنز قادمة. قالت بسرعة: "شخص ما قطع رسغه."

لم يكن هناك وقت للمزيد. وصلت جوان، ومعها فنجانان من الشاى الساخن.

التقطت آليس فنجانها فورًا، وهى تعلم كم كانت تتلهف إليه. ووقفت تحاول أن تشرب السائل المغلى، وهى تستمع، وتستمع. "لابد أن تأخذى صديقتك إلى المستشفى بأسرع ما يمكنك. استدعى الإسعاف. أطلبى «٩٩٩» إنها مسألة حياة أو موت. لابد بالفعل أن تفعلى ذلك."

قالت آليس فى النهاية وهى تنتقى الكلمات بسبب وجود جوان التى وقفت عاجزة بجوارها تشجعها على أن تشرب بالابتسامات ونظرات عينيها: "ولنفترض أنى لم أفعل؟"

"إذًا، إذا لم تفعلى. رغم ضرورة ذلك بالفعل. فأهم شىء هو أن تحافظى على صديقتك مستيقظة وتعطيها ما يمكنك من سوائل فى جوفها. هل يمكنها أن تشرب؟"

"نعم،" قالت آليس ذلك، واستمرت تصغى وكأنها تسمع بعض الموسيقى البعيدة المستحيلة، التى تشعرها بالهدوء والارتياح، والسكينة، وتقدم لها دعمًا ثابتًا ولانهائيًا.

بعد بضع دقائق، وضعت السماعة ببساطة، وبشكل رقيق، واختفى الصوت الرقيق العاقل فى عالم بعيد المنال. ضبطت وجهها ليبدو باسمًا كالمعتاد، ابتسامة فتاة طيبة، وقالت لجوان روبنز: "أشكرك. شكرًا جزيلاً. كان ذلك السامريون. هل سمعت عنهم؟"

"لقد سمعت عنهم، نعم."

قالت آليس، بغموض: "إنهم مفيدون جدًا، فى الحقيقة. ... حسنًا، الأفضل أن أعود. لقد تركت شخصًا يواجه مشكلة ولا أعتقد أنه معتاد على التعامل مع المرضى."

تبعتها جوان إلى الباب، بنظرة توحى بأن ما قيل لم يكن كل شىء، وتشعر بالأمل فى سماع ما لم يتم قوله بعد.

"شكرًا لك،" قالت آليس بأدب، ثم استطردت بحماس شديد وعرفان بالجميل: "شكرًا لك، شكرًا لك." وجرت مبتعدة فى الظلام. انتظرت جوان روبنز ليراها تدخل البيت رقم ٤٣، ثم عادت إلى مطبخها، حيث فحصت بقع الدم التى تلطخ دليل الهاتف وعلى المنضدة. مسحت المنضدة ووقفت تفكر لعدة دقائق، ثم قررت ألا تستدعى الشرطة، وذهبت بسرعة إلى فراشها.

وجدت آليس فيليب وفاى كما تركتهما تمامًا. غير أن فاى كانت عيناها مفتوحتين، وكانت تحملق فى السقف، بنظرة خالية من التعبير.

قالت آليس: "لقد اتصلت بروبرتا."

ثم بحثت حولها عن رداء نوم أو شىء ما، فعثرت على بيچامة، وأحضرت ماء ساخنًا وملابس. وقامت مع فيليب بتجريد فاى من ملابسها. ثم قاما بخلع كيس نومها المشرب بالدماء، والبطانيات، وسحبا الحشية المطاطية التى كانت مليئة بالدماء مثل الإسفنج، ثم تم غسل فاى وإلباسها، وأثناء ذلك كله كانت فاى منهكة ووديعة. ولكن آليس لم تكن مخدوعة. كانت تعلم أن فاى تنتظر اللحظة التى تدير هى وفيليب ظهرهما لها، حتى تقوم بنزع الأربطة عن معصميها.

تم إحضار كيس نوم آليس، والمزيد من البطاطين. وعثرت آليس على قربة للمياه الدافئة فى أحد الأدراج. استغرق الأمر وقتًا طويلاً، ولكن فى النهاية كانت فاى ترقد نظيفة محاطة بالدفء والراحة.

كانت الساعة قد تعدت الثالثة بدقائق غير قليلة.

كانت آليس تفكر: إذا كانت روبرتا فى المستشفى، فلابد أنها تسلمت الرسالة، وستكون فى طريقها، ولابد أن تكون هنا فى الصباح.

فى غضون ذلك، كان لابد أن يجلسا مستيقظين هى وفيليب، حتى لا يسقط أحدهما فى غفوة.

لم ينم أى منهما. رقدت فاى حيث تم وضعها، وجهها مثل وجه شبح صغير. لم تغلق عينيها. لم تنظر إليهما. لم تقل شيئًا.

ركع فيليب عند قدمى فاى، وجلست آليس بجانبها. ومن وقت لآخر كانت آليس ترفع فاى وتضع الكوب على شفتيها وتبتلع فاى.

ذهب فيليب لإعداد مزيد من هذا المزيج من الملح والسكر والماء، ولإعداد شاى لنفسه ولآليس. ولكنه لم يكن ينظر إلى آليس، حتى لا تقع عيناه على عينيها.

لقد أصيب بصدمة عنيفة بسببها، وبسبب هذا الموقف، الذى كان يمكنه ببساطة عدم التورط فيه.

فكرت، بشكل ينطوى على التحدى، وحتى بشكل هازئ: وذلك يحدد فيليب، إذًا! تلك هى شخصيته!.

جاء الصباح سريعًا، وكان الوقت منتصف مايو تقريبًا. ومع ذلك الإحساس الشائك الخاوى الذى يصاحب التعب الشديد، استمعت آليس إلى كورال الفجر، وهى تفكر أنها قد تحب أن تسمعه مرات أكثر؛ حاولت أن تنظر فى عين فيليب، لمقاسمته تلك اللحظة من التجدُّد، أو الوعد، ولكنه كان راكعًا هناك، مثل تابع ضئيل، صبور، متواضع، مستعد للمساعدة. ومنفصل عنها نهائيًا.

فى النهاية قالت: "إذا ذهبت للنوم، يا فيليب، فسأبقى مستيقظة. وعندما أفقد القدرة على البقاء مستيقظة، فسوف أناديك من فوق السلم." تقصد بذلك أن تقول له: لا أستطيع تركها، لا نستطيع، ولو لثانية واحدة. سمع هو هذا، وفهم، أومأ برأسه وخرج.

راحت فاى فى النوم، أو كانت تتظاهر بالنوم - لم تعرف آليس أيهما، ولكنها لم تخاطر. وظلت منتصبة، ومن وقت إلى آخر ترش ماء على وجهها، وتلطم خديها. وعندما كانت تفعل ذلك كانت تعتقد أنها رأت بصيص شىء ما يمكن أن يكون مسليًا، أو على أقل تقدير، تعليق ما على وجه فاى السلبى. أصوات صباح يوم السبت العادية، بائع اللبن، أطفال يلعبون فى الشارع، أصوات من الحدائق. ما أكثر الأصوات التى كانت هناك، والتى لم تكن تستمع إليها أبدًا فى المعتاد....

كانت الكومة الملطخة بالدم فى الركن قد بدأت تصيب آليس بالغثيان. ولكنها لم تستطع، يجب ألا تتحرك. كانت تعلم أن فاى ليست نائمة.

مر الوقت... ومر. أكثر من مرة أمسكت نفسها وهى تتراخى إلى النعاس، بل وأيضًا تهتز مستيقظة. وفى إحدى المرات، عندما حدث ذلك، رأت فاى تفتح عينيها؛ وتبادلتا النظرات. آليس: لن أدعك تفعلين ذلك؛ وفاى: لن تستطيعى إيقافى إذا أردت أن أفعل.

ثم، أخيرًا، صوت خطوات تصعد السلم، وفتح الباب، وركعت روبرتا عند فاى، التى فتحت عينيها. قالت فى صوت يختلط فيه الحب العميق، والغضب، والسخط، وعدم التصديق: "فاى، أوه، فاى يا حبيبتى، كيف استطعت، كيف استطعت!".

وقفت آليس، وهى تراقب كيف ضمت روبرتا إليها فاى، برقة، وحنان، وقبلتها، وربتت عليها، ثم جثت وقبلت معصميها الجريحين، واحدًا تلو الآخر.

حولت فاى وجهها إلى حضن صديقتها، وهدأت هناك، فى مستقرها.

نظرت روبرتا إلى آليس من فوق فاى. كانت الدموع تنساب على وجهها.

فكرت آليس: حسنًا، دعيها تنساب.

قالت روبرتا: "أمى فى حالة غيبوبة، ولهذا ليس هناك مشكلة. "

"إذًا، سوف يسير الأمر على ما يرام. "

لملمت آليس الأشياء الملطخة بالدماء وقالت بشكل عملى: "لقد نام فيليب منذ عدة ساعات، لذلك يمكنه المجىء والمساعدة، ولكننى لابد أن أنام الآن."

ذهبت إلى حجرتها، حيث لم تنم، لوقت طويل. تستعيد فى ذاكرتها مرارًا وتكرارًا، مشهد حنان روبرتا المطلق مع فاى، عاطفة الحب على وجهها، وهى تنظر إلى آليس، وهى تحتضن وجه فاى فى صدرها.

***

عندما استيقظت، كانت قد عقدت العزم على الرحيل. يكفى كل ما حدث، ذلك يفوق الاحتمال. إذا كان جاسبر يريدها فعليه أن يأتى ويعثر عليها. و.....، لا، لن تترك عنوانًا. سوف تتناول إفطارها، ثم تذهب.

ولكن، بالطبع ـ لم تستيقظ فى الصباح. لقد نامت طوال اليوم. بالدور السفلى وجدت فيليب يلتهم بقايا حلة الحساء الذى أعدته. لاحظت أن حالة الضغينة التى كانت تسيطر عليه فى الليلة الماضية قد تراجعت، لانت. فعلى أى حال، لقد عاشت فاى. نعم، كانت آليس تعلم أن فاى كان يمكن ببساطة ألا تعيش. ولكنها على الأقل أبقتها بعيدًا عن أيدى السلطات.

انتظرت، بدون مبالاة، بينما كان يشرح أمرًا كان يخطط لقوله، من المحتمل أنه كان يعد له طوال اليوم فى ذهنه.

استمعت وهى نصف منصتة، حيث كان عقلها فى قطارات المساء، أو الغد، وإلى أين تذهب، سمعت نفسها تتنهد، وأعاد هذا انتباهها كاملاً إلى فيليب.

نعم، لقد بدا مروعًا. بدرجة أسوأ مما أدى إليه عدم النوم فى الليلة الماضية.

رغم أنه كان يعمل من الثامنة صباحًا وحتى وقت متأخر فى المساء، وطوال العطلات، كان لا يزال غير قادر على الوفاء بما وعد به. كان الموعد الذى أعطاه للانتهاء من عمله قد فات، وما زال الطلاء أمامه، لم ينجز بعد، وسوف يستغرق عدة أيام. قال اليونانى إن فيليب قد خدعه: وإنه ما كان ليوظف شخصًا واحدًا بمفرده ليقوم بتلك المهمة الكبيرة لتحويل المكان وتجميله، ناهيك عن عصفور مثل فيليب. إذا لم يستطع فيليب أن ينتهى من العملية خلال بضعة أيام، فإنه ـ أى اليونانى ـ سوف يعتبر ذلك إخلالاً بالعقد، ولن يدفع لفيليب النصف الثانى من المبلغ. (نعم، مر فيليب بهذا الموقف من قبل، ولكن لم يكن متوقعًا هذه المرة).

ما كان يريده فيليب هو المساعدة من الكوميون. لم يكن ريجى يعمل! سأل فيليب آليس بحرارة، ماذا يفعل ريجى بنفسه طوال اليوم؟ لم يحاول حتى الحصول على وظيفة. كان يدور فى مزادات غرف المبيعات لعقد صفقات. هل كانت آليس تعلم أن الحجرة الواقعة تحت السطح مباشرة مكدسة بأثاث مارى وريجى، ناهيك عن الحجرة المجاورة لحجرة نومهما؟ ماذا يخسر ريجى لو ساعد فيليب لعدة أيام؟

سألت آليس، بصورة آلية تقريبًا: "ولكن هل يستطيع أن يقوم بالطلاء بشكل جيد وبدرجة كافية؟" وتوافقت نظرة فيليب القلقة مع القناعة التى استقرت فجأة فى نفسها: بالطبع، كان فيليب يريدها هى، آليس، أن تنزل إلى العمل وتمد له يد العون. كانت هى التى قامت بطلاء معظم هذا البيت الكبير ـ بسرعة، وبإتقان شديد. كانوا يمزحون، هؤلاء الرفاق، بأن عاملاً محترفًا لن يستطيع أن يفعل أفضل من ذلك. والواقع أنها كانت بين حين وآخر، فيما مضى، قد قامت بهذا العمل بشكل احترافى، ولم تكن هناك أية شكوى من عملها.

كان غيظه منها، الذى شعرت به بشدة فى الليلة الماضية، يرجع جزئيًا إلى أنه كان يفكر فى هذا لبعض الوقت: كانت آليس الشخص الذى يمكنه حل كل الصعوبات التى تواجهه، ورغم ذلك، لم يكن يبدو أنها ترى المشكلة، رفضت التعرف على حاجته.

جلست آليس هناك بهدوء، وعيناها موجهتان لأسفل، تحجب نفسها عن فيليب، تفكر. لماذا يجب أن يتوقع هذا؟ وبأى حق؟ كانت الإجابة بسيطة بما يكفى: لقد قام بكل العمل فى هذا البيت الكبير، من أجل كسب غير ملائم على الإطلاق. وكانت آليس هى التى أرادت ذلك؛ لم يكن الآخرون فى الحقيقة مهتمين. والآن كانت آليس التى يجب أن تعوضه. أوه نعم، تستطيع أن ترى كل شىء، المنطق الخاص به، العدل. ولكنها تريد أن تغادر، أن تذهب بعيدًا. هذا المنزل، الذى حاربت من أجله، تشعر الآن أنه فخ، على استعداد لتسليمها من جديد إلى جاسبر، إلى الذى لابد أن تهرب منه. (أضاف قلبها الحزين بسرعة: حتى ولو لفترة قصيرة.) مع ذلك كانت تعلم أنها سوف تساعد فيليب، لأنها لابد أن تفعل ذلك. هذا هو العدل.

قالت إنها ستفعل، ورأت جسم فيليب كله - ذلك الجسم الصغير كالعصفورة - تنتابه هزة سريعة وهو ينشج بالبكاء. وأضاء وجهه، بالدعاء.

ذهبت معه فى الطريق لتلقى نظرة على المكان. كان مساحة كبيرة، لم يكن مثل تلك الفتحات الصغيرة الضيقة على الشارع المزودة بطاولة تمر عليها كمية قليلة من الفطائر أو السندوتشات. فى منتصف المساحة تقريبًا كانت طاولة عريضة، مكتملة الصنع ولكنها غير مطلية، وهناك منطقة واسعة خلف ذلك للطهى والإعداد. مواقد غاز، وثلاجات، وأجهزة تجميد تم بالفعل تسليمها ووقفت تنتظر وضعها فى أماكنها. ولكن الجدران فى الخلف تحتاج التكسية بالجص. ثلاثة جوانب من الجدران لم تكن سيئة، ولكن تحتاج تنظيفًا قبل الطلاء. وعرفت آليس من نظرة فيليب، أنه كان ينوى أن يقوم بالمزيد من العمل مع تلك الجدران. حيث إنه من المفروض وضع طبقتين من الدهان. نظر فيليب إليها، منتظرًا رأيها.

ولكن بينما كانت مترددة - وهى تعلم أنه إذا كان هناك مستخدمًا يبحث عن عذر كى لا يدفع أو يدفع أقل، فسوف يجد عذرًا هنا - سمعت شخصًا آخر معهم فى المكان الخالى الكبير، فاستدارت لتجد اليونانى،

مستخدم فيليب. ومن نظرة واحدة علمت أن فيليب سوف يتعرض لاحتيال، مهما كان ما يفعله، أو مهما ساعدته.

كان عبارة عن نموذج صغير بغيض من رب العمل، تمامًا. كانت عيناه السوداوان الصغيرتان مليئتين بالغضب المفتعل الذى يتوافق مع الدفاع عن موقف زائف، وعندما رآها، صاح: "لقد قلت عامل آخر، وليس فتاتك!".

قالت آليس، بأفضل صوت بارد تملكه: "إنك مخطئ. لقد قمت كثيرًا بمثل هذا النوع من العمل."

قال اليونانى ساخرًا، بأسلوب متكلف "بلى، أعتقد أنك قمت من قبل بطلاء حوائط مطبخك."

قالت آليس: "أيًا كان الأمر، إنك تدفع أقل كثيرًا مما هو معتاد. ومقابل نوع النقود التى تدفعها لمثل هذا العمل، لست فى وضع يسمح لك بإملاء شروطك."

لم تكن تعرف المبلغ الذى تم دفعه لفيليب... ومع ذلك، فعند رؤية هذا الرجل، عرفت أنه لم يكن كافيًا. وكانت تعلم أنه مع بشر من هذا النوع لابد أن تكون سيئًا شرسًا.

أدارت ظهرها وذهبت لتقف فى مواجهة جدار، تتفحصه. وتبع فيليب أسلوبها القيادى ووقف بجانبها. تظاهر اليونانى بالانشغال بالطاولة، ثم قال: "سوف أمهلك يومين." ثم ذهب خارجًا.

ولكن آليس كانت تعلم أن الأمر ميئوس منه. نعم، بسببها، لن يتم خداع فيليب بنفس القدر؛ ولكن ذلك الرجل ليست لديه نية لدفع المبلغ المتبقى كاملاً.

ولهذا، لم تقل لفيليب أن هذه الحوائط لابد أن تكشط وتنظف كما ينبغى. بل قالت إنه إذا كان لديه بذلة عمل، فسوف تبدأ الآن؛ كانت الساعة لا تزال العاشرة. وذهب هو للعمل فى التكسية بالجص، وقامت هى بالطلاء. وعملا طوال الليل. ولمرتين أثناء العمل، مر رجلا شرطة، لم

يكونا من رجال الشرطة الذين تعرفهم آليس، ونظرا داخل المحل. ولمرة واحدة، مشى اليونانى فى المكان معتقداً أنهما لم يلحظاه.

مع حلول الصباح كان فيليب قد انتهى من التجصيص. وانتهت آليس من أول طبقة طلاء على الحوائط الثلاث والسقف.

كانت تعرف أن اليونانى سيدخل المكان بمجرد مغادرتهما وسيبحث عن عيب.

عادت هى وفيليب إلى رقم ٤٣ وهناك كان جاسبر وبرت، يأكلان لحم خنزير مقدداً وبيضاً. كان يبدو عليهما مظهر لم يعجبها - هذا هو انطباعها الأول لدى رؤيتها لهما، قبل أن ينفجر الجميع فى الابتسامات والعناق. ولأن رؤية جاسبر، بالطبع، جعلت كل ما تشعر به آليس يتلاشى بعيداً، كانت سعيدة، استعادت طبيعتها، كانت نصف شخص بدونه. وكان هو أيضاً مسروراً؛ بل إنه حتى قبلها، شفتاه الجافتان لمستا وجنتيها بخفة، والتف حولها ذراعاه مثل دائرة من العظام، ولكنهما يعنيان الدفء، ويعنيان الحب.

لم يمكث فيليب، قال إنه لابد أن يحصل على ساعتين من النوم. كانت هذه هى المدة التى سمح بها لنفسه، بعد ليلتين ونهارين من عدم النوم. ونظر إلى آليس بتوسل، لأنها قالت إن ذلك هو كل ما تحتاجه قبل البدء من جديد.

ولكن كان هنا جاسبر! ونظر فيليب، من الباب، نحو جاسبر، وكان هناك على وجهه اعتراف بالحتمية، بأن جاسبر مثل القدر المحتوم، لأن آليس ـ بالطبع ـ لن تحافظ الآن على وعدها.

ولكن آليس سوف تفى بوعدها، رغم أنها كانت تعلم أن هذه اللحظة، الآن، عندما يكون جاسبر عائداً للتو والضغوط التى تمارسها عليه، والتى لابد أن يقاومها، لم تكن قد بدأت بعد بناءها، عندما تسمع عن مغامراته - وبمجرد ضياع هذه اللحظة، فلن تحصل على شىء، فقط تكرار جاف لكلمتى نعم ولا.

كان هناك شىء ما فى هذين الرجلين ـ قلق فى عيونهما، نوع سيئ من الإثارة ـ ماذا كان ذلك؟ حسنًا الأمر لا يتعلق بحياة جاسبر الجنسية، لأن برت لا يشارك فى هذا؛ ولكن برت كانت لديه نفس النظرة. غضب، أهو ذاك؟ حالة من القلق، بالتأكيد ـ مجرد إنهاك شديد؟ ربما ـ لقد قالا إن الرحلة البحرية على المركب كانت سيئة، وإنهما لم يناما لعدة ليالٍ. وسوف يصعدان فورًا للنوم.

شرحت آليس ما كانت تفعله؛ اجتماعات الكوميون أو حياة البيوت المهجورة المحتلة مؤكدة أنهما يجب أن يمتدحاها لمساعدة رفيق.

لم يقولا شيئًا عن الحضور للمساعدة بنفسيهما.

صعدا إلى الدور العلوى معًا، زوجان، وحدة وحدة، التحما بكل خبراتهما، التى ما كان لديهما استعداد لقول شىء حولها إلا أن الرحلة لم تكن سيئة، كانت مشكلة الاتحاد السوفيتى هى البيروقراطية؛ لو استطاع الرفاق ترتيب ذلك، لكان الذهاب إلى هناك ممتعًا تمامًا.

وبعد الاتحاد السوفيتى؟ تركا الرحلة السياحية فى موسكو، وتوجها إلى هولندا ـ لم تتوقف الأمطار.

ذهب برت إلى كيس نومه فى الجانب الآخر من جدار غرفة آليس. ووجد جاسبر غرفته بالدور العلوى مشغولة بأشياء جوسلين. وسمعت آليس أصوات قرع وارتطامات قادمة من هناك: كان جاسبر يطرح الأثاث من الغرفة المجاورة لغرفة مارى وريجى، إلى الخارج. عرفت آليس أن ذلك كان يحدث، واستنتجت من الضوضاء أن جاسبر يمر بإحدى ثورات غضبه، عندما كان يستطيع أن يبدل خزانات ملابس وصناديق التعبئة وكأنه عشرة رجال. نامت، بعد أن هيأت ساعتها البيولوجية الداخلية لإيقاظها بعد ساعتين.

واستيقظت مرة أخرى، مكتئبة، يائسة؛ فهى ترى أنه لا مفر من مساعدة فيليب، رغم أنها لا تستطيع فى الحقيقة أن تساعده. و كانت تريد أن تكون مع جاسبر.

تم الانتهاء من أعمال اليونانى فى منتصف الليل. طبقتان من الدهان فوق كل شىء. حتى فوق الجص، ولو أن ذلك تم قبل الأوان. كل شىء، تم الانتهاء منه بشكل سريع جدًا، ومتعجل. تم إنجازه، بقدر كافٍ. بقدر ما كانت آليس قلقة، بدون استمتاع.

فى منتصف الليل، وقف الثلاثة مرة أخرى معًا تحت أضواء المكان الساطعة، وهذه المرة محاطين بحوائط صفراء فاقعة اللون، والتى حملق فيها اليونانى، الواحد تلو الآخر، بازدراء.

حدث كل شىء كما كانت آليس تتوقع تمامًا.

لم يرق العمل إلى المستوى المطلوب؛ كانت آليس مجرد هاوية وفيليب كالأداة العقفاء. وقال اليونانى، إنه سوف يضطر لأن يدفع لشخص ما آخر كى يأتى وينهى هذا العمل كما ينبغى. (بالطبع، كان الثلاثة يعلمون أنه يكذب؛ فالزبائن سوف يرون فقط لونًا أصفر ساحرًا وأنيقًا - والذى رغم ذلك سرعان ما سوف يتقشر.) ويستطيع فيليب أن يذهب إلى الشرطة إذا أحب، ولكنه لن يحصل على بنس آخر... وهكذا استمر فى الصياح، متظاهرًا بشكل مسرحى، مشيرًا بأصابعه الرافضة إلى الأسقف، والجص، هازًا كتفيه استهجانًا، كتفيه اللتين يئستا من الجنس البشرى بأكمله، وعيناه السوداوان الصغيرتان تدوران فى محجريهما بقسوة.

تدخلت آليس بكلمات، باردة وحارة. وتشاجرا. كان فيليب، أبيض مثل البيضة، يتدخل بفأفأة. والنهاية كانت حصول فيليب على ثلثى ما تعاقد عليه.

فى الساعة الواحدة صباحًا، حملت آليس وفيليب السلالم والحوامل الخشبية على أكتافهما إلى خارج المحل، وهما يعلمان أنها سوف تصادر، إذا تركاها هناك. وقفت آليس تحرسها بينما تهادى فيليب الصغير نحو نصف ميل على الطريق، وهو يحمل سلمًا أطول منه بثلاث مرات، وعاد مع برت وجاسبر اللذين كانا يساعدانه لأنهما يجب أن يفعلا ذلك. كان برت قد أُخرِج من كيس نومه.

تم إحضار عدة فيليب ووضعها فى أمان داخل غرفة الدور السفلى، غرفة جيم، وبقى فيليب هناك معها، فى حالة يأس متقد بالغضب.

عاد برت إلى الفراش.... قالت آليس لجاسبر برقة وابتسامة، مثل عروس، إنه سيكون من اللطيف لو جلس معها وهى تأكل. فهى لم تأكل تقريبًا فى ذلك اليوم. قال نعم باقتضاب، هناك شىء يريد أن يناقشه معها. ولكنه سيفعل ذلك غدًا. ثم صعد إلى الدور العلوى، لينام.

وبدون طعام، ذهبت هى أيضًا؛ شعرت كما لو أنها قد جُرَّتْ فوق شلال، أو وقعت فى هوة سحيقة، دون أن تعرف السبب.

استيقظت آليس مبكرًا؛ لأنها كانت جائعة، وكانت فى المطبخ تأكل عندما دخل فيليب. كانت عيناه حمراوين ويبدو غير متمالك لنفسه. أحمق، كذلك رأت آليس. ببساطة ليس على سجيته.

من المحتمل أنه لم ينم، ولكنه ظل مستيقظًا تؤرقه أفكار كان يرتبها فى عقله، وأصبحت جاهزة للعرض فى اللحظة التى يجدها فيها بمفردها.

جلس، ولكن بالخفة التى تمكنه من أن يقفز مرة أخرى فوق قمة أية موجة من المناقشة. واسترخت قبضتاه أمامه جنبًا إلى جنب.

علم أن هناك عملية أخرى، محل على وشك الافتتاح. ويمكن أن يحصل عليها، ولكن ينبغى أن يفعل ذلك خلال يوم واحد تقريبًا. لم تكن ثمة فائدة فى أن يعمل بمفرده. لابد من شريك يعمل معه - يمكن لآليس أن ترى ذلك بنفسها، بالتأكيد؟ يجب أن تأتى آليس معه! يمكنهما أن يصنعا فريقًا جيدًا. إنها نقاشة بارعة، تعمل بإتقان شديد وسرعة. وعندما يكونان معًا، لن يكون ثمة عمل لا يستطيعان التعامل معه. وعلى أية حال، لم تكن آليس تفعل شيئًا بوقتها! .

كان يصيح فيها لأنه كان يعلم أنها سوف ترفض، وبداخله بالفعل الثورة الناتجة عن الرفض. كان يبدو وكأنه يهددها، وليس أنه فقط يقترح أن تكون شريكته فى العمل.

صاح قائلاً: "أنتم جميعًا لا ترفعون إصبعًا، أبدًا، لا تقومون بأى عمل، عالات على المجتمع، بينما هناك أشخاص مثلى يبقون على كل شىء مستمرًا..."، بدا على وشك البكاء، كان صوته كئيبًا جدًا، يشعر بالخديعة. "إنهم يتحدثون عن كل هذه البطالة فى كل مكان، الناس يريدون عملاً، ولكن أين هم؟ لا أجد أى شخص يعمل معى. وبالتالى ما رأيك يا آليس؟" سألها، بعدوانية، واتهام.

ورفضت العرض، بطبيعة الحال.

عندئذ صاح فيها متهمًا إياها بأنها لا يهمها إلا نفسها ـ "مثلها فى ذلك مثل أى شخص آخر." لقد تسببت فى طرد جيم من عمله ولم تفكر أبدًا فيه بعد ذلك. أين كان جيم؟ إنها لا تعرف أو تهتم. ومونيكا ـ أوه نعم، إنه يعرف كل شىء عن ذلك، لقد سمع، أُرسلت مونيكا لصيد الوهم فى منزل خالٍ ـ وافترض أن ذلك كان تصوُّر آليس عن الدعابة. كان من الممكن أن تموت فاى، كانت آليس مستعدة لمواجهة كل المصائب، ولكنها لن تستدعى سيارة إسعاف. وهى لم تهتم بشأنه، فيليب، وما أن حصلت على كل ما تستطيع أن تحصل عليه منه، دفعته للعمل ليلاً ونهارًا من أجل القليل، والآن أصبح لديها منزلها، وهو ـ فيليب ـ يمكن أن يخبط رأسه فى الحائط، ولا يهمها ما يحدث له.

وهكذا استمر يهاجم بعنف، يكاد يبكى، وكانت آليس تعلم أنها إذا نهضت ووضعت ذراعيها حوله فسوف ينهار فى حضنها مثل كومة صغيرة من عيدان الثقاب، وهو يقول: "آليس، أنا آسف، لم أقصد، أرجوك تعالى وكونى شريكتى."

ولكنها لم تفعل ذلك، وجلست فقط هناك، تفكر فى أن النوافذ مفتوحة وإذا كانت جوان روبنز فى الحديقة فسوف تسمع كل شىء.

خمد غضب فيليب الشديد وتحول إلى صمت، وبؤس. جلس يحدق، ليس فيها، ولكن فى كل شىء إلا هى، ثم جرى خارجًا من الغرفة، ثم إلى خارج البيت.

جلست آليس تنتظر أن يستيقظ جاسبر. بدا لها أنها قضت جزءًا كبيرًا من حياتها تفعل ذلك. وفكرت ثانية: ولكنى سوف أرحل، فقط سوف أذهب. لابد. لا، لن يكون إلى الأبد، ولكنى أحتاج وقتًا مع نفسى.

وجدت نفسها واقفة على قدميها، تفتح الثلاجة، وتبحث فى الخزانات. سوف تعد قدرًا من حسائها. ولكن لأنها كانت تعمل مع فيليب، لم يكن فى المنزل إلا القليل. ذهبت إلى المحلات أسفل الشارع، واشترت طعامًا، وقضت وقتًا فى الإعداد، وجلست إلى المائدة بينما كان حساؤها يطهى فوق النار. وصل القط إلى عتبة النافذة، وأصدر مواء من وراء الزجاج؛ رحبت به آليس فى الداخل، وقدمت له بعض الفتات. ولكن لا، لم يكن القط جائعًا؛ ربما تكون جوان روبنز أو شخص آخر قد أطعمه. الحيوان يحتاج إلى الصحبة. لم يجلس فوق حجر آليس، ولكنه رقد فوق عتبة النافذة، وتمطى. نظر القط إلى آليس بعينين شاردتين، وأصدر صوتًا خفيضًا، نخير أو مواء التحية. تفجرت دموع آليس فى عاطفة العرفان بالجميل.

مر الصباح. عندما يستيقظ جاسبر، سوف تشرح ذلك له: إجازة قصيرة، ذلك ما كانت تحتاجه.

فى منتصف النهار نزل برت وجاسبر معًا، يمزحان ورائحة حساء آليس قد أيقظتهما. بدا أن مزاجهما الغضب، أو المتمرد، أو أيا كان ذلك، قد تلاشى مع إنهاكهما الشديد.

رويا لآليس، بشكل عذب ولطيف، بعض النوادر القليلة التى مرت بهما خلال الرحلة وأثنيا على حسائها. بينما جلست هى فاترة الهمة، تراقبهما. اكتشفا سريعًا الحالة المزاجية التى كانت عليها، حتى أنهما تبادلا لمحات "ماما غضبانة" فى إحدى اللحظات، ونالا عنها ابتسامة ساخرة منها.

ثم تخليا عن محاولات إرضائها، وقال برت: "لقد قررنا أن الوقت قد حان لإجراء مناقشة مفصلة حول السياسة، أيتها الرفيقة آليس. لا، فقط الثوريين الحقيقيين، وليس النفايات." وكشف عن كل أسنانه البيضاء

المبهجة معبرًا عن السخرية. ولم تعلق آليس. وجاسبر، أيضًا، مال إليها، مبتسمًا، وقال: "لقد فكرنا أن يتم ذلك الليلة. أو غدًا مساء على الأكثر. ولكن القضية هى، أين؟ ينبغى ألا تعرف مارى وريجى. أو فيليب!" وابتسم هو أيضًا ساخرًا.

فكرت آليس، من الواضح أن كليهما قد اكتسبا أسلوبًا جديدًا دراماتيكيًا، تفحصتهما بدون انفعال.

استفسرت، باهتمام شديد: "وكيف تصنفون فاى؟ جادة أم لا؟"

اكفهر وجهاهما؛ نعم، كانا يعلمان عن محاولة الانتحار، ولكنهما فى الحقيقة لم تزعجهما بالفعل.

"حسنًا، "قال برت متشككًا: "أعتقد أنها ستكون أهلا بما يكفى للمشاركة معنا، أليس كذلك؟"

ضحكت آليس. ضحكة أدهشتها هى نفسها، بصوت مرح وطبيعى تمامًا. اكتشفت أن هذين الاثنين مضحكان، لأنهما كانا غبيين جدًا.

قالت بدون اكتراث: "إذا كنتما تريدان عقد اجتماع، إذًا لماذا لا تعقدانه. "نهضت وانكبت على قدرة الحساء، تضيف بعض حبات البازلاء، ملح، ثم ماء. لاحظت أن شهية جاسبر و برت لم تنقص.

عندما استدارت، كانا يجلسان مغمومين، متقابلين لكن لا ينظران إلى بعضهما، أو إليها. كانا يفكران أن غضبها عليهما له ما يبرره، وأنهما كانا أحمقين لعدم وضعه فى الاعتبار. وأيضًا؛ لأنهما شعرا أن رفضها كان رفضًا جديدًا فى سلسلة الرفض المتعاقب.

كاد قلبها يذوب. قالت لجاسبر: "آسفة. إنك تسلك هذا النهج، كل أنواع الكذب. ثم تظهر فجأة.... آسفة".

واتجهت نحو الباب، ولحق بها جاسبر. شعرت بقبضته الشديدة حول معصمها؛ كان هذا كل ما يعرفه ليعيدها إليه. نفضت يده ببساطة شديدة، وقالت: "آسفة يا جاسبر." وخرجت.

ومن خارج الباب، لانت قليلا، وقالت: "دعنى أعرف متى سوف تعقدان الاجتماع".

كانت فى طريقها لأعلى، معتقدة أنها سوف تنام، وبعد ذلك ربما تتصل بكوميونها القديم فى هاليفاكس. أيام قليلة هناك وسوف تستعيد نفسها مرة أخرى.

ولكن كان هناك طرق، عالٍ وملح، على الباب الأمامى، وذهبت إليه، مستعدة للشرطة، ولكن كانت هناك امرأة لا تعرفها، والتى قالت بعجلة: "أنا فيليسيتى، التى تسكن على الناصية. صديقة فيليب. لقد اتصلوا من المستشفى. وقعت حادثة لفيليب. يريدون بعض متعلقاته".

كانت بالفعل تستدير بابتسامة، بعد انتهاء المهمة، ولكن آليس قالت: "ألن تصعدى؟" تعنى، أليست هذه مسئوليتك؟

قالت فيليسيتى بإبهام: "نعم، سوف أذهب لرؤيته، ولكن ليس الآن. متعلقاته هنا، أليس كذلك؟"

كانت امتدادًا لرقم ٤٣ طوال هذا الوقت، ولكن لا أحد يمكن أن يعتقد ذلك من سلوكها. كانت امرأة صغيرة ورشيقة، وكل ما فيها كان مؤهلاً مثل آليس للتحكم فى الذات. كانت تقول إنها لم تكن تقصد أن يكون فيليب مسئوليتها.

فكرت آليس فى فيليب هذا الصباح، غاضبًا ومثيرًا للشفقة. قالت: "أوه، حسنًا. هل حالته سيئة؟"

"هو لم يمت. ولكنه كان من الممكن أن يموت. كان محظوظًا. أصيب بكسور. ابتسمت، وأسرعت بالذهاب.

صعدت آليس إلى غرفة فيليب. كانت ملابسه مرتبة جيدًا فوق أرفف مطلية بشكل أنيق. وجدت ثلاثة أزواج من البيجامات النظيفة، خضراء، وزرقاء، وبنية، متراصة فوق بعضها البعض؛ وروبًا معلقًا خلف الباب؛

فرشاة أسنان وفانلة معلقة لتجف فوق عتبة النافذة؛ صابونًا، ماكينة حلاقة كهربائية. استعدت للذهاب، قائلة من خلال باب المطبخ لجاسبر وبرت إنها ذاهبة إلى المستشفى، ولم تذكر فيليب. لم ترغب فى سماع أى منهما يقلل من شأن هذا الحادث كما فعلا تجاه قطع معصم فاى. كان الأمر مروعًا، وكانت تعلم ذلك. كان هذا يعنى نهاية من نوع ما لفيليب. بالطبع لقد عرّض نفسه للسيارة، أو أيًا كان ما حدث، لأنه كان بحاجة لجذب الاهتمام. يجعل نفسه يائسًا: يجعل هذا اليأس ظاهرًا.

ولكن فى المستشفى وجدت آليس أن الحالة أسوأ مما قالت فيليسيتى. كسر فى الكتف. كسر فى غضروف الركبة. تهتك فى المعصم الأيسر. كدمات. ولديه أيضًا كسر فى الجمجمة. وتم نقله إلى غرفة العمليات مرة أخرى خلال دقائق معدودة. كانوا يشتبهون فى حدوث إصابات داخلية. فى أثناء ذلك، كان فاقد الوعى. ولأن آليس قالت إنه على حد علمها لم يكن لفيليب عائلة، أو إذا كان الأمر كذلك، فهى لا تعرف العنوان، لذلك فقد وضعتها ممرضة الجناح فى السجل الخاص بالمستشفى "كقريبة للمريض". رقم التليفون؟ ولكن آليس قررت أن فيليسيتى لا يجب أن تتخلى عن الموضوع برمته، فقالت إنه فى حالات الطوارئ، ينبغى الاتصال بفيليسيتى. وعلى أية حال، فرقم ٤٣ لا يوجد به تليفون.

ثم وقفت فى المدخل لا تعرف ماذا تتوقع، لأنها لم تكن تتخيل أى شىء، ورأت فى وسط غرفة أداة غريبة الشكل مائلة مرتفعة تشبه ماكينة مزودة ببكر ورافعات وعجل وأنابيب، وفوق هذا، كان فيليب، نصف جالس ولكنه كان منهارًا ومنهكًا، ومغلفًا كله بالضمادات والأربطة. كان وجهه فى الحقيقة هو الشىء الوحيد الظاهر من كل ذلك: أبيض اللون خامدًا، عروق زرقاء مرتعشة فوق جفون شاحبة، شفتان بيضاوان، وكأنما بها نوع من الصبغة الوردية المجففة عند الأركان. كان يبدو - أكثر من أى وقت آخر - مثل قزم صغير، مخلوق غير بشرى، وآليس تقف هناك عاجزة، ومسئولة

الجناح خلفها مباشرة، لا تستطيع الحركة. كانت تفكر أن ذلك ما يحدث للبشر الهامشيين، الذين يتعلقون بأمل ولكن بشق الأنفس. فإذا زلّت أقدامهم لمرة واحدة؛ يحدث شيء واحد بسيط للغاية، مثل اليونانى، ولكنه يصبح جزءًا من منحنى الانحدار فى الحياة، وكان ذلك هو ـ أنهم يفقدون صمودهم ويسقطون. لقد فقد فيليب صموده.

أدارت آليس وجهًا مصدومًا بشدة نحو ممرضة الجناح التى سألتها بلا مبالاة متعمدة: "هل أنت على ما يرام؟" لأنها لم ترد أن تواجه مشكلة آليس. ثم قالت: "اذهبى وأحضرى لنفسك كوبًا من الشاى من أسفل، .... اجلسى قليلا".

دلّ مظهرها على أنها كانت مستعدة للاهتمام بآليس إذا ظهرت عليها أعراض تستدعى ذلك، ولكن آليس قالت: "إننى بخير." وراقبت الممرضة تذهب لتقف بجوار فيليب، تنظر إليه باهتمام نحو دقيقة. ولسبب ما استشفت آليس كل شىء من هذه النظرة المتفحصة الطويلة. استدارت وجرت بسرعة فى طرقات المستشفى، ووقفت تنتظر المصعد، ثم هبطت به، ولكنها لم تكن تعلم أنها كانت تفعل هذه الأشياء. أخذت تنشج بالبكاء، وعيناها ثابتتان أمامها ـ لا ترى إلا وجه فيليب يموت.

والآن جاء التفكير: كان فيليب قد قطع مسافة طويلة على هذا المنحنى قبل أن يسأل إذا كان يستطيع أن يعيش معنا. لقد ظننا أننا نرى شخصًا فى بداية منحنى صاعد، مع مهنة جديدة، كل شىء أمامه، ولكن الأمر لم يكن هكذا على الإطلاق. من المحتمل أنه لم يكن حتى اليونانى هو السبب فى نهايته، وجعله يفقد صموده ـ كان ذلك عندما طردته فيليسيتى. (تعلم آليس الآن أن هذا هو ما حدث، من سلوك فيليسيتى.) ربما قبل هذا بوقت طويل؟ فجأة فهمت آليس. كل شىء كان واضحًا تمامًا، مثل رسم بيانى. لم تكن المشكلة هى أن فيليب "فقد صموده". لم يكن أبدًا لديه صمود مدرك. شىء ما كان لابد أن يحدث، ولم يحدث: معلم، أو شخص ما، كان ينبغى أن يقول: هذا الشخص، فيليب فاولر، يجب أن يكون صاحب

مهارة يدوية، يصنع أشياء صغيرة، ودقيقة، ومعقدة؛ لابد أن نجعله يتدرب على ذلك. انظر كيف يفعل الأشياء بإتقان! إنه لا يستطيع طى قميص أو ترتيب رقائق البطاطس مع قطعة من السمك فى طبق دون أن يصنع من ذلك لوحة جميلة.

ولكن ذلك لم يحدث. وبدأ فيليب يعمل فى شركة للبناء، مثل أى شخص لم يتدرب على حرفة، عامل طلاء فى شركة للبناء، يفقد وظيفة تلو أخرى حتى قال: سوف أبدأ عملا خاصًا بى.

يا لقسوة هذا الأمر. وشناعته البغيضة الداعرة.

فيما بعد لم تتذكر كيف عادت من المستشفى. فى المطبخ ألقت روبرتا عليها نظرة وقدمت لها العلاج: كان البراندى يصب فى جوف آليس وقد وضعت روبرتا ذراعها حولها، وعاونت الفتاة المعوقة البليدة للصعود إلى الأعلى، وأدخلتها فى كيس نومها، وأسدلت الستائر.

***

نامت آليس فيما بين الحادثين اللذين وقعا هذا المساء.

كان الأول هو أن رجل الشرطة الشرير جاء من المخفر مع شرطية، فى مهمة بشأن سيارة مسروقة. كان جاسبر وبرت هناك، ولم تسر الأمور على ما يرام، وكان يمكن أن تنتهى بالتأكيد إلى عنف واعتقالات، إلا أنه لحسن الحظ ظهرت مارى وريجى، وتعاملا مع الشرطة بأسلوبهما الخاص، وبمصطلحاتهما الخاصة. ولكن مارى وريجى كانا فيما بعد فاترين، رافضين، وقالا إنه لا فائدة فى الحقيقة من إثارة مشكلات مع الشرطة إذا عرف الناس كيفية التعامل معهم. وكانا يعنيان ضمنيًا: "وبالطبع، إذا هما تأدبًا".

وصعدا إلى الطابق العلوى، ولكن ريجى نزل مرة أخرى تقريبًا فى الحال ليسأل ما إذا كان جاسبر وبرت يعلمان أى شىء عن السيارة المسروقة؟

قال برت بغضب: "إننا ثوريون، ولسنا لصوصًا."

ثم، فى وقت متأخر، بعد الثانية عشرة، جاءت فيليسيتى مرة أخرى لتقول إنها تلقت اتصالا من المستشفى. وأن فيليب مات. كانت مضطربة تمامًا، وبالتالى علمت آليس فى اليوم التالى. كان لابد أن تُدعى للدخول، وتم إطعامها من حساء آليس وبراندى روبرتا.

لم تعلم آليس شيئًا من هذا حتى اليوم التالى. فى منتصف الصباح. كانوا جميعًا فى المطبخ، وقد دخل شعاع الشمس، والقط على حافة النافذة.

فى البداية، قالت: "لقد مات بسرعة، أليس كذلك؟". وهى تنظر فى عقلها إلى شىء صغير مكسور، مثل طائر أو حشرة، يحاول التشبث بقشة، أو غصن صغير، ويفشل. لم يفهم الآخرون، ولكن فاى، بابتسامة فاترة قالت: "محظوظ فيليب." قالت مارى إن انطباعها عن فيليب أنه من النوع الضعيف، الذى لا يستطيع كبح عواطفه.

قالت آليس إنه إذا كانت الشرطة قد وضعت هذا البيت فى الحسبان كمكان يأتون إليه للحصول على بعض اللهو... إذًا، فلن يستحق الأمر العيش هنا. حملق الآخرون فيها، بالطبع، بفضول: كانت اللامبالاة التى قالت بها ذلك، هى الملحوظة.

ثم نهضت آليس وذهبت إلى الطابق العلوى، ووضعت سلم فيليب فى موضع الصعود إلى الغرفة العلوية، ثم تسلقت إليها، ووقفت تحت العروق الخشبية العفنة، موجهة ضوء الكشاف عليها. كانت تفكر - أو تحاول أن تفكر، تحاول أن تجعل عقلها، أو إدراكها، يقبل الأمر - أن فيليب عالج كل شىء آخر فى المنزل، كل التهديدات والمخاطر. ولكن هذا التهديد. التهديد الرئيسى، لم يتعامل معه، لم يستطع. والسبب - ببساطة - هو حجمه؛ لأنه لم يكن فيه سوى حفنة من العظام الضئيلة وطبقة رقيقة من اللحم. رأت آليس بعين العقل نوع الرجل الذى يستطيع خلع هذين اللوحين الرديئين، ووضع آخرين مكانهما. رجل ضخم الجسد (استطاعت أن تتصوره) يحمل

العروق فوق كتفه إلى المكان المطلوب. دون مجهود. متواضع، ولكنه غير مدرك بسبب استبدادية الحياة وعبثها، عادت ثانية إلى أسفل، وقالت إنه إذا لم يتم التعامل مع هاتين العارضتين، فسوف يبدأ البيت فى السقوط، من القمة. وجلست على المقعد الذى كانت عليه على جانب المائدة قبل أن تصعد إلى العروق الخشبية. على رأس المائدة ومؤخرتها، مثل ماما وبابا، جلست مارى وريجى. بدا عليهما الاستنكار. كانا يعلمان أنهما كذلك، ولكنهما لم يكونا يشعران بالذعر أيضًا.

قالت مارى: "من الواضح أنه يجب أن يتم وضع العارضتين بشكل صحيح."

أخذ الجميع، جاسبر وبرت، فاى وروبرتا ـ والذين كانوا يراقبون آليس وهى تضع الأشياء فى مكانها الصحيح لأسابيع ـ ينظرون جميعًا إليها، بانتظار أن تقول: "لا بأس لقد أصلحت كل شىء". لم تشارك جوسلين وكارولين.

علقت آليس: "أوه، وهكذا عثرتما لنفسيكما على شقة، إذًا؟"

قالت مارى وقد أجفلت، بل وكأنها ضبطت متلبسة: " نعم ولكن كيف استطعت... ؟" وقال ريجى: "ولكننا لم نخبر أحدًا بعد؛ لم يتم الأمر بصورة نهائية."

قالت آليس "وبالتالى، أصبح هذا البيت فى ذيل القائمة، أليس كذلك؟"

قالت مارى: "ليس للإزالة، تم الاتفاق على أنه وقع خطأ ما. كل من هذا المنزل ورقم ٤٥ سوف يتم تحويلهما. ولكن على أية حال، لن يحدث شىء فورًا. المهم أن هناك كثيرًا من الوقت بما يكفيكم للعثور على مكان آخر."

قال ريجى بمودة: "لتجدوا مكانًا آخر بوضع اليد".

ومرة أخرى نظر الآخرون إلى آليس، التى أعطت الكثير جدًا لهذا البيت، ومرة أخرى بدوا مندهشين لكونها غير مبالية.

كانت تتفحص مارى، وتتفحص ريجى، بصراحة تامة، لأنها كانت تحتاج لأن تعرف ماذا حدث. يمكنها أن ترى الاثنين، جنبًا إلى جنب فى فراش زواجهما، يتناقشان حولهم جميعًا، تتطابق وجهتا نظرهما فى الانتقاد بنذالة. أولا جيم. ثم محاولة فاى الانتحار. والآن فيليب. رأت آليس أنهما لابد شعرا بالوقوع فى شرك وسط المجانين. حسنًا، لا يهم، هذان المنزلان الجيدان أنقذا، وكثير من الناس وجدوا فيهما ملجأ لبعض الوقت.

سألت آليس: "هل حصلت على وظيفة ؟" كانت متأكدة من أن ريجى قد حصل على عمل.

الانزعاج، مرة أخرى؛ لأن الطبقات المتوسطة، بالطبع، لا تحب أن تكون واضحة تمامًا.

قال ريجى: "فى الواقع، نعم، إنها شركة جديدة، فى جيلدفورد. بالطبع، ستكون مخاطرة، حيث معدل الفشل مع الشركات الجديدة مرتفع فى الوقت الحالى. ولكنها تبدو مجازفة ممتعة؛ وربما تنجح."

فكرت آليس، الحقيقة التى لم يقلها، والتى كان يقصدها، أن تلك "المجازفة" كانت شيئًا سوف ينتقدونه هم، الآخرون. المواد الكيميائية، كان ريجى كيميائيًا. حسنًا، لم تجشم نفسها مشقة الاهتمام.

نهض ريجى ومارى. وزعا الابتسامات فى كل مكان. ولكن كان الارتياح هو ما يشعران به. لغة الجسد. مكتوبة على كل جزء منهما. لقد شعرا، مارى وريجى، أنهما يجب أن يجلسا مدة قصيرة مع الآخرين، بسبب موت فيليب، والآن كان هذا يكفى، يستطيعان العودة إلى الطابق العلوى ويمارسان حياتهما، العاملة. إنهما لن يفقدا صمودهما وتماسكهما فى الحياة وينزلقا إلى أسفل وينهارا، لينتهيا إلى بالوعة ما.

شىء مضحك، فكرت آليس. الجلوس حول هذه المائدة، منذ ثلاثة أسابيع مثلا، جميعنا. ما كنت ستقول إن فيليب كان لابد أن يفقد صموده. جيم؟ نعم. وفاى...؟ كانت آليس حريصة ألا تنظر نحو فاى، يراودها شعور أن نظرة فى هذه اللحظة ستكون أشبه بإدانة أو حكم بالإعدام. بالنسبة لها، آليس، بدت الغرفة مليئة بالأشباح، وقلبها موجع بسبب فيليب الصغير المسكين، الذى كان يحاول بكل جهده، وكان شديد الرقة والشهامة. لم يكن ذلك عدلا.

حسنًا، مع رحيل ريجى ومارى سريعًا، لن يبقى الكثيرون هنا. جاسبر وبرت وهى نفسها. كارولين وجوسلين. فاى وروبرتا. سبعة.

بات، رحلت. جيم رحل. فيليب، غادر نهائيًا. الرفيق أندرو. اختفى فى مكان ما. حتى الفتاة الإوزة بدت لآليس، فى هذه الحالة المزاجية، صديقة قديمة سُلبَتْ منها. حسنًا جدًا، دعهم يأخذون هذا المنزل. لم لا؟ لم تكن عازمة على الاهتمام. كانت تعلم أن لديها نظرتها: كانت تشعر بنظرة جاسبر عليها. ولتتجنبها، نهضت وبدأت فى الإعداد لقدر آخر من الحساء.

قال برت مستخدمًا صوته السياسى: "رفيقة آليس، نحن جميعًا هنا. كنا قد قررنا عقد اجتماع عندما حضر ريجى ومارى."

سألته آليس: "أوه، هل كنت ستتجشم مشقة دعوتى؟" ولكنها عادت إلى مقعدها، ولاحظت أن برت وجاسبر وضعا نفسيهما على رأس المائدة ومؤخرتها.

منتصف بعد الظهر. الشمس مشرقة. كانت جوان روبنز تقلم شجيراتها بمقص قديم الطراز. كليك، كليك، كليك، بفواصل زمنية غير منتظمة تصيب الآذان بالتوتر. فى الوعاء الفخارى فوق حافة النافذة بعض مبادئ الزهور. صفراء. رقد القط على عتبة النافذة خلف الزجاج، ينظر إلى الداخل.

بدأ برت: "نظرًا لما لاحظناه فى موسكو ومناقشاتنا اللاحقة، وافقنا ـ جاسبر وأنا ـ على أننا يجب أن نصوغ سياسة جديدة. بالطبع لابد من مناقشتها جيدًا جدًا فيما تتضمنه، ولكن، فقط لمجرد التلميح إلى ما تشير إليه استنتاجاتنا، لدينا صيغة مؤقتة. ذلك أن الرفاق الحاضرين يرون أنه لا مبرر لقبول تعليمات من موسكو."

أضاف جاسبر: "أو من أى مصدر خارجى."

اتكأ برت إلى الأمام، ونظر إليهم جميعًا فى تحد.

قالت كارولين: "مضبوط تمامًا." كانت تقشِّر برتقالة وتلعق العصير عن أصابعها. واستطردت: "أوافق على ذلك بكل تأكيد."

قالت جوسلين على الفور: "وأنا، أيضًا."

قالت روبرتا: "حسنًا، نعم، ولكنها بالتأكيد لم تكن فكرتنا، أليس كذلك؟ أقصد، فاى وأنا؟"

قالت فاى "صحيح جدًا إلى حد مريع، من صاحب تلك الفكرة الخاصة بتوريطنا جميعًا مع الرفيق البغيض أندرو وأفعاله؟ كانت فكرتك أنت، أيها الرفيق برت، وأنت أيضًا أيها الرفيق جاسبر." كانت تستخدم صوت الـ بى. بى. سى. الملائم، وهذا، كما هو الحال دائمًا، يأتى كصدمة بعد تدللها المعتاد وغنجها فى الكلام. بدت باردة ومليئة بالكراهية.

شعر برت وجاسبر بالإحباط. سكنت روح الغضب الشديد ـ الناتجة عن خيبة رجائهما فى موسكو ـ نتيجة المناقشات حول السياسة، و"الصياغات،" وفقدا القدرة على رؤية التاريخ الحديث فى وضع النظريات. ورأت آليس أنهما حقيقة لابد أن يبذلا مجهودًا كى يتذكرا.

لم يكن برت مستعدًا للتخلى عن متعة "المضامين"، فقال: "ولكن من الضرورى أن نقوم بتحليل الوضع." ثم عدل كلماته، مستكينًا: " من المستحسن، على أية حال،"

قالت جوسلين: "لماذا؟" وسألت فاى: "لماذا؟"

صمت.

قالت آليس بدبلوماسية: "هناك أشياء معينة أود أن أعرفها قبل أن ننهى الموضوع."

تنهدت فاى. بأسلوب ينم عن الضجر. كانت تبذل مجهودًا لتجلس هنا معهم بأية حال. كانت شاحبة جدًا. لم تكن ثمة حيوية إلا فى شعرها اللامع، والذى انهالت لفائفه وعقصاته الجميلة حول وجهها الخاوى.

قالت فاى: "أحب أن أعرف كيف تورط البيت الثانى، رقم ٤٥، مع الروس الملاعين."

قالت كارولين: "سؤال جيد،" وهى تصنع كومة صغيرة من قشر البرتقال بأصابعها البيضاء القوية، والتى تلمع بخواتمها البراقة.

واصلت آليس: "هل يعرف أحد؟"

قالت كارولين: "جوسلين تعرف."

هزت جوسلين كتفيها بلا مبالاة، كان الموضوع برمته يثير توترها.

نظر الجميع، إلى جوسلين. ولم يكن من السهل أن تنظر إليها. ليس بسبب مظهرها الخارجى، الذى كان غير لافت للنظر. كانت شقراء - عادية للغاية الأمر الذى ظهر بشدة إلى جانب فاى الحسناء، الرقيقة الجميلة، والتى تستعرض دائمًا، بطريقة أو بأخرى. لم تكن جوسلين تهتم بأن تكون محل إعجاب، أو حتى أن تكون مرئية. عينان خضراوان باردتان، تراقبان كل شىء، وكانت غاضبة طوال الوقت، كأن غضبًا شاملاً قد سيطر عليها عند نقطة ما وأصبحت تعتقد أن هذه هى الطريقة التى يكتسب بها المرء خبرته فى الحياة. ليس سهلا أن تحتمل هذا العداء؛ ولم يكن الناس عادة ينظرون إلى وجهها، ولكن إلى يديها، التى كانت جميلة بأصابع طويلة ماهرة، أو إلى ملابسها، آملين أن يجدوا شيئًا مثيرًا للاهتمام. ولكنها كانت ترتدى، دائمًا، بنطلون جينز وبلوزة قطنية.

قالت جوسلين: "هذا ما حدث، على قدر ما أعلم. كان هناك منزل فى نيسدن، كان يعمل جيدًا كمركز للمقايضة، لعدة أسابيع. لا يتوقع أحد أن يُستخدم مكان أكثر من أسابيع، ولكن فجأة داهمته الشرطة. كان هناك أحد المخبرين. أو شىء ما."

أشعلت سيجارة، واستشفت آليس من ذلك أنها تعطى نفسها وقتًا كى تحسب ما تريد أن تقوله بالضبط.

قاطعتها آليس: "مقايضة أى شىء بالضبط؟"

"ما كان يتم تبادله من خلال المنزل المجاور - رقم ٤٥ - وهو مادة دعاية فى الغالب. ولكن أيضا مواد".

تسببت هذه الكلمة، التى كان لها مدلول تجارى - كما فهمت آليس - فى حدوث قشعريرة متناغمة لكل من برت وجاسبر، اللذين - دون أن يشعرا - مالا إلى الأمام يحدقان مليًا فى جوسلين. ثم انتبها للأمر، فنظرا بعيدًا، وعليهما علامات الضيق.

"كانت المشكلة هى العثور على مكان ما، بسرعة. وبسرعة جدًا. قال شخص ما إن ٤٥ كان خاليًا. كل ما يحتاجونه هو مكان لمدة يومين. لذلك كان محل تفكير."

قال برت بفظاظة: "من الذى كان بحاجة إليه؟"

قالت كارولين، بشكل جازم ورافض: "واضح أنه الرفيق أندرو."

قالت جوسلين: "نعم، كان ينظم مادة دعاية. غالبًا من أجل الجيش الجمهورى الأيرلندى. تطبع غالبًا فى هولندا. و... أشياء أخرى. بعضها بالفعل مواد للتمويه. " وهنا ابتسمت لهم ببرود، ولكن بشفتين مطبقتين، وابتسموا جميعًا بقلق، وأشاحوا بعيدًا بأعينهم.

قالت كارولين "ولكن المنزل لم يكن خاليًا، كنت فقط مبتعدة لعدة أيام. ولما عدت وجدت حجرتين مكدستين بالأشياء. وبعد ذلك ظهرت الرفيقة

موربيل، ثم الرفيق أندرو." ضحكت كارولين، بلا تكلف، وضحكوا جميعًا، مع شعور بالارتياح. لكن جوسلين لم تضحك، أدارت عينيها الخضراوين بينهم واحدًا تلو الآخر، منتظرة أن تواصل حديثها.

قالت جوسلين: "يبدو أنه لم يكن من السهل العثور على بيت آخر مناسب، لا شىء فى الحقيقة آمن. فى هذه الأثناء، استمروا هم مع خمسة وأربعين. كان لديهم كل أنواع البدائل المؤقتة. ذات مرة كان هناك أربعة صناديق قمامة مليئة بالكتيبات ومغطاة بالنفايات فى الحديقة. كان لديهم أكياس قمامة بلاستيكية تحتوى على "مواد" أكثر من مرة. ولكن لم يكن فى الإمكان الاستمرار بهذه الطريقة. بعد ذلك مباشرة، غادر معظم الرفاق المنزل على الفور، وانتقلت الرفيقة آليس إليه." ابتسمت، ولكن كانت عيناها مثل قطعتين من الحجر الأخضر. "كانت مجموعة مواهب الرفيقة آليس اللافتة للنظر مصادفة سعيدة غير منتظرة. بدا أن الرفيقة موربيل والرفيق أندرو على وشك أن يحذوا حذوكم فى حصول ٤٥ على موافقة استئجار من المجلس، ولكن كانت الفكرة الثانية هى: أن ذلك سوف يكون مخاطرة بجميع أنواع الزيارات من المجلس، واستمرت الأمتعة فى الوصول، فى أى وقت من النهار أو الليل، ثم تؤخذ مرة أخرى، أيضًا. لا لقد قررا أنه يكفى أن يكون مثل ذلك الاحترام التام موجودًا فى البيت المجاور. والذى فيه مسئول من المجلس، أيضًا. بعد انتقال مارى ويليامز للإقامة هنا. ثم كان هناك حتى مؤتمر لاتحاد الوسط الشيوعى." ضحكت، ضحكة أفصحت عن رأيها بشأن أ. و. ش.، وبشأنهم؟

سألت فاى بلهجة آمرة: "ولكن كيف تورطت فى كل هذا، إنك لم تكونى معجبة بالرفيق أندرو مثلما لم يكن يعجبنا."

قالت كارولين: "لم أقل إننى لم أعجب به، مثل. من يهتم بكل ذلك؟ لم أكن متورطة مع الرفيق أندرو، أو أى من أفعاله. لقد قررت أن أنتقل إلى هنا لأن موريل قالت لى إنكم تريدون العمل مع الجيش الجمهورى الأيرلندى."

ثم نظرت إليهم مرة أخرى، ببطء، واحدًا تلو الآخر، بإمعان وتريث. وقالت بهدوء: "هذا هو ما يهمنى. ولكن بالنسبة لموسكو، المخابرات السوفيتية وكل ذلك، أنا لا أهتم ـ ولكن كل ذلك قد انتهى، أليس كذلك، الآن وقد ذهب أندرو حيثما ذهب. وأنا لا أحب أن أكون فى مكانه."

قالت كارولين: "لا. ... لا."

شعرت آليس بالإساءة من أجل الرفيق أندرو. بدا أن شيئًا ما كان ينشج بهدوء هناك، فى صدرها. كانت تلك إذًا هى نهاية الرفيق أندرو؟ هم لا يهتمون بما حدث له! أو إذا كانوا لن يروه مرة أخرى!.

كان جاسبر يقول "لماذا؟ ماذا؟ لا أعرف ماذا تقصدين؟"

وبرت: "ماذا فعل؟"

لم يجب أحد. بدا أن الأمر لا يستحق أن يتجشموا مشقة الرد. لم يكن الرفيق أندرو يساوى الجهد المبذول. لقد ذهب. اختفى.

قال جاسبر بحرارة ـ وقد جاء ذلك بانفعال شديد أشبه بالانفجار: "ذهبت وبرت إلى أيرلندا ـ رأينا الرفاق. ولم يكن هناك من يهتم."

قالت جوسلين بهدوء: "هكذا سمعت، نعم سمعت عن ذلك. ولكن ما الأمر؟ من يكون الجيش الأيرلندى ليخبرنا ماذا نفعل فى بلدنا؟"

هذا روعهم جميعًا بقوة حقيقة واضحة ومتعذر تغييرها، حقيقة كانت بشكل غير مفهوم غير واضحة أمامهم حتى هذه اللحظة. بالطبع! من كان الجيش الجمهورى الأيرلندى، ليخبرهم ماذا يفعلون؟

ضحك برت بهدوء، وظهرت أسنانه البيضاء. ضحك جاسبر ـ وعانت آليس من سماعه، لأنها استطاعت أن تقيس بها مدى ما عاناه من ألم، كيف شعر بالإذلال، نتيجة الرفض فى موسكو ـ رفضهم أن يأخذوه بجدية، خاصة بعد الرفض فى أيرلندا ـ كانت ضحكته هازئة ومعبرة عن الفخر، كانت الثقة بالذات تندفع عائدة إليه، وأدار النظر فيهم جميعًا، وقد شعر بأنه حصل على الخلاص.

قالت فاى: "هذا صحيح، أخيرًا. بقدر ما كنت قلقة. بدا لكم جميعًا بريق الأمل. لابد أن نقرر ماذا نفعل، وسوف ننفذه. لسنا مضطرين لطلب إذن غرباء." كانت لا تزال تستخدم صوتها البارد، المضبوط.

قالت روبرتا: "مطلقًا."

قالت آليس: "إذًا هو كذلك، كل ما يجب أن نفعله الآن هو وضع خطة."

عندئذ، سُمع قرع على الباب الأمامى. ذهبت آليس، وعادت ومعها فيليسيتى. كان هناك طلب من المستشفى، حيث سُجلت آليس فى المستشفى "قريبة فيليب". يطلبون منها الذهاب إلى المستشفى من أجل الإجراءات. لم ترد فيليسيتى أن تجلس؛ لم تكن تريد، كما رأى الجميع، أن تكون مجبرة على قبول المسئولية عن شئون فيليب.

قالت آليس بغضب: "لماذا أنا يا فيليسيتى؟ لماذا ليس أنت؟"

قالت فيليسيتى: "أنظرى، لقد جاء فيليب ليقيم عندى لأنه كان مكرهًا. يائسًا. وبقدر ما يعنينى، كان مجرد شخص ليس له مكان يعيش فيه." "ولكن لابد أن لديه عائلة، أو شخصًا ما؟"

"له أخت، فى مكان ما."

"ولكن أين؟"

"كيف أعرف؟ لم يذكر ذلك أبدًا."

وقفت المرأتان كل منهما تواجه الأخرى، وكأنهما فى مشاجرة عنيفة. وعندما انتبهتا للأمر، تحولتا إلى الاعتذار.

قالت فيليسيتى: "عندما قلت إن فيليب يمكنه البقاء، اعتقدت أن ذلك سيكون خلال عطلة الأسبوع، أو أسبوع. لقد بقى عندى أكثر من عام."

رأت آليس أنها هى التى ستتولى تلك المهمة، فقالت بمرارة: "أوه، حسنًا جدًا."، ولأنها رضخت لذلك، فقد أصبحت فيليسيتى "لطيفة،"

ورفضت تناول كوب من الشاى باعتذارات عديدة متعجلة، واتخذت طريقها إلى خارج المنزل.

قالت روبرتا: "مسكينة آليس. سوف آتى معك." وبدأت آليس فى البكاء. نظر الجميع إليها فى ذهول.

قالت روبرتا: "بالطبع تبكى، بالطبع. فهى متعبة." ووضعت ذراعها حول آليس وصحبتها إلى الباب. "لا تفعلوا أى شىء ونحن غائبتان لا نرغب فى فعله،" قالت ذلك بشكل مازح للجميع، ولكن عينيها كانت على فاى، التى هزت رأسها شاعرة بالخيانة، ولم تنظر إلى روبرتا؛ وأصبحت مرة أخرى الفتاة اللندنية الشعبية.

ظلت المرأتان فى المستشفى لعدة ساعات، توقيع نماذج، ومقابلة مسئولين. وافقت آليس على استخراج شهادة وفاة. ورتبت إجراءات طقوس الجنازة بمصاحبة مسئول من المجلس، والذى سيأتى غدًا.

عند منتصف الليل، أعطتها روبرتا قدحًا من الشيكولاتة الساخنة، موضحة أن هذا كل شىء: فهى لا تشعر بأن عليها أن تفعل أكثر من ذلك لفيليب، رغم أنها قد تفعل لو لم تكن فاى فى أمس الحاجة إليها.

***

قضت آليس الصباح فى استخراج شهادة الوفاة وبعد الظهيرة فى إجراءات جنازة فيليب، بصحبة المسئول. كان عملاً مؤلمًا، وبغيضًا. كان فيليب يملك القليل من الملابس، ونحو خمسمائة جنيه فى مكتب البريد، والتى سوف يتم إنفاقها على جنازته.

أما بالنسبة إلى سلمه ومعداقه، فلم تذكر آليس شيئًا بشأنها، لذلك فهى، على الأقل، لن يتم بيعها لبعض المتعاملين مقابل عُشر قيمتها. وهم - فى رقم ٤٣ - يملكون الآن على الأقل أدواتهم وسلمهم الخاص. مهما كانت قيمة ذلك، وطالما كان ذلك يمثل أية قيمة.

وبسبب انشغال آليس التام فى التصرف فى ملكية فيليب، أمضى سكان البيت الوقت دون إحراز أى تقدم. وفى الواقع، الجميع ماعدا جوسلين، التى كانت فى عمل بإحدى حجرات الدور العلوى منكبة على مجموعة من الأدوات، التى كانت قد أعدتها بناء على الكتب التى تسميها "كتب الوصفات"، والتى تعطى نصائح موجزة ورائعة حول صنع أجهزة التفجير. كانت قد اختلست بعض المواد فى مرورها من خلال رقم ٤٥. وقد رأت آليس، مع الآخرين، هذه الأدوات، بناء على دعوة من جوسلين. كانت مصفوفة فوق أحد حوامل فيليب فى غرفة مغلقة بقفل، بسبب أن مارى وريجى، اللذين من المقرر أن يغادرا خلال أيام قلائل، لم يكونا قد غادرا بعد. ما روع آليس فى الأشياء التى صنعتها جوسلين هو أنها بدت غير ذات شأن على الإطلاق، بل ومهلهلة، كانت مجرد أشياء صغيرة تم تجميعها من هذا الشىء وذاك. كانت الأجهزة الإلكترونية التى تفخر جوسلين بها تبدو مجرد شظايا من الدوائر الصغيرة التى تظهر عندما تتحطم الأحشاء الداخلية لراديو ترانزستور.

كانت هناك أيضًا مشابك أوراق، ودبابيس رسم، وساعتا يد من النوع الرخيص، وأجزاء صغيرة من الأسلاك الكهربائية، ومواد كيميائية منزلية، وأنابيب نحاسية من أحجام مختلفة، ومرتكزات كروية، ومسامير من الصفيح، وعبوات من المتفجرات البلاستيكية، وديناميت من طراز قديم، وبكرات من القطن السميك، وخيوط.

وبينما كانت جوسلين تعمل بتلذذ (لم تكن كلمة "استمتاع" مناسبة لجوسلين) فى تلك الألعاب الصغيرة، وآليس تبكى على فيليب؛ لأنها شعرت الآن كأنها فقدت صديقًا قديمًا، بل وأخًا - وبينما ذهب جاسبر وبرت للمشاركة فى مظاهرات حرض عليها آخرون حتى لا يتم اعتقالهما بأى حال، لأنه كان هناك عمل مهم يجب أن يتم إنجازه؛ وبينما أخذت روبرتا فاى لتبقى مع صديق فى برايتون، لأن هواء البحر سوف يفيد فاى إلى حد ما. كانت أم روبرتا لا تزال فى غيبوبة.

كان اليوم يمر ببطء. بدا المنزل خاليًا. وجدت آليس نفسها تفكر فى أن روبرتا وفاى من المحتمل أن تعودا تلك الليلة. هل يعجبهما أن يتم الترحيب بهما من خلال وجبة حقيقية، أو حتى مأدبة؟ وبينما كانت تفكر فى ذلك، وهى جالسة فى المطبخ مع القط، دخلت كارولين وهى تحمل أكياس مشتروات مليئة بالطعام. كانت لطيفة وهادئة ومبتهجة؛ قالت إنها شعرت بالرغبة فى طهى وجبة حقيقية؛ لا، لابد أن تجلس آليس حيث كانت وتستمتع بأن يقوم الآخرون بخدمتها ولو لمرة واحدة.

حتى هذا الوقت، كانت آليس فقط هى التى تحضر الطعام إلى المنزل. الطعام الحقيقى، وليس البيتزا أو رقائق البطاطس. كانت آليس فقط هى التى تمشى مجهدة محملة بالفاكهة، والخُضَر، وتملأ الثلاجة بالزبد واللبن، وتكدس خزانة المطبخ بالمكرونة والبقوليات، والآن جلست تشعر بالامتنان، وتراقب كارولين وهى تعمل مبتسمة، مليئة بقناعة غنية غامضة بدت وكأنها تتدفق منها، مثل ضوء الشمعة. شعرت آليس أنها متلهفة، ظامئة، لقد كانت تفعل هذه الأشياء، تطهو وتطعم وترعى، ولكن ذلك كان نتيجة شعور بأنها ينبغى أن تفعل ذلك، شعور بالواجب. لم تشعر فى حياتها أبدًا بما رأته يملأ كارولين، التى بينما كانت تلعق ملعقة لترى مذاق الصلصة، نظرت إلى آليس كما لو كانت تشاركها بعض السرور الذى لن يتوقعه إلا أشخاص نادرون، متمرسون بالحياة، ثم رفعت ملعقة إلى آليس، وكأنها ترفع بحذر واحتراس محلولاً من النكهة المقطرة، وراقبت بعينين متلألئتين آليس وهى تتذوق وقالت: "نعم، مدهش، رائع."

قالت كارولين وكأنها تغنى: "أنا طباخة عظيمة، وهذا ما يجب أن أفعله...". ولأنها تذكرت ما كانت تفعله، وكيف كان يتم استخدامها، اعتراها الاكتئاب والصمت للحظة.

قصت على آليس قصة حياتها. كانت ابنة صالحة من الطبقة المتوسطة، كما وصفت نفسها، رأت الضوء - أىّ أن ذلك النظام كان فاسدًا وينبغى الإطاحة به جذريًا - عندما كانت فى الثامنة عشرة. وقعت فى حب

شاب ثائر متأثر بشى جيفارا، خريج مدرسة لندن للعلوم السياسية والاقتصادية، ولكنه تحول إلى شخص محترم وانضم لحزب العمال. ورغم ذلك كان هو حب حياتها. فعندما زارته - "كرب مطلق، يا عزيزتى، لماذا أفعل ذلك؟" - كانت تعلم أن هذا الرجل هو نصيبها. "ولكن كيف أستطيع العيش هكذا؟ لم أستطع! نهاية أسبوع واحدة تكفى. ثم نبكى، نتشاجر، وننفصل. حتى المرة التالية." وهكذا ثرثرت، يتورد وجهها، وتبدو متفككة وتلين نتيجة الحرارة فى المطبخ، والدقيق يلوث وجنتيها، مشمرة الأكمام، وتتحكم يداها البيضاوان الكبيرتان فى كل شىء. بدت ناعمة، وممتلئة القوام على نحو جميل، قانعة، تمتلئ بالرضا الغامض الخالى من الوساوس.

عاد جاسبر وبرت من الخارج، جاهزين لأخذ حمامات ساخنة وطعام. كانا قد ذهبا إلى نوتنجهام للمشاركة فى إضراب عمال المناجم، وقد تساقطت الأمطار، وكان الجو باردًا. وكانت روبرتا وفاى تتضوران جوعًا، قالتا ذلك عندما عادتا. عادت الحياة إلى وجنتى فاى مرة أخرى؛ وعادت هى للمشاركة ثانية فى الحياة الطبيعية بالبيت، واستعادت شخصيتها اللندنية اللطيفة والمفعمة بالحياة. كانت روبرتا تشعر بسعادة بالغة؛ لأن حبيبتها فى حالة جيدة، وكشفت عن جانب من شخصيتها لم يروه من قبل. كانت تغنى، بشكل جميل، وبصوت رنان "ألتو" تتحكم فيه جيدًا. فى البداية بعض الأغانى العمالية، ثم سلسلة كاملة من الأغانى بالبرتغالية، والإسبانية، والروسية، وفى النهاية ظهر أنها قد درست الغناء، ولكنها اكتشفت مكانها الملائم مع الثورة.

كان هناك نبيذ يكفى، وثمل الجميع. لم تظهر مارى وريجى.

وكانوا جميعًا فى طريقهم للنوم، فى الساعة الثانية صباحًا تقريبًا، عندما كان هناك طرق منخفض وسريع على الباب الأمامى.

صرخت آليس: "يا إلهى، الشرطة،" واندفعت لمواجهتهم، ولكنها لم تكن الشرطة. كان هناك شابان يحملان عبوتين ضخمتين فوق أكتافهما، وقفا يبتسمان وقد انحنيا من فرط الثقل.

قالت آليس: "ما هذا؟ لا يمكنكما إدخال هذا الشىء هنا." وهى تعلم ما كان يجرى، ذهب كل الابتهاج الذى شعرت به فى المساء، وأحست بالبرودة والخوف.

قال أحدهما: "هيا، الآن،" وهما يدخلان بالفعل. "هناك أوامر بأن نترك هذه هنا."

قالت آليس: "هذا خطأ."

ولكنه أنزل العبوة على أرضية الصالة وذهب، بينما فعل الآخر مثله وهو يبتسم باستحياء.

قالت آليس: "لابد أن تعيدا ذلك الآن، أتفهمان ما أقول؟" ولكنهما سارا نحو الممر، ورأتهما يقفان بجوار شاحنة صغيرة قديمة. كانا يتشاوران، ثم استدارا ليتأكدا من مطابقة رقم المنزل مع ورقة يحملانها. ذهبت آليس إليهما وقالت: "أنتما لم تفهما. هذه الأمتعة لا يجب أن تُترك هنا! لابد أن تأخذاها مرة أخرى."

"آه، حسنًا الآن، ولكن هذا يسهل قوله،" قال ذلك الرجل الذى تُحدث من قبل. بدا مصابًا. وكذلك خائفًا. حتى إنه ألقى نظرة حوله فى الحدائق الظليلة، ثم خرج إلى الطريق الرئيسى، حيث كان المرور قليلا، ولكن لا يزال مستمرًا. كانت ليلة مظلمة، رطبة. وقف الثلاثة قريبين من بعضهم البعض تحت ضوء الشارع يتحاورون.

قالت آليس أن ذلك كان المنزل الخطأ، والبيت الذى يريدونه رقم ٤٥ لم يعد آمنًا لترك أى شىء فيه.

قالوا إنه قد قيل لهم إنه رقم ٤٣..

"لابد أن تأخذوها بعيدًا."

"لن نفعل ذلك!".

تخيلت أنها سمعت نافذة تغلق وراءها والتفتت لتحدق فى القمة المظلمة لمنزل جوان روبنز المواجه، وبينما كانت تفعل ذلك انتهز الرجلان

الفرصة للانطلاق بالسيارة. واضطرت أن تتنحى جانبًا بسرعة لتتفادى دهسها.

"أوه لا،" صاحت فى الظلام، وهى تراقب الشاحنة الصغيرة وهى تندفع نحو الناصية وتختفى من أمام عينيها. "لا، هذا لا يصلح. هذا ليس عدلا."

وقفت هناك، عاجزة، تشعر أن الأمور خرجت عن سيطرتها، ثم فكرت أنها لابد أن تدخل المنزل، لأنه فى حالة استيقاظ أىّ من الجيران المتطفلين فسوف تجذب أنظارهم. وذهبت بتمهل إلى داخل المنزل. كان الصندوقان الكارتون واقفين فى الصالة مثل حجرين بنيين وأملسين وليس عليهما شىء يدل على محتوياتهما.

وعلى السلالم وقف جاسبر وبرت، يحدقان، وهما مغمومان. وأيضًا مخموران إلى حد ما. ووراءهم جوسلين. كانت روبرتا وفاى قد ذهبتا إلى حجرتهما. وكارولين لا تزال تنظف فى المطبخ.

قالت آليس للرجلين: "لا نستطيع أن نبقى على هذا الشىء هنا"، ولكن جوسلين هى التى قفزت على السلم عابرة الرجلين، قائلة: "إلى أعلى بالغرفة العلوية." وبأسرع ما يمكن اندفعت المرأتان على الدرجات عبر الرجلين اللذين انتبها وجاءا للمساعدة. كانت الكرتونة الأولى ثقيلة جدًا ثم الثانية، وتم وضعهما فى ركن بعيد داخل العلوية.

قالت جوسلين إنها سوف تكتشف فى الصباح ماذا بداخلهما. ربما حتى الليلة: فهى لم تكن تشعر برغبة فى النوم.

قال جاسبر: "لا تفجرينا جميعًا،" ولم تجب. فهى لم تكن تهتم كثيرًا بجاسبر، وأظهرت ذلك، ولكن بدا أنها معجبة ببرت. وكان برت من جهته، منجذبا إلى كارولين، التى إما أنها لم تلاحظ هذا أو قررت أن تتجاهله.

عادت آليس إلى المطبخ، حيث قامت بترتيب هذا وذاك، وهى تستمع لأصوات بعضهم أو كلهم وهم يناقشون الأمر؛ لأنها فهمت أن شيئًا ما سيئًا

قد حدث. لم يكن مجرد شىء مزعج آخر صغير، مثل زيارة من الشرطة! وعندما تحققت أنه لم يكن هناك أحد قادم - وأن ذلك يعنى أنهم لم يروا حتى الآن ما يجب أن يروه - جلست على رأس المائدة وارتدت إلى حالة من الخدر. إحساس بالخدر، ليس تفكيرًا، لأن عقلها كان نشيطًا.

لم يقل لهم أحد أى شىء يتعلق بأن رقم ٤٣ قد أصبح نقطة تسليم وتسلُّم. كان لابد، بالتأكيد، أن تذكر الرفيقة مورييل، لو كانت تعرف. لم تكن كارولين وجوسلين تتوقعانه. الرفيق أندرو لم يقترب من الموضوع. (هنا خطر على بالها... المال، الخمسمائة جنيه، طفت على سطح الذاكرة، وتأملت آليس مليًا فى الأمر، كيفما اتفق.) رقم ٤٣ لا يمكنه استيعاب أن يأتى أشخاص فقط لإلقاء أشياء، وآخرون يلتقطونها مرة أخرى، فى أى وقت من ليل أو نهار! ببساطة لم يكن مهيأ لذلك! ولكن من الذى يمكن أن تتصل به آليس لتعلن ذلك؟ لقد اتضح لها أنها ليس لديها وسيلة للاتصال بأى أحد: بات، أو مورييل؛ ناهيك عن الرفيق أندرو. عدم الواقعية فى الأمر، أن هؤلاء البشر كانوا ناشطين جدًا، "موجودين" جدًا، فى هذا المنزل وفى المنزل المجاور، على مدى أسابيع - رفاق يمكنك أن تقول حميمين - وبعدئذ يختفون، ذهبوا على نحو قاطع، ضاعوا، انمحوا حتى أنها لا تستطيع أن ترسل إليهم بطاقة بريدية... عمّق هذا الاعتقاد شعورها بالخدر، بانعدام الحس. مثل منطقة جوفاء تنتشر ببطء فى أنحائها.

وكان هناك شىء آخر. (ولكن هذا لم يكن بالتأكيد فكرة جديدة) كانوا هنا، ملتزمين نحو "عمل شىء حقيقى أخيرًا،" مستعدين تمامًا لذلك - يمكنك أن تقول إن رقم ٤٣ كان الآن يهتز على الحافة، مثل أشخاص فى مركب صغير على حافة شلال (هنا هزت آليس رأسها بعنف، مثل كلب يطرد الماء من أذنيه) - مع ذلك لم يكن لديهم فى الحقيقة الكثير من الثقة فيما بينهم. (كانت آليس تستعيد ـ إذا جاز التعبير ـ النظرة على وجه جوسلين عندما رأت جاسبر وبرت متكاسلين على السلم. بينما سارعت هى وجوسلين للمساعدة فى حمل العبوتين الكبيرتين.) لا، لم تكن جوسلين

تعجب بجاسبر! ماذا بشأن فاى؟ حسنًا، لم يكن من الصعب أن نتخيل. من المؤكد تقريبًا، مع ذلك، أنها ولابد توافق على روبرتا؟ كارولين؟ من الصعب أن تتخيل تباينًا أكبر بين المرأة الشهوانية المتراخية وجوسلين العملية الفاترة. وهى نفسها، آليس؟ هل تستخف بها، أيضًا؟

وطرأ على ذهنها أنها كانت تستخدم جوسلين كمحك، ونقطة للتقييم. كما لو كانت جوسلين مفتاحًا لكل شىء؟ حسنًا، لقد كانت هى التى تعمل فى تجهيز القنابل، أو ما شابه.

صعدت آليس إلى أعلى البيت، ورأت الضوء صادرًا من تحت باب حجرة عمل جوسلين، طرقت عليه، سمعت صوتًا منخفضًا "أدخل."

نظرت جوسلين من حيث كانت تجلس خلف طاولتها، وكانت يداها مشغولتين، بطول سلك من النحاس. بالقرب منها عبوات كيماويات منزلية مختلفة، تبدو مطمئنة فى أغلفتها اللامعة.

استمرت جوسلين تنظر إلى آليس، منتظرة منها أن تعلل سبب مجيئها. فكرت آليس أنها تبدو هائلة ومخيفة، ولكن ماذا يمكن أن يكون عاديًا أكثر من جوسلين؟ يمكن للغريب أن يرى شقراء تميل إلى مظهر العاهرات، تتساقط جدائل شعرها الباهت فوق وجهها، وكنزتها الصوف الرمادية ملطخة بمسحوق أبيض من نوع ما. ولكن كان تركيزها، وانكبابها خلف ما كانت تفعل...

قالت آليس بصوت واهن: "أهلاً،" ولم تستجب جوسلين، ولكنها استمرت فى العمل، تصب حبوبًا بيضاء من وعاء صغير فى أنبوبة نحاسية. قالت آليس: "إننى لم أتقبل ما حدث تحت،" بدا صوتها غير مؤثر حتى لنفسها، وأومأت جوسلين برأسها وقالت: "لا، ولا أنا. ولكننى لا أرى أننا نستطيع عمل أى شىء إلا أن نستمر. لابد أن ننجز العمل سريعًا، ثم نفترق."

لم يكن بالحجرة مكان تجلس فيه، فقط الطاولة وخلفها كرسى بلا مسند، والذى كانت جوسلين تجلس عليه. أظهرت النوافذ غيومًا بالسماء.

سرعان ما تبدأ العصافير فى الزقزقة، وقفت آليس فى مواجهة جوسلين مثل تلميذة أمام مدرستها، وقالت: "هل فكرت ماذا ينبغى أن نفعل؟"

"نعم بالطبع. ما ننسفه يعتمد على وسائلنا، أليس كذلك. لقد واتتنى فكرة جيدة جدًا حول ما هية قدرة تلك الأشياء. ولكننا يجب أن نناقشها."

"هل أنت... أقصد... لديك..."

قاطعتها جوسلين بسرعة: "لا، لم أفعل ذلك من قبل، ولكنها مسألة استخدام إحساسك العام،" ثم نحت جانبا أنبوبة نحاسية كان طولها نحو عشر بوصات، ومن المحتمل أن تكون قد وصلت إلى مرحلة ما من الاستعداد، وأخذت أخرى. وألقت نظرة جانبية على "كتاب الوصفات،" الذى كان مفتوحًا بجوارها. هذا المنتج له نفس خصائص الأجهزة المصنوعة وفقًا لوصفاته. لم يكن مطبوعًا ولكن مصورًا، مما أضفى عليه مظهرًا تقنيًا قبيحًا. كان على ورق سيئ. وله غطاء بلاستيكى ضارب إلى الصفرة، مثل كتاب رخيص عن الطبخ. بدا كل شىء على تلك الطاولة رخيصًا، بديلاً مؤقتًا، حاد الحواف، ولسبب ما غير مكتمل. كل شىء، كان كذلك، فيما عدا العبوات الكيماوية البارعة، التى بدت مصقولة بقدر من التفكير والخبرة احتوت عليها.

قالت جوسلين مبتسمة: "ولن تكون فكرة سيئة إذا قمنا بتجربتها،" كانت ابتسامتها، كما يمكن أن تكون متوقعة، باردة مصطنعة.

قالت آليس: "صحيح، بالطبع."

"نستطيع اختيار شىء يستحق أن يكون هدفًا للتفجير."

عادت آليس للحياة: "نعم. شىء بغيض تمامًا... شىء مقزز، نعم."

نظرت جوسلين إليها بفضول، بسبب هذه الحيوية المفاجئة. "هل لديك شىء فى ذهنك؟ أريد شيئًا محددًا، إذا كنت تعرفين ما أقصد. شىء محدد، ليس كبيرًا جدًا؛ ومن مادة صلبة. لكى أستطيع أن أختبر المقادير."

كانت آليس تستعرض فى ذهنها الأشياء التى سوف تستمتع وهى تراها تنفجر. لابد أن تستثنى السياجات الحديدية المموجة المحيطة بالسوق القديمة، حيث كان الجميع يقضون وقتًا طيبًا؛ والتى كانت كلها خلال الأسبوع، وعلى وجه الخصوص أيام السبت والآحاد، أشبه بالمهرجان. لم يتم "تحديد" سياج، لقد امتد وامتد.

قالت جوسلين: "ليس كشك تليفون، فإنه يقول هنا تمامًا الكمية التى نحتاجها لتفجير واحد من هذه الأكشاك."

"سيارة؟"

"نعم، ربما نحتاج لاستخدام سيارة، بسبب صعوبة الوصول. وإمكانية الرؤية، ولكنى أعلم ما الذى تحتاجه سيارة. شىء آخر."

ابتسمت آليس. "أعرف ماذا." واستولى عليها شعور بالكراهية، هز كيانها كله. "أوه يا إلهى، نعم،" تنهدت. "سأريك. إنه ليس بعيدًا."

"صحيح." تركت جوسلين موقعها ولحقت بآليس وهما ينزلان السلم فى صمت. لم تكن الصالة مظلمة، ولكن رمادية. ضوء النهار. سرعان ما ينزل المارة إلى الشوارع، عمال الصباح الباكر.

سارتا ما لا يزيد على نصف ميل، إلى منطقة شوارع صغيرة كان قد تم بناؤها قبل اختراع السيارات التى تعمل بالمحرك، والآن تتدحرج اللوارى هناك طوال اليوم، تزعق متقهقرة حول النواصى، يمر الواحد عبر الآخر ولا فاصل بينهما سوى بوصات قليلة، وكانت الأرصفة ضيقة، فقد بُنيت كى يستطيع شخصان أن يمرا فى اتجاهين متقابلين، وفى تقاطع اثنين من هذه الشوارع الصغيرة، متعامدين، تم توسيع الرصيف من جانب واحد، وهكذا تسبب فى المزيد من الضيق للشارع، بنحو ياردة. هذا النموذج من الذكاء الحكومى كان يغيظ، ولكن بالإضافة إلى ذلك، لجعل كل شىء غير مفهوم نهائيًا للعقل العادى، بعد كسب هذه الياردة الإضافية أو نحو ذلك من الرصيف من أجل إراحة وإرضاء المواطنين، قام المجلس المحلى بإقحام

دعامات أو أوتاد بنية قاتمة قبيحة غريبة الشكل مرتفعة بقدر ياردة، ومستديرة مثل الأسنان، بطول الحافة المستخلصة من الرصيف الأسمنتى. تلك الأشياء الشنيعة والحمقاء التى لا فائدة منها سوى إعاقة السائرين، كانت نحو عشرين واحدة أو ما يقرب حول كل ناصية فى كل طرف من الشارع المبتلى، وكانت كلما مرت آليس عليها وهى ذاهبة إلى الأندرجراوند، تثير فيها غيظًا وإحساسًا بالعجز، عنيفًا، عديم الجدوى، وغير قابل للاسترضاء. كانت تقف هناك، تتفحص هذا المنظر مثلما فعلت عندما رأت كيف قام عمال المجلس المحلى بملء المراحيض بالأسمنت، وحطموا المواسير، خربوا بيوتًا بأكملها، تقول لنفسها، بشر يفعلون ذلك. فى البداية، فى أحد المكاتب، فكروا فيه، ووضعوا خطة، ثم أعطوا تعليمات للعمال لتنفيذ ذلك، ثم نفذه العمال. كان الأمر كله لا يمكن فهمه. كان مفزعًا، مثل نوع من الحماقة الكئود أصبحت واضحة ومرئية. مثل مبانى الجامعة العصرية.

جنبًا إلى جنب فوق الرصيف، الذى كان، بسبب الأسنان الأسمنتية ضيقًا مثلما كان قبل التوسيع، نظرت آليس وجوسلين إلى المنظر، وكان لورى يسير فى الاتجاه المعاكس أو يلف فى انحناءة ضيقة جدًا قد اصطدم بإحدى تلك الأسنان، أو الأعمدة. كانت قواعدها ملطخة بمخلفات كلب. تحت ضوء الفجر الرمادى الخافت فى السماء، البيوت التى لا تزال نائمة تعج بالبشر الذين سيتأذون بسبب تلك الأرصفة، وتلك الأسنان الأسمنتية، كلما خرجوا من منازلهم. بدت البيوت رقيقة وبريئة، والسماء صافية وحزينة. ثم بدأ كورال الفجر.

كانت آليس تبكى حنقًا.

جلست جوسلين، وقالت: "حقًا. أعلم ماذا تقصدين. ولكن هذا ليس موقعًا سهلا. لابد أن يكون البشر هنا وهناك فى معظم أوقات النهار والليل."

"لا يوجد أحد الآن."

"ولكن هناك دائمًا بومًا ليليًا ينظر من النوافذ، أو نساء فوق مع أطفالهن."

كانت آليس مرتاحة لهذا الدليل على الطبيعة العادية فى جوسلين، ولكنها قالت: "ولكن ذلك حقيقى فى كل مكان، دائمًا، أليس كذلك؟"

لم تجب جوسلين. كانت تنظر إلى تلك الأسنان المنحرفة المشوهة. بدون النظر حولها مع الشعور بالذنب، أو النظر بطول صفوف النوافذ، ذهبت بسرعة إلى هذه الدعامات وحاولت رفعها. فتحركت قليلاً. لحقت بها آليس، وبصعوبة تمكنتا معًا من رفعها عموديًا، ثم تركتاها لتعود إلى مكانها مرة أخرى.

بسرعة، فحصت جوسلين الفجوة فى قاع هذا السن، حيث كانت هناك بعض الأسلاك المعدنية الواهنة، وقالت: "هذا سوف يؤدى بالغرض. سوف أضع الشحنة تحتها، ثم أجعلها تقف منتصبة. كل ما أحتاج معرفته هو كم أحتاج من شىء معين غدًا. سوف نفعله غدًا. قبل ساعة من الآن."

كانت الساعة تقترب من الخامسة.

وكانتا تقفان هناك لحوالى عشر دقائق، ولكن لم يظهر مخلوق. مع ذلك كانتا محاطتين بنوافذ وربما، عيون. شعور مألوف بالتهور، والإثارة، كان يعترى آليس. اختفى شعورها البغيض بالنعاس. واختفى أيضًا شعورها الكئيب، المسموم، بفقدان الحس.

وبينما كانتا تدوران حول الناصية إلى شارعهما، شرعت فى العدو، ثم انطلقت بأقصى سرعة، من طاقة زائدة تمامًا، حتى بوابة البيت، وقفزت فوقها، ثم إلى الممر، حتى توقفت أمام الباب، الذى كان على أية حال لابد من فتحه... بمفتاح.

قالت جوسلين، وهى تصل فى هدوء: " لابد أن يكون المرء متمالكًا نفسه تمامًا فى مثل هذه المهمة. هادئًا. وليس سريع الاهتياج." غمغمت آليس بشىء تبريرى.

ثم ذهبتا إلى الفراش بالطابق العلوى.

لم تنم آليس كثيرًا؛ كانت ترتعش بالإثارة، والتوقع. نزلت إلى الطابق السفلى فى البيت النائم، حاولت التحكم فى نفسها لتمشى برزانة، بسبب ما قالته جوسلين.

جلست فى المطبخ وفكرت، حسنًا، هأنا من جديد، أنتظر أن يستيقظ الآخرون. شربت شايًا، وأكلت وجبة كاملة من خبز القمح الكامل والعسل، ثم تذكرت العبوات الموجودة فى الغرفة العلوية. وفى الحال سيطرت عليها حالة من الارتباك، والانفصال. إنهم بحاجة لسيارة... ولكن ليس هناك سيارة فى ٤٥ ... كيف يمكن الحصول على سيارة؟ ثم وهى تتحقق من أن الوقت لم يكن متأخرًا جدًا - حوالى الثامنة، هناك وقت للحصول عليها قبل أن تذهب إلى العمل - سارت آليس بأسرع ما تستطيع إلى بيت فيليسيتى.

كانت فيليسيتى قادمة لتوها نحو البوابة، وعندما رأت آليس، امتلكها انزعاج حذر. ولكن آليس لم تعطها وقتًا لإظهار هذا الشعور. ذهبت إليها مباشرة وقالت: "لقد تم تقريبًا فرز متعلقات فيليب. ولكنهم يبحثون عن أخته. إذا لم يعثروا عليها فى غضون عدة أيام، فسوف يرتبون لإقامة الجنازة يوم الإثنين أو الثلاثاء على أية حال." بدت فيليسيتى - كما هو متوقع - محرجة، بل ونافدة الصبر، وقالت: "شكرًا، لطيف منك أن تقومى بكل ذلك."

قالت آليس وهى تنبهها بشكل جازم: "ليس لدى خيار."

وقفت المرأتان تواجه إحداهما الأخرى، ولكن فيليسيتى بدت كما لو كانت فى لعبة تحاول خلالها تفادى شخص ما دون أن يمسها. قالت آليس: "هل يمكن أن أستعير سيارتك لعدة ساعات؟"

هنا تنهدت فيليسيتى وقالت: "ولكننى سوف أستخدمها هذا الصباح." كانت فيليسيتى تعمل موظفة خدمات اجتماعية.

قالت آليس ببساطة "إننى أحتاجها."

فكرت فيليسيتى وقالت تستطيعين أن تأخذيها صباح غد وحتى موعد الغداء." لم يكن ممكنًا أن تقول أكثر من ذلك بوضوح: وذلك كل ما يمكنك أن تحصلى عليه منى كمقابل! ردت آليس على ذلك بـ "حسنًا. سوف نضع فى الاعتبار أن الحسابات قد تمت تسويتها، إذًا." لدى سماعها ذلك فى كلمات، شعرت بالخجل، ولكنها قالت: "إننى متعجلة. غدًا فى نفس الموعد؟" وجرت تقريبًا إلى سيارتها، داتسون، وكانت تقف مع كل السيارات المطيعة الأخرى، ممتثلة إلى جانب الرصيف.

لقد تم إنجاز المهمة، طردت آليس بذلك كل الأفكار المتعلقة بالعبوتين الخطرتين خارج رأسها. غدًا سوف تأخذهما إلى مقلب النفايات التابع للبلدية، وسيكون الأمر كذلك. وإذا تم اكتشاف أى شىء بعد ذلك، فسوف يكونون قد تخلصوا منه.

خارج بابها الأمامى وقف رجل، يرتدى حلة رمادية أنيقة وربطة عنق، جعلها تعتقد إلى حد بعيد أنه مسئول حكومى، أوه لا، ليس المجلس مرة أخرى، واستعدت بوجهها الذى يعطى الانطباع: "أستطيع ـ أن ـ أبدو ـ بالوجه المناسب لكل شىء".

ولكنه كان ذا لهجة أمريكية عندما قال، أو أعلن: "آليس ميلينجز؟"

"نعم، مضبوط"ـ وعرفت أن هذا الصدام الوشيك كان الشىء الذى تحتاج أن توجه كل ذكائها إليه. أخبرها دمها المثار بذلك.

"هل يمكننى أن أدخل؟"

بدون كلام، فتحت الباب، وسارت أمامه إلى المطبخ، وأشارت إليه ليجلس على المقعد الموجود فى نهاية المائدة. ثم وضعت الغلاية وجلست على رأس المائدة

بدا أصغر سنًا منها. ولكنه كان من النوع الذى يبدو صغيرًا. كان له وجه ناعم، لطيف ومهذب، مثل تلميذ موضة قديمة. كانت له عينان بنيتان

جميلتان إلى حد ما، مكرستان فى الوقت الراهن لكل حركة منها، فحصتاها بتمعن كما فعلت هى معه. اهتم باليدين بصورة كبيرة. ولكن كانت صفته المميزة هى أنه كان بدون صفة مميزة. لم يكن هناك شىء، ولكن لا شىء ملحوظ يمكن أن يمسك عليه. كاتب؛ شخص يعمل فى مكان داخلى بشكل أساسى، أقصى ما يمكن أن يتعرض له من الأحوال الجوية هو تيار هواء مسحوب أو بارد جدًا من نافذة تركت مفتوحة. لابد أنه اجتاز اختبارًا فى كيف تكون عاديًا! مع ذلك كان هناك شىء مفرط فى ذلك.... بالطبع، كانت هى، آليس من المحتمل أن تقابل غير النمطيين - أو، حسب تعبير أمها بأسلوبها قديم الطراز، البوهيميين؛ وبالطبع، فى إنجلترا فى تلك الأيام، ولندن على وجه الخصوص، ليس هناك من يهتم بالأخلاق، ولكن، رغم ذلك....

كان هو الذى كسر الصمت قائلاً: "رفيقة ميلينجز، علمت باكرًا هذا الصباح أنك كنت معارضة لقبول طرد مرسل يحتوى على "مواد"."

حدقت آليس. كان استخدام كلمة "مواد" الآن، فى هذا السياق، لا يؤثر فيها على الإطلاق. ففى هذه الحالة (التى كانت تريد إسقاطها والتخلص منها) كانت كلمة "مواد" تحتمل الكثير جدًا؛ كانت طريقة نطقها توكيد على أنها ينبغى أن تؤخذ بكل جدية.

قال: "هل هذا صحيح، يا رفيقة ميلينجز؟ أحب أن أتلقى بعض الإيضاحات." كان يتحدث كما لو بشكل مجرد، وقد نُحِّيَتْ شخصيته الخاصة، ولكن الكلمات التى استخدمها كانت كافية، فانتابها الغيظ فجأة. من كان يعتقد نفسه بحق الجحيم...

قالت بهدوء وبرود: "بالتأكيد صحيح. لم يكن يصلح إطلاقًا إحضارها هنا. لم تُتخذ أى ترتيبات لاستقبال أى نوع من الأمتعة هنا." تعمدت استخدام كلمة "أمتعة"، بأسلوب بدا غير مهم.

لعق شفتيه، وضاقت عيناه قليلا وهو يحدق.

فى النهاية قال: "هذا غير ممكن،" واستطاعت أن ترى أنه كان مشوشًا، يحاول أن يجد خيطًا ما أو طرفًا غير محكم لتوجيهه.

قالت مؤكدة: "أوه نعم، هذه هى الحقيقة،" كل أنواع الأشياء كانت تُلقى فى البيت الثانى وترفع مرة أخرى. ولكن ذلك ليس له علاقة بنا فى هذا البيت. هذه حالة مختلفة تمامًا."

صدرت أصوات من الغلاية مكنتها من أن تنهض برشاقة وتذهب إليها. ثم قامت وظهرها إليه بتقليب بن سريع التحضير فى قدحين. ببطء. هناك شىء يتعلق به قد أزعجها. كان إلى حد ما أشبه بتلك البالتين اللامعتين المتساوين الكبيرتين بالطابق العلوى، بلا علامة عليهما وبداخلهما أشياء لا يعلمها إلا الله.

أمريكى؟ حسنًا...

أخذت وقتها لتستدير، وتضع القدح أمامه. لم تسأل ماذا يشرب، ثم اندهشت هى نفسها عندما تثاءبت، تثاؤبًا عميقًا لا يُقاوم. فعلى أية حال، هى لم تنم تقريبًا. اختلس نظرة إليها، وهو مندهش. لم تكن هذه النظرة ضمن جدول أعماله، إذا جاز القول؛ وشعرت فجأة بأنها مسيطرة على الموقف.

جلست فى هدوء، ولما بدا أنه يبحث عن حليب، أو سكر، دفعت ناحيته زجاجة نصف مملوءة بالحليب، وكوبًا عتيقًا جميل المنظر به سكر. ورأت أن هذه التدابير المنزلية لم تلق استحسانه.

انتظرت، وعقلها يبحث عن الشىء الذى أزعجها فيه.

قال: "يعتمد الثوريون الأمريكيون على هذه العلاقة التبادلية، حتى يمكن أن تصل مساعداتهم إلى الثوريين الأيرلنديين."

"أى ثوريين أمريكيين؟"

"كما تعلمين، يا رفيقة ميلينجز، هناك أعداد كبيرة من الأمريكيين الشرفاء يرغبون فى مساعدة الأيرلنديين فى نضالهم ضد الاضطهاد البريطانى."

"نعم، ولكن معظمهم أناس عاديون؛ هم ليسوا ثوريين." كان هناك احتقار شديد فى هذا بالنسبة له ـ ولانعدام الدقة فى تصريحه.

عندئذ أخذ يحدق فى قدحه، وكأن تفحصه لها لم يثمر عن المعلومات التى كان يحتاجها، وقد يمده القدح بالإلهام.

قالت: "فقط دعنا نجعل هذا واضحًا، هل المفترض أنك أمريكى، تمد الرفاق الأيرلنديين بالأسلحة؟" لم تقصد أن تبدو بهذه القسوة والسخرية.

قال، وهو لا يزال ينظر إلى قدحه: "نعم، أنا أمريكى، جوردون أوليرى. الجيل الثالث من عائلة أمريكية ـ أيرلندية عريقة. مثل عائلة كيندى." وضحك لأول مرة. فقدمت الضحكة لها هذه الدعابة كهدية، ونظر لها مباشرة، بثقة.

سألت، وقد اختنق صوتها تمامًا بالسخرية: "والرفيق أندرو أمريكى أيضًا؟"

"نعم، هو أمريكى. بالطبع. ولكنى أعتقد أن عائلته جاءت من ألمانيا."

قالت: "أوه، الرحمة يا إلهى، الرفيق أندرو صلته بالجنسية الأمريكية مثل..." نظرت مباشرة إليه، بكل ما لديها من براءة مثالية، وصراحة، وقالت: "وأنت لست أمريكيًا، لا يمكن أن تكون أمريكيًا، ولا فى ألف عام."

تغير لون وجنتيه الشاحبتين المطيعتين، واضطرب تنفسه، وهو يخفض نظرته الغاضبة بدرجة خطرة. ثم قال وهو يستعيد سيطرته على نفسه: "ولكنى أؤكد لك أننى كذلك. ولماذا لا أكون؟"

"إنك روسى. مثل أندرو. أوه، إنك تتحدث اللهجة الأمريكية بطلاقة، بالطبع." ضحكت آليس، من العصبية، ولكنها كانت مشحونة بغضب حقيقى إلى أبعد الحدود. لم تكن أبدًا قادرة على تحمل معاملتها باعتبارها ساذجة. وهكذا كانت تُعامل الآن.

قام بإجراء بعض الانضباط الداخلى أو ما إلى ذلك، تنهد، ثم اعتدل فوق مقعده، وكأن جهازًا إرشاديًا داخليًا ذكره بأنه لا ينبغى أن يتراخى المرء فى المقعد، ونظر إليها. قال، بشكل لطيف تمامًا: "رفيقة ميلينجز، فى الواقع إننى أمريكى من ميتشجان. أنا مهندس، وعندما أنتهى من بعض المهام الصغيرة المحددة هنا، فذلك هو ما سوف أعود لأعمله. هل تفهمين؟" وانتظر ردها، ولكن بينما كانت تنصت إليه، كانت نظرتها مثبتة على وجهه، وكانت النظرة جامدة قليلاً، لأن عقلها كان يكد فى العمل. لماذا لا يكون أمريكيًا؟ كان يتحدث هذه اللهجة بطلاقة، أفضل من أندرو! لا، إنه أسلوبه. هناك شىء غامض فيه. كيف يكون الأمريكيون، إذًا؟ (حتى أنها أغلقت عينيها، مستعرضة فى مخيلتها صور الأمريكيين الذين عرفتهم.) ذكَّرت نفسها، إن كل الأمريكيين الذين قابلتهم كان معظمهم صغيرى السن، وينتمون إلى الشبكة الدولية للجوالة والمستكشفين، ولكن، مع ذلك، كان الأمريكيون الحقيقيون مختلفين تمامًا. كانت هناك طبيعة معينة ـ ماذا كانت؟ نعم، كانت هناك سعة أفق، انفتاح، انطلاق... كانت هناك حرية، نعم، تلك هى الكلمة. فى حين أن هذا الرجل (فتحت عينيها لعمل مقارنة مع ما كانت تتفحصه على شاشتها الداخلية، لتجده يراقبها بفضول بالغ) كان كتومًا ومنضبطًا، وبدا كما لو كان لا يستطيع القيام بحركة عفوية حتى لو حاول ذلك. ولقد بدا، رغم أنه جلس "مسترخيًا" ـ ربما من المفترض أن هذه الجلسة يُقصد منها الإيحاء بوضع غير رسمى ـ كأنه يرتدى سترة ضيقة غير مرئية ولم يكن أبدًا بدونها، فى أى وقت من حياته. جزيئات جسمه نفسها اعتادت أن تكون على حذر.

وصلت إلى نتيجة نهائية: "أنت لست أمريكيًا، ولكن ذلك لا يهمنى على أية حال. وليس لك أن تحضر المزيد من تلك الأمتعة هنا. فلن نسمح بدخولها."

قال: "سوف تفعلين ما تم التعاقد معك عليه. كما هو مفهوم،" جاء ذلك بنعومة شديدة، ويحمل تهديدًا صارمًا. شعرت بأن طريقة التهديد

تلك قد تم تعليمها له: الطريقة ٥٣ لترويع المواطن. كان الازدراء الذى شعرت به أمام وضوحه هذا يضعها فى حماية منه.

"لقد قلت لك، نحن لم نتعاقد حول أى شىء."

"بل تعاقدت! تعاقدت، يا رفيقة ميلينجز!"

"متى فعلت ذلك؟ لم يُذكر شىء من هذا أبدًا. ولا حتى مرة واحدة."

"كيف يمكن ألا يكون قد ذُكر؟ هل قبلت أخذ مال منا أو لم تقبلى، يا رفيقة ميلينجز؟"

جعلها ذلك تعود قليلا إلى الوراء، وتجهمت، ولكنها قالت: "أنا لم أطلب مالا. لقد أُعطى لى فقط."

"أُعطى لك فقط،" قال ذلك، بسخرية مهذبة، مخففة، تتلاءم مع أسلوبه العام.

"نعم. كل ما أعرفه هو أن الرفيقة مورييل، إنك تعرفها، المرأة التى تشبه الإوزة، أعطتنى رزمة بها خمسمائة جنيه، قبيل أن تذهب إلى برنامج التدريب على الجاسوسية فى ليتوانيا أو أينما كان."

عندئذ احمر وجهه تمامًا، احمرار اللحم البقرى الطازج، وحملق فيها بالفعل، قبل أن يسترد رباطة جأشه. واعتدل مرة أخرى فى جلسته، متذكرًا، ربما بسبب غضبه، أنه حتى عندما يكون المرء جالسًا مسترخيًا إلى منضدة، ينبغى أن تكون ركبتاه مضمومتين، وينبغى للمرء ألا يستند إليها إلا بمرفق واحد على أكثر تقدير.

"إذا كان الرفيق أندرو أو أى شخص آخر قد قال أى شىء عن مدارس الجاسوسية فى أىّ مكان على الإطلاق، إذًا فهى مجرد حزمة من التفاهات."

أمعنت التفكير فى ذلك، وأخذت وقتها: "لا أعتقد أنها تفاهات. أين ذهبت مورييل وبات؟ لقد ذهبتا إلى مكان ما للتدريب. حسنًا، ذلك لا

يعنينى على أية حال. وليس لدى اهتمام بأمريكا أو تشيكوسلوفاكيا أو روسيا أو ليتوانيا. وليس لدى أى منا اهتمام من هذا النوع. نحن ثوريون إنجليز ونحن نضع سياساتنا ونعمل وفقًا للتقليد الإنجليزى. تقليدنا."

قال بحذر بعد فترة صمت طويلة: "مفهوم بالطبع أنك تدينين بالولاء فى المقام الأول إلى وضعك الخاص. ولكننا نتعامل مع نضال القوى الشيوعية المتنامية فى العالم، والرأسمالية التى تعانى من آلام الاحتضار. ذلك وضع عالمى، ومعنى ذلك أن السياسات لابد أن تكون صياغتها من وجهة نظر دولية. هذا نضال عالمى، يا رفيقة."

قالت آليس: "لا أعتقد أنك تفهم تمامًا، نحن لا نأخذ أوامر منك أو من أى شخص آخر. ليس من 'أى شخص "' قال ببطء، وهو يؤكد على كل كلمة يقولها: "إنها ليست قضية إنك قررت أو لم تقررى، يا رفيقة. فليس بمقدورك إنكار اتفاقيات تم إبرامها فعلاً."

استكملت النقاش الدائرى بتكرار: "ولكن لسنا نحن من أبرمها."

خفض نظرته بسرعة، ليحجب عينيه العدوانيتين القاسيتين عنها.

استمر الصمت لفترة، وعلقت آليس، بهدوء وبسلوك الضيافة الحسن، الذى يجعل الناس يشعرون بالارتياح: "يبدو لى أن رفيقك أندرو قد أفسد الأمور. أليس كذلك؟ وأنت تحاول إعادة تنظيمها كلها؟"

سمعت صوت تنفسه يخرج عاليًا جدًا. ثم بطيئًا ومنتظمًا بعد أن سيطر عليه. كانت عيناه غير متاحتين للفحص. كان كل شىء فيه مشدودًا ومطبقًا بإحكام، حتى يده، كانت راقدة فوق المنضدة. "حسنًا، لا تتوتر كثيرًا لهذا السبب. فهناك كثيرون جدًا فى الـ كيه. جى. بى. - ملايين على شاكلتك، أليس كذلك؟ - نعم، أنا أعرف أنه هكذا هو الحال فى روسيا، لكن البعض فقط منكم بالخارج لمراقبتنا بعناية - حسنًا لابد أن يكون البعض على قدر من عدم الكفاءة." شعرت للحظة بالرعب من نظرته المرتفعة إليها، واستمرت بشجاعة، وبلطف تام، لأنها فى هذه اللحظة أرادت

بصدق أن تشعره بالطمأنينة، لو كان ذلك ممكنًا، وقد تقول، بعد أن تحرز تقدمًا وتجعله يقبل وجهة نظرها: "أنا متأكدة أن نفس الشئ يصح على مجموعتنا. أقصد، يا لها من مجموعة بغيضة، ... حتى لو كان نصف ما تقرؤه فى الصحف صحيحًا...." هذا الجزء الأخير من الجملة بدا وكأنه صوت أمها، مباشرة؛ وتعجبت آليس أن يأتى صوت أمها بكل تلك القوة وبصورة طبيعية على لسان آليس نفسها. ولم يكن هذا يدل على أن آليس لديها اعتراض على ذلك، لقد بدا صوت دوروثى ميلينجز ملائمًا تمامًا، حقًا، فى هذه الحالة. "تعريض أنفسهم للاعتقال بهذه الطريقة طوال الوقت. حسنًا، أفترض إننا من المحتمل ألا نسمع عن مثل ذلك لديكم: فأنتم سوف تسحقونهم بكل بساطة. أقصد، أحد جوانب أن تكون لديكم صحافة حرة."

الآن غيَّر وضعه محاولا - فيما يبدو - أن يسترخى، ورغم ذلك كانت قبضة يده أمامه فوق المنضدة. وكانت نظرته لها ثابتة، وتنفسه طبيعيًا؛ ظهرت نقطة تحول من نوع ما فى المحادثة، إذا كان من الممكن أن نسميها محادثة. من المحتمل أن يكون قرار ما قد اتخذ. حسنًا، وهكذا كان ذلك لا بأس به. سوف يذهب خلال لحظة وينتهى الأمر.

ولكنه لم يظهر أية علامات تدل على نية التحرك من مكانه.

حسنًا، فليستمر فى جلوسه هناك، إذًا. ما أرادت حقيقة أن تفكر فيه لم يكن هو، أو لماذا كان هنا، ولكن فى الليلة، والمغامرة التى تنتظرها مع جوسلين، التى شعرت فى هذه اللحظة نحوها برباط بالغ الحنان، بالتناقض مع شعورها المبهم المعقد نحو هذا الروسى. هذا الأجنبى.

أبدت ملاحظة: "أعتقد أن جزءًا من مشكلتنا - أقصد، الآن، بينك وبينى - هو ما يشار إليه بصدام ثقافى!" وهنا ضحكت، كما كان يمكن أن تضحك دوروثى ميلينجز فى مثل هذا الموقف. "تقاليدكم مختلفة تمامًا عن تقاليدنا. فى هذا البلد لا تستطيع فى الواقع أن تظهر لتخبر الناس ماذا

ينبغى لهم أن يفعلوا أو يعتقدوا. هذا لا يصلح. فلدينا ديمقراطية. وكانت لدينا تقاليد ديمقراطية منذ زمن بعيد حتى استقرت فى عظامنا،" اختتمت حديثها، بلطف وهى تبتسم.

كان يفكر - حيث إن ذلك ليس نادر الحدوث فى الحوارات - ولكن هذا الشخص مجنون! مخبول! معتوه! أبله! حشاش! فاقد رشده تمامًا بالكلية، شىء مسكين. كيف حدث أننى لم أرَ ذلك من قبل؟

فى مثل هذه اللحظات، كان لابد أن تحدث تعديلات سريعة وشاملة. على سبيل المثال، لابد من إعادة النظر فى المحادثة السابقة برمتها فى هذا الضوء الجديد الكئيب، ولابد أن يحدث تقييم، مثل أن هذا الشخص حقًا خارج عن طوره، أو ربما يعرض فقط نوعًا ما من غرابة الأطوار المثيرة، والتى رغم ذلك لا تلائم هذا الوضع الخاص.

لم يكن لدى آليس شك فى أن أى من مثل هذه الأفكار كانت فى عقله؛ كانت هى مستغرقة بسعادة فى استعراض جميع أنواع إعادة الطمأنة والعبارات الملائمة التى تعرض لها كما لو كانت من شريط مطوى فى عقلها والذى لم تكن تعرف أنه كان هناك على الإطلاق. ورغم ذلك، إذا كان يمكنها أن ترى وجهها نفسه، لكان الأمر مختلفًا، لأن الجزء العلوى منه، الحاجبين والجبهة، كانت تنم عن القلق وبعض الاهتياج، وكأنه كان متعجبًا مما كانت تقول، بينما استمر فمها فى إخراج الكلمات وهو مبتسم.

"وأنا أعتقد أن تلك من المحتمل هى مشكلة الرفيق أندرو." (هنا تراءى فى ذهنها مشهد الفراش، وبالفعل هزت رأسها هزة حادة قوية لتتخلص منه.) "كان يبدو أن لديه مقدارًا كبيرًا من الصعوبة فى فهم نماذج الثقافة الغربية. آمل ألا تأخذ فكرة سيئة جدًا عنه. فقد كنت أكن له كثيرًا من الاحترام."

"إذًا فعلت ذلك، حقًا؟" قال ذلك، كملحوظة وليس كاستفهام، ولكن بروح دعابة واضحة. كل شىء يتعلق به كان يقول إنه سوف ينهض ويذهب.

"نعم. لقد بدا لى شخصًا جيدًا. إنسانًا رائعًا بالفعل."

"حسنًا، يسرنى أن أسمع هذا،" قال الرفيق جوردون أوليرى من ميتشجان أو سمولينسك أو أى مكان، وفى هذه اللحظة كان يقوم بالفعل، ولكن بالحركة البطيئة. أو ربما هذا هو ما بدا لآليس، لأنه لم يكن هناك شك فى أنها لم تكن تشعر بأنها على سجيتها. ربما حاجتها للنوم كانت تسيطر عليها!.

قال: "سوف يحضر شخص الليلة من أجل 'المواد".

ارتجلت آليس بسلاسة: "إنها ليست هنا." فلا يمكنهم السماح لهذا الروسى، الأجنبى، بالزحف فى جميع أنحاء منزلهم. ليس وكل تلك القنابل والأشياء فى الطابق العلوى. لو حدث ذلك فسوف يتلوه أن يخبرهم ماذا يفعلون بها. ويعطيهم أوامر! حسنًا، لن يفهم أبدًا؛ لقد كان روسيا؛ ولديهم ذلك التاريخ السلطوى.

"أين هى؟" سألها بعنف، وهو يقف قريبًا جدًا منها. كانت قد وقفت، وهى تستند على ظهر مقعدها. فى هذه اللحظة لم تكن نظرته سلسة أو حكيمة على الإطلاق. اجتاحها كل الرعب الذى لازمها الشعور به خلال نصف الساعة الأخيرة. لم تستطع الوقوف إلا بصعوبة بالغة. وبدا هو هائلا ومكفهر الوجه ويمثل تهديدًا قويًا، وكانت عيناه ناريتين كفوهتى مسدس.

"إنه فى مقلب القمامة فى بارستون. أنت تعرف مستودع القمامة المحلى، المستودع التابع للبلدية." شعرت بأن ركبتيها تتداعيان. وتسلل البرد فى أنحائها، وأرادت أن ترتعش. لقد فهمت، ولكن حقًا، أن هذا فى الواقع كان موقفًا خطيرًا، وأنها أخفقت فى مكان ما. دون أن تقصد. لم تكن غلطتها! ولكن الطريقة التى كان ينظر بها هذا الرجل إليها. لم يحدث لها أبدًا مثل هذا من قبل. لم تكن تعرف أنه يمكن أن تكون هناك حالة يشعر معها المرء بالعجز.

كان غاضبًا جدًا. هل ينبغى له أن يكون غاضبًا؟ كان أبيض اللون، وليس أحمر، أبيض رصاصى، ومع المجهود الذى يبذله للسيطرة على نفسه، المجهود الذى يبذله كى لا يضربها، أو يقتلها. كانت تعلم أن الأمر كذلك.

ما كان يجب أن تقول كلمة: "مقلب القمامة،" بهذا الأسلوب المستهتر. إن تلك الأمتعة على رأس القمامة. نعم، كان ذلك سخيفًا. طائشًا. ربما ينبغى الآن أن تقول، لا إننى أمزح، الصندوقان فى الطابق العلوى. ولكنها إذا فعلت ذلك، فسوف يذهب إلى الطابق العلوى ويجد جوسلين منهمكة فى عملها، وعندئذ...

شعرت أنها قد تفقد الوعى، أو حتى تبدأ فى البكاء. شعرت بالدموع تملؤها، بدأت تضغط، ثم تنضح فى كل مكان فوق جسدها.

قال: "أنا وحدى. معى سيارة. أحتاج شخصًا آخر. والأفضل اثنين. كى نذهب إلى ذلك المكان ونحصل على العبوتين."

قالت وهى متقطعة الأنفاس، وخرج صوتها ضعيفًا وغبيًا. "أوه، لا يجب أن أفعل ذلك. ليس فى ضوء النهار. لابد أن هناك أشخاصًا. سيارات القمامة تقوم بإفراغ القمامة، على الأقل، سيكون ذلك خطرًا."

استفسر: "سيكون ذلك خطرًا؟" مرة أخرى شعرت أنه قد يقتلها بسهولة، أو يفعل شيئًا لا يستطيع أن يمسك نفسه عن فعله. قال: "لا يمكننا ترك ذلك الشىء ملقى هناك فى مقلب القمامة."

"لماذا؟ هل سبق لك أن رأيت أحد هذه المقالب؟ إنها مليئة بكل أنواع الأمتعة. أفدنة منها. زوج من العبوات البنية العادية لن تكون موضع ملاحظة." قالت ذلك وقد بدأت تشعر بالتحسن مرة أخرى.

"عبوتان جديدتان، كبيرتان، لم تفتحا؟" سألها، ووجهه قريب من وجهها، وعيناه مليئتان تمامًا بالغضب.

"الأمر سيان، الأفضل الانتظار حتى الليل."

"لن أنتظر حتى الليل. اذهبى وأحضرى شخصين هنا تحت. رجلين. هناك رجال فى المنزل، أليس كذلك؟"

قالت ببرود، وقد شعرت أنها تستعيد نفسها من جديد: "أنا وفتاة أخرى حملنا الصندوقين" ـ كانت على وشك أن تقول "إلى الطابق العلوى،" ولكنها أمسكت نفسها فى الوقت المناسب ـ وقالت: "إلى السيارة."

"إذًا امرأتان. لا يهم."

أكدت له بحزم: "نعم، يهم، ولا تعطينا أوامر. ألا تفهم، لا يمكنك أن تعطينا أوامر، نحن لسنا روسًا."

كانت عيناها مغلقتين، ليس لأنها لم تكن تشعر أنها فى حالة جيدة، (فى الحقيقة، كانت تشعر أنها أفضل حالا) بقدر ما كانت تشعر بكراهيته تطوقها. حسنًا، هذا هو، سوف تُقتل. حركة، وقع أقدام، فتحت عينيها ... ورأته مغادرًا. ولكن عند الباب توقف واستدار وقال بهدوء شديد، يحمل ازدراء شديدًا غير عادى، وكرهًا شخصيًا: "لا تتخيلى أن هذه هى نهاية الأمر، يا رفيقة ميلينجز. إنها ليست النهاية، على العكس تمامًا. ليس فى مقدورك أن تلعبى ألعابًا صغيرة هكذا معنا، سوف ترين، يا رفيقة ميلينجز." وتشنج وجهه للحظة، تلك الحركة للخدين واللسان التى لو اكتملت فسوف تنتهى بفعل البصق. ووقف وقد ضاقت عيناه، يحملق فيها، عاقدًا العزم على خدشها، قهرها، بقوة ما شعر به.

والآن ظهرت دواخل هذا الرجل، ظهرت حقيقته المطلقة. كانت تعلم هذا، وتعلم أنها رأته على "حقيقته". لم يكن هذا هو الجاسوس اللطيف معسول اللسان، الذى تعلم أن يتحكم فى كل حركة، وإيماءة، ونظرة؛ ولكن كان شيئًا وراء ذلك. هذه هى السلطة. لا مزاح مع السلطة، أو ممارسة ألعاب صغيرة معها، أو حسد لها، بل السلطة نفسها. كان هذا الرجل تجسيدًا للقوة متحققة، يجسد اليمين كاملاً ومطلقًا. كان يعرف أنه فى المقام الأعلى، مهيمن، مسيطر. وقبل كل شىء، فى اليمين.

خرج، مغلقًا الباب ... برفق. لا ضربات عنيفة يمكن أن توقظ الجيران.

ذهبت سريعًا إلى البالوعة وراحت تتقيأ.

بشكل منظم أفرغت بعيدًا كل ذلك السوء، ثم قامت بعملية فرك وتنظيف، رغم أنها كان لابد أن تستند على إحدى يديها، كانت ركبتاها ضعيفتين جدًا. أخذت نفسها، وهى مذهولة بالفعل، إلى التواليت، يبدو أن الرعب قد استقر فى أمعائها. ثم عادت، وهى تستند على حواف ومقابض الأبواب، إلى المطبخ، حيث انهارت أمام المائدة، محنية الرأس، ممدودة اليدين، مترهلة الأطراف مثل الخرقة البالية. لم تشعر أبدًا من قبل بمثل هذا الضعف البدنى. رقدت هناك ربما نحو نصف ساعة، بينما عادت إليها القوة ببطء.

ثم دخلت جوسلين، لم تكد تنظر إليها. وهذا يعنى أنها لم تكن بوضوح شديد فى حالة انهيار تام. وقالت إنها لابد أن تحصل على قهوة مركزة: فعدم النوم لم يكن يناسبها. وإذا بدأت تنام الآن، فإنها يمكنها إعداد جهاز التفجير الملائم لمهمة الليلة. تحدثت بأسلوب مجرّد، ولكن بالتلذذ البارد الذى كان طريقتها فى إظهار الإثارة التى كانت آليس تعلم أنها سرعان ما تستعيد بها نفسها. وللإسراع بعملية الشفاء، صعدت مع جوسلين إلى غرفة العمل الخاصة بها، وأخذت معها مقعدًا هذه المرة، وراقبت تلك الأيدى الذكية الحذرة وهى تعمل. وسرعان ما شعرت أنها أفضل حالا بكثير، وأنها نسيت تقريبًا الرفيق جوردون أوليرى. وفكرت بشكل مبهم: سيكون علينا أن نقرر ما إذا كنا سننقل هاتين العبوتين إلى مقلب القمامة أم لا. وبطبيعة الحال، سوف يعتقد أنهما بالفعل قد عثر عليهما وتم نقلهما إلى مكان ما. حتى الآن، بدا أن رعبها الحقيقى قد أصبح بعيدًا عنها حتى أنها كانت تفكر فعلاً فى: حسنًا، ذلك سوف يعطيه لحظة سيئة أو اثنتين. وهو يستحق هذا. وأخبرت جوسلين عنه كأنه كان أحد الباعة المزعجين الذى ردته خائبًا.

قالت جوسلين مؤيدة: "من يعتقدون أنفسهم بحق الجحيم؟"

بدأ شعورهما بالابتهاج يملأ البيت كله، مثل النكهات الصادرة عن أحد حساءات آليس، ولبعض الوقت كانوا جميعًا هناك بالطابق العلوى، يراقبون جوسلين وهى تعمل، ويتمازحون حول كم يودون استخدام هذه القنبلة أو تلك. أبراج سكنية من الشقق. كمبيوتر تخزين المعلومات الخاص بالشرطة. أى نظم تخزين معلوماتية، على أى حال. عقارات سكنية معينة. أى ملجأ نووى تم بناؤه فى أى مكان، لأن الأغنياء فقط هم الذين سوف يستفيدون من تلك الملاجئ. محطات قوى نووية.

أصبحت هذه اللعبة أكثر توحشًا وضجيجًا، حتى أشارت كارولين إلى أن ريجى ومارى سرعان ما سوف يأتيان. فتُركت جوسلين لعملها، وتفرق الآخرون فى أنحاء البيت، ولكنهم ظلوا يلتقون على سلالم المنزل، أو فى المطبخ، كان من الصعب فى ذلك اليوم ألا يكونوا فى صحبة بعضهم البعض، للمشاركة فى هذا المد من الحماس، من القوة.

جرت الأمور على ما يرام فى تلك الليلة، التى كانت ليلة الخميس. جاء ريجى ومارى لفترة تكفى لجمع أشياء قليلة؛ فسوف يذهبان لقضاء نهاية الأسبوع. ضربة حظ: فذلك يعنى أنهم سوف يقضون جميعًا المساء معًا. تجمعوا فى المطبخ، يضحكون ويمزحون، وكأنهم كانوا ثملين. رغم أن أحدًا منهم لم يشرب. وكانت جوسلين هادئة، مستغرقة فى أفكارها، منعزلة عنهم، بسبب المتطلبات الضرورية لعملها الشاق.

لقد قررت أنه سيكون من الأفضل إذا كان هناك ثلاثة أشخاص فى المجموع، وليس أثنان، بسبب رفع تلك الدعامة الأسمنتية الثقيلة. وتنافسوا من أجل نيل هذا الشرف، واختارت جوسلين برت. فخاب رجاء فاى، وشعرت قليلا بالحقد. قالت روبرتا: "لا يهم، ستكون هناك مرات أخرى."

فى الساعة الرابعة إلا الربع فجرًا، غادرت جوسلين وبرت وآليس المنزل بهدوء. كانت جميع النوافذ فى الشارع الصغير مظلمة. وفى الشارع

الرئيسى بدت المصابيح وكأنها تسحب الأضواء لتعود إليها، كان اصفرارها يزداد ثقلا حتى أصبح أشبه برداء رمادى بارد ينتشر فى السماء. وبطول الأرصفة، كان الجو مظلمًا بين كل مصباح والذى يليه. وفى مستوى منخفض أمامهم كان هذا الظلام نفسه فى حالة جيشان، وأصبح كلبًا صغيرًا أبيض وأسود، يعدو من مكان إلى مكان بتواضع وهدوء. لم يكن هناك أحد فى هذا الشارع، ولا أحد فى الشارع الصغير، الذى كان من المقرر أن يقوموا فيه بعملهم. استغرق العمل برمته دقيقة، حيث قامت آليس وبرت برفع الكتلة الأسمنتية، ووضعت جوسلين القنبلة تحتها. وبقيت الكتلة فى وضع عمودى. ولم يجروا عائدين بل ساروا ببطء إلى الناصية، ثم أسرعوا الخطى. وبعد دقائق من وصولهما إلى البيت، وكانوا فى المطبخ يشربون الشيكولاتة، سمعوا دوى الانفجار، وكان أعلى مما توقعوا.

وجلسوا هناك، لا يمزحون الآن، ولكن مشدودين، بل متوترين، يتوقون لأن يذهبوا ويشاهدوا، ولكن برت قال إن المجرم دائمًا ما يحوم حول جريمته وإن الشرطة تأخذ ذلك فى الحسبان.

والواقع أن جوسلين ذهبت لتنام. ثم فاى وروبرتا كذلك. ولم يستطع الآخرون. وفى حوالى التاسعة نزلت كارولين تتجول، عبر الشوارع المزدحمة، فوجدت المنطقة مطوقة بشرائط حمراء وصفراء وصفتها بأنها "مثل معرض أو سوق عامة" والشرطة تملأ المكان. وبدا أن الأضرار كانت كبيرة. تحطمت بعض النوافذ، على سبيل المثال. أيقظوا جوسلين ليخبروها بذلك. وقد تضايقت؛ كانت تعتزم تمزيق الكتلة الأسمنتية ومساحة معينة من الرصيف. ونزلت هى أيضًا لتنظر، ثم عادت وهى مكتئبة. لم تكن حساباتها دقيقة. صعدت إلى ورشتها بالحجرة العلوية، وقالت إنها ترغب فى أن تكون بمفردها للتفكير.

تذكرت آليس أنه فى هذا الصباح كان الميعاد المتفق عليه للحصول على السيارة للتخلص من البالتين أو العبوتين. كانت فى مزاج سيئ، وتشعر بالمرارة: لأنها مضطرة للتعامل مع ذلك الشىء فى مثل هذا الصباح، فى يوم لابد أن يتاح لها فيه أن تكون مع الآخرين، بدون مشاكل! .

ناقشوا ذلك. هل يجب أن يخرجوا الآن، فى منتصف النهار، ويجدوا مكانًا ما لإلقاء العبوتين؟ قالت كارولين بكسل إنهم لا ينبغى أن يتجشموا هذه المشقة - فكل سكان المنزل سوف يغادرونه قريبًا على أية حال. ولندع المجموعة التالية من النزلاء يتعاملون مع المشكلة.

قال جاسبر وبرت لا . ووافقت آليس على مضض.

وقام الأربعة بإنزال العبوتين من الحجرة العلوية، بصعوبة، وبأصوات قرقعة وصدمات متكررة. وأخرجت الضوضاء جوسلين من حجرتها. قالت إنها أرادت أن ترى ماذا كان بداخلها؛ فرغم كل شىء، قد يجدون فيها ما يفيد. تم قطع الأربطة المصنوعة من الجدائل البلاستيكية بسهولة. وكانت الأغلفة من أوراق شمعية سميكة. وتحتها كرتون سميك. وداخله حشوات سميكة من خرق صوف زيتية خشنة. داخل هذا العش كانت هناك أجزاء من الأسلحة. تكالب المتآمرون الخمسة على العبوة المفتوحة، يحدقون فى محتوياتها. وقد انخلعت قلوبهم، وانبهرت أعينهم. ثم اعتدلوا ببطء، ليستطيعوا التقاط أنفاسهم بسهولة. كانت يد كارولين المستندة على حافة العبوة ترتعش، ورفعتها بسرعة. وقف الخمسة هناك معتدلين حول أجزاء الأسلحة نصف المدفونة، والتى كانت تلمع قليلا فى الضوء الخافت. هدأت أنفاسهم وتنهدوا، وسمع كل منهم الآخر يزدرد لعابه، وقال برت وهو يضحك: "قد تعتقدون أن الذعر الشديد قد يصل إلى قلب أمعائنا - وأعتقد أننى كذلك. فجأة، كل شىء انقلب حقيقة واقعة....". ضحك الجميع، ماعدا آليس، التى كانت واقفة وكلتا يديها مقبوضتان بخفة، تغطى فمها نصف المفتوح. تحدق عيناها بشكل مأسوى من فوق مفاصل أصابعها إلى جوسلين. نظرت جوسلين إليها بنفاد صبر وقالت: "تعالوا، دعونا نتحرك،" وبدأت فى إعادة تغليف العبوة المفتوحة.

"لا!" صاح جاسبر وقد عاد إلى الحياة من جديد. وفى موجة من النشاط، بدأ ينقل أجزاء الأسلحة، ويقوم بتجميعها طبقًا لتصوره، فوق الأجزاء الأخرى التى كانت لا تزال نصف مدفونة داخل العبوة.

قالت جوسلين برزانة وهدوء "لا،" مما كان راحة لآليس، ثم تابعت: "لا، جاسبر، لا تفعل."

كان برت يحاول بالفعل معاونة جاسبر، ولكنه كان بطيئًا وغير بارع مقارنة به.

ورغم أن جاسبر كان بارعًا جدًا ويقوم بتجميع الأجزاء مع بعضها، ثم فكها، محاولاً تجميعها بطرق أخرى أكثر ملاءمة، لم يكن يقوم بإنجاز أى شىء يشبه سلاحًا كاملاً.

سألت آليس وهى على وشك البكاء: "هل هى بنادق آلية؟"

قالت جوسلين "توقف،" موجهة كلامها مباشرة إلى جاسبر. "إذا نجحت فى تجميع واحدة، فماذا سوف تفعل بها؟"

قال برت: "أوه، سوف نجد استخدامًا لها، بلا شك،" ولمعت كل أسنانه البيضاء، محاولاً بصعوبة أن يكون فى مهارة جاسبر، الذى كان تقريبًا قد استطاع تجميع شىء أسود، لامع، شرير المظهر يشبه الأسلحة التى تراها فى أفلام الفضاء الخاصة بالأطفال.

قالت جوسلين: "والآن لقد تركت بصمات أصابعك عليها جميعًا." جاء صوتها مليئًا بالازدراء مما جعل برت أولا، ثم جاسبر بعد ذلك، يتركان الأسلحة ويتراجعان إلى الوراء. قالت جوسلين: "حمقى أغبياء،" وعيناها الباردتان تركزان على جاسبر، تنبعث منهما نظرات تعبر تمامًا عن رأيها الحقيقى فيه. "أيها الغبى. ماذا تظن إنك فاعل؟ تجعلها فقط ملقاة هنا وهناك، بفرض أن تصبح فى متناول اليد لشأن أو لآخر؟" ودفعت الرجلين إلى الوراء بمرفقيها، وبدأت العمل بنفسها. وبسرعة ومهارة فائقة قامت بتفكيك الأسلحة نصف المجمعة (مظهرة لهم جميعًا أنها تعلم تمامًا ماذا تفعل، وأنها مألوفة تمامًا بالنسبة لها)، ثم التقطت حفنات من الحشوات مسحت بها آثار البصمات، ووضعت الأجزاء بحرص وأصابعها ملفوفة بالخرق الصوفية.

علقت كارولين: "ربما كان مجرد مسح البصمات هكذا غير كافٍ ـ خاصة مع الأساليب التقنية المتقدمة التى يستخدمونها هذه الأيام."

قالت جوسلين: "على الأرجح لا، ولكن لا وقت للتفكير فى ذلك الآن، أليس كذلك؟ يجب أن نتخلص من هذه الأشياء ـ فقط نتخلص منها."

اقترح برت: "لماذا لا ندفنها فى الحديقة؟" مستطلعًا الرأى مثل فتى صغير محروم، وقالت هى: "فى هذه الحديقة، أفترض أنك تعنى هذا، ما هذه الفكرة المدهشة!" ثم، قالت وهى تعيد أجزاء البنادق إلى أماكنها: "إذا كان بخلدك أية مهام ضئيلة لابد فى الواقع أن يتم إنجازها، شىء مادى وحقيقى ـ أى من خلال سياق ملائم، ومنظم كما ينبغى ـ ستكون الأسلحة متاحة. من المؤكد أنك تعرف هذا؟"

كان برت ينظر إليها بامتعاض، ولكن أيضًا بإعجاب يعطى لها الحق فى أخذ دور القيادة. لمعت عيناه بالإثارة، ولم يستطع التوقف عن الابتسام: أسنانه، وعيناه، وشفتاه الحمراوان، كلها لمعت وأشرقت.

كان جاسبر يلملم شمل نفسه، جفونه تغطى عينيه، حتى لا يظهر كم كان يتميز غيظًا ـ الأمر الذى كانت تعرفه آليس. كانت ترى جاسبر، وبرت كما لم ترهما من قبل ـ جنديين، جنديين حقيقيين، فى حرب. كانت تفكر، لماذا يحبون ذلك، وعلى الأخص جاسبر. إنه يستمتع بكل دقيقة منها.... هذه الفكرة جعلتها أكثر فزعًا، وتراجعت خطوات قليلة عن المشهد، مفاصل أصابع كلتا يديها مرة أخرى على فمها.

كانت جوسلين تستوعب حالتها تمامًا، رغم انشغالها التام بإغلاق العبوة. "آليس، ألم تر أسلحة أبدًا من قبل؟

"لا."

"لديك رد فعل مبالغ فيه."

قال جاسبر فى الحال: "نعم، هى كذلك،" وقد عاد إلى الحياة من جديد ليصب انفعالات الغضب على آليس. "انظرى إليها، قد تعتقدين أنها

رأت شبحًا." وهنا أصبح، فجأة مثل طفل فى روضة الأطفال يحاول إخافة آخر. "ووووه ـ وه ـ وه" أصدر عويلا وهو يرفرف بيديه نحوها: "آليس رأت شبحًا...."

صاحت جوسلين: "أوه، من أجل المسيح،" وقد فقدت أعصابها. "أمامنا مهمة خطيرة لابد أن نقوم بها ـ هل تذكر؟ وأنا عائدة إلى العمل. خذوا تلك العبوات إلى أى مكان بالخارج وألقوها وأنسوها بعد ذلك. فهى لا تعنى سوى المتاعب." ومع هذه الكلمات، صعدت إلى أعلى، بطريقتها المحددة، البطيئة، لا تنظر إلى الخلف نحوهم. كانت ـ وكانوا يعلمون ذلك ـ غاضبة من نفسها لأنها فقدت أعصابها.

راقبوها، فى صمت، حتى اختفت عن الأنظار، وهدأ الجو.

قال برت: "تعالوا، دعونا نبدأ."

سادت حالة من الحيرة. بسبب غياب جوسلين، الزعيم الحقيقى للمشهد، للحظة لم يستطع أحد أن يستجيب. ثم عادت آليس إلى الحياة، قائلة: " سوف أذهب وآتى بالسيارة." و تركت المكان مسرعة.

كانت مفاتيح السيارة متروكة فى الطابق السفلى مع جارة فيليسيتى، لأنها ـ قالت بغضب، معبرة عن انزعاج فيليسيتى بالنيابة عنها ـ انتظرت فيليسيتى أن تصل آليس فى الموعد الذى حددته. اعتذارات وابتسامات. قادت آليس السيارة عائدة إلى رقم ٤٣ . وحمل الأربعة العبوتين إلى السيارة بالخارج. ولم يتعجبوا أنهما كانتا ثقيلتين جدًا.

ثم وقفوا يتناقشون حول المكان الذى سيأخذون إليه العبوتين. مقلب القمامة؟ لا، ليس فى تلك الساعة من النهار. يلقوهما فى النهر؟ لا، سيراهم المارة. الأفضل أن يقودوا السيارة بعيدًا إلى ضاحية مليئة بالأشجار مثل ويمبلدون أو جرينويتش، وهناك يرون ما سوف يفعلونه. وأثناء سيرهم فى تشيزويك، يزحفون ببطء وسط مرور مزدحم، رأوا، فى أحد الشوارع الجانبية، بوابات حديدية ضخمة مموجة، واللوحة التالية:

"وارويك وأولاده، تجار المعادن الخردة." استداروا من الزحام المرورى، وانعطفوا حول المبنى ومروا بالبوابات. بدا المكان مهجورًا. وقفت آليس بالسيارة، بينما دخل برت، ببرود، مثل زبون، متسكعًا قليلاً. ولكن لم يظهر أحد. عاد وهو يجرى بأقصى سرعة، بوجهه المتورد، وعينيه الحمراوين، وأسنانه البيضاء وشفتين حمراوين تلمعان فى لحيته السوداء. انتقل الانفعال فورًا إلى جاسبر. وقامت آليس وهى معجبة بكليهما بالرجوع بالسيارة إلى الخلف بين البوابتين الكبيرتين وأوقفت السيارة. كانت ساحة كبيرة. فى هذا الجزء من لندن، تتسع قطع الأراضى الرحبة للبيوت الكبيرة والحدائق الواسعة. ولكن هذا المكان به بعض السقائف الظليلة من الآجر والحديد المتموج فى الخلف وعليها أقفال ثقيلة، وفيما عدا ذلك كانت فى كل مكان أكوام من المواسير المعدنية، وقطع السيارات، وقضبان حديدية صدئة، وقطع حديد محنية وبالية. وكانت قطع نحاسية وبرونزية تومض فجأة بين الركام، وتكشف أكوام من الأسقف البلاستيكية اللبنية أن هؤلاء التجار يتعاملون فيما هو أكثر من المعادن. كانت هناك روافد خشبية مكدسة بالقرب من البوابات، تبدو من الوهلة الأولى من خشب البلوط (اثنتان من تلك الروافد يمكن أن تكون هى كل ما يحتاجه سقف ٤٣ المسكين) وكل المكان المحيط بهذه الروافد، يوحى بأن مختلف أنواع القمامة قد وجدت متسعًا لها، بما فى ذلك الكثير من ورق الكرتون المقوى، سريع التحلل، يتخلله الكثير من الزجاجات المعدنية والبلاستيكية والأكواب البلاستيكية. هذا هو المطلوب. كان جاسبر وكارولين فى لحظة خارج السيارة، حيث قاما مع برت يصارعون لإخراج العبوتين من السيارة، وتركوهما تسقطان بالقرب من كومة الأخشاب. بدت عينا آليس وكأنهما ستنفجران؛ ضربت فيهما موجات سوداء. ولكنها لابد أن تُبقِى السيارة دائرة. من خلال انفعالها رأت كيف وقف برت بالفعل، ينظر حول المكان، أثناء إنجاز المهمة؛ وكيف عادت كارولين إلى السيارة، ودخلت بها؛ بينما كان جاسبر بشكل مستميت وسريع وفعال، يلطخ الأسطح الملساء للعبوتين بالطين والنفايات، ويغمرهما بقليل من الحديد الذى نزعه من الركام،

ويعمل فى تصميم وإنجاز بالغ ودقيق. كان ذلك جاسبر! فكرت آليس، وهى فخورة به، وسرى الزهو فى أوصالها. لا يستطيع أحد لم يرَ جاسبر هكذا، فى مثل هذه اللحظة، أن يكون لديه أدنى فكرة! لماذا، كان برت بجواره قرويًا، يفيق لنفسه ببطء، ويرى ماذا يفعل جاسبر، ثم يشاركه، فى الوقت الذى يكون فيه جاسبر قد أنهى المهمة فعليًا. هاتان العبوتان أصبحتا لا تحملان أى شبه بهذين الوحشين البنيين الأملسين اللذين كانا هنا منذ دقائق قليلة، أصبحا بالفعل مجرد مخلفات مثل كل المخلفات الأخرى الملقاة هنا، ويمكن تجاهلها بسهولة.

ألقى جاسبر وبرت بنفسيهما فى السيارة وقادتها آليس عائدة. وعلى قدر علمهم، لم يكن أحد قد رآهم.

اقتادوا السيارة عائدين إلى وسط لندن، ثم إلى حانة فى ضاحية شيفرد. كانت الساعة حوالى الثانية عشرة والنصف. اتخذوا وضعًا يمكنهم من مشاهدة التليفزيون، وجلسوا يحتسون الخمر ويأكلون. كانوا جميعهم شديدى الجوع. لم يكن هناك شىء فى نشرة الأخبار، وبمجرد انتهائها غادروا الحانة عائدين إلى البيت. كانوا جميعًا لا يزالون جوعى، وعلى استعداد تام للنوم. قاموا بشراء كمية كبيرة من الوجبات الجاهزة وتناولوها حول مائدة المطبخ مع فاى، ومع روبرتا، ومع جوسلين. كان هناك شعور بالهبوط المفاجئ. ولكنهم لم يكونوا يريدون أن يتفرقوا؛ كان كل منهم يشعر بالحاجة إلى الآخرين، وأن يكونوا معا. وبدءوا يحتسون الخمر. ذهب جاسبر وبرت، وآليس وكارولين للنوم لعدة ساعات، فى أوقات مختلفة، ولكن الجميع شعروا، عندما أصبحوا بمفردهم فى حجراتهم، بانجذاب شديد من الآخرين للعودة إلى أسفل. وظلوا يحتسون الخمر طيلة المساء ثم فى الليل، لم يكونوا مبتهجين الآن، بل على العكس، كانوا مكتئبين. لم يعترف واحد منهم بذلك؛ رغم أن فاى سالت دموعها، مرة أو مرتين.

وبمجرد أن فتح مترو الأنفاق أبوابه انطلق جاسبر للحصول على صحف اليوم. وعاد بها جميعًا، من التايمز إلى الصن. وأصبح المطبخ فجأة ترفرف فيه صفحات الجرائد، التى كانت تقلب بطيش متزايد.

لم يكن هناك شيء عن عملهم البطولى! ولا كلمة. كانوا يتميزون غيظًا. وفى النهاية عثرت فاى على فقرة صغيرة فى الجارديان تقول إن بعض المشاغبين قاموا بتفجير زاوية شارع فى طريق روان الغربى فى بلستيد.

"مشاغبين،" قالت جوسلين، بلا مبالاة وبشكل قاسٍ ومهلك، وعيناها تومضان. ولم تقل سوف نريهم..... لم تكن هناك حاجة لقولها، لأنها كانت فى عقولهم جميعًا.

وهكذا ذهبوا إلى الفراش. فى الساعة السادسة من صباح يوم السبت.

***

ناموا طوال اليوم، واستيقظوا وقد اعتراهم ذلك الشرود المبهج الذى يأتى بعد حرمان لفترة من النوم ثم الاستمتاع بنوم تعويضى طويل.

وتناقشوا حول ماذا يمكن أن يكون مسرح عمليتهم التالية. احتمالات متعددة، ولكن جوسلين قالت إنها تحتاج مزيدًا من الوقت للتأكد من وسائلها. وبالإضافة إلى ذلك، قالت آليس إن فيليب من المحتمل أن يدفن يوم الإثنين أو الثلاثاء؛ لابد أن يقوموا بإنجاز ذلك أولا. وعرفت، من الصمت الذى أعقب ذلك، ومن الطريقة التى تجنبوا بها عدم النظر إليها - على الأقل، ليس فى الحال - أنه لم يخطر ببال أحدهم أن يذهب إلى جنازة فيليب. قالت فى صوت مهذب ومعتدل، الصوت الذى كانت تستخدمه فى أقصى حالات شعورها بالاستياء والخديعة: "إننى ذاهبة، إذا لم يكن غيرى ذاهبًا." كان جاسبر يعرف ذلك الصوت، وقال إنه سوف يذهب معها. كان مسرورًا ومحرجًا تمامًا مثل فتى صغير أمام نظرة العرفان التى رمقته بها. قالت فاى إنها تشمئز من الجنازات، ولم تحضرها أبدًا. عندما يموت البشر فإنهم يموتون. وأشارت كارولين إلى أنها كانت بالكاد تعرف فيليب. ووافقت جوسلين.

ذهب أحدهم لشراء سجائر، وعاد ومعه إعلان محلى ـ من أوراق ملقاة فوق الطرقات أو موضوعة فى صناديق البريد أو تحت الأبواب. ووجدوا عليها ما يلى:

انفجرت قنبلة فى ناصية طريق روان الغربى فى ساعة مبكرة من صباح الجمعة. تم تدمير عمود أسمنتى وخدش آخر. كما تسبب الانفجار فى إحداث تلفيات فى جدران المنازل المجاورة، وحطم نوافذ أربعة منها. قالت السيدة موراى، أرملة تسكن المنزل رقم ٨٧ إنها كانت جالسة بجوار نافذتها بالدور العلوى عندما رأت ثلاثة شباب بالقرب من الموقع الأسمنتى. لم يكن ضوء النهار قد حل بعد، فلم تستطع رؤيتهم بدقة. اعتقدت أنهم كانوا يمزحون قليلاً. فذهبت لترقد على فراشها، وهى لاتزال بملابسها.

قالت: "نومى مضطرب هذه الأيام." سمعت الانفجار وتطاير الزجاج إلى حجرتها. أفضت إلى مراسلنا: "من حسن الحظ أنى لم أبق أكثر من ذلك عند النافذة." أصيبت السيدة موراى بإصابات طفيفة بسبب الزجاج وعولجت من الصدمة التى أصابتها.

قالت آليس بصوت متهدج: "أوه، العجوز المسكينة". لم تنظر إلى جوسلين، لأنها كانت تعلم أنها ستكون نظرة تأنيب.

قالت فاى: "بقرة عجوز غبية. من المؤسف أننا لم نعاملها كما ينبغى. كنا سوف نسدى لها معروفًا، تلك الحيزبونات، حياتهن لا قيمة لها. أنصاف موتى بسبب الضجر الذى يعانين منه لسنوات قبل أن يرحلن".

قرروا أن يضحكوا، لاسترضائها. كانت فاى تستحوذ عليها إحدى نوبات العنف، حالات مزاجية حافلة بالذكريات ـ ولكن ماذا أثارها؟ لم يعرفوا أبدًا. جلست فقط ترتعش قليلاً، لا تنظر إليهم، لا تنظر حتى إلى روبرتا، التى كانت جالسة محنية الظهر قليلاً، رأسها الفضى مطأطأ، عيناها خفيضتان، تعانى من أجلها.

قالت جوسلين: "حسنًا، أظن أننى أعرف ما يمكن فعله. سوف أسوى الأمر هذه المرة".

بدت غاضبة، بل ومريرة. كانوا جميعًا يشعرون بالمرارة والإحباط. فقرة فى الصحيفة الإعلانية المحلية! شعروا أنها إهانة لهم، إهانة أخرى فى سلسلة طويلة من الحط من شأنهم، من شأن قدراتهم الحقيقية، سلسلة بدأت - مثل نوبات العنف لدى فاى - منذ وقت طويل لا يمكن لهم أن يتذكروه. كانوا بحاجة قاتلة لأن يثبتوا أنفسهم، أن يثبتوا قدرتهم.

استمروا فى الشرب. كانت آليس متيقظة - كالعادة - ومتخوفة. كان اليوم السبت، على أية حال. وفى الحادية عشرة، كما توقعت تقريبًا، كان هناك دق عنيف على الباب الأمامى. قامت فى الحال، انسلَّت منِ مقعدها، ووصلت إلى باب المطبخ قبل أن يفيق الآخرون. قالت لجاسبر: "ابتعد عن الأنظار، هل تسمع؟ لا تخرج، إياك...". وقالت لبرت: "لا تدع جاسبر يخرج بأى حال". وقالت لجوسلين: "هل هناك أى شىء يمكنك أن يجدوه؟" جرت جوسلين وصعدت السلم، "إنه ذلك الفاشى الصغير. كنت أعرف أنه سيعود. لقد جاء لينتقم. كنت أعرف أنه سيفعل".

استمر الطرق. فتحت الباب، قائلة ببرود، مستخدمة كل قدرتها لكى تكون متحكمة فى الموقف، لكى تكون الآنسة ميلينجز: "سوف توقظ كل من فى الشارع".

كان هو، الشاب الأشقر الشرير، بعينى الطفل الباردتين، والشارب الأشعث. كان مكشرًا وساديًا. كان يمسك شيئًا خلفه، وكانت ثمة رائحة مثيرة للغثيان.

كانت آليس لديها فكرة بما هو آت، كانت تعرف أنه لا شىء يمكن فعله لإيقاف هذا الشرطى. لكن الشىء الرئيسى هو أن جاسبر ينبغى ألا يخرج، ليس فى تلك الحالة التى هو عليها - سوف يحدث عراك، كانت تعرف هذا.

خلف الشرطى وقف آخر. كان كلاهما على وجهه ضحكة صبى مكبوتة؛ ولم ينظر أيهما إلى آليس. تلك علامة سيئة.

قالت: "ماذا تريد؟"

قال الخنزير الصغير: "إنه ما تريدين أنت"، وهنا انفجر هو وزميله فى قهقهة عالية، وهما يضعان أيديهما على فميهما مثل ممثلى المسرح الكوميدى.

قال الشرطى الآخر، بلهجة إسكتلندية قوية: "إنه ما تتخيلين".

قال عدو آليس: "قليل مما تتخيلين سوف يفيدك". أوه، كم تحتقره، إلى أى مدى تعرفه، حتى النخاع! أوه، كانت تعرف ما يجرى فى زنازين الشرطة عندما يكون لديه شخص مغلوب على أمره، وتحت رحمته. لكن لا يجب أن يكون جاسبر.

ولكى تثيره، وتسحب ناره، سمحت لنفسها أن تقول فى صوت بناتى مرتعش ضعيف: "أوه، أرجوك، أرجوك أن تذهب". كان هذا يكفى. كان هو الشىء الصحيح تمامًا.

قهقه الفاشى الصغير: "هذا ما تودين، أليس كذلك؟" وقذف، بحركة قوية من ذراعه، كيسًا من البلاستيك مليئًا إلى الصالة.

وقال الآخر: "الخراء للخراء".

ملأت الرائحة الصالة، ملأت البيت، وهما يجريان بعيدًا، يضحكان.

وبالطبع، كانت القذر فى كل مكان، تناثر فى المكان كله.

وكان أهم شىء هو أن جاسبر ظل بالداخل.

بخطوات رقيقة، ذهبت نحو باب المطبخ، وقالت: "إن كنت مكانكم لن أتحرك من حيث أنا".

لكنهم لم يفعلوا، ظهروا فى ضوضاء جماعية غاضبة، تملؤهم اللعنات والتهديدات. جاسبر سوف يذهب إلى مركز الشرطة الآن. سوف يقتل هذا الفاشستى. سوف يحرق مركز الشرطة. سوف يفجر المكان.

فاى كانت تحاول التقيؤ فى حوض المطبخ، تساعدها روبرتا. وظهرت جوسلين على البسطة، ووقفت تنظر لأسفل، مثل تمثال العدالة أو شىء كهذا، فكرت آليس بذلك وهى تشعر بالغثيان منهم جميعًا. كانت تعرف من سوف يقوم بالتنظيف.

قالت: "اخرسوا، أنتم لا تفهمون. هذا جيد، وليس سيئًا. إنه يحاول استعادة كرامته بعد أن جعلتموه يبدو أحمق فى ذلك اليوم. من حسن حظنا أنه فعل هذا. كان يمكن أن يدخل ويحطم كل شىء، أليس كذلك؟ لقد رأينا مثل هذا يحدث من قبل!".

قالت جوسلين: "إنها على حق". هى أيضًا كانت تشعر بالغثيان وتحكمت فى نفسها. وعادت إلى الغرفة.

كانت آليس قد أحضرت بالفعل دلوًا، وماء، وأوراق صحف. ووقفت لحظة تنظر إلى الثلاثة، جاسبر، وكارولين، وبرت، وهم لا يزالون واقفين فى فتحة الباب، يحدقون فيها.

انحنت عند حافة الصالة، وبدأت تقوم بمهمة غسل السجادة ببطء، كل بوصة فيها. وعندما انتهت سوف تجعل برت وجاسبر يحملونها إلى صفائح القمامة بالخارج.

قالت كارولين: "لماذا تضيعين الوقت لغسل هذا الشىء؟ القيها بالخارج".

كانت تتوقع أن يقول شخص ما هذا الشىء بالذات. قالت ببرود: "إذا ألقينا بها فى هذه الحالة فى الحديقة سوف تنتشر رائحة عفنة، وسوف تكون هناك شكاوى، وحجة للشرطة لكى تعود".

قال جاسبر: "ييه. هذا صحيح".

استمرت فى أداء مهمتها. كانت مليئة بغضب بارد. كان يمكنها أن تقتل، ليس فقط الشرطى، ولكن أيضًا جاسبر وبرت وحتى كارولين الطيبة، التى كان وجهها المصدوم يطل من الباب ويبدو مكتوبًا عليه أن الإنسان لا يستطيع أن يصدق كمية الغباء والشر فى هذا العالم.

قالت آليس لجاسبر بلهجة آمرة: "لا تذهب للنوم، عندما أنهى هذا سوف تحملها أنت وبرت إلى الخارج".

أنفقت ساعة أو ما يقرب من ذلك لغسل السجادة. وحملها الرجلان، ثقيلة بالماء والصابون، تنبعث منها الآن روائح الكيماويات، إلى صفيحة القمامة بالخارج.

قالت آليس: "أفترض أن هناك بومة ليلية متيقظة وتراقب، كالعادة". كانت تشعر بالمرارة والتعب الشديد، واقفة بحرص فى وسط أرضية الصالة.

قالت فاى إنها ذاهبة للنوم. أخذتها روبرتا لأعلى، ثم عادت وأخذت دلوًا آخر وساعدت فى غسل الخشب والجدران. وذهب الآخرون جميعًا إلى النوم.

وبينما كانت روبرتا تعمل، راحت تلعن بثبات بصوتها الآخر، الصوت الذى يعود لنشأتها، العمالى الخشن الأخرق، وليس ذلك الصوت البطىء الناعم المستريح الذى تستخدمه روبرتا اليومية التى يعرفونها. لم تكن تشتم بصوت مرتفع، لكن فقط بصوت مسموع: تيار ثابت هادئ من الكراهية للشرطة، للعالم، للرب؛ بالنيابة عنها، وعن فاى.

عندما انتهت المرأتان، أخذت كل منهما حمامًا. ثم خرجت روبرتا لإحضار جرائد الأحد. لكن لم يكن ثمة شىء فيها، ولا كلمة.

نامت آليس وروبرتا لساعات. استيقظت فاى فى وسط الصباح غاضبة من روبرتا لأنها "ورطت نفسها". ولكى تنتقم منها، ذهبت لتتحدث مع جوسلين، فى العمل على قنابلها. أولا كمبتدئة، كانت تساعد جوسلين؛ ثم، ظهر أنها لديها الأهلية الحقيقية، حاولت عمل عدد قليل على مسئوليتها. نزلت لأخذ كوب من الشاى، وجاءت معها بكتيب التعليمات. وفى اللحظة نفسها، عاد ريجى ومارى من العمل فى شقتهما الجديدة. كانت فوضى بشعة، قالا: ولكن، عندما رأيا آليس تعمل، عرفًا ما يمكن

فعله فى تلك الفوضى. الطريقة التى قالا بها ذلك أنبأت الآخرين أنهما قد قررا أن يكونا "لطيفين" طالما كانا مضطرين للبقاء هنا. ثم تناولت مارى من على المنضدة كتيب استخدام المتفجرات فى بيئة مدنية وتصفحته، فى البداية بشكل عارض، ثم ببطء، متفحصة. وأعطته لريجى بنظرة كانت أبعد ما تكون عن "اللطف". كان فى المطبخ، فى تلك المرحلة، كارولين، وجاسبر، وبرت، وفاى، وفجأة أصابهم التوتر جميعًا، وقرروا ألا ينظروا إلى بعضهم البعض، محاولين أن يظهروا اللامبالاة. تفحص ريجى الكتيب، ثم وضعه على المنضدة. لم ينظر إلى الآخرين، وجلس يفكر، ثم هو ومارى تبادلا استشارة طويلة بعيونهما، وقال إنهما قررا أن ينتقلا إلى الشقة الجديدة، سواء كانت جاهزة أم لا، فى الحال. قبل لحظات قليلة فقط، كانت مارى تقول إنهما قد يبقيان هنا حتى تكون فى شقتهما مياه ساخنة على الأقل.

وصعد الزوجان إلى أعلى، تاركيْن قدحين من الشاى، نصف ممتلئين.

قال برت لفاى: "لم يكن هذا تصرفًا ذكيًا، يا رفيقة"، وقد أظهر الكثير من أسنانه البيضاء.

ألقت فاى برأسها. كانت تتنفس بسرعة، وهى تبتسم وتكشر وتعض شفتيها. وقالت: "لا يهم. بمجرد أن يتخلصا منا لن يفكرا أبدًا فينا ثانية. إننا مجرد حثالة بالنسبة لهما، هذا كل شىء".

قال برت، باذلا مجهودًا ليبدو قاسيًا كما تتطلب المناسبة: "مهما كان الأمر. كان هذا غباء!" وضحك، وكأنما يضحك على نكتة. وضحكت هى بعنف، وهى تنظر إليه بازدراء. ثم اندفعت قائمة من مقعدها، وجرت لأعلى إلى روبرتا. واستطاعوا أن يسمعوا، فوق رءوسهم، صوت روبرتا الأمومى الخافت، وانفجار فاى الغاضب؛ وشكواها لروبرتا تأتى فى صوتها "الآخر"، صوت نشأتها؛ وروبرتا ترد فى صوتها اليومى.

جلس الثلاثة فى قلق. ثم قال جاسبر، ضاحكًا: "لا أعرف لماذا على آليس أن تنام طوال اليوم"، وصعد ليوقظها. وقد فعل ذلك بالخبط على

باب الغرفة التى تنام فيها، والتى كان ينام فيها معها، ولكنه ما عاد يفعل ذلك الآن. لم يلقَ استجابة. دخل بهدوء، ووجد آليس مكومة ملتفتة إلى الجدار، ووجد ظلام الغرفة مزعجًا، فجذب الستائر بحدة. قامت آليس بسرعة فى كيسها، وعيناها مزويتان بسبب الوهج. رأت شخصًا أسود خطير المظهر تتحدد خطوط جسمه على خلفية الضوء، فصرخت.

قال، مغتاظًا: "بحق اللعنة".

"أوه، أهو أنت؟" ورقدت، كما كانت من قبل، وقد أعطته ظهرها.

لم يستطع تحمل هذا. انحنى بجوارها، عند ظهرها، ورأى رموشها الرملية ترتعش على بشرتها المنمشة البيضاء.

قال بأدب، ولكن بحزم: "آليس، لابد أن تستيقظى. هناك شىء حدث".

فتحت عينيها. ولم تقل "ماذا؟" ظلا على هذا الوضع لبعض الوقت، أكثر من دقيقة. وكأنما بالنسبة لها الاستيقاظ بناء على أمر منه والنزول سوف يضع على عاتقها التزامًا أكبر مما تريد، التزامًا مرة أخرى، بينما هى قد اتخذت قرارًا.

ركع جاسبر عند ظهرها. شعرت بدفئه على كتفيها، وشعرت فى ذلك الدفء بعزم حاجته إليها.

غمغمت، وكأنها غير مبالية: "حسنًا، سوف أنزل فى لحظة".

بقى قليلاً، أملا فى أن تلتفت وتبتسم. لكنها ظلت تنظر إلى الحائط، بانتظار أن يذهب. قام من فوق ركبتيه، وخرج، وأغلق الباب بهدوء.

قالت آليس، منقطعة الأنفاس، ناظرة إلى الجدار: "أوه، لا.. أوه، لا، لا أستطيع". لكنها قامت فجأة، وارتدت البنطلون الجينز وقميصًا صوفيًا، ونزلت.

حول المائدة كان جاسبر وبرت وكارولين. وتم استدعاء جوسلين من أعلى.

صنعت آليس لنفسها شايًا، صامتة، متمهلة. جلست، واستمعت إلى ما حدث. ثم قالت، مؤيدة فاى: "لا يهم. فبمجرد أن يذهبا، لن تكون لديهما أية رغبة فى التفكير فينا أبدًا مرة أخرى. وعلى أية حال، ليس ثمة سبب لعقد صلة بين ذلك وأى شىء يحدث لنا. كثير من الناس لديهم مثل هذه الكتيبات التى تشرح كيف تكون إرهابيًا". ولم تضع تشديدًا على هذه العبارة، باعتبارها مزحة، كما هى فى هذا البيت حتى الآن. لقد استُهلكت المزحة حتى أصبحت شيئًا عاديًا.

قالت كارولين: "لكنهما لعينان محبان للقانون. ربما سوف يفكران أن من واجبهما اللعين أن يبلغا، إذا حاولا التفكير وتوصيل شىء بآخر".

كانت هناك لحظة سيئة، أثناءها كان كل منهم ينظر إلى الآخر، معترفين بهذه الحقيقة. لكن برت رفض الفكرة، ضاحكًا: "توصيل أى شىء بأى شىء؟ إننا حتى لم نقرر بعد".

قالت جوسلين: "هذا الوقت مناسب لمناقشة الأمر، مثله مثل أى وقت آخر".

قال جاسبر بقلق: "علينا أن ندعو روبرتا وفاى إذًا". ونظر تلقائيًا إلى السقف، حيث توجد خلفه مباشرة روبرتا وفاى، ومن المفترض أنهما تصالحتا، وراقدتان أو جالستان. على أى حال، فى صمت.

قال برت: "ربما الوقت ليس مناسبًا"، من نظرته استنتجت آليس أن فاى كانت فى إحدى نوباتها.

قالت، على نحو مبهم: "ربما ينبغى أن نفعل ذلك بدون فاى".

نظروا جميعًا إليها، على استعداد للانتقاد بقسوة. لكنهم جميعًا كانوا يفكرون. كما رأت، أن هناك شيئًا فيما قالته.

جوسلين، التى كانت تعمل مع فاى لساعات فى ذلك اليوم، علقت قائلة: "لكنها ذكية جدًا. ولديها بعض الأفكار الجيدة عن المكان".

قال برت، ضاحكًا مرة أخرى: "المكان؟ قولى لنا أين؟ إنها لم تخترع أفكارها حول الموضوع".

قالت جوسلين بجدية: "أنا أتفق معك أن فاى انفعالية. لكن لدى انطباعًا هذا الصباح أنها ستكون جيدة فى حالات الطوارئ".

قال جاسبر، مستظرفًا: "من سيصعد لكى يطلب منهما النزول؟"

نظروا جميعًا إلى آليس.

لم تتحرك آليس، لكنها قلَّبَت شايها.

قال جاسبر: "حسنًا، ماذا حدث لك إذًا؟"

قالت: "أنا متعبة".

قامت، بطريقة بدت آلية واندفاعية فى ذات الوقت. وبدا أنها تشعر بالدهشة؛ لأنها قامت واتجهت نحو الباب. كان جاسبر خلفها، وأمسك برسغها. "إلى أين أنت ذاهبة؟"

قالت: "إننى ذاهبة لأتمشى".

"لكننا نناقش هل نعقد اجتماعًا دوريًا أم لا. اجتماعًا لنقرر أى موقع سوف نستخدمه".

مرة أخرى، كانت اللحظة أشبه بتلك التى ركع فيها بجوارها، وهى راقدة فى كيس نومها. وقفة طويلة، وعادت إلى مقعدها، واستمرت تحرك الشاى وكأنها لم تغادر.

قالت جوسلين: "سوف أذهب لدعوة فاى وروبرتا"، وذهبت بحزم إلى الطابق الأعلى.

سمعوا بعض الأصوات المتداخلة، صوت فاى الحاد، صوت روبرتا الملىء الواثق، ثم يدخل صوت جوسلين كرد فعل. وكان لجوسلين الكلمة الأخيرة. عادت وأعلنت أن كل شىء على ما يرام. وانتظروا نصف ساعة، وراحوا يتبادلون الدعابات حول ذلك.

ثم أصبحوا جميعًا معًا. واستمر الاجتماع لساعات. ناقشوا مزايا محطات القطارات، والمطاعم، والصروح العامة. كان صَرْح ألبرت التذكارى محببًا لبضع دقائق، ثم قالت فاى لا، فهى مغرمة به؛ ولن تؤذى شعرة منه.

الفنادق. رقم ١٠ المكتب الرئيسى. كمبيوتر معلومات مكتب الأمن. وزارة الحربية.

واستمر الاجتماع. كما يحدث عندما تجلس مجموعة من الناس لاختيار اسم شىء من بين احتمالات متعددة، وأصبحت الاقتراحات أكثر غرابة وأوسع خيالاً، وأصبحت أكثر إثارة للضحك؛ تحول الموضوع برمته إلى كوميديا. ومن وقت لآخر، كان أحدهم يقول إنهم لابد أن يأخذوا الأمر بجدية، لكن بدا أن الجدية لم تكن على الأجندة. كانوا جميعًا ضعفاء بالضحك عندما قرروا، أخيرًا، أين. وأعادتهم فاى إلى الجدية عندما طلبت بعجرفة أنها هى التى ينبغى حقًا أن تضع المتفجرات. قالت إنه دورها. فقد حصلت آليس وجوسلين وبرت على كل المتعة فى المرة الأخيرة.

وتم اتخاذ القرار بأن "الشىء الحقيقى" سوف يكون بقيادة فاى، وجاسبر، وجوسلين باعتبارها سيدة المفجرات، وأن يقوم الآخرون بالمساندة. وانتهى الاجتماع فى حوالى الثامنة. واحتفلوا بالذهاب إلى المطعم الهندى. ثم ذهبت فاى وروبرتا إلى السينما. وذهب برت وجاسبر وكارولين - كان برت يريد آليس أن تأتى أيضًا - لزيارة البيت المهجور المحتل عشوائيًا فى جنوب لندن. وكان لا يزال أمام جوسلين بعض اللمسات الأخيرة.

رفضت آليس، لقد كانت على ما يرام، وكانت تريد الذهاب للتمشية. نعم، كانت تريد الذهاب لتتمشى؛ لم تكن تفهم لماذا كانوا يصنعون كل هذه الضجة. كانت ترغب فى أن تتمشى وحدها.

كانت تلك هى المرة الأولى التى يسمع فيها بعضهم عن هذه النزعة عند آليس، وتبع ذلك بعض الملاحظات المازحة.

انطلقت، متجهمة، فى الشوارع المظلمة. وتوقفت بعد مائة ياردة أو نحوها ووقفت تنظر إلى حديقة لم يكن يُرى بها سوى الخطوط الخارجية للزهور، وشجيرة، وقد تخلت عنها كل ألوانها. استعادت نفسها بتنهيدة، وسارت نحو شقة أمها. وهناك رنت الجرس بسرعة، ثم تبعتها فورًا برنة

أخرى، وقالت عندما سمعت صوت أمها: "أنا آليس"، ومرت لحظة صمت، "أنا آليس"، بصوت حازم، متبرِّم.

لحظة صمت أخرى. طويلة. ثم سمعت صوت الكهرباء فى الباب، واندفعت آليس إلى المدخل العارى القبيح. وبدا أنها توقعت، عندما فتحت أمها الباب، أن تدخل إلى مكان كبير لطيف مثل غرف بيت ميلينجز القديم، فقد اندفعت وكأنها تدخل غرفة كبيرة واضطرت أن تكبح خطواتها أمام أمها، التى وقفت وظهرها إلى المقعد ذى الذراعين الذى من الواضح أنها غادرته لتوها. كانت غرفة صغيرة لطيفة، لكن آليس فكرت أنها قبيحة وقذرة. كان المقعدان المتشابهان على جانبى المدفأة الغازية الصغيرة، واللذان - فى البيت القديم - كانت تحيط بهما مساحة كبيرة من الفراغ، وبدا أنهما الآن كبيران للغاية، مسجونان رديئان، مضطران لأن يواجه كل منهما الآخر. كانا بحاجة لتنجيد جديد، لم تكن آليس قد لاحظت ذلك من قبل.

قالت فى صوت يتسم بالنذالة والعدوانية: "ماذا تظنين أنك تفعلين فى هذا المكان؟"

كانت الغرفة باردة للغاية. ولم تهتم آليس بذلك، لكن دوروثى كانت ترتدى بلوفر سميكًا وجوارب صوفية، وملابس شتوية. عرفت آليس ذلك السويتر الأصفر الباجى، والتنورة البنية. كانا قديمين. كان شعر أمها أبيض تمامًا الآن، وغير مصفف. وكان وجهها الجذاب المنهك، غير المبتسم، يواجه آليس بعبوس يدل على عدم اللين.

كما هو المعتاد دائمًا، عندما تكون آليس مع أمها، كانت تتملكها مشاعر لطيفة وطيبة مختلفة عن مشاعر الغضب التى كانت تستولى عليها وهى بعيدة عنها.

ذلك الوجه العدوانى الذى تبدو عليه المعاناة والذى جاءت به قد ذهب بالفعل، وابتسمت. كانت تلك الابتسامة اللطيفة، الراغبة فى الإرضاء، للبنت الطيبة. نظرت لترى إن كان يمكنها أن تجلس. كان المقعد ذو

الذراعين الذى كانت تجلس عليه أمها قد كومت إلى جواره كتبًا ترتفع حتى مستوى الذراع. وعلى الرف أعلى المدفأة الغازية كانت زجاجة من الويسكى وكأس، ممتلئ إلى ثلثه.

وبدا المقعد الآخر ذو الذراعين المواجه لأمها، وكأنه كان به شخص ما. حتى أن آليس نظرت بحدة حولها لترى إن كان هذا الشخص يختبئ فى مكان ما. كانت مقعدة الكرسى مضغوطة للداخل، كما لو كان به احتلال طويل وحميم. وكان هناك كوب شاى فارغ على الأرض بجوار المقعد. فجأة تخيلت آليس زوى دفلين وأمها تجلسان أمام بعضهما، وسمعت ضحكاتهما القوية المنطلقة، والتى بدت وكأنها تلفهما بجدار يعزل الآخرين خارجه. وشعرت بألم حاد، وعادت تنظر إلى أمها بازدراء.

"لماذا تلفين نفسك هكذا؟ هل أنت مريضة؟"

صمت. قالت دوروثى بحرص، وهى لا تزال عابسة: "كما تعلمين، أشعر بالبرد. على عكسك".

"إذًا لماذا لا توقدين المدفأة؟"

صمت. "كما قد تكونين قادرة على التصرف لنفسك، أنا لابد أن أكون حريصة مع النقود".

تحدثت بصوت متعب، هامس تقريبًا، خشية مما قد تثيره نغمة صوت، أو حركة خاطئة. كما لو كانت ممرضة مع مريض فى حالة حرجة.

صرخت آليس: "لا أعرف ماذا تعنين. لا يمكن أن تسوء الأمور لدرجة أنك ليس لديك من المال ما يمكنك من إشعال المدفأة عندما تشعرين بالبرد".

تنهدت دوروثى ميلينجز. واستدارت عنها. ليس نحو المقعدين، اللذين بدا الآن أنهما وعد بحديث ودى طويل تدين به لآليس، ولكن إلى منضدة صغيرة موضوعة بجوار الحائط، والتى تأكل عليها وجباتها، فيما يبدو. كان هناك صحن فوقها به تفاحة واحدة وثمرة موز واحدة. أخرجت آليس

صوتًا يدل على الغضب، واندفعت إلى الثلاجة الصغيرة فى منطقة الطبخ التى يمكن أن تسمى بالمطبخ. فى الثلاجة كانت زجاجة لبن، وبعض الجبن، وأربع بيضات، ونصف رغيف من الخبز الأبيض.

التفتت آليس إلى أمها، لكن قبل أن تتمكن من قول أى شىء، قالت دوروثى: "آليس، هل تريدين شايًا أو أى شىء؟ هل أنت جائعة؟"

قالت آليس، وكأنها توجه اتهامًا: "لا، لست جائعة".

جلست دوروثى على أحد المقاعد أمام المائدة الصغيرة، مشيرة إلى آليس لتجلس أمامها، لكن آليس لم تستطع أن تجبر نفسها على الاعتراف بحق تلك المنضدة الصغيرة فى حياة أمها، وجلست على ذراع المقعد الذى كانت صديقة أمها تجلس فيه.

"هل كانت زوى دفلين هنا؟"

"لا، لم تكن. كما تعلمين، يا آليس، لم تعد صداقتنا متينة فى الوقت الحالى".

"أوه، لا تكونى سخيفة هكذا. لقد كنت تعرفينها طوال حياتك".

"كما 'تعلمين 'لقد تشاجرنا".

"حسنًا، هل كانت تريزا؟"

"ليس بعد".

"لا تقولى لى إنك تشاجرت مع تريزا؟"

قالت دوروثى: "ليس هناك ما يجعلنى أخبرك بأى شىء على الإطلاق". قامت نصف "قومة" - لم تكن بحاجة لأكثر من ذلك - ومدت يدها إلى قدح الويسكى، وأخذت جرعة جيدة منه، وقد التوى فمها قليلاً. ويسكى "جرانت". وفكرت آليس بمرارة، أوه، نعم، ربما تكون دوروثى فقيرة، لكنها لم تكن مستعدة لشرب أى شىء إلا نوع الويسكى الذى تفضله.

كانت آليس تنظر بفضول إلى ذلك الوجه الصارم، والذى بدا، وكأنه قد انعقد فى عبوس إلى الأبد، وقد انجذب الحاجبان متقاربين.

شعرت آليس أنها لا تعرف أمها. كانت دوروثى ميلينجز، فى الأيام القديمة الطيبة التى يمكن أن تملأ ذاكرة آليس لساعات فى كل مرة تفكر فيها، كانت امرأة طويلة، مدهشة لها شعر ذهبى يميل إلى الاحمرار ترفعه فى شينيون، وبشرة بيضاء بها نمش خفيف، وعينان زرقاوان تميلان إلى الاخضرار. كانوا جميعًا يمزحون بأنها تبدو سابقة على رافائيل، حقًا. لكن حيث إن دوروثى لم تكن أبدًا متراخية، أو فاترة، أو تدير عينيها فى ذهول، فإن المقارنة لم تذهب بعيدًا. الآن كانت امرأة عجوز طويلة، قوية، بكل هذا الشعر الأبيض غير المصفف. وكانت عيناها تبدوان ككتلتين مربعتين من الحجر الأخضر. عندما كانت مع أناس آخرين - زوى دفلين، على سبيل المثال - كانت مليئة بالحيوية والضحك.

من كان يزورك إذًا؟"

مسز وود، من الطابق السفلى".

وقفت آليس، وحملقت، ثم جلست مرة أخرى: "مسز وود! ماذا تعنين، مسز وود! لماذا، إنها ... .

"هل تريدين الإيحاء بأنها ليست ملائمة لى؟"

"لكن...". لم تستطع آليس أن تنطق بكلمة. كل تلك الضيافة المدهشة، البيت الكبير، الناس يدخلون ويخرجون، المآدب، و.... تمتمت: "مسز وود".

"لم أكن أعرف أنك تعرفينها".

"لكن لا يمكن هذا... .

"هل تعنين أنها من الطبقة العاملة؟ من المؤكد يا آليس لا يمكن لك أن تجدى هذا عيبًا؟ أما بالنسبة لى، فقد عدت إلى مستوى الملائم. ومن تلك التى تتشدق طوال الوقت بجدها الذى ينتمى إلى الطبقة العاملة؟" ولأول مرة هذا المساء، كانت دوروثى تبتسم، وكانت تنظر حقًا إلى آليس، وكانت

تلك العينان الخضراوان الباردتان، غاضبتين. "أو أنك تظنين أنها ليست على قدر ملائم لى من الذكاء؟"

"ولكن ليس ثمة ما هو مشترك بينكما . أراهن، بداية، إنها لم تقرأ شيئًا طوال حياتها".

تساءلت: "احترام مفاجئ للأدب؟". وأخذت جرعة ثانية من الويسكى. "يمكن أن أقول لك، إننى أجد صحبة مسز وود مفيدة للغاية مثلها فى ذلك مثل... كثير من الناس الجيدين الذين يمكن أن أذكرهم. وهى لا تمتلئ بالهراء والادعاءات".

هذا جعل آليس تتذكر ذلك الاتجاه غير المفهوم من أمها نحو الانتقاد الحاد لأشياء كانت تعتبرها عزيزة طوال حياتها، فامتلأت عيناها بالدموع، وفكرت: لقد كان كل شىء كثيرًا جدًا عليها؛ أوه، ما أسوأ هذا، المسكينة. وصاحت: "كان ينبغى ألا تقولى أبدًا إنك ستتركين البيت. كان ينبغى أن تقولى إنك لن تذهبى. وهكذا ما كنت تضطرين لأن تأتى هنا".

بدا ذلك كرجاء، وكأن أمها يمكن الآن أن تقول: "نعم، كان هذا كله خطأ"، ثم تعود إلى بيتها.

بدت على دوروثى الدهشة. ثم عادت إليها النظرة الحذرة، والعبوس.

"ولكن يا آليس، أنت تعرفين ما حدث".

"ماذا يهم، ماذا حدث؟ وماذا سيحدث الآن، تلك هى المسألة؟"

"حسنًا، إننى يائسة إلى حد ما من التحدث إليك كثيرًا عن... الضرورة. لا فائدة. لقد حصلتم على كل شىء فى حياتكم بسهولة بالغة، إنكم ببساطة لا تفهمون. إذا أردت شيئًا، يصبح من المسلم به أنك ستحصلين عليه...". صدر عن آليس صوت معترض خافت، تقصد به أن تقول إنه فيما يعنيها، فإن أمها قد تجاوزت الهدف الذى تقصده تمامًا. لكن دوروثى استمرت: "أعرف أنه لا فائدة. لقد كنت أفكر بشدة فيك، أنت يا آليس. وقد وصلت إلى نتيجة واحدة بسيطة. لقد أفسدك التدليل تمامًا حتى العفن. إنك عفنة. وأبناء زوى مثلك تمامًا".

قالت دوروثى هذا بصوت يخلو من العاطفة، وكأنها لا تهتم. وكأن كل العاطفة قد استنفدت.

تركت آليس هذا يمر، كجزء من شخصية دوروثى الجديدة، أو جنونها. كان الأفضل تجاهله. سوف يذهب، ربما، مثل هذا الهراء حول المعيشة هنا.

"أظن أنك ينبغى أن تخبرى سيدريك أنك لن تعيشى هنا؛ وينبغى أن يعطيك المزيد من النقود".

تنهدت دوروثى، وغيرت جلستها فى مقعدها الصغير الصعب، وبدا أنها تريد أن تسقط تمامًا من التعب التام، ثم استجمعت نفسها، وجلست معتدلة.

"اسمعى يا آليس. وهذا للمرة الأخيرة. لا أعرف لماذا لا يبدو أنك قادرة على فهم هذا. الأمر ليس شديد التعقيد". والآن انحنت إلى الأمام، وقد ركزت عينيها على وجه آليس المعترض المتعاطف، وتحدثت ببطء، وهى تشدد على كل كلمة تقولها.

"عندما تركنى والدك، قال إننى يمكن أن أبقى فى البيت. وكان ينبغى أن أحوِّل الطابق العلوى إلى شقة قائمة بذاتها. ويمكن أن أؤجر الشقة وسوف تدفع النفقات. والمطالبات الشهرية، الكهرباء، الغاز". أومأت آليس، وهى تعقد صلة بين ما كان يقال. تشجعت دوروثى، فأكملت: "لكن بدلا من ذلك، أسكنتك أنت وجاسبر. أنت كتبت لى تسألين إن كان يمكنك العودة إلى البيت لبعض الوقت".

"لا أذكر شيئًا من هذا النوع. أنت كتبت لى وقلت لماذا لا آتى إلى البيت لبعض الوقت؟"

"حسنًا. حسنًا جدًا، يا آليس. كما تشائين. لن أجادل فى هذا. فلا فائدة من الجدل. أيًا كان، ما حدث هو أنك جئت إلى البيت. وأنا قبلت بك أنت وجاسبر. وأخبرت أباك أن بعض الناس يحتاجون وقتًا أطول لكى يكبروا . كنت أتحدث عنك، بالطبع. فجاسبر لا يعنينى".

سرت فى جسد آليس رعدة باردة من الرفض. قوّت نفسها، كما كانت كثيرًا ما تفعل، لتحمل العبء، نيابة عن جاسبر.

"ظل والدك يقول لى 'القى بهما إلى الخارج. إنهما كبيران بما يكفى لتحمل عبء نفسيهما. لا أعرف ماذا يضطرنى لإيواء هذين اللصين.' لكنى لم أكن أستطيع هذا. لم أستطع يا آليس". خرجت هذه العبارة الأخيرة بصوت مختلف، ذلك الصوت الأول "اللطيف" الذى سمعته آليس من أمها فى ذلك المساء. كان خافتًا، متألمًا، وراجيًا.

شعرت آليس بهذا يقويها، وقالت: "حسنًا، بالطبع، ذلك البيت الكبير وأنت وحدك فيه، وصديقاتك يدخلن ويخرجن".

مرة أخرى شعرت دوروثى بالدهشة من آليس. حدقت فى ابنتها، وازداد عبوسها.

قالت: "أمر مضحك، كيف يمكن أن يبدو وكأنك غير قادرة على الفهم". لو كانت آليس تبدو غير قادرة على القبض على نقطة أساسية حول تلك الحالة، فإن دوروثى كانت غير قادرة على فهم حقيقة أساسية فى آليس. "لماذا لا تستطيعين؟"، كان هذا التساؤل موجهًا، ليس لآليس، وإنما للغرفة، للهواء، لشىء أو آخر. "أنا ببساطة لا أستطيع أن أجعلك تفهمين... الأمر هو، لولاك أنت وجاسبر.. لكنتُ هناك الآن، فى البيت. لا، يا آليس، أنا لا ألومك، أنا ألوم نفسى". وأخذت جرعة أخرى من الويسكى. بهذا المعدل سوف تكون ثملة بسرعة. وهنا سوف تغادر آليس ببساطة! كانت تكره أمها وهى ثملة؛ ففى ثمالتها تبدأ فى قول كل تلك الأشياء السلبية.

"وهكذا، هذا هو الأمر يا آليس. ومع ذلك لماذا أتجشم مشقة قول كل هذا مرة أخرى، لا أستطيع تخيل السبب. إنك لست أقرب الناس لى، يا آليس. وليست لدى رغبة خاصة فى رؤيتك".

كانت آليس تصارع فكرة صعبة. وقد تجهم وجهها. عضت على شفتيها الحمراوين، وبدا أنها تشعر بالضيق، وكأن دوروثى قالت: "أنا لا تعجبنى البلوزة التى ترتدينها".

"لكن عندما غادرت أنا وجاسبر، لماذا لم تغيرى الشقة حينئذ، وتؤجريها؟"

جهرت دوروثى بالأمر: "لأننى... كنت قد أنفقت النقود التى أعطاها لى سيدريك لتعديل الشقة. عليك. وهذا يعنى على جاسبر، طبعًا. وبالإضافة إلى ذلك، حيث بدا أن الطريقة الوحيدة التى يمكن أن أتخلص بها منك هى أن أنتقل، فقد كنت قد دبرت كل شىء مع الوكيل العقارى. كما تعلمين، حيث إنك كنت تقومين بالاتصالات التليفونية..."... أوقفت نفسها، وتنهدت. "لا، بالطبع لم يكن هذا هو الأمر. أبوك قال إنه قد نال ما يكفى. كان هذا هو السبب. قال سيدريك: يكفى هذا! وأنا لا ألومه".

قالت آليس: "لحظة، ماذا تعنين بأننى كنت أقوم بالاتصالات التليفونية؟"

"حسنًا، بالطبع كنت تفعلين هذا. لقد كنت تقومين بكل شىء، أليس كذلك؟ لتكونى مفيدة. بالطريقة الوحيدة التى تعرفينها".

"أنا ... قمت بالاتصالات؟"

لم تستطع آليس أن تتذكر شيئًا من هذا. ولم تستطع دوروثى تصديق أن آليس لا تتذكر. للمرة الألف كانت الحالة تتكرر، عندما تقول آليس: "لا أتذكر، لا، إنك على خطأ"، معتقدة أن أمها تختلق أشياء بهدف شرير، بينما كانت دوروثى تتنهد وتحاول استثارة أفكار مهمة حول تشخيص الكذب.

"على أية حال، كان يمكنك أن تقولى إنك غيرت رأيك".

هذه المرة كانت تنهيدة دوروثى واضحة ومسرحية. "فى العالم الطبيعى، يا آليس - لكنك لا تعرفين شيئًا عن هذا - هناك أشياء تسمى العقود".

قالت آليس: "أوه، اللعنة".

"هذا صحيح جدًا، اللعنة. لكن هناك سببين يجعلاننى لا أغير رأيى، حتى لو سيدريك غير رأيه. أحدهما أننى أردت أن أتخلص من كل هذا. لقد أديت لى خدمة عظيمة يا آليس. مر علىّ وقت كنت على وشك أن أكسر رقبتك. شعرت وكأننى زائرة فى بيتى نفسه؛ لم أكن أستطيع أن أدخل مطبخى، ثم فكرت فجأة، ... فكرت، يا إلهى، يا له من خلاص مريح! سوف أتحرر من كل هذا. من قال إننى ينبغى أن أقضى بقية حياتى فى شراء الطعام وطبخه؟ سنوات، سنوات من حياتى قضيتها أتجول محملة بأثقال من الأطعمة وأطبخها، وأقدمها لكثير من البطون الشرهة التى تأكل كثيرًا جدًا على أية حال".

هنا جاء صوت الاعتراض من آليس أشبه بالأنين، وحدقت بعينين مذهولتين فى أمها: توقفى، أرجوك توقفى، قبل أن تدمرى كل شىء، حتى ذكريات بيتنا الجميل.

لكن تلك القوة الخطرة، المدمرة، والمتجسدة فى أمها، لم تسمعها، أو قررت ألا تلاحظ، فقد كانت ماضية، بصوت بارد، قاس، ولكن مستمتع، وكأنه لا شىء، أى شىء، يمكن أن يؤخذ بجدية. "والسبب الآخر كان وجود ذلك الاتفاق الرائع: هؤلاء الألمان - ماذا يسمون أنفسهم؟ أنت تعلمين، لقد تحدثت إليهم - أرادوا شراء البيت كما هو، بسجاجيده وستائره - كما هو. لكنى ينبغى أن أخرج بسرعة فى وقت يناسب توقيتهم. وأنت وجاسبر لا تخرجان، مهما كان ما أقول". هنا وضعت دوروثى ميلينجز رأسها خلفًا، وضحكت، بينما كانت آليس، مفتوحة العينين على آخرهما، تضع مفاصل أصابعها بين أسنانها - سوف تكون آثار الأسنان عليها فيما بعد - جلست تنظر وكأنها يمكن أن تتلاشى ببساطة أمام عينى أمها فى بحيرة من الدموع، ثم طلب سيدريك جاسبر تليفونيًا وقال إنه لو لم يخرج، فإنه سيطلب الشرطة. ثم، شكرًا لله، رحلتما، ووجدت الوكيل العقارى يطاردنى لكى أخلى المكان. وكان الأمر التالى أنه بمجرد أن تم إخلاء البيت، جاء مهرج ما وسرق كل ستائر البيت". وارتجت من الضحك. كان ذلك النوع من الضحك الذى كانت تضحكه مع زوى دفلين، بالتأكيد، لكنها لم تكن تشاركه

مع آليس. "لم يترك ستارة لعينة واحدة. وهؤلاء الذين ـ ما ـ اسمهم قادمين فى خلال أربعة أيام. ذهلوا ـ لقد كانت الستائر فى العقد، وكان ينبغى أن يحصلوا على الستائر! وتم إلغاء الاتفاق!" وهنا تجرعت دوروثى جرعة جيدة أخرى من الويسكى. "فقدت الشقة التى كنت ذاهبة إليها: واضطررت لإخبارهم بما حدث. وكانوا لطافًا فى الموضوع، لكنهم لا يستطيعون الانتظار. لقد كانت شقة جيدة، لكننى مسرورة بالفعل. لقد كانت كبيرة جدًا علىَّ. والحق إننى بحاجة لشىء فى مثل هذه المساحة. أردت أن أتخلص من كل شىء".

سمعت آليس ذلك وكأنه: "أردت أن أتخلص منك"، وشعرت بعينيها أخيرًا تمتلئان بالدموع التى جرت على وجهها.

"أناس من يوركشاير أخذوا البيت، بدون ستائر. بألفين أقل من السعر، لكن حينئذ كنت قد تجاوزت مرحلة الاهتمام. وكانت هذه الشقة متاحة. إنها مناسبة. البساطة أفضل. وعندما أفكر فى سنوات حياتى التى قضيتها فى مرج وهرج حول تفاصيل لا داعى لها على الإطلاق".

قالت آليس فى صوت خافت متألم: "إننى آسفة لأننى أخذت السجادة".

"أوه، نعم، إذًا أنت فعلت هذا. حسنًا، فى الواقع، لا يهم. ليس لدى مكان لها على أى حال، ومن ثم يمكنك أخذها كما تشائين".

نهنهت آليس وتنحنحت، ثم قالت: "أنا آسفة لأنى قلت إنك فاشية".

بدا على دوروثى عدم التصديق: "ما ..ذا؟ ... فاشية؟ هل قلت هذا؟ حسنًا، حسنًا. وماذا عن كل الأشياء الأخرى. فاشية. ومن يهتم بشتائمك الشقية الصغيرة؟"

"ماذا قلت؟ لم أقل...." فى مكان ما فى عقل آليس، كان لا يزال يتردد صدى ذلك المشهد لرحيلها عندما صرخت بشتائم بشعة فى أمها، وكذلك فعل جاسبر. كانت حينئذ تشتعل غضبًا.

قالت دوروثى ميلينجز: "أوه، يا إلهى، يا آليس"، وبذلك فجأة قدمت لابنتها المشاعر المخلصة الدافئة البسيطة التى كانت هى الشىء الذى تتذكره آليس عن أمها، خاصة عن السنوات الأربع الأخيرة فى بيتها، والتى كانت تشعر بحنين هائل إليها. "أوه، يا إلهى، لماذا لا تحصلين على عمل؟ افعلى شيئًا؟"

قالت آليس، وقد وجدت الدليل الذى يثبت أنها على حق كما هو ظنها دائمًا: "يبدو أنك تتجاهلين حقيقة أن لدينا أكثر من ثلاثة ملايين من العاطلين".

"كلام فارغ. لقد حصلت على درجة أفضل من معظم زملائك. كل أبناء أصدقائى من سنك حصلوا على وظائف وشقوا طريقهم المهنى. كان يمكنك أن تفعلى هذا أيضًا، لو أردت. إنك حتى لم تحاولى. حسنًا، يمكنك أن تبدئى الآن - أبوك يمكن أن يساعدك. هل رأيت سيدريك؟"

قالت آليس: "لا، لا أريد ذلك، فلن أعيش هذا النوع من الحياة. لن أجلس فى مكتب من التاسعة إلى الخامسة".

فجأة، وقد ملأها الشعور باليأس، والخسران، والعجز عن الفهم، صرخت دوروثى: "أوه، هكذا كنت أريد شيئًا لائقًا لك يا آليس. أنا لم أحصل على تعليم لائق، كما تعلمين - يعلم الله أننى كررت ذلك لك حتى حفظته... تزوجت وأنا فى التاسعة عشرة. لابد أن يكون هناك قانون يمنع هذا، ثم لم أفعل سوى أن أعتنى بالبيت وبك أنت وأخيك وأطبخ وأطبخ وأطبخ. أنا لا يمكن أن أحصل على وظيفة. لقد اعتدت أن أجْلس هناك، عندما كنت أنت وأخوك طفلين، أفكر كيف كانت كل صديقاتى يبنين أنفسهن ويتقدمن. وأنا محلك سر. هل تذكرين روزمارى هولمز؟ هل تعرفين أنها فى مؤسسة بارتس العلاجية، إنها أخصائية عالمية، فى شىء يختص بالكبد. كما ترين، أنا جاهلة جدًا، أنا حتى لا أعرف ما هو هذا الشىء. كنا فى المدرسة معًا. لكنها ذهبت إلى الجامعة".

هذه العاطفة العنيفة المنفلتة لأمها كانت تؤثر بزيادة الضيق لدى آليس، جعلتها تشعر بالعنفوان والرفض. كانت رؤية أمها تتوتر، فى الحفلات أو غير ذلك، هو السبب الرئيسى الذى جعل آليس لا تثمل أبدًا. لقد كانت هناك دائمًا نقطة معينة، عندما كانت دوروثى تثمل، عندها ينضح منها نوع من الحقد والضغينة، مثل مادة كيميائية شريرة، تحرق كل ما تلمسه. لكن خاصية التدمير التى كانت تنبثق منها فقط عندما تكون مخمورة، وكأنما تخرج من حلة ضغط موضوعة فى ركن ما فى أعماقها، بدت الآن وقد استولت عليها، ومن ثم لم يعد هناك شىء آمن من عدائها الساخر: لا أطفالها، ولا أصدقاؤها، ولا زوجها السابق، أو أى شىء فى ماضيها.

فكرت آليس، وهى تراقب دوروثى تحدق بعينين حزينتين ثقيلتين إلى فرصة ضائعة أو أخرى، حسنًا، ماذا تظن أنها كان ينبغى أن تكون إذًا؟

قالت دوروثى: "كان يمكن أن أكون طبيبة جيدة، أعرف هذا. أنت تعرفين ما كان يمكن أن تكونى جيدة فيه. كان يمكن أن أكون مزارعة جيدة، أيضًا. ومستكشفة".

قالت آليس بسخرية واهنة: "مستشكفة!"، وقالت دوروثى: "نعم، مستكشفة". كانت كأسها خالية. نهضت، ذهبت إلى الرف، وصبت جرعة كبيرة أخرى من الويسكى، وجلست. لم تكن تنظر إلى آليس. "لم أفعل أى شىء بحياتى". لقد كانت تبتسم، بازدراء، وهى تنكر وجود آليس بهذه الطريقة. "اعتدت أن أنظر إليك عندما كنت صغيرة، وفكرت، حسنًا، على الأقل سوف أعمل حسابى على أن تتلقى آليس تعليمًا جيدًا، سوف تكون مسلحة بالعلم. لن أتركها لتكون مغروزة فى مثل وضعى، لا تأهيل لأى شىء. ولكن ظهر أنك قضيت حياتك بالضبط كما فعلت. تطبخين وتعتنين بالآخرين. الأنثى الكادحة الصالحة لكل الأغراض." وضحكت بمرارة، وهى تهدم كل السنوات الجميلة التى كانت آليس تفكر فيها بحنين بالغ، وتقتل دوروثى ميلينجز القديمة التى كانت تشع بالدفء فى كل ما حولها، الناس

يأتون إليها، يحيطون بها، يريدون ما لديها - موهبة ملء كل شيء حولها بالحياة.

شعرت آليس بألم لا يمكن التعبير عنه، وجلست فى وضع متقزم منكمش، تستمع إلى أمها وهى تواصل قائلة: "هذا العالم يديره أناس يعرفون كيف يفعلون الأشياء. إنهم يعرفون كيف يتم إنجاز الأمور. إنهم مؤهلون. هناك بالأعلى شريحة من الناس يديرون كل شىء. لكن نحن - نحن مجرد عمالة. إننا لا نفهم ماذا يجرى، ولا نستطيع فعل أى شىء".

وجدت آليس أنها بدأت تستعيد نفسها مرة أخرى: "لا تكونى سخيفة، إننا نستطيع أن نفعل كل ما نريد".

"أوه، أنت، تجرين على غير هدى، تلعبين لعبة الثورات، تلعبين ألعابًا صغيرة، تظنين أنك مهمة. هذه بالضبط هى صفات العمالة، إنك لا تفعلين أى شىء أبدًا".

قالت آليس، بهدوء وثقة: "إنك لا تفهمين يا أمى، إننا سوف نهدم كل شىء. كل شىء. هذا الهراء القذر الذى نعيش فيه. كله سوف ينهار. وحينئذ سوف ترين".

أعاد هذا دوروثى إلى وعيها بنفسها. عاد حذرها القاسى، ووضعت مسافة بينها وبين ابنتها؛ ومرة أخرى بدت عيناها الخضراوان مثل حجرين، وقالت: "وحينئذ سوف تبنون كل شىء مرة أخرى على الصورة التى تريدونها! يا له من منظور". وضحكت. وإذ بدأت آليس تتحول إلى الاحمرار، هبت على قدميها: "أوه، لا تسيئى فهمى، من المحتمل أن تفعلوا هذا. ومع وجود الكثيرين من نوعك، وفكرة واحدة فى عقولكم، كيف يمكن لكم الحصول على السلطة لأنفسكم..." كانت تضحك بصوت عالٍ، ضحكتها نصف المخمورة، والتى كانت آليس تكرهها بشدة. "نعم، أستطيع أن أرى كل شىء. من المحتمل أن يصبح جاسبر وزير الثقافة - فهو النوع المناسب لذلك. إنه يبغض أى شىء محترم، وذات مرة كتب رواية مرعبة لم يستطع نشرها. وأنت ستكونين مساعدته المخلصة".

كانت آليس على وشك الانفجار، كانت فى حالة غضب بالغ، وهى واقفة هناك، قبضتاها مكورتان، ووجهها أحمر ومتشنج.

قالت دوروثى ميلينجز: "أوه، يا إلهى يا آليس، اذهبى. لم أعد قادرة على احتمالك، ألا تفهمين هذا؟ إننى لم أعد قادرة على تحمل اقتحامك لحياتى".

صرخت آليس: "سوف ترين، أيتها العجوز الفاشستية القذرة. أنت وكل أصدقائك الفاشستيين. هذا كل ما تهتمون به....". كانت مفككة، لاهثة، يتصبب منها العرق. "ولكن فقط انتظروا. كل شىء متعفن. كل شىء منهار. لكنكم نائمون وأغبياء ولا تستطيعون مجرد رؤية ذلك. ونحن سوف نهدم كل هذا". بل إنها تحركت نحو أمها ودفعتها فى كتفها، حتى أن دوروثى اضطرت للإمساك بحافة المنضدة. صرخت آليس أخيرًا: "سوف ترون جميعًا"، وجرت خارجة من الغرفة، وصفقت الباب خلفها.

مشحونة بقسوة الغضب، اندفعت آليس على السلالم، ثم إلى الشارع، ولفت حول ركن، وأصبحت جزءًا من الزحام الخفيف المتأخر الذى يتفرق خارجًا من نفق المترو. وعلى بعد كتلة سكنية، كان شرطيان جوالان يقتربان، وفى التوّ، أصبحت آليس المواطنة الصالحة العائدة إلى البيت بعد بعض الترفيه المسائى. كانت تعرف أحد الشرطيين. كان ضمن أول غارة للشرطة على البيت. لكنه لم يعرفها. أومأت وابتسمت، إحدى دافعى الضرائب الذين يدفعون مرتبه. قال لها: "مساء الخير".

فكرت آليس، حسنًا، إن لديهم أوامر بالتحلى بروح ودية، وسمحت لوجهها، لجسمها، باحتقاره بمجرد أن تجاوزتهما بأمان، ولكن غضبها الحقيقى كان قد ذهب إلى تسارع قدميها على الرصيف. كانت الآن تفكر فى أمها بشفقة قوية، ورغبة فى الحماية. غرفتان حقيرتان! لقد بدت دوروثى كبيرة جدًا فى غرفة الجلوس تلك؛ لو تلفتت بسرعة ربما تصدم بجدار وتهدمه. تقضى أمسياتها تتحدث إلى زوى دفلين وتقرأ الكتب! تفحصت آليس الآن، فى صورة عقلية مختزنة، العناوين فى رفين صغيرين

مرتبين على الجدران، ومن كومة الكتب على الأرض بجوار المقعد الكبير. ماذا كانت تريد من قراءة هذا النوع من الكتب! كانت كتب أقرب لكتب الطلبة فى المدارس. عندما جاءت زوى دفلين لقضاء المساء جلستا متواجهتين وتحدثتا عن الحياة. لا. عن الكتب. لا، بالطبع، كان بينهما هذا الشجار. حسنًا، هذا أمر سخيف؛ لقد كان عليهما اختلاقه؛ لقد كانتا مثل أختين، وقد قالتا ذلك بنفسيهما. شجار غبى لعين... فى الواقع، كثير من المشاجرات.

كانت آليس تقف على الرصيف، مثل طفل يتظاهر بأنه تمثال، من الواضح أنها تنتظر تاكسيًا أو مواصلة ما. كانت - دون إرادة منها - ترى مشهد تلك المشاجرة البشعة الأخيرة بين أمها وزوى. كانت فى غرفة الجلوس القديمة، فى الطابق الأول، والتى كانت تمتد من الأمام حتى الخلف ومن جانب البيت القديم إلى الجانب الآخر، تحيط بها النوافذ من كل ناحية. وخلف النوافذ تبدو مناظر حدائق وأشجار. كانت دوروثى ميلينجز وزوى دفلين متواجهتين، شاحبتين، فى حالة من الجدية تسمو على الصياح أو إهانة كل منهما للأخرى، كما فعلتا من قبل، ولكن كانتا دائمًا تصلحان الأمر، ضاحكتين. امرأتين متقدمتين فى العمر، طويلتين، أنيقتين، وغرفة جميلة تمتد حولهما حتى النوافذ، وعبر تلك النوافذ، الحدائق.

وبدت رؤية آليس تتغير. امرأتان متقدمتان فى العمر. عجوزان. كلتاهما تبدو متهالكة ومستهلكة. شعرت آليس بعجزهما وكأنه فى مواجهتها. كيف أصبحتا كذلك بهذه السرعة؟ لماذا؟ لماذا سمحتا لذلك أن يحدث؟ لماذا لم تهتما بذلك؟ ألم تريا مدى سخفهما عندما تأخذان أمورهما بكل تلك الجدية؟

قبل ذلك بثلاثة أيام، قطعت تلك المرأتان مجادلة بينهما، وقالتا إنهما إن لم تفعلا ذلك، سوف تبدءان فى التضارب بالأيدى.

وفى تلك المناسبة، كانت دوروثى قد قالت: "أنت وأنا التقينا فى مسيرات ألدرماستون. التقينا بسبب مواقفنا السياسية. وهذا هو ما كان مشتركا بيننا".

وقالت زوى: "أوه، وبالطبع كل ما عدا ذلك لا أهمية له! لقد كنا أصدقاء لعشرين عامًا!".

"زوى، هل تدركين أننى لابد أن أراقب كل شىء أقوله لك الآن؟ لا أستطيع أن أتحدث إليك عن أى شىء أفكر فيه بالفعل؟"

"حسنًا، هناك الكثير مما يمكن أن نتحدث فيه".

"لا، لا يوجد. لن أضيع وقتى فى النميمة والحديث حول هل ينبغى أكل الزبد واللحم أم لا. أو أن نبدأ فى صنع الخبز بأنفسنا. هذا ما نتحدث فيه".

"لقد أصبحت رجعية لعينة، وهذه هى المشكلة".

"لا تلصقى بى تصنيفات غبية لعينة. لقد عدت إلى القرن التاسع عشر، كلكم. تبكون على شهداء تولبادل، وتغنون للعلم الأحمر(*). إنك نكتة سيئة".

"كنت دائمًا لا ترين أنها نكتة".

"لا، أنا أرى ذلك الآن. هل تدركين أننى لابد أن أفكر مرتين قبل أن أدعوك للمجىء؟ لا يمكن دعوتك مع أى شخص لديه أى رأى سياسى مختلف حول أى شىء، لأنك تبدئين فى نعتهم بأنهم فاشيون! إنك لا تستطيعين مقابلة أى شخص، حتى من يقرأ جريدة تنتمى إلى الجناح اليمينى. لقد أصبحت شديدة التعصب يا زوى، هل تعلمين هذا؟"

"وأنت فاشستية! لا تبعدين كثيرًا عن مثل هذا التصنيف. تقرئين كتبًا عن المخابرات السوفيتية، وترين الحُمر تحت كل فراش".

قالت دوروثى بجدية: "هناك حُمر تحت كل فراش، يا إلهى، عندما أفكر فى أنها كانت نكتة، هل تتذكرين؟ كان الشىء المضحك هو أننا نحن كنا الحُمر تحت كل فراش"، وبدأت دوروثى تضحك. وظلت زوى متجهمة،

(*) شهداء تولبادل: فى القرن التاسع عشر اعتقلت مجموعة من العمال الإنجليز لانضمامهم إلى «جمعية صداقة العمال الزراعيين» التى كانت أشبه بالنقابات العمالية، وكانت غير قانونية فى ذلك الوقت، وحُكم على العمال بالنفى إلى إستراليا (المترجمة).

تتهمها بعنف: "الشىء التالى، هو أنك ستؤيدين السياسات الخارجية لريجان وتاتشر".

"لقد كنت أتساءل إن كان لا ينبغى ذلك. على أية حال، منذ أربعين عامًا لم يكن من الفاشية الحرب من أجل السيئ فى مقابل الأسوأ. لماذا يصبح هذا كذلك الآن؟"

"إننى ذاهبة يا دوروثى. لو لم أفعل، أظن أننى سوف أضربك".

"نعم، أظن أن من الأفضل أن تذهبى".

كان هذا قبل ثلاثة أيام. ولم تقم أى من المرأتين بمبادرة تجاه الأخرى، ثم وصلت زوى فى صباح أحد الأيام. كان جاسبر فى المطبخ، يتناول إفطارًا من صنع آليس. وكانت دوروثى ميلينجز على التليفون فى غرفة الجلوس، متجنبة جاسبر، وهو الأمر الذى شكرته آليس.

ذهبت زوى إلى غرفة الجلوس، وهى تنظر من خلال آليس، التى كانت ترتب الزهور لأمها. وقفت فى وسط الغرفة، تحدق على نحو دراماتيكى فى دوروثى. التى أخذت وقتها لإنهاء المحادثة التليفونية، ورأت آليس وزوى كلتاهما بوضوح أنها فعلت ذلك لإعداد نفسها للمواجهة مع زوى. مواجهة كان لابد أن تكون - هكذا كان يقول وجه زوى، وجسدها. كان من الثابت لآليس أن زوى جاءت لإثارة شجار. كانت تريد نوعًا من المشهد النهائى المليء بالضجيج مع دوروثى؛ كان هناك اتهام واعٍ فى سلوكها. لقد أعدت كل أنواع الأشياء التى يمكن أن تقولها، وكيف تقولها.

نهضت دوروثى ببطء وذهبت لتقف فى مواجهة زوى، وكأنها تقبل تحديًا للنزال. لكن الآن جاءت اللحظة، كانتا كل منهما شاحبة وجادة، وتحدثتا بأصوات خفيضة - كانت أسوأ كثيرًا من الصياح، والذى كان عادة ينتهى بالضحك - أصوات مقطوعة الأنفاس بسبب بشاعة ما كان يحدث.

"اسمعى يا دوروثى. لابد أن أقول هذا، ولابد لك أن تسمعى. حتى لو بدأت تكرهيننى من أجل ذلك. أعنى، تكرهيننى بدرجة أكبر مما تفعلين بالفعل".

قالت دوروثى، نافدة الصبر: "كلام فارغ".

"حسنًا، الأمر يصل إلى هذا، أليس كذلك؟ لو كان كل ما أفعله أو أفكر فيه غباء فى نظرك؟"

"هل تريدين أن نتحدث فى هذا؟ أعنى، بجدية؟ الناس ذوو الآراء السياسية المختلفة يكونون أغبياء؟ هذا هو ما أعتقده دائما، بالتأكيد".

"دوروثى، لا تقللى من شأنى. أريد أن أقول هذا. هل تدركين ما تفعلين يا دوروثى؟ لأن سيدريك قد تركك...."

"منذ خمس سنوات".

"دعينى أقولها. سيدريك تركك، وأنت ينبغى أن تتركى هذا البيت. وكل هذا بشع، لابد أن تحرقى ما وراءك، إنها سياسة حرق الأرض - دَمِّرى كل شىء وأنت تغادرين. لأنك إن فعلت سيكون الألم أقل".

هنا وقفت زوى منتظرة، متوقعة - كما يبدو - من دوروثى أن تقبل هذا التشخيص بامتنان.

قالت دوروثى، ولا يزال صوتها خفيضًا، رغم أنه بدا محملا بازدراء مرير: "لا يمكن أن تكونى جادة! ... هل جئت هنا لتقولى هذا؟"

"نعم، كان لابد أن أفعل، فهو مهم. إن لديك مبالغة كبيرة فى...."

"رغم ما يبدو من غرابة فيما سأقول، فإن الفكرة طرأت لى. أنت تعرفين، هذا العلاج النفسى الخاص بك جعلك شديدة الغباء، يا زوى. إنك تستنتجين شيئًا شديد الوضوح وكأنه نوع من الوحى".

وقفت زوى تهتز من الغضب. لكنها لم تكن تنوى رفع صوتها: "إن كان شديد الوضوح، فلم تستمرين فى فعله؟"

"قد تكون هناك طرق عديدة للنظر إلى الأمور؟ هل يمكنك أن تفهمى أنه قد تكون ثمة طرق عديدة للنظر إلى شىء ما؟ أشك فى هذا، بالطريقة التى أنت عليها... لا تستطيعين حتى أن تقابلى شخصًا يقرأ جريدة

مختلفة... اسمعى. إن حياتى يجب أن تتغير. أليس كذلك؟ ومهما يبدو ذلك غريبًا، فقد وضعت كل هذا فى حسابى، ما قلته أنت. لكنى أقوم ببعض الترتيبات. هل تفهمين؟ إننى أفكر. هل ترين؟ أنا أفكر فى حياتى. هذا يعنى أننى أفحص أشياء كثيرة".

وقفت دوروثى وزوى متواجهتين، وقفتا مشدودتين، مثل جنديين وجه إليهما أمر بالوقوف، أو زوجين على وشك أن يبدءا خطوات رقصة حرجة.

قالت زوى: "وكل ما يمكنك رؤيته بشأنى هو أننا لا شىء مشترك بيننا. أهذا كل شىء؟ عشرون عامًا من الصداقة."

"ما المشترك بيننا الآن؟ لقد كنا نطهو وجبات، ونتحدث عن أطفالنا الملاعين، ونتناقش فى الكولسترول وجمال الجسم، والذهاب إلى المظاهرات".

"لم ألحظ أنك تذهبين إلى أية مظاهرة مؤخرًا".

"لا، ليس منذ فهمت أن تلك المظاهرات وكل هذا أشياء لمجرد التسلية".

"التسلية، هكذا؟"

"نعم، هذا صحيح. الناس يذهبون إلى المظاهرات لأنهم يحبون الإثارة. مثل النزهات".

"لا يمكن أن تكونى جادة يا دوروثى".

"بالطبع أنا جادة. لم يعد أحد يتجشم مشقة أن يسأل إن كانت تلك المظاهرات أو المسيرات تنجز أى شىء. إنهم يتحدثون حول مشاعرهم. هذا هو كل ما يهمهم. إنها من أجل الإثارة، من أجل التسلية".

"دوروثى، هذا انحراف تام".

"لماذا يكون انحرافًا إن كان صحيحًا؟ عليك فقط أن تستخدمى عينيك وتنظرى. الناس يضربون، أو يسيرون فى مسيرات، أو يتظاهرون، إنهم يقضون وقتًا رائعًا. وإذا ضربتهم الشرطة، سيكون ذلك أروع".

ساد صمت. كانت زوى تحملق فى دوروثى، متحيرة. لم تستطع أن تصدق حقيقة أن دوروثى تعنى هذا. أما بالنسبة لآليس، التى كانت تقف هناك متجمدة والزهور فى يديها، تحدق فى المرأتين، وتدعو فى داخلها: "أوه، لا تفعلى، لا تفعلى، أرجوك، أرجوكما، توقفا"، تخطت أمها الحافة إلى الحالة التدميرية، ولم يعد ثمة أية فائدة حتى فى الاستماع إليها. والأفضل عدم الملاحظة.

سأقول لك شيئًا، يا زوى. أنتم جميعًا، تذهبون فى مسيرات هنا وهناك وترفعون لافتات وتغنون أغنيات قصيرة مؤثرة. "كل ما تحتاج هو الحب" - إنكم مجرد نكتة. بالنسبة للناس الذين يديرون هذا العالم حقًا، أنتم مجرد نكتة. إنهم يشاهدونكم فى ذلك ويفكرون: رائع، هذا يشغلهم".

"لا أعتقد أنك تعنين هذا".

"لا أعرف لم لا، فأنا أكرر هذا طوال الوقت".

"إنك تريدين تدمير الأشياء، تريّدين أن تقطعى علاقتك بكل أصدقائك".

"حسنًا، أنا لم أعد قادرة على التحدث معك أكثر من هذا. عندما أقول شيئًا أفكر فيه حقًا، تبدئين فى البكاء والعويل".

"حسنًا، إننى أحمل هم انتهاء الصداقة بيننا، إن لم تكونى تحملين هم ذلك".

قالت دوروثى: "ليست لدى الطاقة لكل تلك المشاجرات والمشاهد التافهة".

ثم جرت زوى خارجة من الغرفة، وهى تغمغم بشىء يعبر عن الغضب العنيف - ولكن ليس بصوت عالٍ؛ لم يحدث مرة واحدة أن ارتفع صوت أى

من المرأتين. وعادت دوروثى، وقد ظهر عليها شحوب، وشرود بشعين، إلى التليفون، وجلست مستعدة لعمل مكالمة أخرى. لكنها لم تطلب الرقم على الفور. كانت جالسة، رأسها مستند على يدها، تنظر إلى الجدار.

عرضت عليها آليس بذكاء: "هل أصنع لك قدحًا من الشاى؟"

"لا، أشكرك، يا آليس يا عزيزتى".

ولكنها كانت قد دخلت المطبخ، صنعت الشاى، وأخذته لأمها فى قدح، وضعته بجوارها حيث تجلس، لا تزال، لا تتحرك، رأسها مستند إلى يدها.

فكرت آليس (وهى واقفة على حافة الرصيف، رغم أنها لم تكن تعرف أنها كانت كذلك، ليس بعد): إنها بحاجة لشخص يعتنى بها، إنها تحتاج ذلك فعلا! لا يوجد طعام يذكر فى الثلاجة، تشرب حتى الثمالة وحدها. هذا لا يصلح. لا، الأفضل أن تأتى لتعيش معنا، فى رقم ٤٣ . يمكن لها أن تأخذ الغرفتين الكبيرتين بالطابق العلوى، عندما ينتقل مارى وريجى من البيت. وطفت الفكرة فى عقل آليس، وسرعان ما راقبتها: وفى هذه الحالة سيكون هناك من أتحدث معه.

رأت آليس نفسها وأمها على تلك المائدة فى المطبخ الكبير، الصحف والكتب فى كل مكان. قد تتحدث دوروثى عن الكتب، وسوف تستمع آليس إلى أخبار ذلك العالم الذى لم تستطع هى أن ترغم نفسها على دخوله.

تلك الفكرة ماتت موتًا طبيعيًا سريعًا.

أفاقت آليس لنفسها، على حافة الرصيف. كان البرد شديدًا. فوق رأسها كانت السماء مليئة بالنجوم الغائمة. وأمامها، مصباح أصفر من مصابيح الشارع.

كان الوقت يقارب منتصف الليل الآن. لن يعود جاسبر وبرت وكارولين الليلة؛ لقد عرفت ذلك عندما خرجوا. وربما يتسكع برت وكارولين بعيدًا معًا؛ كل تلك التبادلات بالأعين واللحظات لم تكن بلا جدوى. وربما يكون جاسبر (إن استطاع) فى الغرفة المجاورة لهما...

أبعدت آليس تلك الفكرة الأخيرة عن عقلها ودخلت البيت بهدوء، لا تريد أن ترى فاى وروبرتا، أو ريجى ومارى. ولكن لم يكن أحد فى البيت،

إلا جوسلين، لا تزال تعمل. طرقت آليس الباب بأدب ودخلت على صوت أجش والذى ربما كان يعنى "ادخل". وعلى الطاولة الطويلة أمام جوسلين كانت أربعة أجهزة صغيرة رديئة، متطابقة الشكل، متجاورة، وتبدو إلى حد ما أشبه بعلب سردين كبيرة قليلاً ومعقدة. وفى كل مكان على الحامل كانت أجزاء من القنابل، الآن مفككة، وبعض أوعية المطبخ البيضاء تحمل الكيماويات المنزلية. هل هذا بفرض أنها بانتظار إعادتها إلى عبواتها الأصلية فى المطبخ؟ كانت جوسلين تضع كل شىء فى أكوام صغيرة. أومأت لآليس، دون أن تبتسم. كانت تبدو أشبه بعاملة مصنع محنية فوق طاولة التجميع، ولكن ليس ثمة عاملة مصنع يمكن أن يسمح لها بأن تترك نفسها بتلك الخصلات الدهنية من الشعر الشاحب يسقط على وجهها، وتلك البلوزة القديمة القذرة والممزقة عند المرفق.

قالت جوسلين: "سوف أدفن هذه، يمكن أن نستعيدها عندما نحتاجها فى مرة قادمة". وسمحت لآليس بأن ترى منها ابتسامة. "لن يأتى رجل شرطة ليحفر فى هذه الحديقة لبعض الوقت".

سألت آليس: "هل هذه الأربعة كافية؟" لم يكن السؤال إلا لإظهار تعجبها من جوسلين أن تخطط لإنجاز الكثير بمثل هذا القليل، وأومأت جوسلين، وهى تنظر إلى الأشياء الأربعة بتعبير من الرضا الذى قد يبديه صاحب الشىء.

ذهبت إلى النافذة، ووقفت وظهرها لآليس، وقد عقدت ذراعيها، ثم استدارت لتقول: "إنها مظلمة بدرجة كافية. هيا بنا".

تم وضع مجموعة المكونات بخفة - وبدون اكتراث، حيث لم تكن خطيرة الآن - فى كيس من البلاستيك، وتم تغليفه بآخر، ثم آخر، وزحفتا إلى الخارج فى الظلام، دون أن يصدر عنهما صوت.

وقفتا دقيقة فوق المكان الذى بدأت الشرطة تحفر فيه، كلتاهما تفكر أن هذا سيكون أكثر الأماكن أمانًا، لكن لا تستطيعان مواجهة الأمر. كانت شجيرة ليلاك بالقرب من سور جوان روبنز لا تزال رائحتها منتشرة، رغم

أن زهورها التى بدت سوداء فى هذه الإضاءة، كانت قد ذبلت وسقطت وريقاتها. كان حولها بعض التربة الناعمة. ولم يكن هناك ضوء فى أى مكان. وقفت البيوت المظلمة حولهما من كل ناحية، دون أعين. وبدون ضوضاء، وباستخدام مجراف، حفرت آليس حفرة ذات مساحة جيدة، ووضعت جوسلين الربطة فيها، ومعًا غطيتاها، وفى لحظة كانتا داخل البيت، تشعران بالدفء كل نحو الأخرى، وقد أنجزتا عملهما بنجاح.

فى المطبخ، قالت جوسلين: "نسيت، هناك رسالة. فى الواقع رسالتين. الأولى، هذان الأيرلنديان قد عادا". ولم يبدُ عليها أى قلق، لكن آليس عرفت أن شيئًا سيئًا فعلا قد حدث.

"هذان اللذان أحضرا تلك .... 'المواد"؟

"تماما. أرادا أن يعرفا فى أى مكان من مقلب القمامة وضعت البالتان".

"وماذا قلت؟"

"قلت إننى لا أعرف".

يبدو أنه، فيما يتعلق بجوسلين، كان هذا يكفى؛ جلست تحرك السكر فى قهوتها، وعقلها منصرف ربما إلى عملها اليدوى، القطع الأربع التى لا تزال متراصة بدقة، متجاورة، على الطاولة بالطابق الأعلى.

"ثم؟"

"..'حسنًا، الآن، يا سيدتى، هذا لا يكفى بالنسبة لنا، أليس كذلك؟ يمكنك رؤية ذلك بنفسك! لدينا أوامرنا، وتلك حقيقة! السيدة التى رأيناها فى المرة السابقة التى جئنا فيها، لابد أن تصحبنا إلى مقلب القمامة، وتُرِينا أين وضعت الأشياء "'قدمت جوسلين هذه العبارات بلكنة أيرلندية، ممتازة فيما تعرف آليس. شديدة الدقة حتى أنها كانت تفكر: أهى أيرلندية؟ ولو كانت كذلك، ما معنى هذا؟ هل هذا يهم؟ ها هو شخص آخر منا بصوت مزيف!

واستمرت جوسلين: "وقلت لهما: 'هل ستعودان إذًا؟ 'قالا: 'بالطبع سنعود. غدا صباحًا، وتلك حقيقة واقعة."' وبصوتها العادى، قالت جوسلين، وبأسلوب يوحى بأن كل هذا لا علاقة له بها: "ومن ثم فأظن أنهما سيأتيان".

قالت آليس: "إذًا لن أكون هنا". كانت تحاول أن تبدو هادئة، لكنها كانت تشعر بالغثيان من الرعب. كانت قد ظنت أن رحلة إلقاء تلك العبوات كانت نهاية كل شىء.

والشىء الآخر أن فيليسيتى جاءت. وقالت إنهم وجدوا أخت فيليب، والجنازة يوم الأربعاء".

"إذًا فلن نستطيع أن نفعل ما خططنا له يوم الأربعاء". كانوا قد قرروا أن يوم الأربعاء هو أفضل يوم لنوبة الأسلحة الخاصة بهم.

قالت جوسلين، فيما بدا انتقادًا: "الأشياء الأهم أولا".

"ولكن لابد أن يحضر أحد جنازته".

"اذهبى أنت. إنك لست أساسية فى الخطة".

"لكنى أريد أن أكون موجودة!".

هزت جوسلين كتفيها. رفعت قدحها، ووقفت، وقالت: تصبحين على خير"، وتوجهت إلى أعلى. ربما لكى تحسّن من أجهزة التفجير الأربعة.

كانت آليس على وشك الذهاب إلى الفراش عندما جاءت مارى وريجى ليقولا إنهما سوف ينتقلان من البيت يوم الأربعاء؛ سوف يستأجران شاحنة لنقل الأثاث.

كانت آليس على وشك أن تضحك من فكرة شاحنة نقل الأثاث، لكنها تذكرت أن غرفتين وجزءًا من العلوية ومعظم غرفة نومهما كانت مكدسة بالأثاث، وقالت ببساطة: "حسنًا، هل تحتاجان مساعدة؟"

قال ريجى: "لن نقول لا"، ثم صعد الاثنان إلى أعلى. ومن ثم لا يمكن أن يحدث ذلك يوم الأربعاء، هكذا حدثت آليس نفسها. وتوجهت هى أيضًا

للنوم. استيقظت مبكرة وتركت ملحوظة على المنضدة بأنه إذا ظهر الأيرلنديان، فلابد من إخبارهما أنها، آليس، ليست بالبيت، وأنه لا يعلم أحد أين مكان العبوتين فى مقلب القمامة؛ وربما يكونان قد تمت تغطيتهما منذ وقت طويل تحت أكوام جديدة من النفايات. وخرجت، معتقدة أنه من الممكن أن يكون ذلك الروسى قد طلب منهما المجىء. حسنًا، لقد ردته خائبًا، ألم تفعل؟ وسرعان ما سوف يصيبهم التعب من المجىء؛ كانت المسألة مجرد مسألة التخلص منها. وقد ضغطت على قلقها لكى يهدأ، واختفت من المكان.

كان صباحًا جميلاً، مشرقًا، وليس باردًا. سارت فى الشوارع، ووجدت أن الساعة لا تزال العاشرة، جلست لوقت طويل فى مطعم صغير، وتناولت إفطارًا لم تكن بحاجة إليه حقًا. الحادية عشرة والنصف. فكرت أن تمر لرؤية أمها مرة أخرى، والواقع أنها وصلت إلى الباب، ثم عندما أدركت أنها سوف ترى تلك الغرفة الصغيرة البشعة وأمها معلبة داخلها، مع المقعدين الباليين اللذين كانا رائعين فى يوم من الأيام، غاص قلبها، وعادت تتسكع عبر لندن لزيارة أحد المرابض حيث تسكن فتاة كانت تعرفها فى برمنجهام. كانت الفتاة قد حضرت مؤتمر اتحاد الوسط الشيوعى. وتحدثتا عن إقامة مؤتمر آخر، ربما فى الشهر القادم. كان البيت مناسبًا جدًا لإقامة مؤتمر. فكرت آليس، وقد سرت البرودة إلى قلبها، أنه فى خلال شهر ربما يكونون جميعًا قد رحلوا عن هذا البيت: لقد أصبح من المسلم به أنهم جميعًا سيرحلون عنه فى طرقات متشعبة. من يعرف أين سيكون كل منهم؟

***

عادت فى الخامسة. كان جاسبر وبرت وكارولين فى المطبخ، يأكلون أطعمة جاهزة. نظرة واحدة كانت تكفى لتعرف آليس أنها كانت على حق: يمكن اعتبار برت وكارولين الآن زوجًا. لكن آليس قررت ألا تهتم.

قيل لها إن الأيرلنديين لم يحضرا مرة أخرى.

كانت فاى وروبرتا قد جاءتا، وجلس الستة ـ جاسبر، برت، كارولين، مع جوسلين ـ وقرروا أن العمل لابد أن يمضى كما تم التخطيط له، يوم الأربعاء بعد الظهر. فى الصباح سوف يساعدان مارى وريجى فى تحميل شاحنة نقل الأثاث. ويمكن أن تذهب آليس إلى الجنازة.

قالت آليس: "لكنى لا أعرف إن كانت الجنازة فى الصباح أو بعد الظهر".

لم يجب أحد. لم يكن هذا مهما. فكرت آليس أن الأمر سيكون كذلك إذا تركت البيت: لن يذكرها أحد أبدًا، سوف تُنسى، مثل جيم، مثل بات. مثل فيليب. لا، ربما يتبعها جاسبر، كانت تعرف هذا؛ الآخرون قد ينسونها، لكن جاسبر لا يستطيع.

فى يوم الثلاثاء ذهبوا جميعًا إلى مسرح الجريمة ـ كانوا يتندرون بهذا التعبير ـ وساروا حول الفندق الكبير، ضمن الزحام. بالطبع تجشموا مشقة أن يرتدوا ثيابًا لائقة. ويبدو أن جوسلين كانت تمتلك ما هو أكثر من مجرد الجينز والسويتر. ارتدت ثوبًا من اللينوه الوردى بدا كما لو كانت قد اشترته من "نايتسبريدج". وبالمثل، كانت كارولين لديها جيبة من اللون البيج الحامى من طراز بديع وبلوزة صفراء. أما روبرتا، فقد رفضت بناء على المبدأ أن تغير مظهرها، لكنها بدت غير ملحوظة فى بدلتها من اللون الأزرق الغامق. وارتدت فاى بلوزة بيضاء هفهافة وجينز، وكانت لافتة للنظر ليس فقط لأنها جميلة جدًا، ولكن لأنها كانت مبتهجة بانتصار سرى، جعلها تثرثر وتستعرض. كانت هى جوهر نفسها اللندنية، ذكية، وسريعة الغضب، ولكن بينما كانوا يضحكون، ظلوا يقولون لها: "اهدئى، كونى هادئة"، وما إلى ذلك، بينما كانت روبرتا فى حالة قلق وهى تعتنى بها. وكان لجاسبر أيضًا مظهر مبتهج جعل آليس تراه جميلا إلى حد ما. وبدا متساميًا فوق مشهد المشترين والسائحين، متفوقًا على كل شىء؛ كان غائبًا فى تصوراته عن كيف ـ وبسرعة ـ سوف يثبتون أنفسهم هنا، فى هذا المشهد المخجل المترف. وبعد رحلة تعرفهم الناجحة، دخلوا جميعًا ليتناولوا شايًا.

ثم أخذوا سيارة أجرة إلى هامرسميث، حيث رأوا فيلم "ديفا"، وهو فيلم كان بعضهم قد رآه من قبل أكثر من مرة. وتناولوا العشاء معًا فى مطعمهم الهندى قرب البيت، وقد اتفقوا على الذهاب للنوم مبكرًا. قالوا لريجى ومارى أن ذلك من أجل العمل الشاق الذى سيقومون به غدًا لنقل الأثاث. وقد بدا ذلك فى نظرهم معقولا بالنسبة للزوجين، اللذين سيكون العمل فى نقل أثاثهما، وإعادة وضعه، وترتيبه، هو الشىء الوحيد الذى يستحق أن يحتل عقليهما. ورغم أن مارى أدلت بملحوظة، وهى فى حالة شرود، تقريبًا، أن هذا البيت كان على الأجندة للأسبوع القادم، وأن هناك توصية من بوب هود بأن "المسائل لابد من التعجيل بها". فقد كان من المخجل، قالت مارى، أن هذين البيتين الجميلين لا يستخدمان.

فجأة انتاب آليس غضب شديد حتى أنها لم تستطع أن تطلقه: "من المؤسف أن المجلس كان مستعدًا لتركهما خاليين لمدة ست سنوات".

كان يمكن لمارى أن تنفجر غضبًا، كما فعلت آليس. احمَرَّ وجهها، بينما كانت الموظفة والإنسانة تتصارعان داخلها، ثم قالت، بضحكة كانت تحمل معنى الاعتذار والضيق فى وقت معًا: "نعم، أعرف، إنه لمن البشاعة ترك الأشياء تنزلق لفترة طويلة هكذا".

قالت آليس، دون أن تهدأ على الإطلاق: "ولكن كل شىء سيكون على ما يرام الآن. سوف يكون بعض الناس يعيشون فيهما".

ترددت مارى، ثم خرجت من المطبخ، ووراءها ريجى. وقد كتب على كل جزء منه شكرًا لله، سوف نخرج من هنا غدًا!.

كانت جنازة فيليب فى العاشرة من صباح يوم الأربعاء. فى التاسعة، ذهبت آليس إلى فيليسيتى، تاركة الآخرين يشحنون الأثاث فى شاحنة بدت تملأ الشارع. وعند فيليسيتى وجدت شخصين آخرين كانا يحبان فيليب عندما كان يعيش هناك. ذهب الأربعة إلى المحرقة، فى سيارة فيليسيتى. كانت أخت فيليب هناك مع زوجها. ويبدو أنهما جاءا من أبردين. كان فيليب إسكتلنديًا، ولم تكن هذه الحقيقة قد ظهرت حتى هذه اللحظة.

كانت الأخت ضئيلة، شاحبة اللون، ذات مظهر عنيد، مثل فيليب: عازمة على ألا تسمح لرياح الحياة المعادية بأن تعصف بها. وكان زوجها شابًا صغير الحجم، شاحبًا، له عينان زرقاوان ضعيفتان، وشارب أشعث. وكانا كليهما يتحدثان بلكنة أسكتلندية قوية. بدا الزوجان راغبين فى تجنب أصدقاء فيليب الأربعة، أو على الأقل أن يتحدثا معهم أقل ما يمكن، ثم، قامت الدماثة بدور الإرضاء، ذهبا ليجلسا وحدهما فى الكنيسة الصغيرة. كانت شعائر دينية لائقة. لم يكن أحد منهم، فيليسيتى أو آليس، أو الاثنان الآخران، شاب وفتاة ساعدا فيليب ذات مرة فى طلاء غرفة معيشة، يعرف إن كان فيليب متدينًا. ربما لم يكن الأمر سوى أن البيروقراطية تأخذ مسارها الطبيعى. ولم يعرفوا شيئًا من الأخت وزوجها. كان النعش، كبيرًا، بنى اللون، ولامعًا، مما جعل كل من كان يعرف فيليب يفكر كيف كان جسده الصغير الضعيف راقدًا داخله، مثل عتة ميتة، بينما يظهر النعش متكاملاً أمام أنظارهم، وفى حين يقوم كاهن كنيسة إنجلترا بكل ما يستطيع لضخ حياة فى تلك الكلمات التى اعتاد تكرارها كثيرًا.

وكان هذا كل شىء. تمتمت أخت فيليب بكلمات وداع متعجلة. وكانت عيناها حمراوين. وأومأ زوجها فقط من على بُعد. وركب الأربعة السيارة عائدين. وقفت الشاحنة مرة أخرى خارج رقم ٤٣ بعد أن قامت بالرحلة مرة واحدة وعادت. صاحت مارى بمرح: "لم نكن نعلم أن لدينا كل هذا"، وهى تقف خلف الشاحنة، ذراعاها محملتان بكرتونة من الصينى اشتراها ريجى فى أحد عروض البيع المنزلية.

قال برت: "حسنًا، نحن كنا نعرف"، وهو مُحَمَّل ويبدو مرحًا وزائفًا، وكان التنافر أو حقيقة ما كانوا يحملون من مشاعر متبادلة - مارى وريجى لهم، وهم لمارى وريجى - ظاهرًا على السطح، وكانوا جميعًا يعرفون، وظهر ذلك على وجوههم العدائية. باختصار. ولكن الابتسامات والإرادة الطيبة ظهرت مرة أخرى.

قال برت: "هيوووو"، عندما قيلت تحيات الوداع. "أنا سآخذ حمامًا وأرتاح. لقد نال ذلك منى".

وقالت فاى، باسمة: "وأنا سآخذ حمامًا"، وهى تنظر إلى روبرتا، التى يمكن أن تفرك لها ظهرها وتجففها بعد ذلك.

صاح ريجى وصاحت مارى: "حسنًا، وداعًا، لكم جميعًا"، وهما يقفزان إلى مقدمة الشاحنة بالكثير من الابتسامات والتلويحات، وانطلقت بهما، تاركيْن خلفهما الصورة المطمئنة للجماعة يشيرون لهما من الحديقة.

وبالطبع دفعا قبل الرحيل المبلغ المطلوب منهما بالضبط حتى آخر قطعة نقد قذرة.

ثم، تسابق الآخرون إلى المطبخ فى حالة تقارب الهستيريا بسبب الضحك المكتوم، لتناول شاى، وسندويتشات. كانت الساعة الواحدة. الوقت المضبوط تمامًا. بالضبط وبالدقة التامة.

كان كل شىء يسير جيدًا جدًا. سار جيدًا، الأحداث تتراص فى مكانها، الحظ تقريبًا، بكل فخر، فى جانبهم: أن المجلس يقرر دفن فيليب هذا الصباح، وأن مارى وريجى قد اختارا اليوم للانتقال من البيت. لم يكن الرفاق يتمنون أكثر من هذا. ثم السيارة: فى البيت الآخر المحتل عشوائيًا، أشارت شخصية ما - لا يمكن أن تكون قد علمت مدى محاسن الصُدَف - أن الرجل فى البيت المجاور قد ذهب فى إجازة مع عائلته، وأن السيارة، "إسكورت"، كانت تقف خارج البيت منذ أسبوع، وأمامها أسبوع آخر. قالت تعليقًا على ذلك: "وكأنه هو الذى طلب ذلك". بالطبع كانت السيارة مغلقة بالمفتاح، لكن بالنسبة لجاسبر كانت هذه إحدى مواهبه - لا عائق أمامه.

فى وقت متأخر من تلك الليلة، بعد العودة من ديفا والمطعم الهندى، تسلل برت وجاسبر وجوسلين من ٤٣ وذهبوا بمترو الأنفاق إلى البيت المحتل الآخر. ليس إلى داخله: لم يكونوا يريدون أن ينضم إلى هذا المشروع أى أشخاص آخرين. بالطبع، لقد انتهزوا فرصة أن أصدقاءهم قد يكونون عائدين من مكان ما ويروهم. لكن ثلاثة منهم قد ذهبوا؛ وكانوا قد قالوا إنهم سيذهبون. استغرق جاسبر وبرت دقيقة لفتح السيارة، وتشغيلها، وقيادتها. قادوا السيارة حول بيمليكو وفيكتوريا، لكن لم يجدا

آى شىء يعجبهم مظهره. كانوا بحاجة إلى مكان آمن يستطيعون أن يضعوا فيه المتفجرات. كانوا يراقبون مستوى البنزين: أقل من نصف التانك، ولم يكونوا يرغبون فى الذهاب إلى محطة بنزين. وأخيرًا، أبعد كثيرًا مما أرادوا عن "مسرح الجريمة"، وجدوا شارعًا من البيوت التى تبدو منعزلة إلى حد ما، وكان أحدها يبدو قد مر بعملية تحديث وإعادة بناء؛ على أية حال، كانت هناك إشارة "للبيع"، ومعدات بناء. وأمام كل بيت كانت حديقة، مكدسة بالشجيرات، وجراج صغير، ليس به سوى مكان لوضع السيارة. ناقش الثلاثة هذا المكان وهم يقودون حوله وبين الشوارع. لم يكن مثاليًا، لكنهم لم يجدوا أى شىء أفضل. كان البيت توأمًا لآخر كانوا يضعونه فى أذهانهم ويبدو أن به سكانًا، ورغم أن الوقت حينئذ كان الثالثة صباحًا، كانت كالمعتاد هناك مشكلة المؤرقين وبوم الليل. ناهيك عن رجال الشرطة من المشاة الذين يذرعون الشوارع ليلا. لكن ضوء النهار سوف يأتى سريعًا... قالت جوسلين إنه مما يؤسف له أنهم لا يستطيعون الانتظار حتى الشتاء: فهم بحاجة بالضبط إلى ليلة مظلمة طويلة. وقد عانوا حتى من لحظة إحباط، وهم يفكرون أن هناك سوء فهم للمشروع برمته، أو على الأقل يتم تنفيذه باستعجال. كل شىء كان مرتجلا للغاية! لكن هذه النوعية بالضبط هى التى بدت مساعدة لهم - وهى التى تعجبهم، إضافة إلى سرهم، وانفعالهم المتزايد، الذى كان يجعلهم يريدون أن يضحكوا لغير سبب معين، وأن يلقوا بالنكات، والتى كلما كانت سخيفة كلما كانت أفضل.

فى النهاية، انتصرت هذه الحالة المزاجية، وقادوا عائدين إلى الشارع، ولفوا إلى المدخل الخاص بالسيارة أمام المنزل الخالى. كانت جوسلين بحاجة إلى حوالى عشرين دقيقة لوضع المتفجرات داخل السيارة. وجرى جاسبر إلى آخر الشارع من ناحية، وبرت إلى الناحية الأخرى، للمراقبة، خشية مجىء الشرطة. والواقع أن جوسلين كانت تخفيها أشجار الشارع، وإن لم يكن من النوافذ العالية للبيت المسكون. لكن نوافذه استمرت معتمة؛ ولم تستطع أن ترى أى شخص بالأعلى هناك. ووضعت الأجهزة الأربعة، بدقة، وحرص، فى أماكنها المحددة. وكانت تتسمع لأية إشارة من برت

وجاسبر، ولكن لم تأت أية إشارة. شعرت وهى تعمل بازدراء طبيعى لهؤلاء المواطنين غير المحترسين، الذين يمكن بسهولة خداعهم، والاحتيال عليهم.

فى نهاية الدقائق العشرين ظهر جاسبر وبرت مرة أخرى؛ لم تسمعهما قادمين، رغم أنهما كانا يتنفسان بقوة بسبب الجرى. وفى لحظة كانت السيارة خارج ملجأ الشجيرات، وعادت بكاملها إلى الشوارع. لم يكن ثمة مرور كثير الآن. كانت السماء على وشك أن يفتح لونها. ولم يبدُ أن هناك مكانًا لركن السيارة فى أى مكان. كانت السيارات متراصة فى كل بوصة بجوار الأرصفة، ومرة أخرى كان ينبغى أن يقودوا لأكثر مما يريدون. كان مقياس البنزين يشير تحت النصف بمسافة كبيرة. كيف يمكن لهم أن يعرفوا إن كانت دقيقة؟ قال برت إنه ذات مرة كانت لديه سيارة ظلت لعدة أشهر يشير فيها المقياس إلى أنها ممتلئة بينما كانت تقريبًا فارغة. وأخيرًا ظهر مكان، مرة أخرى أبعد مما كانوا يتمنون. فركَنُوا، ووقفوا للحظات قليلة بجوار السيارة التى لم تكن تجذب الانتباه، رغم أنها ـ احتماليًا ـ قنبلة.

ثم ذهبوا إلى مقهى من تلك التى تسهر طوال الليل، وأكلوا وجبة معًا، رغم أن الحصافة كانت تقول ألا يفعلوا: كانوا جماعة مثيرة للضجة، ملحوظة. قالت جوسلين: "إلى الجحيم بكل شىء"، وقال برت: "إلى الجحيم بهذا".

عادوا إلى البيت فى وضح النهار، فى حوالى الخامسة. لا، لم تكن مارى وريجى مستيقظين بعد، وهو الشىء الذى كانوا يخشونه؛ لقد لازمهم حسن الحظ، لا يمكن أن يرتكبوا أى أخطاء!.

عرفت آليس أخبار كل ذلك الآن، بينما كانوا يأكلون حساءها وبعض الخبز المصنوع من دقيق القمح الكامل، لأنها لم تستيقظ حتى الثامنة، وفى ذلك الوقت كانت مارى وريجى قد استيقظا، ويقفان فى المطبخ.

شعرت وكأنها لم تكن حقًا مشاركة فى هذا المشروع العظيم، لا تعتبر شريكة. إلا أنها لم تستطع أن تقول هذا، أو حتى أن توحى به، لأنه لم يكن

هناك شىء محدد يمكنها أن تمسك به لتشكو منه. لكن حينما كان هؤلاء الستة جالسين إلى المائدة، يحكون قصة الليلة الماضية، أو الصباح الباكر، لاحظت أنهم نادرًا ما كانوا ينظرون إليها. كانوا يكرسون انتباههم كل واحد للآخر بالضبط فيما يتوافق مع الأدوار التى يلعبها كل منهم: فاى وجاسبر، جوسلين وبرت. ثم روبرتا، التى كانت تقريبًا خارجية مثلها، هى، آليس.

سمعت آليس أن جاسبر هو الذى سيقوم بقيادة السيارة إلى الموقع المطلوب. وقد أخافها ذلك. لم يكن جاسبر ماهرًا فى القيادة، يميل إلى الهلع أمام أى طوارئ. وكانت قد سلمت لسبب ما أنها هى التى ستقود السيارة. فهى قائدة ممتازة، متواضعة وماهرة. وعلى الأقل أرادت أن تقول: "لا، ليس جاسبر، لا ينبغى له أن يقوم بهذا؛ لماذا لا تكون فاى؟ أو روبرتا؟" كلتاهما قائدتان ماهرتان. لكن بدا أن وضعها على أطراف الأحداث يمنعها من ذلك.

بدا أن كل شىء قد تقرر هذا الصباح، بينما كانت مارى وريجى خارج البيت يأتيان بشاحنتهما وكانت هى فى الجنازة.

جاسبر سوف يقود السيارة. وسوف تكون فاى معه؛ لأنها طلبت ذلك كحق لها. وسوف تذهب جوسلين معهما الآن، إلى حيث كانت السيارة مركونة فى الشارع الجانبى، وترتب الأجهزة على توقيت محدد سوف يتم اختياره عندئذ، عندما تفعل هذا. فلم يكونوا يعرفون بالضبط كم من الوقت سوف يأخذون للوصول إلى هناك، ولا حالة المرور. فكروا، ربما يكون فى الخامسة إلا الربع.

وفى هذا الوقت عرفت آليس أن القنابل سوف يتم توقيتها على وقت محدد للانفجار، ولن يتم إطلاقها بأداة تحكم إلكترونية. شعرت بالهلع. كانت كل مناقشة سابقة يُفهم منها وجود جوسلين فى مكان قريب وأنها بذلك ستكون قادرة على رؤية الحالة فى الشارع وعلى الرصيف، وهكذا تختار اللحظة المحددة.

سألت آليس، متخوفة، وبكل تأكيد مضطرة لجعل نفسها موضع تبادل مازح بين فاى وجاسبر: "ولكن لو انفجرت القنابل، لن نعرف من سوف يكون بالقرب منها، أليس كذلك؟"

فى الحال لقيت نظرة قاسية مكرسة. وعرفت أن هذه الفكرة كانت فى عقولهم، خلف كل الابتهاج البادى، ولكنها كانت مكبوتة، محفوظة فى مكانها.

قال برت، وقد ظهر الكثير من أسنانه البيضاء: "يقول لينين: 'لابد من إخضاع المبادئ الأخلاقية لحاجة الثورة".'وضحك الجميع، ورأت آليس أنهم كانوا فجأة لا يسمحون لعيونهم بأن تتلاقى مما يعنى أنهم كانوا يشعرون بعدم الارتياح.

قالت فاى: "على أى حال، إنهم يستحقون ما يحدث لهم".

كانت هذه إحدى الملاحظات التى تقولها كثيرًا، والتى كانوا جميعًا فى العادة يغطون عليها، أو يتجاهلونها، أو - مثلما فعلت روبرتا الآن - يحاولون التلطيف منها.

قالت: "فاى يا عزيزتى، ليس هذا لطيفًا جدًا".

غمغمت فاى وألقت برأسها. كانت عيناها تلمعان، وتوردت وجنتاها.

قالت آليس بعناد: "لا أظن أن هذا صحيح. فليس هذا ما قررناه".

قالت جوسلين بواقعية، وقد أخذت كلامها بجدية: "إنك لم تكونى هنا عندما تمت مناقشة الأمر. الموضوع هو أن أدوات التحكم الإلكترونية تلك لا يعتمد عليها بشكل مطلق. ليست الأنواع الموجودة عندى، على أية حال. بالطبع، هناك أنواع جيدة، ولكن لا تنسى، لقد قمت بتجميع أشياء من هنا وهناك".

"إذًا، لماذا لا نضبطها على أن تنفجر فى وسط الليل، عندما لا يكون الناس يملئون المكان؟"

"لقد فكرنا فى ذلك. لكن المسألة هى كيف يكون لما نفعله أعظم تأثير. نوافذ قليلة فى وسط الليل - وماذا فى ذلك؟ لكن بهذه الطريقة، سوف يكون الخبر فى الصفحة الأولى فى كل الصحف غدًا، وعلى الأخبار الليلة".

وما أن قالت جوسلين، أو أعلنت، ذلك، حولت عينيها عن آليس؛ ولم ينظر أحد منهم إليها. لقد فهمت الآن أنها شعرت بأنها مبعدة ليس فقط بسبب أنها لم تكن هنا أثناء المناقشة الحاسمة، ولكن لأن المناقشة الحاسمة حدثت "من وراء ظهرها" - هذا ما شعرت به - لكى لا تكون موجودة وتقول أشياء لا يريدون سماعها. لقد كانوا يعرفون - يشعرون، إن لم يفكروا - أنها سوف تعترض، تقول لا، تقول إن هذا خطأ؛ وحينئذ سيضطرون إلى الاستماع إليها، وإلى التفكير. وهكذا، دون أن يخططوا للأمر فى الواقع، ناقش الخمسة الموضوع عندما كانت بعيدة عن الطريق.

وأين كانت كارولين؟

ظهر أن كارولين، عندما عرفت أن القنابل سوف يتم إطلاقها فى وقت معين بصرف النظر عن التلفيات·المحتملة، قالت إنها لن يكون لها علاقة بالأمر.

كانت جوسلين هى التى أخبرت آليس بهذا، فى صوت فاتر مجرد، ولكن بارد ومليء بالرفض. فكرت آليس، أن البرود ناتج عن الحاجة لوضع مسافة بينها وبين ما شعرت به عندما قالت كارولين هذا. أوه نعم، عرفت آليس ماذا حدث؛ يمكنها أن تعيد بناء اللحظة، مما كان على وجوههم الآن. كادت الخطة أن يتم التخلى عنها بسبب رفض كارولين القاطع. والآن، عندما تذكروا تلك المجادلة - التى كانوا جميعًا فيها - كان لوجوههم مظهر متطابق من القلق البارد.

فكرت آليس: لو كنت هناك، كان يمكن أن أؤيد كارولين؛ فنحن ـ الاثنتين ـ نستطيع معًا تغيير الأشياء إلى الاتجاه الآخر.

اختلست آليس نظرة إلى برت - لم تجرؤ على المزيد - والذى كان يعرف أنها من المحتمل أن تنظر إليه! لقد كان هذا تكرارًا لما حدث مع

بات! قالت بات أن برت يتصرف كأحد الهواة، فى ذلك اللقاء الذى تم فيه لأول مرة اتخاذ قرار "اللحاق بالجيش الجمهورى الأيرلندى"، عندما غادر عدد كبير من سكان هذا المنزل بكل بساطة. ومنذئذ، كانت أحيانًا، على نحو عاطفى، تقول عنه إنه من الهواة. ربما كارولين أيضا قالت إنه "من الهواة".

فكرت آليس: بات، جيم، فيليب، والآن كارولين. لقد كانت صديقتى، لقد كانت صديقتى حقًا.

كانوا قد عادوا يتحدثون مرة أخرى. فى الساعة الثانية سوف تذهب جوسلين وفاى وجاسبر إلى مترو الأنفاق، ثم إلى السيارة، التى لا سبب يدعو للاعتقاد أنها يمكن ألا تكون فى نفس المكان الذى تركت فيه تمامًا هذا الصباح. وسوف يستغرق توقيت المتفجرات خمس دقائق، وسوف تساعد فاى بأصابعها السريعة الذكية. لا ينبغى أن ينتبه أحد لثلاثة أشخاص وغطاء السيارة مرفوع، يصنعون بعض التعديلات الصغيرة لشىء ما، مثل إعادة تعديل محتويات التشغيل، وفحص وضع عجلة.

كانت جوسلين تقول إنه لا حاجة بالآخرين لأن يكونوا موجودين فى المشهد على الإطلاق. لم يكن ثمة شىء لهم ليفعلوه. فهذا تهور، ويضيف إلى الخطر. واقترحت أن يبقى برت وروبرتا وآليس، ويضبطوا الغلاية على الخامسة والنصف. وماذا لو تطبخ آليس بعضًا من حسائها؛ سوف يكونون جميعًا فى أشد الجوع فى ذلك الوقت.

قالت فاى: "لا"، مبتسمة، وتظهر أسنانها الحادة كلها: "على الإطلاق". ساحرة وسيئة الطبع، مدللة وكثيرة النزوات، قلبت عينيها نحو روبرتا، ثم نحوهم، وقالت: :لابد أن تكون روبرتا معى. لابد. لابد!".

قال برت، بحرارة: "بالتأكيد، وأنا وآليس سنكون هناك، أيضًا. لا مناقشة! انتهى التصويت! هذا هو إذًا".

ضحكوا، حتى آليس، التى شعرت مرة أخرى أنها ضمن العائلة.

فى الساعة الثانية ذهبت جوسلين وفاى وجاسبر.

لم يتذكر جاسبر أن يمنح آليس ابتسامة أو نظرة. كان منهمكا فى حديث يبدو كالغزل - مع فاى. وكانوا جميعًا يضحكون بصوت مرتفع وهم ذاهبون.

جلست روبرتا محنية أمام المنضدة، صامتة، مكتئبة. الآن يمكن رؤية إلى أى مدى لم تكن راضية عن هذا، لم تكن تريد فاى فى هذا الخطر.

ومع ذهاب الثلاثة، كان الثلاثة الباقون فى حالة قلق، هادئين، أبعد ما يكونون عن الابتهاج. كان عليهم الانتظار.

سوف يستغرق فاى وجاسبر وجوسلين عشر دقائق للوصول إلى مترو الأنفاق، ثم حوالى نصف ساعة، اعتمادًا على تقاطر القطارات، للوصول إلى السيارة. لنقل ثلاثة أرباع الساعة؛ هناك تغييران. عشر دقائق من المترو إلى السيارة. ثم من الصعب أن نعرف بالضبط كم من الوقت سوف يستغرقون لقيادة السيارة إلى مسرح الجريمة. لن تكون ساعة الذروة قد بدأت بعد. لكن ربما يكون هناك الكثير من المرور؛ من يستطيع أن يعرف؟ تلك الرحلة يمكن أن تستغرق خمس عشرة دقيقة، أو مع سوء الحظ، أربعين دقيقة. فى وقت ما بين الثالثة والنصف والرابعة سيكون جاسبر وفاى - ليس جوسلين، التى ينبغى أن تنزل على الطريق - سوف يكونان يبحثان عن مكان للركن خارج الفندق الكبير. ربما يضطران للقيادة حوله مرات ومرات لبعض الوقت. وهناك أيضًا مشكلة رقباء الشرطة. لو ظهروا، بينما جاسبر وفاى لا يزالان يقودان حول المكان، ربما يبتعدان لدقائق ويعودان بعد أن يذهب الرقباء. وإذا ظهر الرقباء بعد أن تُرْكَن السيارة، فلا يهم؛ قالت فاى إن أسوأ ما يمكن أن يحدث هو أن يكونوا قريبين أكثر من اللازم عندما تنفجر السيارة.

ربما تم ضبط توقيت القنابل لتنطق فى حوالى الخامسة إلا الربع، بعد ذلك فقط لو كان المرور يبدو سيئًا بدرجة كبيرة.

فكروا، آليس وبرت وروبرتا، أنه لا معنى لأن يتحركوا حتى الثالثة، لكن فى الثانية والنصف لم يستطيعوا تحمل الانتظار ولو للحظة أخرى.

وبينما كانوا ينهضون من حول المائدة، كان ثمة طرق على الباب الأمامى. طرقة مهذبة، ليست الشرطة.

قالت آليس: "سوف أذهب، ربما تكون فيليسيتى تريد أن تعطينى شيئًا من فيليب". فى بيت فيليسيتى كان فيليب قد ترك منضدة صغيرة مطعمة صنعها بنفسه، وقالت إنها سوف تحضرها لآليس. كانت آليس تعرف أن هذا فى ناحية منه نوع من الحاجة لتخليص نفسها من كل شىء يذكرها بفيليب وبالمشاعر المركبة التى كان يثيرها، ومن ناحية أخرى كان دفقة كرم: قالت إنها تشعر أن فيليب كان يود أن تأخذها آليس.

عند الباب وقف رجل لا تعرفه آليس، ولأنها كانت تتوقع فيليسيتى ومنضدة ولحظة انفعالية قصيرة، ولأنها كانت بالفعل منهكة بسبب الترقب والإثارة، لم تكن مستعدة لأن تطلب منه الدخول، ولا أن تتعامل معه أو مع أى حالة جاء بها.

سأل: "هل الآنسة ميلينجز هنا؟" وبشكل آلى قامت بالتقييم المعتاد من صوته: بريطانى، طبقة وسطى، موظف من نوع ما، ربما.

قالت: "أنا آليس ميلينجز، ولكن أسمح لى، إننى فى عجلة من أمرى".

قال: "لو تكرمت لى بدقيقة واحدة"

يا إلهى، كانت تفكر، اللعنة، لابد أن نرحل: فالآن قد تم اتخاذ القرار بالذهاب، شعرت أنه لا ينبغى تضييع ثانية واحدة أخرى. "حسنًا، ألا يمكنك أن تعود فيما بعد؟"

"نعم أستطيع العودة. بكل تأكيد، ولكن فى الوقت الحالى، يمكنك أن تساعدينى ببعض المعلومات".

فكرت آليس أن هذا من الممكن أن تكون له علاقة بقرار المجلس ترميم المنزلين؛ ربما يكون من المجلس. لم تكن تفكر فى الواقع على الإطلاق. لكن مر بذهنها نوع من التعرُّف، أو من الحذر، بأن أسلوب هذا الرجل، سلوكه، طريقته فى التحدث، لم تكن تتناسب مع المجلس، وإنما مع شىء آخر تمامًا.

قالت متعجلة: "ماذا؟ ما الأمر؟"

"هل لديك أية معلومات عن رجل يدعى أندرو كونورز؟"

حدقت فيه، وكانت تنفجر في ضحك عنيف غير ملائم على الإطلاق. قالت، بسخرية مفاجئة: "لا تقل لى إنك أيضًا أمريكى لعين؟ لا" - وأمسكت نفسها - "بالطبع لا، لهجة إنجليزية؛ حسنًا، ماذا فى اللهجة؟"

بدا على زائرها أنه فوجئ، وهو أمر لا يبعث على الدهشة، وأخذ وقته فى الإجابة. أخيرًا قال، بنوع من السلطة الهادئة التى لم تكن تختلف كثيرًا عن أسلوب جوردون أوليرى: "أوافقك، يا آنسة ميلينجز، أن اللهجات ليست دائمًا ما تبدو عليه. ولكن بالنسبة لأندرو كونورز - أنا بحاجة لبعض المعلومات عنه".

لو كانت آليس فى حالتها العادية لكان يمكن أن تقول: "صحيح؟ ومن أنت" - مثل هذا النوع من الكلام - لكن فى هذه الحالة وهى متوترة برغبتها العارمة فى ذهابه، لكى تستطيع هى والآخران الذهاب. كانت فى حالة حمى، فى اهتياج، فاقدة الصبر. قالت: "حسنًا، أى نوع من المعلومات؟ أنا لا أعرف الكثير. على أية حال، لماذا لا تسأل جوردون أوليرى، يبدو أنه يعرف كل شىء".

صمت لو كانت متمالكة لنفسها، لربما كانت لا تعجبها الطريقة التى تفحصها بها هذا الرجل فجأة: وقد ضاقت عيناه، ليوجه إليها نظرة متفحصة خبيرة.

قال: "حسنًا، ربما أفعل".

"نعم، وهو يمكن أن يخبرك بكل شىء. انظر أنا لابد أن أدخل، أنا آسفة للغاية...". وكادت أن تدخل وتغلق الباب فى وجهه، عندما تحركت "اللطافة"، تلك الشخصية الودودة فى آليس، والتى لا تستطيع أبدًا أن تتسبب فى خيبة الرجاء أو الظهور بمظهر عدوانى، وجعلتها تضيف، على نحو كارثى: "وعندما تراه، قل له فقط منى لو أية رسائل أخرى صغيرة من

المواد 'أو أى شىء آخر جاءت هنا، فسوف نلقيها مباشرة فى عرض الشارع ونتركها هناك". قالت هذا بكل صفاء، بل ومبتسمة، كما لو كانت تقول: "عندما تراه، أبلغه تحية منى".

وكانت قد استدارت، وعلى وشك الدخول.

"دقيقة واحدة، يا آنسة ميلينجز".

صرخت: "أوه، يا إلهى، أرجوك، لابد أن أذهب".

"حسنًا. عرفت هذا. لكن هناك شيئًا لابد أن أناقشه معك".

"دعنا نناقشه إذًا، ولكن ليس الآن. على أية حال لقد ناقشته بالفعل. وأنا أصر على القول، لن نأخذ أوامر من روس أو أى شخص آخر. لا يبدو أنك تفهم، يا رفيق... إنك لم تقل لى اسمك".

قال: "اسمى بيتر سيسيل".

قالت: "بيتر سيسيل؟"، وكانت على وشك أن تضحك مرة أخرى. "حسنًا، إن لهجتك جيدة حقًا. رائعة بشكل لعين. تهانى". وأطلقت ضحكة صغيرة هنا، ضحكة فتاة صغيرة مرحة، ورغم أنها لم تدخله فى الواقع، بسبب قلبها الذى يدق بشدة، وحالتها الانفعالية العالية، نظرت إليه بشكل كاف لترى أنه كان يبدو حقًا إنجليزيًا، مما يتناسب مع اسمه.

قال، بسرور: "أشكرك. هل من الممكن أن نتناول الغداء معًا؟"

"نعم. لكنى كنت أريد أن أقول، إنك لا تبدو قادرًا على الفهم، لكننا إنجليز، هل تفهم؟ شيوعيون إنجليز". وترددت، ثم أضافت، حيث إن الحالة تبدو بحاجة إلى الشرح: "شيوعيون إنجليز أحرار بالمولد".

قال: "آه، حسنًا، أين يمكن أن نلتقى؟ ما رأيك فى الغد؟"

"غدًا؟ حسنًا، لم لا؟ لا بأس بالغد. هل تعرف تاج محل؟ المطعم الموجود فى الشارع الرئيسى؟"

"جيد جدًا. غدًا. فى الواحدة. أشكرك على هذا الوقت يا آنسة ميلينجز".

قالت: "لا عليك"، ونسيته بالكامل وهى تجرى إلى الداخل، إلى الآخرين اللذين صاحا بها: "بحق الله يا آليس، هيا، لابد أن نذهب، تحركى".

كانت الثالثة إلا عشرين دقيقة. فى المحطة انتظروا القطار عشر دقائق، أطول كثيرًا مما توقعوا. وفى محطة شارع بيكر جلسوا فى القطار، الأبواب مفتوحة، والناس يتدفقون إليه، يأخذون وقتهم فى ذلك، لسبع دقائق أخرى. مزحوا بأنهم لا يستطيعون أن يتذكروا أنهم انتظروا مثل هذا الوقت الطويل من قبل. وفى محطة جرين بارك كان هناك انتظار آخر. كان الهلع يستولى عليهم من الإثارة؛ وشعروا أنهم أنفسهم كالقنابل، التى يمكن أن تنفجر. خرجوا من نفق المترو فى الثالثة والنصف، واندفع برت يجرى، وأسرعت الأخريان وراءه لإبطائه. قالت روبرتا، متوترة: "توقف عن هذا، تَذَكَّر أننا لا نريد أن نلفت الأنظار".

ليس من المحتمل أن ينظر أحد ناحية روبرتا إلا ويلاحظها.

فقد كانت شديدة الامتقاع، يتصبب منها العرق، ووجهها مأسوى.

ساروا بسرعة حول الفندق، عبر الناس على الأرصفة. لم ينظر الثلاثة إلى بعضهم البعض، ولا إلى الضحايا المحتملين. كانت آليس تفكر: لكن يمكن أن يقتل أشخاص... أوه، لا، لا يمكن أن يحدث هذا! ولكن، كان ثمة ضغط يرتفع داخل صدرها، مؤلم، كالصرخة - لكنها لم تستطع أن تتركه ينفلت ليسمعه الآخرون. مثل صراخ وحش فى البرية، لكنها لم تستطع أن تصل إليه لتهدئته.

ماذا كان يفكر الآخرون؟ روبرتا - حسنًا، من السهل معرفة ذلك، لم تكن تفكر إلا فى فاى. برت؟ بدا لا يختلف كثيرًا عن شخصيته الذهنية؛ لكن من المؤكد أنه كان يتساءل فى نفسه، مثل آليس، هل ستُقتل هذه الفتاة؟ تلك العجوز؟ ربما هذا الشخص، أو ذاك؟

لم يكن هناك أثر لجاسبر وفاى. حيث دارا حول الفندق مرتين وقالت روبرتا: "لا معنى لذلك، ولا ينبغى أن نكون معًا". وبدون حتى أن تنظر إليهما، سارت مبتعدة وحدها ووقفت على الرصيف المقابل، حيث كانت تستطيع رؤية جانب الفندق أمامها، وعلى يسارها الشارع الذى من المحتمل منطقيًا أن يمر به جاسبر وفاى بالسيارة.

ذهب برت، دون أن ينظر إلى آليس، ليقف على الرصيف المقابل لواجهة الفندق. وحينئذ كان يمكن لآليس، منطقيًا، أن تذهب لتقف فى الجانب الذى لم تكن روبرتا تقف فيه، لكنها قررت أن الواجهة أفضل، ووقفت بالقرب من برت.

كانت الساعة الرابعة إلا الربع.

ولم يكن هناك أثر للسيارة.

مر أتوبيس ببطء. جلست جوسلين فى المستوى الأول بالقرب من النافذة، تنظر إليهم. حركت فمها ليفهم منه أنها تقول: "الخامسة إلا الربع"، ثم رفعت يدها اليسرى مسرعة وقد فردت أصابعها الخمسة، وخفضتها، ثم رفعتها مرة أخرى، هذه المرة بأربعة أصابع فقط، وطوت الإصبع الأمامى، وبسرعة حركت فمها مرة أخرى: "الخامسة إلا الربع"، ثم حدقت أمامها.

قال برت متفكها: "أظن أنها ستكون الخامسة إلا الربع".

كانت الساعة الآن الرابعة.

الفندق الكبير، بمظهره الذى يدل على الرفاهية المسرفة، ويحتضن أعدادًا كبيرة من الناس، الذين يتجمعون حوله. فكرت آليس، حسنًا، ربما حدث خطأ ما، ولن يأتيا. سوف يكون هذا لا بأس به.

سألت برت: "هل نخبر روبرتا أنه سيكون فى الخامسة إلا الربع؟" قال: "لا، لا يمكن أن نجذب الانتباه إلى أنفسنا". ثم غير رأيه وجرى عبر الشارع، بين السيارات المارة. كانت روبرتا تقف على حافة الرصيف نفسه،

ساكنة تمامًا. راقبت آليس برت وهو يذهب إليها، ويقول شيئًا، ثم يأخذها من ذراعها، من الواضح أنه يحثها على الوقوف فى مكان أقل إثارة للملاحظة. دفعت روبرتا يده عن ذراعها، وظلت بالضبط فى مكانها. وقف برت إلى جوارها لدقيقة، ثم عاد ببطء، وهذه المرة انتظر إشارة المرور.

رأت آليس وجهه بوضوح. لم تكن قد رأته هكذا، أبدًا. ربما ما كانت لتعرفه. كان يبدو بمظهر من الانعزال، الانفصال؛ وكأن لا شىء يمكن أن يعبر المسافة بينه وبين الناس، الذين يتدفقون معه عبر الطريق، وكأنه ملعون أو منبوذ. كان له لون رصاصى، مريض، مثل الجثة.

العويل، أو الصرخة، التى كانت فى صدر آليس، شقت طريقها خارجة من فمها على شكل عويل. وجدت نفسها تندفع بعيدًا عن برت وإلى داخل الفندق. كانت تبحث عن تليفون. وجدت كابينتين إحداهما خالية. فكرت: يا إلهى؛ إن لم يكن الدليل الصحيح موجودًا هنا! لكنه كان موجودًا، ووجدت رقم السامريين، وطلبته، دون تحكم منها، وكأن الحيوان المحبوس داخلها كان يتعرض للتعذيب.

الصوت الودود، الذى لا يوحى بالإدانة، السامرى.

قالت آليس: "أوه، أسرعوا، أسرعوا، هناك قنبلة، على وشك الانفجار، تعالوا بسرعة، ستكون فى سيارة".

سألها السامرى، دون أن يفقد رباطة جأشه بأى حال: "أين هذه السيارة؟" وعندما لم تجب آليس فى الحال، قال: "لابد أن تخبرينا. لا يمكن أن نرسل أحدًا حتى تخبرينا".

كانت آليس تفكر: ولكن السيارة لم تصل هناك بعد. كيف أعرف أنها سوف تصل بأى حال؟ ثم فكرت فى هؤلاء الناس، كل هؤلاء الناس المساكين، وقالت يائسة: "حسنًا، ربما سيكون ذلك متأخرًا جدًا، على أى حال".

"ولكن أين؟ العنوان، أخبرينا بالعنوان؟"

لم تستطع آليس أن تدفع نفسها لنطق العنوان. قالت: "فى نايتسبريدج". كانت على وشك أن تغلق التليفون، وأضافت، كفكرة أخرى: "إنه الجيش الجمهورى الأيرلندى. الحرية لأيرلندا! من أجل أيرلندا متحدة، من أجل سلام الجنس البشرى كله!" ووضعت السماعة.

بدأت آليس تجرى عائدة، ثم سارت. ذهبت مباشرة إلى برت، لكى يدير ذلك الوجه نحوها، ورأت أن وجهه كان طبيعيًا. ولكن عندما نظر إليها بالفعل، رأت وجهًا ميتًا بشعًا، ثم غمز لها بعينه، ببطء، وأزالت الغمزة ذلك المرأى الآخر له، مرآه كجثة، وعاد إلى شكله العادى، شاحبًا، ومتوترًا إلى حد ما، ولكن هذا كل شىء.

كانت تفكر، لم يكن الوقت متأخرًا جدًا على التوقف. إن هذا كله خطأ. لابد أن نخطط للأمر بحرص أكبر. ربما قررت فاى وجاسبر إلغاء الموضوع. ونزعا وصلات القنابل. وهذا هوالسبب فى التأخير.

الرابعة وخمسة عشر.

فى كل هذا الوقت، لم يكن ثمة إلا ثلاثة أماكن متاحة للرَّكْن.

ثم رأت آليس أن برت كان واقفًا ينظر بعيدًا عنها، ساكنًا للغاية، يحدق، ربما كانت السيارة. مرت سيارة "إسكورت" بيضاء عابرة برت ثم آليس، وفى مقدمتها جاسبر وفاى، كانت فاى تقود. وبدا عليهما الابتهاج، ولكن أيضًا الفزع. كان الجانب الخلفى وهو الجانب الأقرب إلى الرصيف مخبوطًا. لهذا تأخرا. سارت إلى برت، ووافق معها على هذا التفسير.

لم يكن ثمة مكان للركن فى أى مكان. كانت السيارة محصورة فى الزحام المرورى، لفت إلى اليمين، ببطء، وزحفت إلى الشارع الجانبى، حيث السيارات كانت لا تكاد تتحرك، واختفت للحظات تدور من الخلف، ثم عادت للظهور ثانية، وربما أسرع قليلا، مرت أمام روبرتا، التى لم تستطع أن توقف نفسها، رفعت ذراعيها وفاى تمر بالقرب منها، لكنها عادت فأسقطتهما ببطء، ربما لأن الاثنين فى السيارة لم يلحظاها. وشعرت آليس بالارتياح لأنهما هكذا متعقلان. مرت الإسكورت البيضاء عبر برت

وآليس مرة أخرى. الساعة الرابعة وخمس وعشرون. لا يوجد مراقبو مرور، هذا شىء جيد.

لم يناقشوا ما ينبغى فعله فى حال ما لم يجدوا مكانًا للركن. إذا فاتهما الوقت فماذا سيفعلان، فقط يقفان فى أى مكان ويجريان بعيدًا عن السيارة؟

هذه المرة لم تلتفت فاى ناحية الشارع الجانبى المجاور للفندق، وإنما سارت وعبرت كتلة سكنية أخرى ثم استدارت. أمر غير مفهوم. بينما كانت السيارة غائبة عن الأنظار، تحركت سيارتان فى ذلك الشارع الجانبى بجوار الفندق، تاركتين مكانًا خاليًا كبيرًا. هل ترى فاى ذلك عندما تعود إلى هذا الموضع مرة أخرى، فى الجانب الآخر من الفندق؟

عندما ظهرت فاى مرة أخرى، كانت الساعة قد تجاوزت الرابعة والنصف.

وحتى هذا الوقت، كانت آليس قد أمرضها التوتر، والتعاسة. كانت تعرف أنها تتهنه وتتشج، لكنها لم تستطع السيطرة على نفسها.

كانت فاى تقود مرة أخرى عبر روبرتا، التى لم تتحرك هذه المرة، وقفت فقط. فى حالة يأس. كان الناس يلاحظونها.

وبينما عبرت السيارة برت ألمح بوجهه، مشيرًا إلى المكان الخالى. بدت فاى وجاسبر مثل كتلتين من الشمع بعيون مثبتة فيهما. فى البداية لم ينظرا إلى برت؛ ثم لمحه جاسبر، وأمسك بذراع فاى.

فى الوقت المناسب تمامًا، لفَّتْ فاى لتقود السيارة إلى الشارع الجانبى.

أثناء ذلك انسلت سيارة إلى المكان الخالى من الاتجاه الآخر، لكنها تركت مكانًا يكفى لفاى لتركن. كانت السيارات بالفعل خلفها. ولكى تركن، كان عليها أن تعطل المرور، باحثة عن طريق لتنفذ، لتصل إلى الناحية الأخرى من الشارع. انتظرت السيارة، والآخرون يطلقون أبواقهم عليها، ثم شقت طريقها عبر التدفق المرورى، وأمام كورس من الأبواق والصياح.

أدخلت فاى السيارة فى الحيز بشكل منحرف أمام الرصيف، وكادت تتركها، لأنها فتحت الباب، لكنها أغلقته مرة أخرى، وقادت الإسكورت بعنف فوق الرصيف. وقفة طويلة، ثم استدارت السيارة بسرعة، ومن ثم كانت هكذا واقفة بشكل أفضل، ولكن ليس كثيرًا.

كانت السيارات الأخرى لا تزال تزعق بأبواقها.

روبرتا، التى رأت وقفة برت وآليس المتوترة وهما يحملقان فى فاى وهى تركن، عبرت الطريق بسرعة لتلحق بهما. متجاهلة أى قرارات سابقة ألا يقفون معًا لكى لا يجذبوا الأنظار، وقف الثلاثة فى مجموعة متقاربة، يحدقون فى السيارة الجانحة. ولكن، الآن، يمكن أن يُقال إنهم أشخاص يراقبون طريقة ركن سيئة للغاية.

كانت روبرتا تقول، بصوت أجش، مريض، مرتفع: "يا ربى، يا ربى، تحركى، اخرجى".

خرج جاسبر من السيارة، وقد فتح الباب أمام تدفق المرور، ووقف داخل الباب نصف المفتوح، وانحنى لينظر داخل السيارة وإلى فاى.

راحت روبرتا تدعو: "بالله".

ثم استقام جاسبر، وأغلق الباب، وسار بجوار السيارة بقصد أن يلف حولها، إلى الرصيف، وليفتح الباب لفاى. على الأقل، هذا هو ما بدا لثلاثتهم وهم يراقبون. قد يكون الباب مزنوقًا بشكل ما، فلم يكن ثمة سبب على الإطلاق يدعو فاى ألا تفتحه، وبأسرع ما تستطيع. كان الوقت يجرى بسرعة. لم يبق إلا خمس دقائق. لكن الوقت كان قد فات بالفعل، لأنه فى تلك اللحظة حدث الانفجار، وبدا أن نوافذ العالم كله كانت تتكسر، بينما تمزقت السيارة أشلاء.

راحت روبرتا تنهنه: "فاى، فاى"، وهى تجرى عبر الشارع، لا تنظر لترى إن كانت هناك سيارات أو لا؛ وجرت آليس خلفها تئن: "جاسبر".

فى جانب الفندق كله، كان المشهد كارثة؛ أجساد على الرصيف، بعضها لا يزال راقدًا، البعض يجاهد ليجلس أو يقوم؛ قطع من المعدن، من الزجاج المهشم، حقائب يد، أحجار، ودماء.

عندما وصلت آليس إلى المشهد، لم يكن جاسبر هناك، ثم رأته يجرى بعيدًا على الجانب الآخر من الشارع، ويداه على رأسه. كان الدم يغطيه بالكامل.

أبله، كانت تفكر. لا تجرى، الأفضل كثيرًا أن تنتظر هنا، هناك كثير من المصابين؛ ستُعتبر فقط واحدًا من المصابين.

كانت روبرتا تقف وسط الأجساد، تحدق فى حطام السيارة، التى بدت وقد غاصت فى نفسها؛ كتلة صغيرة من المعدن المشوش والملخبط. تحولت روبرتا وهى تئن بعيد عن السيارة، وانحنت وبدأت تحدق فى وجوه المصابين، وهنا انتبهت آليس إلى أنها تحدق أيضًا فى وجوه الموتى، على الرصيف.

فجأة صرخت روبرتا، وجلست على الرصيف، تحتضن كتلة دموية، فكرت آليس أنها قد تكون فاى. نعم، يمكنها أن ترى ذراعًا، أبيض، جميلاً، كاملاً، به كتلة مشوشة من السوارات الملونة على المعصم.

خطت آليس نحو روبرتا وقالت: "توقفى. تعرفين أن ليس هناك ما تستطيعين فعله. لابد أن نذهب من هنا".

حدقت روبرتا فى آليس، بعينين لا تريانها، ولا تريان شيئًا، ثم حدقت فى الكتلة الحمراء. كانت تنهنه، باهتياج مقطوعة الأنفاس.

قالت آليس مرة أخرى، بتعقل، "روبرتا..."، بل واستطاعت أن تضع على شفتيها ابتسامة ودودة مقنعة: "أرجوك، انهضى".

وفى تلك اللحظة، داخل مشهد التشتت، والدمار، الذى ظل بطريقة أو بأخرى هو نفسه طوال الدقائق الخمس منذ الانفجار، فجأة انبثق المجتمع، انبثق القانون والنظام، على شكل عويل سارينات سيارات الإسعاف،

والشرطة، التى فجأة أصبحت فى كل مكان، مئات منها فيما يبدو. وقفت سيارات الإسعاف بكاملها فى الشارع، بدأت عملها الصبور الحذر فى التقاط المصابين والجثث من الرصيف. لكن الشرطة كانت فى حالة من الاهتياج، خارج السيطرة، تتدفع هنا وهناك، يصرخون بالأوامر، يدفعون النظارة، الذين بالطبع وصلوا الآن، والذين كانوا يضيفون بشكل عام إلى الاضطراب الحادث.

قالت آليس لرجل الإسعاف الذى انحنى فوق روبرتا: "إنها لم تصب، لا أظن ذلك. لكنها.." . لسبب ما لم تستطع آليس أن تستخدم اسم فاى على هذه الكتلة من الدم واللحم. "كانت فى طريق الانفجار".

سأل رجل الإسعاف، بلطف وهو يساعد روبرتا المسكينة لتقوم على قدميها: "وأنت أين كنت؟"

قالت آليس، بصدق: "كنت هناك، على ذلك الرصيف" ... "لا، أنا لم أُصَبْ".

كانت الاثنتان جاثمتين بجوار فاى، ووقفت روبرتا وآليس مستقيمتين، وأسندت آليس روبرتا.

.قالت آليس بأسلوب منطقى لروبرتا: "لقد ماتت".

قالت روبرتا بصوت عادى: "نعم، أعرف".

وعند هذه النقطة تحرك أحد رجال الشرطة ووجه الأوامر: "ماذا تفعلان هنا، هل أصبتما؟ تحركا إذًا".

وضعت آليس ذراعها حول روبرتا وسارت بها بعيدًا. لم تكن تريد أن يفيق الشرطى ويبدأ فى سؤال روبرتا، التى كانت لدى النظر إليها عرضًا لن تبدو غير عادية، رغم أنها كانت ملوثة بالدم من وسطها حتى أسفلها.

لم تفكر ماذا يمكن أن تفعل مع روبرتا، التى كان الدم يغرقها وفى حالة سيئة، بعيدًا عن الزحام والشرطة؛ لكن شرطيًا آخر أوقفهما، وكان أكثر سيطرة على نفسه، وقال إن روبرتا تبدو بحاجة إلى الإسعاف.

قالت آليس: "إنها تعانى من صدمة".

قال الشرطى: "إذًا خذيها إلى سيارة الإسعاف"، وهو يلتفت للحاق بآخرين فى دفع النظارة المتزاحمين.

لم يكن هناك شىء. ذهبت آليس مع روبرتا فى سيارة الإسعاف، مع عشرة آخرين، كلهم فى حالة صدمة أو إصابة خفيفة. كان المصابون بإصابات شديدة يحملون فى سيارات إسعاف أخرى.

كانت سيارتهما من أولى السيارات التى تحركت. كانت آليس وروبرتا صامتتين، تستمعان إلى الناس الذين كانوا يبكون، ويشتكون، أو يروون ما حدث بانفعال؛ كيف كانوا يسيرون بسلام فى الشارع، أو داخلين أو خارجين من الفندق، وعندئذ...

وجوه وأذرع مجروحة، احتمالات كسور، ورضوض. إحدى النساء تمزقت ثيابها فى الانفجار وملفوفة فى بطانية. وكانت أخرى قد قذفت خلال النافذة التى كانت تتحطم فى تلك اللحظة. وقد تغطى جسدها بجروح عميقة وشظايا وبدت فى حال سيئة للغاية.

وصلوا إلى المستشفى فى خلال دقائق قليلة.

تم فحص روبرتا وقالوا إنها سليمة.

شرحت آليس للشرطى المتعاطف أنها وروبرتا كانتا ذاهبتين إلى الفندق عندما حدث الأمر. وأخذتا سيارة أجرة واتجهتا إلى البيت. قال سائق الأجرة أنه كان أمرًا صادمًا؛ ربما أولئك العرب مرة أخرى؛ فليس لديهم إحساس بقدسية الحياة، ليس مثل الغربيين؛ لو ترك الأمر له لمنع العرب من المجىء هنا.

لم تقل روبرتا وآليس شيئًا.

كانت الساعة السابعة عندما وصلتا إلى البيت. فى المطبخ كان برت يرعى جاسبر، الذى كان يعانى من جروح كبيرة فى وجهه ورأسه، لكن فيما عدا ذلك كان بخير. قال برت إنه كان ينبغى خياطة الجروح؛ بعضها

عميقة. قال جاسبر لا. وكان جاسبر على حق. قالت جوسلين إنه كان ينبغى أن يبقى، بدلا من الجرى بعيدًا، ثم كان يمكن أن يقول حكاية ما ويذهب إلى المستشفى مع الآخرين لخياطة جروحه. والآن لابد ألا يذهب نحو أى مستشفى بأى حال، ولا حتى إلى طبيب. لكن إحدى النساء فى البيت المحتل عشوائيًا فى جنوب لندن كانت ممرضة؛ ولا بأس بإحضارها هنا.

قال جاسبر: "لا أظن أن ذلك لا بأس به، كلما قلَّ من يعرفون، كلما كان أفضل".

فكرت آليس أن هذا كلام منطقى، وحاولت أن تفحص الجروح. لكنه دفعها بعيدًا. لم تبدُ الجراح سيئة جدًا بالنسبة لها؛ ربما لن تترك أثرًا. حسنًا، هناك دائمًا عمليات التجميل.

أخيرًا جلس الخمسة جميعًا حول المائدة.

أخبرهم جاسبر، بطريقة رسمية أشبه بتقديم تقرير عن عمل، كيف أنه عندما كان يلف بالسيارة خارجًا من الشارع الذى تركت فيه، أخطأ فى تقدير مسافة وصدم سيارة كانت متوقفة إلى جانب الطريق. وكان يمكن أن يقود مباشرة من المكان، لكن كانت هناك سيارة فى الحال تغلق طريقه، ورجل رأى الحادث من نافذة بالطابق الأرضى جاء يجرى ليقول إن جاسبر لن يتمكن من الهرب والإفلات من المسئولية. قال جاسبر إن مثل هذه الفكرة لم تمر بخاطره. ثم قال الرجل إنه يكذب. وحدث بينهما بعض الصياح قبل أن يصلا إلى نقطة تبادل أسماء شركات التأمين: وبالطبع قال جاسبر إنه سوف يعطيه عنوان شركته فيما بعد. ثم ظهر أن الرفرف المصاب كان يضغط على العجلة الخلفية، واضطرا للخروج من السيارة واستخدام أداة ثقيلة لضرب الرفرف حتى تحررت العجلة منه. كان الرجل يقف على رأسيهما، وكأنهما مجرمان لابد من مراقبتهما. وللوصول إلى المشكلة فى الرفرف اضطر جاسبر إلى الرقاد بطوله فى الطريق لضربه من أسفل، وبزاوية. كانت طريقة خرقاء وأخذت وقتًا، وكانا يعطلان المرور.

وعندما واصلا أخيرًا طريقهما وسط الزحام المرورى مرة أخرى، كانا متأخرين جدًا حتى أنهما فكرا فى إلغاء الموضوع بكامله. يمكن لفاى بسهولة أن تفصل القنابل، لكن المشكلة كانت هذه المرة أن هذا سوف يجرى على مشهد من الناس فى السيارات والمارة على الأرصفة. بالإضافة إلى أن فاى قالت فلنفعلها أو لنمت؛ كانت لعبة. ومن سوء الحظ أن يتجشموا كل هذا التعب ثم يتراجعوا مستسلمين.

وعندما لفّت فاى بالسيارة، فى المرة الثانية، ليس بجوار الفندق مباشرة، ولكن فى المنعطف التالى، كان ذلك لأنهما عندما لم يريا أى مكان يصلح للركن، قررا أن يوقفا السيارة فى أى مكان يمكن أن يجدا فيه حيزًا حتى تستطيع فاى، بصرف النظر عمن يراقب، أن تفصل وصلات القنابل. ثم لم يكن لديهما إلا اثنتا عشرة دقيقة. لكن لم يكن ثمة مكان لركن السيارة فى أى مكان من الشارع كله.

وقالت فاى بشجاعة: "لا، لا شىء هناك" وحاولت أن تقود أسرع، لكن المرور عطلهما.

وعندما خرج جاسبر ولم تخرج فاى، هل كان باب فاى مزنوقًا؟ هل كان ذاهبًا لمساعدتها على فتح الباب؟

كان هذا السؤال من روبرتا، وبدا وكأنها توجه اتهامًا.

تردد جاسبر. عرفت آليس أن ذلك لأنه كان يحاول أن يفكر فى طريقة لإخفاء شىء ما. وعندما كان يبدو بهذه الطريقة، شديد الشحوب ولكن مع إشراق، ونظرة صريحة تعبر عن المعاناة واليأس، كان هذا يعنى أنه بسبيله إلى الكذب. أو أنه يريد الكذب. بدأ يتأتئ، ويعنف نفسه، ثم قال ببساطة: "عندما ركنت فاى السيارة فى المكان الخالى، طلعت بسرعة شديدة على الرصيف، ثم ركنت. لم تكن قد ربطت حزام مقعدها. والحق أننا لم نكن قد ربطنا أحزمة المقاعد".

قالت روبرتا بقسوة: "بالطبع لا".

"لكنها كانت قد اندفعت للأمام، واصطدم تجويف بطنها بعجلة القيادة، لم تكن قادرة على التنفس، أترين؟" قال ذلك برقة لروبرتا. كانت

آليس تفكر، ها هو، إنه رقيق، طيب، جاسبر طيب، لم يرد أن يخبر روبرتا أيًا من ذلك...

كانت روبرتا تحملق فى جاسبر، وفمها مفتوح، وكانت تتنفس بصعوبة. كانت تفكر، كلهم كانوا يعرفون، أن حبيبتها فاى قتلت بسبب أمر تافه سخيف، شىء مثير للسخرية؛ طوال ما بقى من حياتها سوف تظل روبرتا تفكر، وتشك، فى أن فاى ماتت بسبب أنها كانت تقود بسرعة زائدة أو أنها اصطدمت بعنف فى الرصيف.

قال جاسبر: "ورأيت أنها لا تستطيع الحركة. أوقفت السيارة، مددت قدمى وأوقفتها. ثم قلت إنها لابد أن تخرج بسرعة. لكنها لم تتحرك. أعتقد أنها كانت فى حالة صعبة لا تستطيع معها الحركة. خرجت لأجرّها خارج السيارة من ناحية باب السائق. وهنا انفجرت القنبلة".

قالت روبرتا: "مبكرة خمس دقائق"، وهذه المرة، موجهة الاتهام لجوسلين. التى، مثل جاسبر، جلست هادئة، مترددة. كان هناك شىء لا تريد أن تقوله.

سألت روبرتا بسرعة: "من الذى ضبط التوقيت؟ فاى؟"

"نعم".

هزت روبرتا رأسها بعنف، وكأنها تقول لا، لا، لا - لكل هذا - لكن حينئذ جلست صامتة صمتًا ثقيلاً، تقول نعم للشاى، نعم لوضع سكر فيه، نعم للبسكويت. لكنها لم تأكل أو تشرب.

عرفوا جميعًا، أن روبرتا سوف تخرج من هذه الحالة السلبية عند نقطة ما.

بدأ جاسبر يتألم، بعنف. جرى برت إلى الطابق الأعلى، وأحضر بعض أقراص تخفيف الألم لجاسبر، ومسكنات لروبرتا، وراديو.

استمعوا إلى الأخبار.

"قُتل خمسة أشخاص وأصيب ثلاثة وعشرون، البعض إصاباتهم خطيرة، هذا المساء عندما انفجرت سيارة خارج فندق قوبلاى خان، مما تسبب فى تحطيم جميع النوافذ على ذلك الجانب وتحطُّم العديد من السيارات التى كانت متوقفة إلى جانب الطريق. تلك الجريمة الوحشية البشعة تصوِّر مرة أخرى مدى افتقاد الجيش الجمهورى الأيرلندى للمشاعر الطبيعية، والذى ادعى مسئوليته عن الحادث".

قالت جوسلين: "حسنًا، ماذا عن ذلك، يا لها من أعصاب لعينة".

قالت آليس: على الإطلاق"، وهى لا تربط مكالمتها التليفونية بهذا التطور. ثم، بعد دقائق قليلة، وهى تسمع للسخط، والإحباط لدى الآخرين، بدأت تربط، وتحققت من أنها لن يمكنها أبدًا أن تخبرهم بما فعلت. أبدًا. سوف تفقد ثقتهم إلى الأبد.

لنفترض أن برت تذكر أنها سارت بعيدًا قليلاً على ذلك الرصيف بالقرب منه لحوالى خمس دقائق على الأقل؟

يبدو أنه لم يتذكر.

وفى حوالى العاشرة عادت كارولين. كانت متباعدة، بل وباردة. قالت إنها لن تجلس؛ كانت متعبة وتريد النوم.

قالت أنها سمعت الأخبار، عندما بدا أن جاسبر على وشك أن يبدأ يروى القصة.

صنعت قهوة لنفسها، وشربتها وهى واقفة، لا تنظر إليهم.

سألت: "أين فاى؟"، واكتشفوا أنه لم يكن ثمة طريقة يمكن بها أن تعرف.

قالت روبرتا: "فاى ماتت"، وبدأت تبكى. فى البداية كان بكاء هادئًا، يائسًا، ثم بدأت تعول وتنتحب.

قال برت، برقة: "حسنًا، كان لابد أن يحدث ذلك".

سألت كارولين: "هل كانت فى السيارة، إذًا؟" لكنها لم تكن تريد أن يبدو منها اهتمام.

بدأت روبرتا فى العويل، مثل هذا الصوت الذى بدا أن آليس تحمله داخلها، فى صدرها؛ صوت منسلخ، كئيب.

تأكدوا من أن النوافذ مغلقة. وأعطوا روبرتا حبة مسكنة أخرى، وساعدتها جوسلين وآليس للصعود إلى أعلى. كانت ثقيلة، خاملة. اضطروا لدفعها، وإسنادها، حتى أن يأمروها بتحريك قدميها. جرت آليس إلى الغرفة فى البداية لتتأكد من أن النوافذ مغلقة جيدًا. كان الوقت متأخرًا للغاية، وعندما كانت روبرتا ترقد بالفعل فى الكومة المريحة من الأشياء والأغطية الملونة بالورود التى كانت تشاركها فيها فاى، تذكرت المرأتان أنه كان من الأفضل أخذها إلى غرفة أخرى. وتركتاها هناك، بأمل أن النوم سرعان ما سوف يسكن ذلك البكاء المريع.

عندما عادت المرأتان إلى المطبخ، انضمتا إلى برت وجاسبر على المائدة. جلست كارولين على عتبة النافذة، محتفظة بمسافة بينها وبينهم. كانوا صامتين، محاولين ألا يتأثروا بتلك الضجة المرعبة فوق رءوسهم مباشرة. روبرتا كانت الآن تعوى بصوت لا يبدو بشريًا. كان يمكن أن يصدقوا أن هناك حيوانًا بالطابق الأعلى: حيوانًا جريحًا، أو حيوانًا بسبيله إلى الموت.

كانوا جميعًا شاحبين، ومتوترين. كانت حبات العرق ظاهرة على جبين برت. وعلى وجه جاسبر كان شبح ابتسامة باردة. وبدا على كارولين أنها مريضة. وكانت أقلهم انزعاجًا هى جوسلين.

ظل برت يرسل نظرات هائمة إلى كارولين، التى لم تنظر إليه. فجأة أخرج من جيبه الأعلى، المزرر فوق قلبه، ورقة مطوية طيات كثيرة، كتبت عليها كلمات. كانوا جميعًا يعرفون تلك الكلمات، لأن برت كان قد تعمد أن يعرفوا عنها، أكثر من مرة. والآن، بعد أن نظر إلى كل واحد منهم، واحدًا بعد الآخر، وبحرص، ليجذب انتباههم - لكن كارولين ظلت غير مستجيبة -

قرأ: "القانون ينبغى ألا يُلغِى الإرهابَ؛ فذلك سيكون نوعًا من الوهم أو خداع الذات؛ ينبغى أن يتم دعمه وتقنينه مبدئيًا، بوضوح، دون مراوغة أو زخرفة. ولا بد من صياغة الفقرة الخاصة بالإرهاب على نحو متسع بقدر الإمكان، حيث إن الوعى الثورى بالعدالة والضمير الثورى فقط يستطيعان تحديد شروط تطبيقه عمليًا". صمت. لم يكونوا ينظرون إليه. قال: "لينين". وأصر: "لينين"، بثقة وإيمان.

كانت آليس تراقبه وهو يقرأ، وقد جذبها أن ترى إن كانت الرؤية التى رأته عليها خارج الفندق يمكن أن تظهر مرة أخرى. عندما كان يحمل ذلك الوجه الرصاصى الشبيه بوجوه الجثث؛ ولكن ـ على العكس ـ كانت القراءة تقوية له، وابتسم وهو يقرأ، وظهرت أسنانه البيضاء بين شفتيه الحمراوين.

قالت جوسلين: "شكرًا"، كنوع من الواجب، لكنها كانت تستمع إلى روبرتا. أشعلت سيجارة، وكانت يداها ترتعشان. وعندما رأت أنهم لاحظوا ذلك، غمغمت قائلة: "إنه رد الفعل، لا أكثر".

استمر جاسبر فى الابتسام. ربما كان يستمع إلى موسيقى بعيدة. كانت آليس تعرف أنه يجاهد للسيطرة على الرغبة فى الغثيان. فكرت أنه بدا مثل الجندى الجريح، بتلك الضمادات الملوثة بالدم.

ثم قامت كارولين من على عتبة النافذة وقالت: "ما علاقة قانون الجريمة الروسى بنا؟ أو لينين، حتى"، وهى تواجههم. وقالت بغضب: "كل قمامة الهواة تلك التى تمارسونها، لو سألتم رأيى"، ثم اتجهت إلى آليس: "كانت هناك رسالة لك. جاء رجل بعد الظهر. أمريكى. قال إنه سيعود لرؤيتك غدًا. حوالى الرابعة. جوردون أوليرى".

لم تنظر إلى برت، ولكن خرجت دون أن تقول وداعًا.

علقت جوسلين: "جوردون أوليرى مرة أخرى"، وكأنه لا يهم كثيرًا.

قالت آليس بشكل آلى: "الجبان اللعين"، وهى تفكر أنها سيكون أمامها يوم مشغول، غداء مع بيتر سيسيل، ثم جوردون أوليرى بعد الظهر.

لم يقل أحد آخر شيئًا.

ثم قال برت: "إننى ذاهب أيضًا. لا معنى للبقاء هنا".

قال جاسبر: "وأنا أيضًا".

قالت آليس لجاسبر، متشككة: "أنت راحل؟"

قال جاسبر دون أن ينظر إليها: "لكننا قلنا إننا سنذهب بمجرد الانتهاء من ذلك".

فكرت، من المؤكد أنه لا يخطط للرحيل مع برت؟ لماذا، فى اللحظة التى يحصل فيها برت على امرأة أخرى، سوف يعود مجرد قطعة غيار مرة أخرى.

لم تقل شيئًا، وهذا جعل جاسبر فى حالة قلق. وسألها، مشاكسًا: "حسنًا، ماذا عنك؟ هل ستأتين؟"

قالت، بغموض: "لا أظن أننى سوف أغادر هذا البيت".

"لكن لابد لك. قالت مارى إن هذا البيت أصبح على الأجندة مرة أخرى".

قالت آليس: "أوه، إنهم دائمًا يقولون هذا".

قال جاسبر: "لا تكونى غبية لعينة، لو لم يكن هذا الشهر، فالشهر القادم، أو الذى يليه".

"حسنًا، فى الوقت الحالى سأبقى. ثم لابد أن يبقى أحد مع روبرتا".

وحيث إن هذا لا مناقشة فيه، صمت جاسبر قليلا، ثم، وقد غلبه عناد آليس مرة أخرى، قال، متعجبًا، بنذالة: "ولكن يا آليس لقد اتفقنا على أن نتفرق. لقد كان قرارًا متفقًا عليه بالإجماع". حتى أنه أمسك بمعصمها بالطريقة القديمة الملحة، ومال ليحدق فى وجهها.

تلك القبضة أخبرتها أنها لن تكون بدونه طويلاً، ابتسمت بهدوء فى ذلك الوجه، بعينيه الزرقاوين فى تلك البحيرتين الضحلتين؛ حيث كانت الشعيرات الدموية الدقيقة، وقالت: دعنى أعرف أين تكون، وسوف نكون

على اتصال. على أية حال، هل يعرف أحد أين أقارب روبرتا؟ إن لها أقارب، أليس كذلك؟"

لم يكونوا يعرفون سوى المستشفى التى كانت فيها أم روبرتا، تموت.

قالت جوسلين: "هى لن تبقى هنا"، وكانت آليس تعرف أنها على حق.

صعد برت لإحضار حقيبة الظهر الخاصة به وثيابه فيها، وبعض الكتب. وأحضر جاسبر متعلقاته. كانت أقل حتى من برت.

جلست آليس فاترة إلى المائدة، تفكر فى هذا المنزل، هذا البيت الذى صنعته، وقد أصبح مهجورًا، خاليًا، ويأتى البناءون من المجلس.

قالت جوسلين إنها سوف ترحل فى الصباح. قالت إنها فكرت أن الحقيبة المليئة بمكونات المتفجرات سوف تكون فى أمان حتى يكونوا بحاجة إليها. وضحكت. وذهبت لأعلى.

تلكأ برت وجاسبر فى المطبخ، فى تلك اللحظة الأخيرة، لم يكونا يريدان الرحيل. لا يريدان تركها، أو ترك الراحة التى صنعتها لهم جميعًا؟ لم تكن تريد أن تفكر فى هذا. علقت أنها تظن أن روبرتا قد هدأت.

وبالتأكيد، كان العواء القادم من أعلى أقل. لقد توقف. وأصبح البيت صامتًا.

انحنى جاسبر بسرعة، ووضع قبلة على خد آليس، كما فى لعبة "اللمسة الأخيرة". وقال: "إلى اللقاء"، وخرج، دون أن ينظر ليرى إن كان برت يتبعه. وفكرت آليس بامتنان أنه لم يكن من السهل عليه أن يتركها.

وكانت آليس وحدها فى المطبخ.

استمعت إلى الأخبار مرة أخرى. حسنًا، من المؤكد أنهم يقومون بتغطية جيدة؛ لقد تركوا علامتهم، حسنًا.

مات خمسة. ويبدو أن واحدة أخرى، فتاة فى الخامسة عشر، من المحتمل أن تموت. إصابة أكثر من عشرين.

كرست أخبار منتصف الليل أكثر من خمس دقائق للقصة.

نامت آليس وهى جالسة على المائدة، رأسها على ذراعيها.

استيقظت فى حوالى السادسة، لترى روبرتا، مرتعشة، مريضة، فى حالة سيئة للغاية، تصنع لنفسها شايًا.

قالت روبرتا إنها سوف تحزم أشياءها وتذهب. سوف تذهب لرؤية أمها. كان ينبغى أن تذهب قبل ذلك، بالطبع، ولكن فاى... وتهدج صوتها، عضت شفتيها، ثم سيطرت على نفسها، وشربت شايها. وذهبت إلى أعلى لتحزم، وعادت مع عناوين مختلفة يمكن لآليس أن تتصل بها فيها، مكتوبة بدقة على صفحة من الورق. على الأقل روبرتا لم تكن تنسحب خارج حياتها إلى الأبد.

كانت روبرتا، على عكس الآخرين، تمتلك أشياء كثيرة. سوف تترك الأثاث الحقيقى، لكنها ستحتفظ بالستائر، والمعلقات، والأغطية، والمخدات، والمرايا، والبطاطين. تلك الأشياء وضعت فى حزمتين كبيرتين، وأخذتها معها فى سيارة أجرة إلى المحطة.

استمعت آليس إلى أخبار الثامنة صباحًا.

قال الجيش الجمهورى الأيرلندى (فى أيرلندا) إنهم لا علاقة لهم بتفجير الأمس، وإنهم سوف يتابعون من ارتكبوا تلك الأفعال باسمهم. وقال ج.ج.أ. (فى أيرلندا) إنهم لن يقوموا بقتل الناس الأبرياء.

فكرت آليس، حسنًا، تخيلوا هذا. والواقع أنها ضحكت، على سخافة ذلك.

حسنًا، لا يهم ما قاله ج.ج.أ؛ لم يكن لهم أن يقرروا أى رفاق فى هذا البلد فعلوا.

جلست آليس تتساءل إن كان الأمر يستحق القيام برحلة إلى أيرلندا لكى تشرح للرفاق الأيرلنديين وجهات نظر الرفاق الإنجليز؟

انقطعت هذه الفكرة عندما جاءت جوسلين من الطابق العلوى، ومعها حقيبة ظهر وحقيبة. هى أيضًا شربت شايًا، وسمعت أن روبرتا قد رحلت دون تعليق، أو حتى سؤال إن كانت روبرتا قد طلبت منها أن تظل على اتصال. لم تُشِرْ إلى برت ولا جاسبر. أما كارولين، فقد قالت جوسلين إنها كانت رفيقة طيبة، لكنها لم تفهم أن التضحيات لابد منها. قالت هذا وهى واقفة - لم تجلس - ممسكة بكوب الشاى بين يديها، تحدق فيه بعينين حمراوين. فكرت آليس من المحتمل أنها أيضًا كانت تبكى.

رحلت جوسلين، وأصبحت آليس وحدها فى المنزل.

استمعت إلى الأخبار مرة أخرى، وفكرت أنها سوف تذهب وتحضر الصحف. لا، سوف تشتريها عندما تخرج لتناول الغداء مع بيتر سيسيل. بيتر سيسيل! الروس المساكين، إنهم ليس لديهم ما يكفى من العقل لكى لا يختاروا مثل هذا الاسم الواضح. لقد كان أشبه بنُكتة، وكأنهم كانوا يهزءون من أنفسهم. (هنا، فى مكان عميق داخلها، تحرك بعض القلق، شك، لكنها لم تستطع أن تحدد كنهه، ومن ثم فقد قمعته).

كان الوقت مبكرًا جدًا على الخروج إلى المطعم.

جلست فى هدوء وحدها فى البيت الصامت. فى البيت "المهجور"... سمحت لعقلها أن يتحرك من غرفة لغرفة فيه، يمتدح إنجازاتها، وكأن شخصًا آخر قد أنجز كل هذا، ولكن العمل لم يتم الاعتراف به بشكل لائق، وهكذا كانت تقوم به وكأنه شىء تفرضه العدالة. ربما كان البيت حيوانًا جريحًا قامت هى بتناول جراحه المتعددة الكثيرة جرحًا جرحًا بالتنظيف والتضميد، والآن أصبح فى حالة طيبة، ومتكاملاً وكانت هى تربت عليه، مسرورة به ومن نفسها... ليس متكاملا تمامًا، على أية حال؛ لكنها لم تكن تنوى التفكير فيما يجرى فى العارضتين. البيت المسكين، فكرت مليئة بالرقة والعطف... أتمنى أن يحبه شخص ما فى يوم من الأيام ويعتنى به. عندما أرحل عن هنا... كان من الغباء أن أمكث هنا، كان جاسبر على حق، لكنها لن ترحل الآن، سوف تبقى وقتًا أطول قليلاً: شعرت أنها يمكن أن

تجذب جدران هذا البيت، بيتها، حولها مثل بطانية، حيث تستطيع أن تجد ملجأ، حيث تستطيع أن تشعر بالأمان.

الحق أنها شعرت بأنها فى حالة غريبة تمامًا، ليست هى نفسها على الإطلاق! حسنًا، كان ذلك طبيعيًا جدًا. كانت بحاجة للذهاب لتمشية طويلة، أو ربما أن تذهب للتحدث قليلاً مع جوان روبنز؟ لا، لن يكون هناك إلا كثيرًا من الكلام السخيف عن الـ ج.ج.أ والتفجير. الناس العاديون لا يفهمون، ولا فائدة من توقع أن يفهموا... هنا الرقة التى كانت تنتشر حول المكان، داخلها وخارجها، دون أن تعلم من أين جاءت، ربطت نفسها على هؤلاء الناس العاديين، وجلست آليس والدموع فى عينيها، تفكر: "المساكين، المساكين، إنهم لا يفهمون!" - وكأنها تأخذ فى حضنها وبين ذراعيها كل هؤلاء الناس المساكين العاديين السخفاء فى العالم.

والآن بدأت تفكر، ولكن بحرص شديد، فى والديها. أولا، أبوها: لا، إنه بشع جدًا ولا يستحق أن تضيع وقتها عليه، إنها لن تفكر فيه أبدًا مرة أخرى. أمها... ماذا قد تقول دوروثى إذا علمت أن ابنتها كانت ضمن حادث التفجير؟ لا يعنى هذا أن آليس نفسها كانت تعتقد أنها - آليس - لديها أى سبب لأن تشعر بالسوء؛ فهى لم تكن فى الواقع جزءًا منه. تنهدت آليس، أخذت نفسًا طويلاً متقطعًا، مثل طفل صغير. كان هذا شيئًا لا تستطيع أبدًا أن تقوله لدوروثى، وعلمها بذلك جعلها تشعر بأن أمها توبخها كما كانت تفعل من قبل: ربما ودعتها بالفعل إلى الأبد، بدلاً من مجرد تلك المشاجرات السخيفة التى تكون بينهما.

أوه، لا، لقد كان كل ذلك كثيرًا جدًا، صعبًا جدًا... هنا قامت آليس فجأة على قدميها، وبدا، وكأنها كانت على وشك أن تسير خارجة من المطبخ مباشرة، ومن البيت؛ لكنها، بعد أن وقفت فى وضع جامد، متسمرة لدقيقة أو ما إليها، جلست مرة أخرى، لأنها تذكرت بيتر سيسيل. (بيتر سيسيل، ها ها!) إنها لا تستطيع الذهاب الآن، لأن هناك هذا الغداء. لكن ربما سأقول له كل شىء، فهو شخص محترف، يمكن أن أتحدث معه عن

التفجير دون تلقى كل تلك التصحيحات والتوبيخات من كل ما يتعلق به، كمجرد عمل تم إنجازه، ولكن قد ساء قليلاً.... شىء مضحك، لم تفكر حتى هذه اللحظة أنهم قد أفسدوا كل شىء. وهل فعلوا؟ على أية حال، لو كان النشر هو الهدف، فقد أنجزوا ذلك بكل تأكيد! وماذا عن فاى؟ ولكن الرفاق يعرفون أن حياتهم فى خطر منذ اللحظة التى قرروا فيها القيام بهذا الشىء، منذ قرروا أن يصبحوا إرهابيين.... لم تستطع أن تتذكر نقطة كانت قد قالت فيها: "أنا إرهابية، أنا لا يهمنى أن أُقتل". (هنا مرة أخرى كان هناك دافع لتقوم من مقعدها، فى حركة هلع محصورة، لكنها جلست مرة أخرى). وفكرت، لقد كنت طوال الوقت أنتظر شيئًا أن يبدأ؛ وعلى وجهها جاءت ابتسامة خفيفة، مذعورة، مليئة بالارتياب، فى مقابل عدم ملاءمة كل هذا. ألم تكن تعتقد فى جدية التفجير، إذًا؟ لا، ليس فى الواقع؛ لقد سارت مع الأمر، بينما كانت تشعر أنه أمر خطأ ـ ووراء ذلك كانت تفكر أن العمل "الجاد" (مهما ظهر من كينونة هذا العمل) سوف يأتى فيما بعد. حسنًا، ماذا يمكن أن يظنوا فى التفجير؟ (أى، الروس). لم تكن ثمة حاجة لسؤال ماذا يمكن أن يقول أندرو. أو جوردون. فيمكنها أن تتخيل، فقط بحيوية كبيرة، وجوههم المحملة بالإدانة.

وبيتر سيسيل؟ لسبب ما، كان مختلفًا. فكرت: بالطبع، لن أعطى أى أسماء، سوف أتحدث فقط بحرص شديد، أخبره بالقصة. سوف أقول إننى عرفتها من شخص ما يعرفها، وإننى أريد أن أعرف رأيه.

هنا، كانت تحذيرات صغيرة متعددة قد سجلتها أعصابها، وكانت محملة هناك حتى تستطيع أن تلتفت إليها بدأت تطفو على السطح، لكنها تراجعت مرة أخرى. وفى الأثناء، كانت تفكر أن بيتر سيسيل له وجه لطيف. نعم (كانت تراه بعين عقلها، كما وقف هناك بالأمس خارج الباب، وهى فى حالة اهتياج لرغبتها فى الخروج سريعًا). وجه لطيف. ليس مثل وجوه أولئك الروس، ليس مثلهم على الإطلاق، إنه مختلف تمامًا.... وهنا عادت التحذيرات، فى دفعة، تصرخ لها لكى تنتبه، ولم يعد يمكنها أن تتجاهلها أو تقمعها.

بالطبع، لم يكن بيتر سيسيل مثل هؤلاء الروس، لأنه لم يكن روسيا. لقد كان... لقد كان.. من وكالة المخابرات الإنجليزية أو جهاز الأمن أو الاستخبارات أو أى من تلك الأشياء اللعينة، لا يهم. النقطة المهمة هى أنه كان إنجليزيًا، إنجليزيًا.

عند هذه الفكرة، أمام الكلمة، بدأ شعور ناعم لطيف بالارتياح يغمر آليس، استطاعت بقوة أن تتعرف عليه وأن ترحب به. وماذا فى ذلك؟ إنجليزى أو لا، لقد كان هو العدو، لقد كان - أسوأ من الروس - لقد كان من الطبقة العليا (سيسيل، أسألك!)، كان رجعيًا، كان فاشيًا. حسنًا، ليس فاشيًا بالضبط، حقًا، كانت هذه مبالغة. لكنه إنجليزى، واحد منا. جلست تفكر فى مسألة الانتماء الإنجليزى هذا، وماذا يعنى، وماذا تشعر بشأنه - الكلام معه سيكون شيئًا مختلفًا تمامًا من الكلام مع هؤلاء الروس، الذين يفهمون كل شىء خطأ بكل بساطة، وهذا بسبب أنهم لا يعرفون ما هى حقيقتنا وما نحن عليه حقًا: نحن الإنجليز. وماذا فى الشعور بذلك؟ ألم يقرروا (الرفاق) ألا يتعاملوا مع الروس، أو الـ ج.ج.أ. أو أى شىء من كل هذا، فقط معنا، نحن؟

وبينما تخيلت نفسها تتحدث مع بيتر سيسيل، عرفت أن هناك أشياء كثيرة ينبغى ألا تُقال على الإطلاق، مثلما لا تقال بين الناس من نفس البلد، مهما كان انقسامهم حول أشياء معينة. (مثل السياسة!)

ولكن، ماذا كان يريد أن يعرف؟ لم تستطع آليس أن تتذكر ماذا قيل بالأمس. كانت ذاكرتها خالية فيما عدا أنه سأل عن أندرو (أندرو كونورز؟ حسنًا، لم لا، ربما كان اسمه كونورز حقًا). ولكن ماذا كان ما قالته؟ هل قالت أى شىء؟ لا، كانت متأكدة من أنها لم تفعل، كل شىء حدث بعجلة واندفاع كبيرين، كانت فى حمى، كانت لا تريد سوى أن تخرج بأسرع ما تستطيع. "المواد"؟ لا، هل من المحتمل أنها أشارت إلى ذلك؟ بالطبع لم تفعل!.

جلست، باردة، متوترة، خائفة، تحاول أن تتذكر، بينما فى الوقت نفسه، كانت تفكر، إنه "إنجليزى"، إنه قادم لإنقاذها. كانت تناضل لجعل ذاكرتها تستيقظ، لتتخلى عما ينبغى أن تتخلى عنه، بينما كانت تفكر، إنه إنجليزى، وسوف يفهم.

أوه نعم، كانت آليس تعرف أنها تنسى أشياء، ولكنها لا تعرف مدى سوء ذلك، أو مدى تكراره. عندما بدأ عقلها يحاول ويبحث، باهتياج محاولاً الإمساك بشىء ثابت، كانت دائمًا فى الحال تسمح لنفسها ـ كما فعلت الآن ـ بالتسلل إلى طفولتها، حيث كانت تبقى باستمتاع تمعن التفكير فى مشهد أو آخر كانت تلمعه وترسمه مرات ومرات بألوان جديدة حتى يصبح مثل المشى فى قصة تبدأ "ذات مرة، كانت فتاة صغيرة تسمى آليس، مع أمها، دوروثى. ذات صباح كانت آليس فى المطبخ مع دوروثى، التى كانت تصنع لها الحلوى المحببة إليها، تفاح بالقرفة والسكر البنى والكريمة، وقالت آليس الصغيرة: "مامى، أنا فتاة طيبة، أليس كذلك؟"

ولكن اليوم، لم يقبل عقلها البقاء فى هذا الحلم، أو القصة؛ لقد أصر على العودة إلى الحاضر، بعيدًا عن أمها، التى كانت أخيرًا تلوث سمعة آليس بسبب التفجير.

جلست آليس بهدوء، بينما مر الوقت، يحملها نحو موعد الغداء وبيتر سيسيل. كانت شديدة القلق، وتشعر بألم فى بطنها، وقلبها يخفق بشكل مؤلم.

لم تكن هناك حاجة لإخبار بيتر سيسيل بأى شىء من هذا. لماذا تفعل؟ ربما سوف تقول القليل عن أندرو. هذا لن يؤذى أندرو: لم تكن حتى تعرف أين هو. سوف تقول: "أندرو كونورز؟ ... نعم، لقد قال إنه أمريكى. أحيانًا كان يزور البيت المجاور؛ كان على علاقة غرامية بفتاة كانت تعيش هناك فى ذلك الوقت، نسيت اسمها. وهذا هو كل ما أعرفه حقًا".

سوف يتناولان غداء طيبًا. ربما يتحول ويصبح صديقًا، مثل أندرو. على أية حال، كانت تعتبر أندرو صديقًا، رغم أنها لم تكن تفكر الآن أنه

يستحق الفكرة الطيبة التى كانت لديها عنه من قبل. هناك دائمًا أناس مهذبون، حتى بين الرجعيين. تذكرت رفيقًا أو آخر، يقول فى مكان أو آخر فى برمنجهام، أليس كذلك؟ فى بيت مانشستر؟ - أنه من السذاجة الماركسية أن نعتقد أن كل أعضاء الطبقة الحاكمة كأفراد سيئين. سوف يكون عليها فقط أن تلاحظ لسانها؛ وسوف يكون كل شيء على ما يرام. فقط عليها أن تكون حذرة - وأن تثق فى الإلهام. من السخف أن تجلس هنا قلقة حول ما تقوله؛ فهى دائمًا تعرف، عندما يأتى الوقت، كيف تتعامل مع الأشياء.

وهذا سوف يسرى على جوردون أوليرى، أيضًا... ولكنها أثناء تفكيرها فيه، شعرت آليس بالقلق فى بطنها يصبح ألمًا حادًا، تقريبًا لا يحتمل. اللعنة، لقد فهمت الآن أنها لابد أن تكون حذرة وألا تذكر جوردون لبيتر سيسيل، وألا تدع بيتر سيسيل يأتى نحو هذا البيت بعد الغداء. لا يهم، كانت متأكدة من أنها تستطيع أن تتدبر هذا. سوف تتعامل مع بيتر سيسيل أولا، ثم جوردون أوليرى. ولكن - فجأة فكرت - لماذا تقابل جوردون على الإطلاق؟ بعد الغداء، يمكنها بكل بساطة أن تغيب أسبوعًا فى مكان ما، ولا تعود إلى هذا البيت إلا فيما بعد. لا، هذا سيكون فقط تأجيلاً للمشكلة. سوف تعود فى وقت مناسب من المطعم، وتقول وداعًا لبيتر سيسيل هناك، وتضع ورقة على الباب تقول... لا، لا يمكن أن تترك ملحوظة: سوف يراها الجيران ويأتون للاستفسار. الأفضل أن تترك الجميع يعتقدون أن الأشياء تسير بشكل طبيعى لأطول وقت ممكن؛ وأن ذلك هو السبب أنه كان من الطيب أن يروها على الأقل تخرج وتعود.

عندما تعود من المطعم، سوف تغلق الأبواب والنوافذ - لم تكن هناك إلا نافذة واحدة بدون مصراع، وسوف تغلقها بالمسامير، الآن، قبل أن تخرج - وسوف تذهب مباشرة إلى قمة البيت وإلى العلوية وتضع ثقلاً على الباب المسحور لكى لا يستطيع أن يصعد أحد إليها. حتى لو دخل جوردون أوليرى إلى البيت بشكل ما - وبالطبع لا يريد أن يشاهده أحد يقتحم البيت

فى ضوء النهار ـ فلن يعرف أنك تستطيعين الصعود إلى العلوية، لماذا يفعل هذا؟

هذا التخطيط المفصل والترتيب كان يجعلها تشعر بأنها أفضل حالاً. كان هذا هو ما تبرع فيه: كانت تشعر بأنها تسيطر على كل شىء مرة أخرى، وأن آلام بطنها تخف، وأنها تتنفس بشكل أفضل وأكثر هدوءًا.

كانت فى الواقع تتطلع إلى الوجبة التى ستتناولها مع بيتر سيسيل!

تبتسم برقة، قدح من الشاى القوى الممتع فى يدها، تبدو هذا الصباح كفتاة فى التاسعة من عمرها، مرت بحلم سيئ، جلست الطفلة المسكينة تنتظر أن يأتى موعد الخروج لمقابلة المتخصصين، المحترفين.

صدر من هذه السلسلة

١ ـ «ملكة الصمت» للكاتبة الفرنسية «مارى نيميه» ـ رواية ـ جائزة ميديسيس.

٢ ـ «فتاة من شارتر» للكاتب الفرنسى «بيير بيجى» ـ رواية ـ جائزة «إنتر».

٣ ـ «موال البيات والنوم» للكاتب المصرى «خيرى شلبى» ـ رواية ـ جائزة الدولة التقديرية.

٤ ـ «أوائل زيارات الدهشة» للشاعر المصرى «محمد عفيفى مطر» ـ سيرة ذاتية ـ جائزة «سلطان العويس».

٥ ـ «اللمس» للكاتبة السعودية «ملحة عبدالله» ـ مسرح ـ جائزة «أبها».

٦ ـ «عاشوا فى حياتى» للكاتب المصرى «أنيس منصور» ـ سيرة ذاتية ـ «جائزة مبارك».

٧ ـ «قبلة الحياة» للكاتب المصرى «فؤاد قنديل» ـ رواية ـ «جائزة التفوق».

٨ ـ «ليلة الحنة» للكاتبة المصرية «فتحية العسال» ـ مسرح ـ «جائزة التفوق».

٩ ـ العاشقات ـ للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك» ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

١٠ ـ نوّة الكرم، للكاتبة المصرية نجوى شعبان، رواية، «جائزة الدولة التشجيعية».

١١- «الفسكونت المشطور» للكاتب الإيطالى - إيتالوكالڤينو.
رواية (عدد خاص) جائزة «فياريچيو».

١٢- القلعة البيضاء / للكاتب التركى أورهـان باموق - رواية - «جائزة نوبل».

١٣ - أين تذهب طيور المحيط/ للكاتب المصرى إبراهيم عبدالمجيد - أدب رحلات - «جائزة التفوق».

١٤ - قرية ظالمة / للكاتب المصرى محمد كامل حسين - عدد خاص - «جائزة الدولة للأدب».

١٥ - الرجل البطىء / للكاتب الجنوب أفريقى ج . م . كوتسى - رواية - «جائزة نوبل».

١٦ - طحالب / للكاتبة الجنوب إفريقية مارى واطسون - متتالية قصصية / «جائزة كين» .

١٧ - شوشا / للكاتب البولندى اسحق باشيفيس سنجر/ رواية / «جائزة نوبل».

١٨ - شارع ميجل/ للكاتب من ترينداد/ ف. س. نايبول. رواية/ «جائزة نوبل».

١٩ - الحياة الجديدة - للكاتب التركى «أورهان باموق» - رواية - «جائزة نوبل».

٢٠ - عشر مسرحيات مختارة - للكاتب الإنجليزى «هارولد بنتر» - مسرح - «جائزة نوبل».

٢١ - الآخر مثلى - للكاتب البرتغالى «جوزيه ساراماجو» - رواية - «جائزة نوبل».

٢٢ ـ المستبعدون ـ للكاتبة النمساوية «إلفريدة يلينك» ـ رواية ـ «جائزة نوبل».

٢٣ ـ الأنثى كنوع ـ للكتابة الأمريكية «جويس كارول أوتس» ـ قصص ـ «جائزة بن مالامود».

٢٤ ـ ثلاثة أيام عند أمى ـ للكاتب الفرنسى «فرانسوا فايرجان» ـ رواية ـ «جائزة الجونكور».

٢٥ ـ اسطنبول.. الذكريات والمدينة.. للكاتب التركى «أورهان باموق».. «جائزة نوبل».

٢٦ ـ الطوف الحجرى.. للكاتب البرتغالى «جوسيه سارامارجو».. رواية.. «جائزة نوبل».

٢٧ ـ نار وريبة.. للكاتبة الألمانية «بريچيتّه كروناور» مختارات جائزة «چورج بوشنر الكبرى».

٢٨ ـ الذكريات الصغيرة.. للكاتب البرتغالى «جوسيه ساراماجو» .. سيرة ذاتية.. «جائزة نوبل».

٢٩ ـ إليزابيث كُسّتلّو.. للكاتب الجنوب إفريقى ج. م. كوتسى .. رواية.. «جائزة نوبل».

٣٠ ـ السيدة ميلانى والسيدة مارتا والسيدة جيرترود.. للكاتبة الألمانية بريچيته كروناور .. قصص.. «جائزة چورج بوشنر الكبرى».

٣١ ـ حين تقطعت الأوصال .. للكاتبة المكسيكية أمبارو دابيللا.. قصص.. «جائزة بيريباروبيا».

٣٢- مارتش.. للكاتبة الأمريكية «جيرالدين بروكس» رواية.. «جائزة البوليتزر».

٣٣ - اغتنم الفرصة.. للكاتب الكندى «سول بيللو».. رواية.. «جائزة نوبل للآداب».

٣٤ - البصيرة.. للكاتب البرتغالى «جوسيه ساراماجو».. رواية.. «جائزة نوبل».

٣٥ - بريك لين.. للكاتبة الإنجليزية البنغالية.. «مونيكا على».. رواية.. «جائزة البوكر».

٣٦- بريد بغداد.. للكاتب التشيلى «خوسيه ميجيل باراس».. رواية.. «الجائزة الوطنية للآداب».

٣٧ - عن الجمال.. للكاتبة البريطانية «زادى سميث» رواية.. «جائزة الأورانج».

٣٨ - العار.. للكاتب الجنوب إفريقي ج. م. كوتسى.. رواية.. «جائزة نوبل».

٣٩ - قبلات سينمائية.. للكاتب الفرنسى إيريك فوتورينو.. رواية.. «جائزة الفيمينا».

٤٠ ـ هكذا كانت الوحدة.. للكاتب الإسبانى خوان خوسيه مياس.. رواية.. «جائزة نادال».

٤١ ـ الشلالات.. للكاتبة الأمريكية چويس كارول أوتس.. رواية.. «جائزة الفيمينا».

٤٢ ـ العشب يغنى.. للكاتبة الإنجليزية دوريس ليسنج.. رواية.. «جائزة نوبل».

٤٣ ـ العالم.. للكاتب الإسبانى خوان خوسيه مياس.. رواية.. «جائزة بلانيتا».

٤٤ ـ ميراث الخسارة.. للكاتبة الهندية كيران ديساى.. ر واية.. «جائزة البوكر».

٤٥ ـ الطفل الخامس.. للكاتبة الإنجليزية دوريس ليسنج.. رواية.. «جائزة نوبل».

٤٦ ـ بن يجوب العالم.. للكاتبة الإنجليزية دوريس ليسنج.. رواية.. «جائزة نوبل».

٤٧ ـ ثورة الأرض.. للكاتب البرتغالى جوزيه ساراماجو.. رواية.. «جائزة نوبل».

٤٨ ـ ملك أفغانستان لم يزوجنا.. للكاتبة الفرنسية انجريد توبوا.. رواية.. «جائزة الرواية الأولى فى فرنسا».

٤٩ ـ الكهف.. للكاتب البرتغالى جوزيه ساراماجو.. رواية.. «جائزة نوبل».

٥٠ ـ يوميات عام سئ.. للكاتب الجنوب إفريقى ج.م كوتسى.. رواية.. «جائزة نوبل».

٥١ ـ كازانوفا.. للكاتب الإنجليزى أندرو ميللر.. رواية.

٥٢ ـ انقطاعات الموت.. للكاتب البرتغالى جوزيه ساراماجو.. رواية.. «جائزة نوبل».

٥٣ ـ العم الصغير.. للكاتب الألمانى شيركو فتّاح.. رواية.. «جائزة هيلده دومين لأدب فى المنفى».

٥٤ ـ اللعب مع النمر.. للكاتبة الانجليزية دوريس ليسنج.. «جائزة نوبل».

٥٥ ـ فى أرضٍ على الحدود.. للكاتب الألمانى شيركو فتّاح.. رواية.. «جائزة نظرات أدبية».

الرواية

تدور أحداث الإرهابية الطيبة فى لندن ثمانينيات القرن العشرين. بطلتها "أليس" ابنة الطبقة المتوسطة، وأصدقاؤها مجموعة من الشباب الراديكاليين يتجمعون في أحد المنازل المهجورة ويعتبرونه منزلاً لهم، ويبدو أنه لا هدف محدد فى حياتهم سوى الرفض فى حد ذاته.

قالت "دوريس ليسنج" عن بطلتها "أليس". إنها شخصية مجنونة وقد استوحتها من شخصية حقيقية كانت تسكن بجوارها فى منزل مهجور، وعندما سمعت بتفجيرات بعض المحال التجارية فى لندن فى ثمانينيات القرن العشرين خطر لها أنه ربما لهذه الجارة يد فى العملية، بما أن الشرطة تبينت من أسلوب التفجير أن من نفذ هذه العمليات من الهواة.

وهكذا كتبت "ليسنج" كيف تنزلق فتاة طيبة ومجموعة من الشباب الرافضين دون قصد أو معرفة فى أعمال خطيرة.

وقال النقاد عن الرواية "نجحت "ليسنج" فى كتابة إحدى أفضل الروايات باللغة الإنجليزية عن الإرهاب والحياة الداخلية لمجموعة ثورية".

الروائية: دوريس ليسنج كاتبة إنجليزية
الجائزة: جائزة نوبل فى الآداب عام ٢٠٠٧.

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٢ جنيهاً
ISBN# 9789774211998
6 221149 015579